تاريخ المصريين
١٥٢

الحروب الصليبية

(المقدمات السياسية)

د. علية عبد السميع الجنزوري

الهيئة المصرية
العامة للكتاب

رئيس مجلس الإدارة :

د. سمير سرحان

رئيس التحرير :

د. عبد العظيم رمضان

مدير التحرير :

محمود الجزار

تصدر عن

الهيئة المصرية العامة للكتاب

الحروبُ الصّليبيّة

(المقدمات السياسية)

د. علية عبد السميع الجنزوري

الهيئة المصرية العامة للكتاب

١٩٩٩

الاشراف الفنى

محمـــود الجـــزار



تقـــــديم

يسرني ان اقدم للقارىء العزيز هذا الكتاب المهم عن المقدمات السياسية للحروب الصليبية الذى كتبته الأستاذة الدكتورة علية الجنزورى ، أستاذة تاريخ العصور الوسطى بكلية البنات جامعة عين شمس . وقد سبق لها أن قدمت فى هذه السلسلة « تاريخ المصريين » دراسة عن هجمات أوربا على مصر فى العصور الوسطى .

ويرجع اهتمام هذه السلسلة بالحروب الصليبية الى أن مصر فى ذلك العصر كانت جزءا لا يتجزأ من العالم الاسلامى ، وبالتالى فكل ما يتعلق بتاريخ العالم الاسلامى يتعلق ـ بالضرورة ـ بتاريخ مصر ، فلم يكن الفكر القومى قد ظهر فى ذلك الحين ، وانما كانت الجامعة الاسلامية هى التى تربط الجميع ، وكانت كل أرض ترتفع فيها راية الاسلام وطنا لكل مسلم ، أو أن الامبراطورية الاسلامية فى ذلك الحين كانت كالجسد الواحد اذا اشتكى عضو منه تداعى له بقية الأعضاء ! وكان العالم كله ينقسم الى قسمين : العالم المسيحى فى مواجهة العالم الاسلامى . ولم ينقص من هذه الحقيقة انقسام الخلافة الاسلامية الى « خلافات » متحاربة أحيانا ، لأن علم الاسلام فى مواجهة علم المسيحية كان يظلل الجميع .

وقد تحدثت الدكتورة علية الجنزورى فى الباب الأول من هذا الكتاب المهم عن الحياة السياسية فى بلاد الشام فى النصف الأول من القرن الخامس الهجرى (الحادى عشر الميلادى) وموقف أهل الشام من الخلافتين : العباسية والفاطمية . وتناولت مظاهر النفوذ التركى فى الشام ، والعلاقات البيزنطية الشامية فى القرن الخامس حتى قدوم السلاجقة .

وقد خصصت الباب الثانى للحديث عن الشام فى العصر السلجوقى . فتناولت العلاقات السلجوقية الفاطمية ، والعلاقات السلجوقية البيزنطية، ثم العلاقات بين السلاجقة والقوى السياسية فى الشام قبل قدوم الصليبيين كما تعرضت لانتشار المذهب الباطنى فى بلاد الشام وأثره .

أما الباب الثالث ، فقد تناولت فيه الدكتورة علية الجنزورى دوافع الحروب الصليبية ، والحملة الصليبية الأولى على بلاد الشام ، التى كانت بداية الحملات الأخرى ، والتى جرت مصر الى منطقة الصراع بالضرورة ، باعتبار مصر حاضرة الدولة الفاطمية التى تمتلك الشام . وتعرضت للعلاقات المعقدة والمتشابكة بين الدولة الفاطمية والدولة السلجوقية ، وكيف تحرك الفاطميون لمواجهة الصليبيين عندما بدأو يستولون على الممتلكات الفاطمية فى بلاد الشام .

والكتاب — على هذا النحو — يعد دراسة تاريخية مهمة موثقة ، جدير بالقراءة .

رئيس التحرير

د. عبد العظيم رمضان

مقـــــدمة

كان الغزو الصليبى للوطن العربى من أهم الأحداث التاريخية التى جذبت اهتمام الكثير من الباحثين والدارسين لدراسة تاريخ تلك الفترة الحاسمة فى تاريخ العصور الوسطى عامة ، وتاريخ العالم العربى خاصة .

قام هؤلاء الباحثون بدراسة العوامل والظروف التى أدت الى قيام الحروب الصليبية مما أضاف كثيرا من الدراسات العلمية الى المكتبة التاريخية ، الا أننا لاحظنا أن معظم هذه الدراسات نظرت الى الحروب الصليبية من الزاوية الأوروبية ، واقتصر اهتمامها على العوامل النابعة من الظروف الداخلية فى أوروبا والتى أدت الى قيام الحروب الصليبية ، بينما لم تهتم هذه الدراسات بالعوامل والظروف التى انبعثت من داخل الوطن العربى عامة وبلاد الشام خاصة ، مما جعل هذه الدراسات قاصرة ، لا تمد الباحثين بصورة كاملة للمناخ السياسى داخل بلاد الشام الذى ساعد على بداية الغزو الصليبى لهذه البلاد ثم تهديده لسائر أرجاء الوطن العربى .

ولذا رأينا أن نقوم بدراسة علمية منهجية تفصيلية جديدة للتاريخ السياسى لبلاد الشام فى تلك الحقبة التاريخية المهمة لنقف

على البواعث والأسباب الداخلية التى تفاعلت فيما بينها لتخلق ظروفا سياسية ملائمة تشجع دول أوروبا على الغزو الصليبى لبلاد الشام .

واذا أضفنا العوامل السياسية الداخلية فى بلاد الشام الى الظروف التى كانت سائدة حينئذ فى القارة الأوروبية ، أصبحت الصورة متكاملة ، وتبرز لنا جميع عوامل قيام الحروب الصليبية فى تلك الفترة أى فى أواخر القرن الخامس الهجرى .

ويدرس بحثنا هذا « الحياة السياسية فى بلاد الشام فى القرن الخامس الهجرى » ، ويسلط الأضواء على الظروف الداخليـة والعوامل السياسية التى جذبت الحملات الصليبيـة الى الشرق العربى الاسلامى .

وهذه الفترة التاريخية التى ندرسها من الفترات الخطـرة الحرجة ، اذ هى حافلة بالأحداث ، وبصراع القوى السياسية ، وقد اختلفت المصادر التاريخية ، القديمة والحديثـة ، العربيـة والافرنجية ، فى نظرتها الى هذه الأحداث وفى تقييمها لهذه القوى مما يضع الباحث أمام سيل متدفق من الحقائق والآراء المتناقضـة المتضاربة ، مما يحتم ضرورة دراسة تاريخ هذه الفترة دراسـة تحليلية جديدة .

ودراسة الحياة السياسية فى بلاد الشام فى القرن الخامس الهجرى تبرز الصراع بين قوى سياسية عديدة حـول النفـوذ السياسى فى بلاد الشام ، مثل الصراع بين الدولتين : الفاطميـة والبيزنطية ، والصراع بين الفاطميين والقـوى القبليـة ، من مرداسيين وكلبيين وطائيين ، والصراع بين الفاطميين والعناصر التركية ، سواء أكان هؤلاء الأتراك من الولاة المعينين من قبـل

الخلفاء الفاطميين أو من السلاجقة . ثم يبرز العنصر السلجوقى فى بلاد الشام ويتخذ الصراع صورة مذهبية بين الفاطميين الشيعة والسلاجقة السنيين ، ولم ينته الصراع بسيطرة السلاجقة على الشام فى السبعينات من القرن الخامس الهجرى ، بل ظلت حالة الاضطراب والقلق مسيطرة على بلاد الشام رغم عودة المذهب السنى اليها مرة أخرى ، وذلك نتيجة استمرار الصراع بين الفاطميين الشيعيين والسلاجقة السنيين من ناحية ، وبين السلاجقة والبيزنطيين من ناحية أخرى ، ثم ازدادت الحالة تدهورا واضطرابا نتيجة قيام الخلافات الداخلية والانشقاقات الأسرية بين أبناء البيت السلجوقى نفسه .

والى جانب هذه العوامل ، كانت بلاد الشام قد عانت من خطرين خارجيين هدداها فى القرن الرابع الهجرى ، وكان لهما أثرهما فى أحوال الشام الداخلية والخارجية . وأولهما خطر القرامطة الذى ظهر واضحا فى النصف الثانى من القرن الرابع ، وثانيهما الخطر البيزنطى الذى أصبح مصدر قلق واضطراب دائمين لبلاد الشام لفترة طويلة من الزمن ، وظهر هذا الخطر فى السبعينات من القرن الرابع الهجرى وأصبح بمثابة ومضات صليبية لم تحقق آمالها المنشودة واستمرت حوالى قرن وربع قبل التحركات الصليبية الغربية .

وقد كان للصراع الطائفى فى بلاد الشام ، وللسياسة التى انتهجتها حكومة الشام تجاه أهل الذمة فى تلك الفترة ، اثرهما فى اثارة مسيحيى الغرب ، فاتخذوهما ذريعة لارسال الحملات الصليبية .

وامتزجت هذه العوامل كلها فى بوتقة واحدة لتصبح دوافع لقدوم الحملات الصليبية الى بلاد الشام خاصة والى الشرق العربى عامة .

والحقيقة أن القرن الخامس الهجرى ، يعتبر قرنا حافلا بالأحداث السياسية المهمة فى بلاد الشام . ولما كانت الدراسة المتخصصة تحتاج الى شيء كثير من الدقة ، لذلك رأينا أن نتناول دراسة تاريخ هذا القرن فى ثلاثة أبواب رئيسية تدرس فيها الفترات السياسية الثلاث الكبرى التى شهدتها بلاد الشام فى ذلك القرن .

فيتناول الباب الأول ، الحياة السياسية فى بلاد الشام فى النصف الأول من القرن الخامس الهجرى ، أى زمن الفاطميين . ويضم هذا الباب أربعة فصول : فيدرس الفصل الأول ، موقف أهالى الشام من الخلافتين : العباسية والفاطمية ، ويدرس الفصل الثانى ، مظاهر النفوذ التركى فى بلاد الشام منذ العصر الفاطمى حتى قدوم السلاجقة ، ويتناول الفصل الثالث العلاقات البيزنطية الشامية فى القرن الخامس الهجرى الى قدوم السلاجقة كما يدرس الفصل الرابع الصراع القبلى والطائفى والمذهبى فى بلاد الشام قبل قدوم السلاجقة .

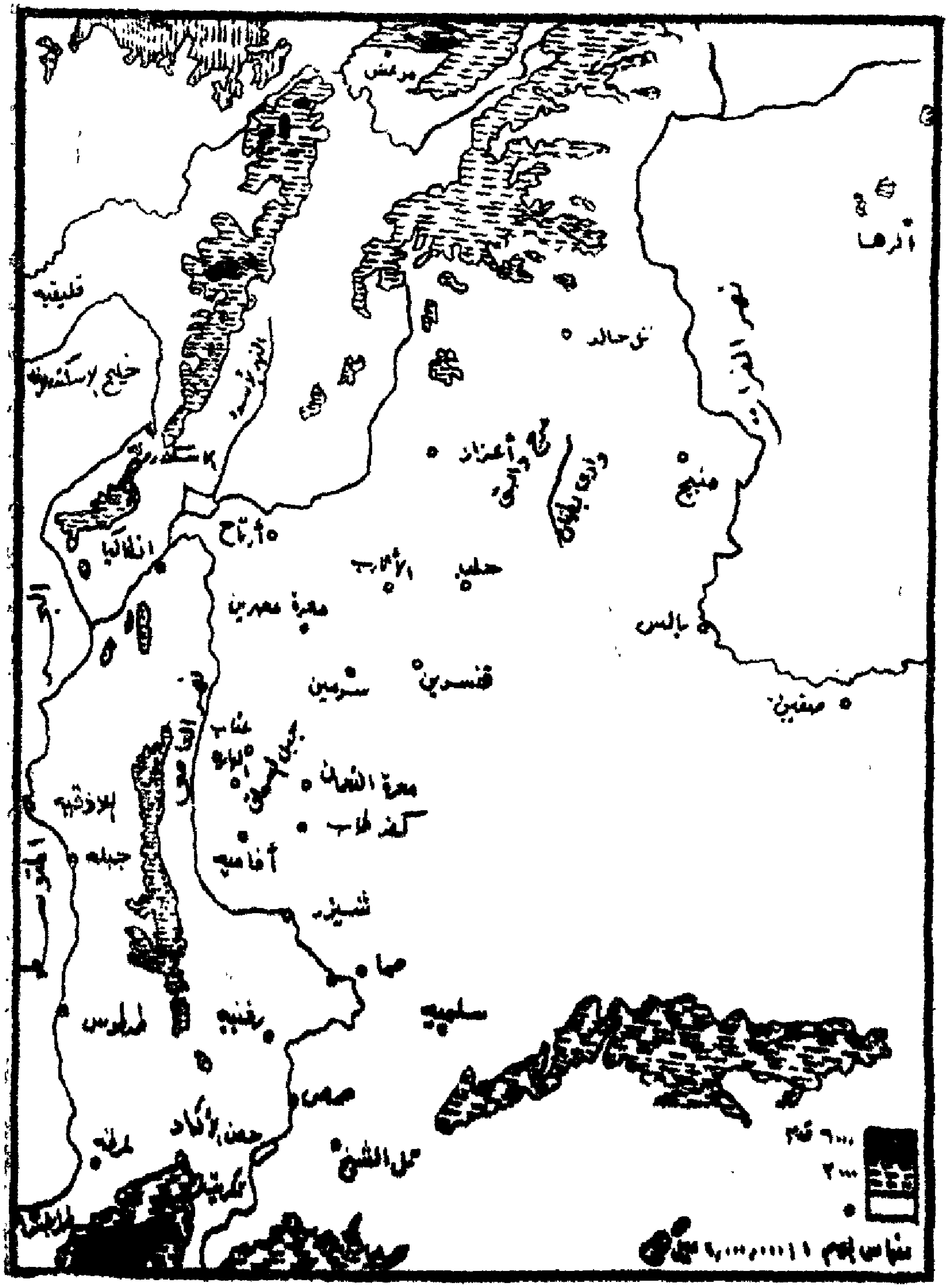
ويدرس الباب الثانى الحياة السياسية فى بلاد الشام فى العصر السلجوقى ويشمل هذا الباب خمسة فصول فيبحث الفصل الأول العلاقات بين السلاجقة والفاطميين ، ويتناول الفصل الثانى العلاقات السلجوقية البيزنطية ، ويدرس الفصل الثالث العلاقات السياسية بين السلاجقة والقوى السياسية فى بلاد الشام قبل قدوم الصليبيين . أما الفصل الرابع فيدرس انقسام السلاجقة والصراع بين القوى السلجوقية ثم الفصل الخامس ويتناول أثر انتشار المذهب الباطنى فى بلاد الشام .

أما الباب الثالث والأخير فيدرس قدوم الحملات الصليبية الي بلاد الشام . ويضم هذا الباب أربعة فصول ، يدرس الفصل

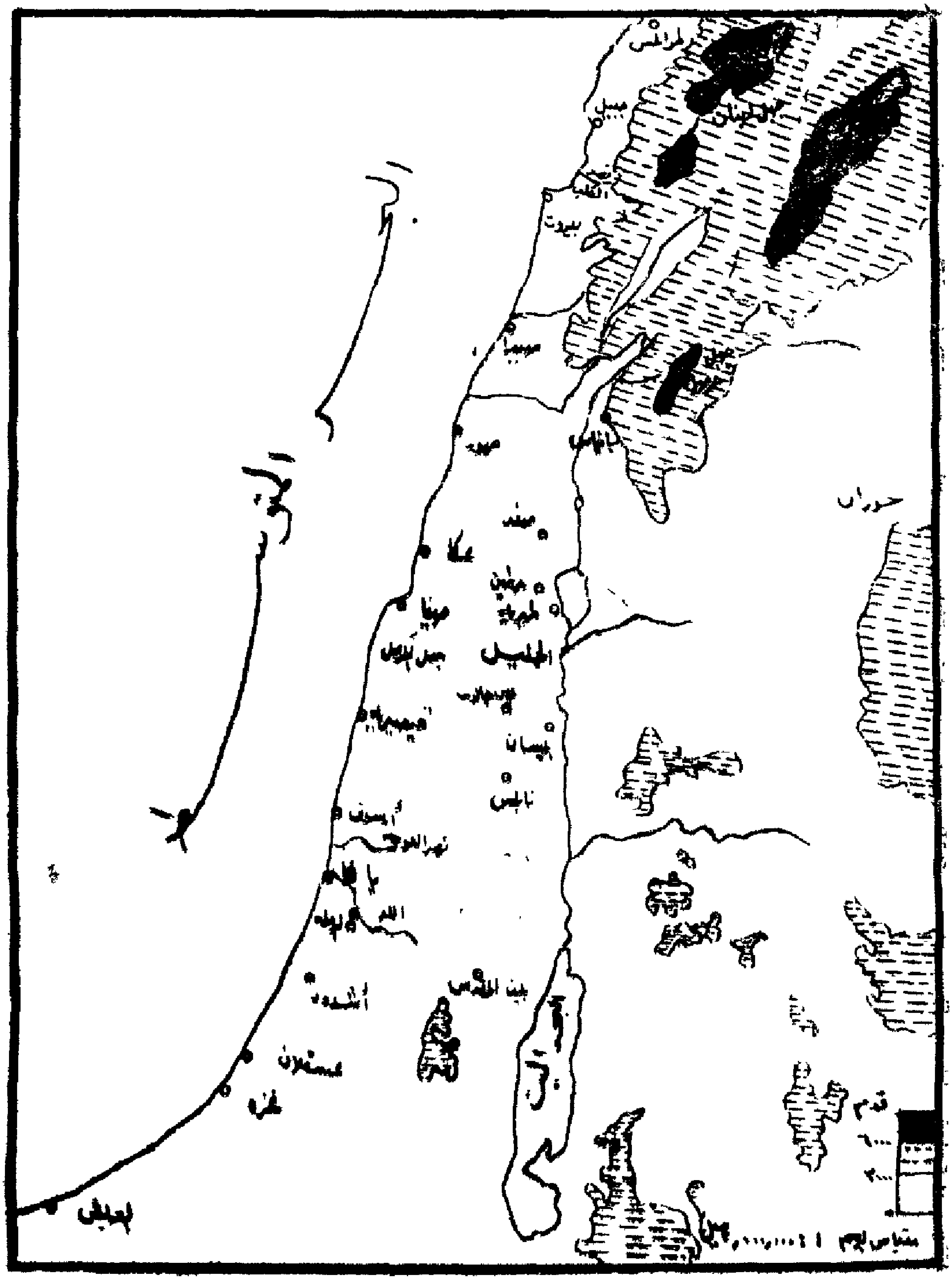
الأول منها ماهية الحروب الصليبية ، ويتناول الفصل الثانى دوافع هذه الحروب ، ويدرس الفصل الثالث استيلاء الصليبيين على بلاد الشام ، ويبحث الفصل الرابع موقف القوى المختلفة من الغزو الصليبى لبلاد الشام .

ولما كان التشابك بين أحداث القرن الخامس الهجرى وأحداث نهاية القرن الرابع الهجرى واضحا ، لذلك آثرنا أن نقدم للبحث بتمهيد يتناول العوامل المؤثرة فى الحياة السياسية فى بلاد الشام قبيل القرن الخامس الهجرى فدرسنا فى هذا التمهيد أربع نقاط رئيسية هى : امتداد النفوذ الفاطمى الى بلاد الشام وموقف الأهالى منه ، وتحدثنا عن الحمدانيين وعلاقتهم بالبيزنطيين وبالخلافتين : العباسية والفاطمية ، ثم درسنا الصراع بين القرامطة فى الشام فى أواخر القرن الرابع الهجرى ، وبحثنا عن دور بنى الجراح فى اثارة القلاقل فى جنوب بلاد الشام .

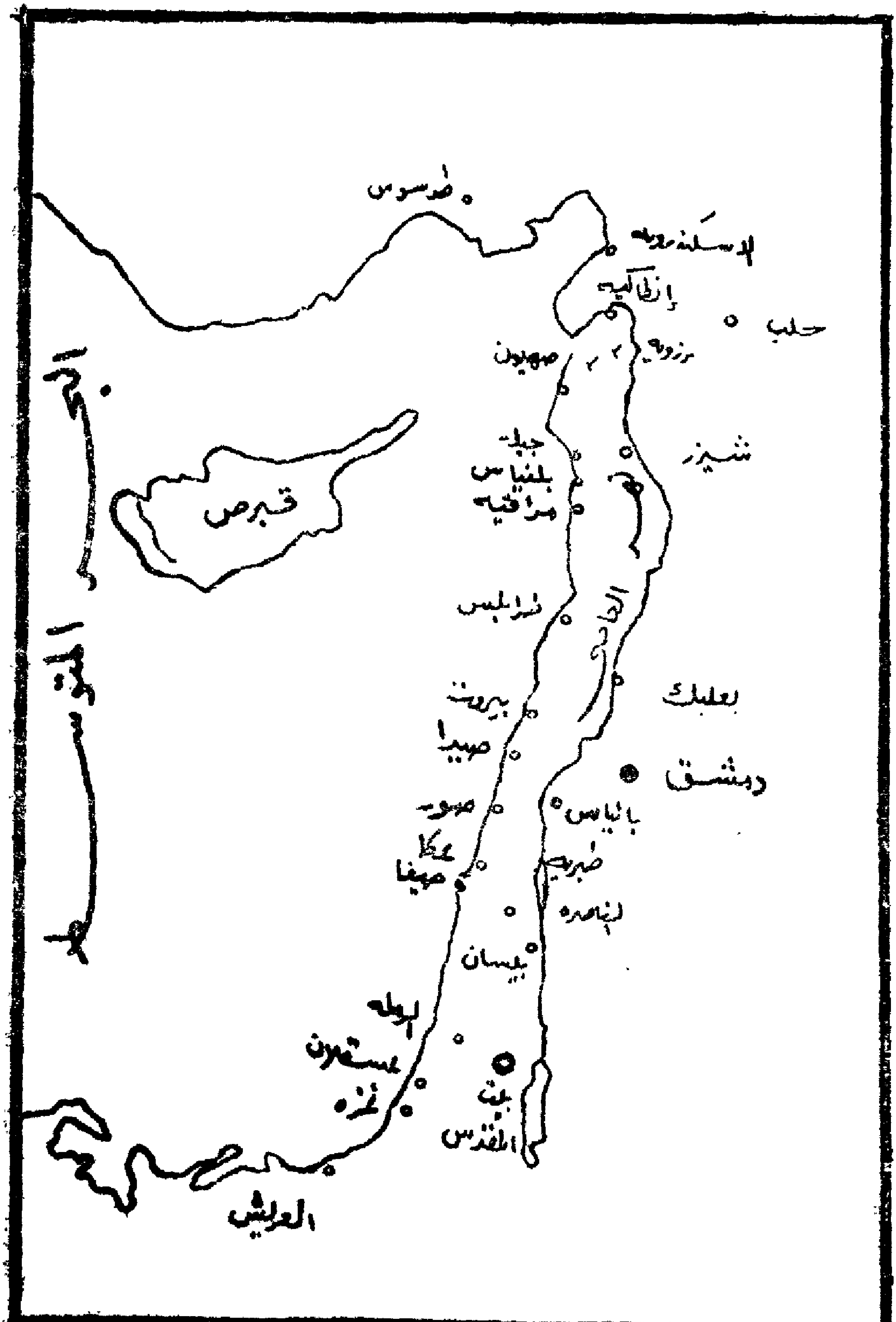
وأبواب هذا البحث وفصوله تقدم صورة متكاملة للحياة السياسية فى بلاد الشام فى القرن الخامس الهجرى ، والله عز وجل ولى التوفيق .



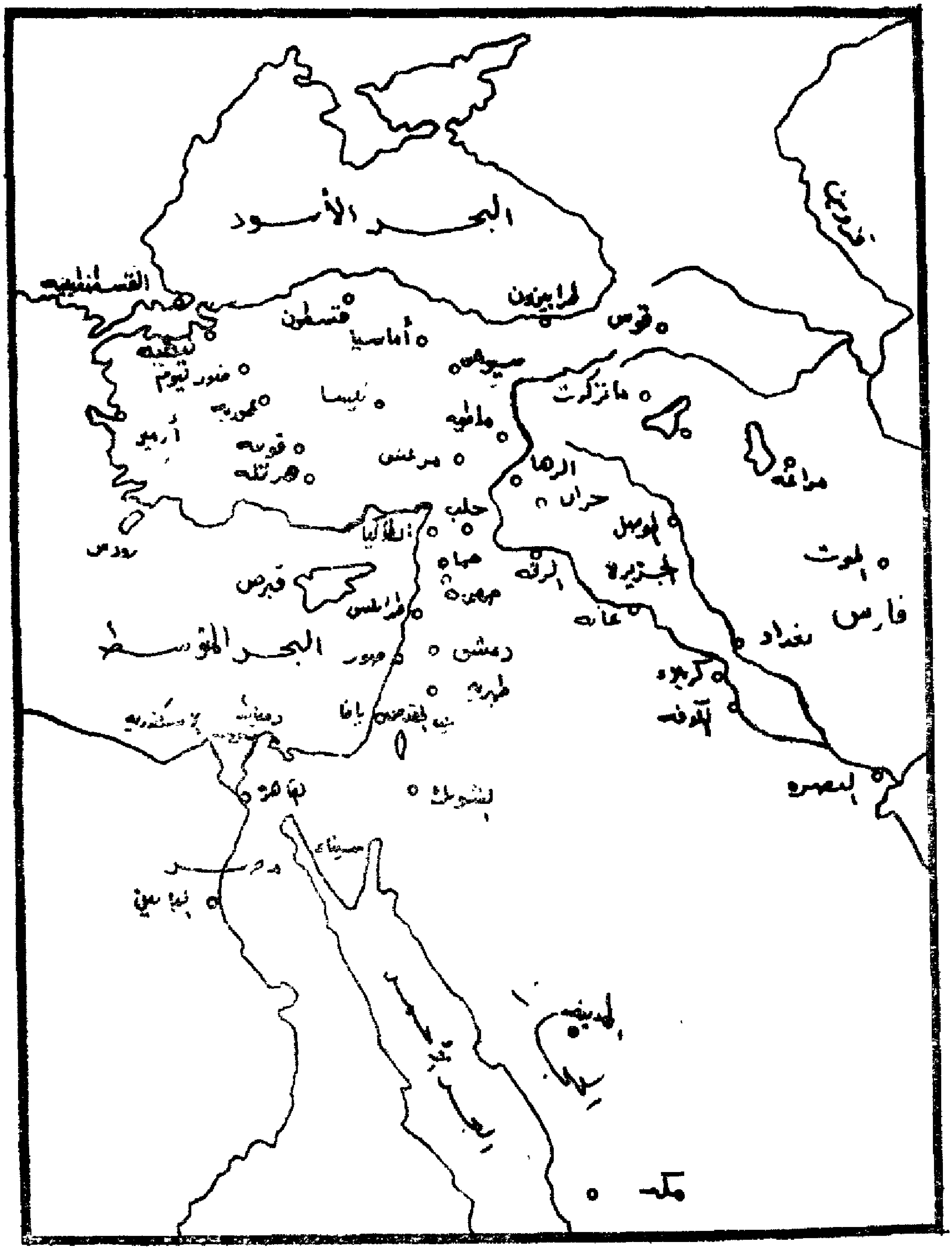
خريطة طبيعية لشمال سوريا



خريطة طبيعية لجنوب سوريا



حملة تريمسكس على الشام



الشرق الأدنى فى زمن الحروب الصليبية



مسيرة الحرب الصليبية الأولى من نيقية
الى بيت المقدس

بحث فى مصـــادر الرسالة

فى تقصى نقاط بحثنا هذا استعنا بالكثير من المصادر سواء المطبوعة أو المخطوطة ، وشملت الكتب المطبوعة المصادر الأصلية القديمة والمصادر الحديثة ، عربية أو أجنبيـــة . وقد أمـــدتنا المصـــادر الرئيسية بمادة تاريخية وافية ، أفادتنا فى معظم فصول البحث ، وابرز هذه المصادر :

أولا : مصادر قديمة مثل : « زبدة الحلب من تاريخ حلب » لابن العديم ، « ذيل تاريخ دمشق » لابن القلانسى ، « التاريخ الكبير » لابن عساكر ، « اتعاظ الحنفا بأخبار الأئمة الفاطميين الخلفا » للمقريزى ، « أخبار مصر » لابن ميسر ، « الدرة المضية فى أخبار الدولة الفاطمية » لابن أيبك الدوادارى ، « منتخبـــات التواريخ لدمشق » لتقى الدين الحصنى . هذا الى جانب الكتب الأخرى المعروفة للباحثين مثل « الكامل فى التاريخ » لابن الأثير ، و « النجوم الزاهرة » لأبى المحاسن ، و « البداية والنهاية » لابن كثير ، « تاريخ ابن خلدون » ، وغيرها .

ثانيا : مصادر حديثة مثل « خطط الشام » لمحمد كرد على ، و « تاريخ سورية » ليوسف الدبس ، و « أعلام النبلاء بتاريخ

حلب الشهباء » للطباخ الحلبى ، و « تحف الأنباء فى تاريخ حلب الشهباء » لبيشوف الجرمانى .

ثالثا : مخطوطات و (ميكروفيلم) مثل « اتعاظ الحنفا » للمقريزى ، و « مرآة الزمان » لسبط بن الجوزى ، و « عقد الجمان » للعينى ، و « عيون التواريخ » لابن شاكر الكتبى .

وسنحاول فيما يلى أن نتناول كل مصدر من المصادر السابق ذكرها بشىء من التفصيل ، ثم نتبع ذلك بالمصادر التى أفادتنا فى فصول معينة ، وكانت أكثر تخصصا .

فمن ناحية المصادر القديمة نبدأ بكتاب « زبدة الحلب من تاريخ حلب » لابن العديم (٥٨٨ هـ — ٦٦٠ هـ) الذى عنى بنشره وتحقيقه ووضع فهارسه الدكتور سامى الدهان . ذكر الناشر فى مقدمة الكتاب أن ابن العديم اعتمد على الآثار الباقية والسجلات والمخلفات المكتوبة واتخذ النقود والعملة والسكة سبيلا الى تحديد أسماء الولاة والحكام والقضاة ، واتخذ الأحجار والنقوش والأبنية مصدرا لمعرفة السنين والشهور . وبسط العادات والألبسة والتقاليد ونقل الكتب والتوقيعات والرسائل ليصل الى الغاية التى أرادها ، وهو فى هذه الخطة لا يختلف عن مؤرخى العالم الغربى اليوم ، ومن الغريب أن يتبع المنهج الحديث رغم وفاته سنة ٦٦٠ هـ .

وزبدة الحلب هو فى الحقيقة تاريخ لبلاد الشام كلها وليس تاريخا لمدينة حلب فحسب اذ يبدأ بتاريخ العصور الأولى للشام ، وينتهى عند منتصف القرن السابع للهجرى أى قبل عشرين سنة من وفاة المؤلف . ولكنه يدرس تاريخ الشام فى ايجاز .

وقد أدرك الغربيون اهمية هذا الكتاب فاقتبس المستشرقون منه فصولا معينة حينما ارادوا دراسة تاريخ الشام فى عهد الأمويين والعباسيين والحمدانيين ، وترجموا الفصول التى تتناول المرداسيين والصليبيين ، حين لمسوا ان الكتاب رغم ايجازه ، فإنه أوسع مصدر لتاريخ الشام ، وأشمل تأريخ لأحداث الدول التى تعاقبت عليها (١) .

انتزع ابن العديم زبدة الحلب من تاريخه الكبير « بغية الطلب » وهو مرتب حسب السنوات الهجرية حتى سنة ٦٤١ هـ ، وتوجد منه نسخة فى بطرسبرج فى المكتبة العمومية ونسخة منه فى باريس فى المكتبة العمومية ايضا رقمها (١٦٦٦) وقد ترجم الى اللغة الفرنسية وطبع فى باريس سنة ١٨٩٦ ، ١٨٩٨ ونشر فى مجلة الشرق اللاتينى (٢) .

أما كتاب « ذيل تاريخ دمشق » لابن القلانسى (ت ٥٥٥) ، فهو تاريخ لمدينة دمشق من سنة ٣٦٣ هـ الى سنة ٥٥٥ هـ وهو ذيل لتاريخ هلال الصابى . ويذكر ابن القلانسى « انه اعتمد فى أجزاء منه على الثقات وفى أجزاء أخرى على البحث والتنقيب بنفسه » (٣) .

والحقيقة ان هذا الكتاب يعتبر من أهم الكتب التى كتبت عن تاريخ بلاد الشام بأكملها فى الفترة التى تناولها بحثنا ، ولذا فهو يعتبر مصدرا أصليا لا ذيلا كما يعرف عنه .

وكتاب « التاريخ الكبير » لابن عساكر (٤٩٩ ــ ٥٧١ هـ) الذى هذبه ابن بدران (ت ١٣٤٦ هـ) هو فى الأصل كتاب كبير يقع فى ثمانين مجلدا ، ارخ فيه لمدينة دمشق على نحو تاريخ

بغداد للخطيب البغدادى (٤) . بدأ ابن عساكر فى تاريخه ثم توقف ، فلما قدم السلطان نور الدين زنكى الى دمشق (٥٤٩ هـ — ١١٥٤ م) طلب منه ان يكمله . والحقيقة أنـه كان لقـدوم نور الدين زنكى الى دمشق أثره فى حياة ابن عساكر العلميـة ، فقه ثم بعده أمران لهما شأن : الأول انجاز تاريخ مدينة دمشق والثانى بناء دار الحديث النورية (٥) .

وهذا الكتاب يشتمل على ذكر من « نزل دمشق من أماثل البرية أو اجتاز بها أو بأعمالها من ذوى الفضل وأبنائها وخلفائها وولاتها وقضاتها وعلمائها وقرائها وشعرائها ورواتها الخ .. »(٦) .

أما كتاب « اتعاظ الحنفا » للمقريزى (٧٦٦ — ٨٤٥ هـ) فهو من تحقيق المرحوم الدكتور جمال الدين الشيال . وهو يذكر فى مقدمة الطبعة الثانية (٧) « أنه حتى الاربعينات من هذا القرن ، كان المعروف انه لا توجد من هذا الكتاب فى مكتبات العالم الا نسخة وحيدة ناقصة فى مكتبة جوتا بألمانيا تحت رقم ١٦٥٢ . وهى التى نشرها المستشرق (هوجوبونز (Hugo Bunz فى ١٩٠٩ وطبع النص العربى فى مطبعة الأيتام السورية بالقدس . والواقع أن طبعة (بونز) جاءت مليئة بالأخطاء المطبعية ثم أن بونز لم يفعل أكثر من نسخ نص المقريزى وتحقيقه .

وقد ظهرت طبعتى الأولى لهذا الكتاب ، المعتمدة على مخطوطة جوتا الناقصة التى تنتهى بالحديث عن دخول المعز لدين الله الى مصر ، فى سنة ١٩٤٨ ، وسرعان ما وصلنى من المستشرق (كلود كاهن Claude Cahen) استاذ تاريخ العصور الوسطى بجامعة ستراسبورج خطاب ينبئنى فيه بوجود نسخة كاملة وحيدة من هذا الكتاب فى مكتبة سراى أحمد الثالث باستانبول ، فكلفت رجال

الجامعة العربية ، الذين كانوا فى ذلك الوقت يصـــورون بعض المخطوطات المهمة فى ذلك الوقت ، بتصوير المخطوطة ، فلما وصل الفيلم صورت منه نسخة كبيرة ثم عكفت على دراستها فتبينت أنها تضم بين دفتيها ثروة علمية نادرة لانها النسخة الوحيدة لمصر والشرق الأدنى فى العصر الفاطمى . وبعد الاطلاع الدقيق على المخطوطة عرفت أن ما نشر من الكتاب يساوى نحو السدس فقط من النص الكامل » .

والنص الكامل يتضمن تاريخا مفصلا للخلفاء الفـــاطميين فى مصر ووزرائهم وقواد جيشهم ورجال دولتهم ، كما أن به معلومات قيمة عن الحياة العلمية والأدبية وعن نظم الحكم وعلاقات مصر الخارجية فى العصر الفاطمى وتفصيلات وافية عـــن الحركـــات الصليبية الأولى وموقف الفاطميين منها .

وترجع اهمية المخطوطة الكاملة الى أن المقريزى اعتمد فيها على الكثير من الكتب المفقودة الآن مثل كتاب (اتمام أخبار أمراء مصر للكندى) و (سيرة المعز لدين الله للحسين بن زولاق) ، و (تاريخ أفريقية والمغرب لابن شداد) ، و (تاريخ ابن الطوير) و (الروضة البهية الزاهرة فى خطط المعزيـــة القاهـــرة لابن عبد الظاهر) وكتب أخرى كثيرة .

والمخطوطة الكاملة الموجودة فى مكتبة سراى أحمـــد الثالث باستانبول تحت رقم ٣٠١٣ هى النسخة الوحيدة من هذا الكتاب فى العالم . وتقع فى ١٧٢ ورقة (٣٤٤ صفحة) من القطع الكبيرة .

ولكن للأسف بعد أن تم نشر الجزء الأول من كتاب اتعاظ الحنفا توفى محققه الدكتور جمال الشيال ، ولم يكمل نشر بقيـــة

الاجزاء ولذلك اضطررنا الى أن نلجأ الى الميكروفيلم الموجود بمعهد المخطوطات بالجامعة العربية للاستفادة من بقية المخطوطة .

وكتاب « أخبار مصر » لابن ميسر (ت ٦٧٧ هـ ـــ ١٢٧٨ م) كتبه مؤرخه المصرى كذيل على تاريخ المؤرخ الفاطمى المسيحى ، وقد بقى منه جزء نشره المستشرق الفرنسى ماسيه تحت عنوان (الجزء الثانى من أخبار مصر) ضمن مطبوعات المعهد الفرنسى بالقاهرة سنة ١٩١٩ . والمخطوطة التى اعتمد عليها ماسيه عند نشر الكتاب كانت موجودة فى المكتبة الأهلية تحت رقم ١٦٨٨ وتشتمل على الجزء الثانى من الكتاب فقط وبها حوادث السنوات ٤٣٩ ـــ ٥٥٣ هـ (٨) .

والملاحظ على الكتاب عند اطلاعنا عليه أنه يبدأ من سنة ٤٤٣ هـ فى حكم المستنصر بالله الفاطمى ويتسلسل بالسنوات حتى ٥٠١ هـ من عهد الآمر بأحكام الله ثم يعود فيتناول سنة ٣٦٣ هـ الى سنة ٣٦٥ هـ ، ثم من ٣٨١ ـــ ٣٨٧ هـ ، وأخيرا يعود الى ٥١٥ هـ ، ثم ينتهى عند ٥٥٣ هـ بالتسلسل وبذلك يغفل بعض السنوات .

أما كتاب (الدرة المضية فى أخبار الدولة الفاطمية) لابن أيبك الدوادارى (ت ٧٣٦ هـ ـــ ١٣٣٥ م) وهو الجزء السادس من كتاب (كنز الدرر) الذى يتكون من تسعة مجلدات وهو يبدأ التاريخ من بدء الخليقة حتى عصر المؤلف . وقد جعل كل جزء يختص بدولة ، واختص كل جزء باسمين ، خاص وعام . أما الاسمان الفرعيان : فالأول يتعلق بفلك من افلاك السماء التسعة والثانى يرتبط بموضوع الكتاب ، واذا كان الاسم العام هو

(كنز الدرر) فقد جعل المؤرخ عنوان الكتاب الثانى درة دائما لان الكنز كله درر .

والجزء السادس عنوانه الفرعى الأول : (الفائق صحاح الجوهرى من قسمة فلك المشترى) ، وعنوانه الثانى (الدرة المضية فى أخبار الدولة الفاطمية) وهو يختص بذكر الخلفاء الفاطميين بمصر ، والدول المنقطعة والمتصلة التى قامت أثناء دولتهم . ويبدأ بحوادث سنة ٣٥٩ هـ وينتهى الى سنة ٥٥٤ هـ . تحدث فيه مؤلفه عن الدعوة الفاطمية بالتفصيل وعن القرامطة وبنى حمدان والسلاجقة وملوك البويهيين والسامانيين والصليحيين باليمن . واستمد مواده التاريخية من مصادر أغلبها مفقودة مثل (أخبار الشام) للسميساطى (ت ٤٥٣ هـ) . وان كنا لا نعرف كتابا يتعلق بهذه الفترة من تاريخ دمشق الا تاريخ ابن القلانسى . وعلى ذلك أصبح هناك مصدران مهمان لتاريخ دمشق الفاطمية ، وبالأحرى لتاريخ بلاد الشام بأجمعها فى عهد الفاطميين ، وهما تاريخ ابن القلانس والدرة المضية لابن أيبك (٩) .

أما كتاب « منتخبات التواريخ لدمشق » لتقى الدين الحصنى (ت ٨٢٩ هـ) فيذكر مؤلفه أنه يشتمل على مقدمة وأحد عشر بابا وخاتمة . فالمقدمة فى ذكر من الف فى تاريخ دمشق وفضائلها قديما وحديثا . أما الأبواب فيهمنا منها الأول والثانى . ويتناول الباب الأول تاريخ عمارة دمشق وتحديدها ، وأول من أسسها ودعاها بهذا الاسم ويدرس الباب الثانى من سكن دمشق من الأمم ، ومن ملكها من الملوك واتخذها قاعدة لملكه . والدول التى قامت فيها ، ويشمل الباب ستة فصول يدرس الخامس منها عهد الدولة العباسية وينتهى الى عهد الدولة العثمانية (١٠) .

أما المصادر الحديثة التى استفدنا منها فى معظم ابواب البحث فمنها : كتاب (خطط الشام) لمحمد كرد على ، والمعروف أن

الخطط يراد بها كل ما يتناول العمران ، ودراسة تخطيط المدن ومعالم حضارتها . وكتاب خطط الشام فى الحقيقة — كما ذكر مؤلفه — هو « زبدة الوقائع والكوائن والاخبار والمظاهر الغريبة التى ظهرت بها هذه الديار فى غابر العصور » وقد استمد المؤلف مادته التاريخية من الكتب المطبوعة ومن أوراق البردى ومن النقوش التى على الاحجار (١١) .

أما كتاب « تاريخ سورية » ليوسف الدبس ، مطران بيروت المارونى ، فقد استفدنا بالجزء الثالث من المجلد الخامس . وهذا المجلد يتضمن تاريخ سورية فى أيام الخلفاء الى نهاية القرن الحادى عشر الميلادى ، وقد سلك فيه مؤلفه نفس مسلكه فى الاجزاء المتقدمة ، فيدون أولا التاريخ الدنيوى ثم يعقبه بالتاريخ الدينى (١٢) .

أما كتاب « اعلام النبلاء بتاريخ حلب الشهباء » للطباخ الحلبى فهو مقسم الى مقدمة ثم الى قسمين رئيسيين : أما القسم الأول من الكتاب فيذكر من حكم حلب ، ومن تولى حكمها من الفتح الاسلامى سنة ١٦ هـ حتى سنة ١٣٢٥ هـ ويذكر أخبار ملوكها وأمرائها والأحداث التى وقعت فى عصورهم وما خلفوه من آثار . وقد وقف المؤلف عند هذه السنة أى بعد قيام الانقلاب العثمانى الدستورى فيها ضد السلطان عبد الحميد الثانى ، أما القسم الثانى من الكتاب فيضم تراجم أعيان حلب (١٣) .

أما كتب « تحف الانباء فى تاريخ حلب الشهباء » فقد ألفه الدكتور بيشوف الجرمانى ، الذى كان قنصلا لألمانية فى حلب . وقد ذكر الطباخ الحلبى انه بمقارنته هذا الكتاب بكتاب زبدة

الحلب لابن العديم ، وجد انه نسخة مكرزة منه اقتبسها الدكتور بيشوف ونسبها لنفسه بغير حق (١٤) .

فاذا ما انتقلنا الى المخطوطات و (الميكروفيلم) :

نجد أولا (ميكروفيلم) لمخطوطة (اتعاظ الحنفا) للمقريزى مصورة عن مخطوطة استانبول — السابقة الذكر — وهى موجودة بمعهد المخطوطات بالجامعة العربية رقم ٦ تاريخ . استعنا بها فى الاحداث التى تبدأ من سنة ٣٨٦ هـ اى بعد الجزء الذى نشره المرحوم الدكتور جمال الشيال . وعلى ذلك فالأجزاء المأخوذة عنها تنشر لأول مرة .

ومخطوطة (مرآة الزمان) لسبط بن الجوزى ، الموجـودة بدار الكتب المصرية تحت رقم ٥٥١ تاريخ ، فقد استعنا بالجزءين ١١ ، ١٢ ، والجزء ١١ عبارة عن ٣ مجلدات من ٣٥٩ هـ الى ٤٣٩ هـ والجزء ١٢ عبارة عن ٣ مجلدات أيضا من ٤٤٠ هـ الى ٥١٧ هـ وقد استعنا به لدراسة الاحداث حتى سنة ٤٩٥ هـ ، ثم استخدمنا الجزء المطبوع من مرآة الزمان (القسم الأول من الجزء الثامن).

ومخطوطة « عقد الجمان » للعينى (٧٦٢ هـ الى ٨٥٥ هـ) عبارة عن تاريخ ، مؤرخ على طريقة السنوات من بدء الخليقـة الى ٨٥٠ هـ وفى كل سنة يؤرخ المؤلف الأحداث ثم وفيات الاعيان.

والمخطوطة مصورة تصويرا شمسيا وموجودة بدار الـكتب المصرية تحت رقم ٥٨٤ تاريخ ، والموجود منها ٢٣ جـزءا فى ٦٩ مجلدا . استعنا بالجزءين ١٤ ، ١٥ . والجزء ١٤ يبدأ من سنـة ٣٣١ هـ حتى سنة ٤٣٠ هـ ويقع فى خمسة مجلدات ، اما الجزء ١٥ فيبدأ من ٤٣١ هـ حتى ٥٢٠ هـ ويقع فى أربعة مجلدات .

أما مخطوطة (عيون التواريخ) لابن شاكر الكتبى ، فهى موجودة بدار الكتب المصرية تحت رقم ١٤٩٧ (تاريخ) وقد استعنا بالاجزاء الآتية : ج ٨ وينتهى عند سنة ٣٥٨ — ٣٥٩ هـ ، وج ٩ من ٣٦٠ هـ الى ٣٩٠ هـ ، ج ١٠ من ٤٠٤ هـ الى ٤٣٧ هـ ، ج ١٢ من ٣٧٣ هـ الى ٤٠٣ هـ .

وهناك مخطوطة اخرى بنفس العنوان برقم (٩٤٩ تاريخ) استعنا فيها بالجزء ١٣ من ٤٠٤ هـ — ٤٣٧ هـ .

فاذا ما انتقلنا للحديث عن المصادر التى افادتنا فى بعض الفصول فنلاحظ انه الى جانب المصادر الرئيسية التى تحدثنا عنها ، اننا استعنا بمصادر اخرى أساسية سنذكر بعضها على سبيل المثال لا الحصر .

ففى الفصلين اللذين تناولا امتداد النفوذ الفاطمى الى بلاد الشام ، واثر بنى الجراح فى اثارة القلاقل فى جنوب بلاد الشام استعنا بمصادر كثيرة أهمها كتاب النفوذ الفاطمى فى بلاد الشام والعراق فى القرنين : الرابع والخامس الهجرى للدكتور محمد جمال الدين سرور ، الذى تناول تاريخ تلك الفترة بشىء من التفصيل الى جانب كتاب تاريخ فلسطين للبرغوثى وطوطح ، وخاصة فى الجزء الخاص بالثورات التى قامت فى جنوب بلاد الشام وموقف اهالى فلسطين من النفوذ الفاطمى . كذلك كتاب أوليرى O'Leary (A Short History of The Fatimid Khelifate) . الذى يعتبر من المصادر المهمة التى تناولنا بعض آرائها بالشرح والتعليق . كما افادتنا مخطوطتان مهمتان فى تلك الفترة هما مخطوطة (زبدة الفكرة فى تاريخ الهجرة) لركن الدين بيبرس الدوادارى وهى موجودة بمكتبة جامعة القاهرة تحت رقم ٢٤٠٢٦ ،

ولكن الجزء الموجود منها والذى استعمنا به هو الجزء السادس الذى يتناول الفترة ما بين ٣٢٥ هـ الى ٣٩٩ هـ ولو أن نصوصه احيانا غير كاملة كما فى ص ٢١٢ عمود (أ) ، ص ١٢٧ عمود (أ) أيضا .

والمخطوطة الثانية هى مخطوطة (أخبار الدول المنقطعة) لجمال الدين منصور ظافر بن حسين الأزدى ت ٦٢٣ هـ الذى تناول تاريخ السنوات من ٣٢٨ هـ — ٥٧٥ هـ بشىء من التفصيل وهى موجودة فى دار الكتب المصرية تحت رقم ٨٩٠ تاريخ .

اما فى دراستنا للقرامطة والمذهب الباطنى ، فمن أهم المصادر التى رجعنا اليها كتاب افانو Ivanow .
(The Alleged Founder Of Ismailism)
الذى تناول عقائد القرامطة وتأسيس مذهبهم بشىء من التفصيل .
هذا الى جانب كتاب برنارد لويس (The Origin Of Ismailism)
B. Lewis كما افادنا كتاب دى جويه
(Mémoire Sur les Carmathes) — Le Goeje
خاصة فى معرفة العلاقات بين القرامطة والفاطميين . كما استعنا فى هذا الموضوع أيضا بكتاب (باندلى جوزى) عن تاريخ الحركات الفكرية فى الاسلام . ومخطوطة نهاية الأرب للنويرى ، وهى موجودة بدار الكتب المصرية تحت رقم ٥٤٩ تاريخ ، وهو يتناول فيها تاريخ الدول الاسلامية بالتفصيل ويتحدث عن القرامطة باسهاب .

وفى الفصول الخاصة بالعلاقات البيزنطية الشامية ، استعنا بمصادر كثيرة اهمها : كتاب تاريخ يحيى بن سعيد الأنطاكى (من رجال القرن الخامس الهجرى) ولذا فهو يعتبر معاصرا للبحث ،

وكتابه هو ذيل على نظم الجوهر المعروف بالتاريخ المجموع على التحقيق والتصديق لابن بطريق ، تحدث فيه عن بطاركة الاسكندرية وبيت المقدس وانطاكية والقسطنطينية والخلفاء المسلمين والملوك والسلاطين وأخبارهم وسيرهم وغير ذلك ، وابتدأ المؤرخ تاريخه من السنة السادسة عن خلافة الراضي وهى سنة ٣٢٦ هـ وانتهى فيه الى سنة ٤٢٥ هـ فى خلافة أبى الحسن على الملقب بالظاهر لاعزاز دين الله . وبالكتاب مقدمة وملاحظات باللغة اللاتينية للأب لويس شيخو اليسوعى . كذلك استعنا بكتاب (نهر الذهب فى تاريخ حلب) للشيخ حسين الغزى الحلبى وهو كتاب فى أربعة مجلدات يدرس تاريخ حلب وفتوحها وآثارها وخططها وأعمالها وتراجم أعيانها وأحداثها .

ومن المراجع الحديثة التى افادتنا كثيرا فى دراسة تلك العلاقات كتابا الدكتور عمر كمال توفيق وهما : مقدمات العدوان الصليبى على الشرق العربى ، وتاريخ الامبراطورية البيزنطية .

كما استعنا ببعض المخطوطات وأهمها : مخطوطة (بغية الطلب فى تاريخ حلب) لابن العديم ، وهى مخطوطة مصورة بدار الكتب المصرية تحت رقم ١٥٦٦ تاريخ . والمخطوطة فى ثلاثة أجزاء استعنا بالجزء الثانى الذى يتناول المدن ، والعلاقات بالروم ، والعلاقات بالصليبيين . كما استفدنا من مخطوطة (كنوز الذهب فى تاريخ حلب) لسبط بن العجمى ت ٨٨٤ هـ . وهى مخطوطة بدار الكتب تحت رقم ٨٣٧ (تاريخ تيمور) . وهو ذيل على الدر المنتخب لعلاء الدين بن محمد بن سعد الجبرينى الشهير بابن خطيب الناصرية المتوفى سنة ٨٤٣ هـ ، وهو ذيل على تاريخ حلب للعلامة ابن العديم المتوفى سنة ٦٦٠ هـ .

كذلك استفدنا من كتاب (فازيلييف (Vasiliev —
(History Of The Byzantine Empire)
الى جانب كتاب جروسيه Groussetوهو (L'Empire Du Levant)
فقد تناول الكتابان تلك العلاقات بشيء من التفصيل .

اما الباب الخاص بالسلاجقة وعلاقتهم بالقوى الخارجية والداخلية فى بلاد الشام ، فقد استعنا فيه بمصادر كثيرة نذكر هنا الجديد منها فقط مثل كتاب (أخبار الدولة السلجوقية) تأليف صدر الدين أبى الحسين على بن ناصر بن على الحسينى ، الذى تناول بالتفصيل أخبار الدولة السلجوقية ، وقد عنى بتصحيح الكتاب محمد اقبال استاذ اللغة الفارسية بجامعة فنجاب والكتاب من نشريات كلية فنجاب . كذلك كتاب (تلخيص الكشف والبيان) لأبو الفضايل الحموى الذى أمدنا بالكثير عن تاريخ تلك الفترة . هذاالى جانب رسالة الدكتوراة التى أعدها ، الدكتور حسين أمين والخاصة بتاريخ العراق فى العصر السلجوقى ، التى أفادتنا كثيرا فى هذا الباب .

وفى الباب الثالث الخاص بالحملات الصليبية استعنا بمصادر كثيرة بعضها أجنبى والآخر عربى ، وقد ساهمت المراجع الأجنبية بجزء كبير من معلوماتنا عن هذا الباب .

فمن المراجع المهمة والمعاصرة لأحداث الحروب الصليبية الأولى بالذات كتاب (أعمال الفرنجة وحجاج بيت المقدس) الذى وضعه مؤلف مجهول ، وترجمه لنا الدكتور حسن حبشى الى العربية — فائدة كبرى . وهو يعرف بكتاب الجستا . وهو يتناول الفترة ما بين دعوة مؤتمر كلير مونت وموقعة عسقلان يوم ١٢ اغسطس سنة ١٠٩٩ م ، عقب فتح بيت المقدس . وترجع أهمية مادة الكتاب الى أن صاحبها شهد الحرب الصليبية الأولى . وهــو يخـص

(بوهيموند) دون بقية الأمراء الصليبيين بكلمة السيد مما يدل على أنه كان فى جيشه ومن أتباعه . ولكنه لم يكن من طبقة الأمراء ، فهو يذكر فى أثناء الاستعداد للزحف على بيت المقدس ، « بعد أن فرغ زعماؤنا من ذلك كله ... » كذلك لم يكن من غمار الناس بل كان من الطبقة الوسطى — ان جاز استعمال هذا التعبير فى مثل هذا العصر . ولكن هناك نص يوضح مكانته تمام الايضاح ويدل على انه كان من مجلس المستشارين لكبار القادة حيث يقول : « عقدنا فيما بيننا مجلسا حربيا للتشاور فيما نصنع ... » وقد طبع كتاب الجستا هذا منذ وقت مبكر يرجع الى مستهل القرن السابع عشر.
فقد طبع فى هانوفر سنة ١٦١٢ م فى كتاب **Gesta Dei Per Francos**
ثم طبع فى مجموعة **des Croisades (Occidentaux)**
Recueil des Historiens جـ ٢ ص ١٢١ — ١٦٣ باريس ١٨٦٦

كما طبع طبعة مستقلة فى هيدلبرج ١٨٩٠ قام بنشرها المؤرخ الصليبى جنماير . ثم ترجم الى الفرنسية سنة ١٩٢٤ فى نسخة بريبية وارفقها بمقدمة وتعليقات باسم **Histoire Anonymede la Première Croisade** وترجم سنة ١٩٢٥ الى الانجليزية باسم **The First Crusade by S. dl Chair** أما هذه فهى الترجمة العربية الأولى التى نقلها لنا الدكتور حسن حبشى والمطبوعة فى القاهرة سنة ١٩٥٨ ، بعد أن اضاف اليها بعض اطلاعاته من المراجع المعاصرة والمؤلفات الحديثة وكتابات مؤرخى العرب والمسلمين .

كذلك افادنا كتاب روسيه **(La Ceractère de la Première Croisade) Rousset** فى دراسة ماهية الحروب الصليبية ودوافعها ، وعلاقة هذه الحروب بالحروب الاقطاعية فى أوربا ، ومقارنة الحروب الصليبية فى المشرق بتلك التى كانت موجودة فى الغرب

وخاصة فى أسبانيا . تناول عرض هذه النقاط جميعا بطريقة مسهبة وتحليلات شائقة .

كما استعنا بكتاب جروسيه
(Histoire des Croisades) Grousset
وكتاب رنسيمان Runciman — (A History Of The Crusades)

فى دراسة الحملة الصليبية الأولى وموقف القوى المختلفة فى بلاد الشام وخارجها منها .

هذا الى جانب كتاب جب (The Damascus Chronicle Of The Crusades) Gibb الذى أعطانا فى مقدمته تحليلا للصراع بين القوى المختلفة فى بلاد الشام فى القرن الخامس الهجرى (الحادى عشر الميلادى) واثر ذلك فى نجاح الصليبيين فى مهمتهم فى بلاد الشام . الى جانب دراسته للحملة الصليبية الأولى على بلاد الشام فى الباب الأول من هذا الكتاب أيضا .

والى جانب الكتب العربية القديمة مثل ، الكامل لابن الاثير، وذيل تاريخ دمشق لابن القلانسى والنجوم الزاهرة لابو المحاسن استعنا بكتاب (تاريخ الحروب المقدسة فى المشرق) تأليف مكسيموس مونروند الذى استخرجه عن أصله الفرنسى الى اللغة العربية السيد كيريوكير يومكسيموس مظلوم البطريرك الأنطاكى . الذى تناول بشكل مفصل تاريخ تلك الحروب ، وأعمال الصليبيين الوحشية بعد استيلائهم على بيت المقدس . والكتاب مكتوب بأسلوب غاية فى الركاكة وربما يرجع ذلك الى التعريب . هذا الى جانب كتاب (الاخبار السنية عن الحروب الصليبية) لسيد على الحريرى الذى يتناول تلك الحروب بالتفصيل من سنة ٤٩٠ هـ الى سنة ٦٩٠ هـ بأسلوب بسيط .

هذا وقد أفادنا كتاب (العرب والروم واللاتين) للدكتور جوزيف نسيم وكتاب (الشرق الأوسط والحروب الصليبية) للدكتور السيد الباز العرينى كثيرا فى هذا الباب .

ومن المخطوطات الجديدة فى هذا الباب مخطوطة (الاعلام والتبيين فى خروج الفرنج الملاعين على بلاد المسلمين) لأحمد بن على الحريرى وهو موجود بدار الكتب المصرية تحت رقم ٢٢٨٦ تاريخ تيمور . ومخطوط (تاريخ أبو الهيجاء) وهو عبارة عن ميكروفيلم بمعهد المخطوطات تحت رقم ٩٤٥ تاريخ وهو يتناول السنوات من بداية عهد الرسول ﷺ الى عهد السلطان صلاح الدين سنة ٥٨٩ هـ وهو غير مرقم الصفحات ، لذلك رقمناه عن طريق السنوات بقولنا فى حوادث سنة كذا .

الهـــــوامش

(١) ابن العديم . زبدة الحلب ، مقدمة الناشر ، ص ١٠ ــ ١١ ٠

(٢) الطباخ الحلبى : أعلام النبلاء ، جـ ١ ، ص ١٥ ــ ١٦ ٠

(٣) ابن القلانسى : ذيل تاريخ دمشق . ص ٢٨٣ ٠

(٤) ابن عساكر . التاريخ الكبير ، طبعة روضة الشام ، مقدمة ابن بدران ، ص ٣ ٠

(٥) ابن عساكر : تاريخ مدينة دمشق ، تحقيق صلاح الدين المنجد ، دمشق سنة ١٣٧١ هـ ، ص ٢٣ ٠

(٦) ابن عساكر : التاريخ الكبير ، تهذيب ابن بدران ، ص ١١ من المقدمة ٠

(٧) المقريزى . اتعاظ الحنفا ، تحقيق جمال الشيال ، الطبعة الثانية ، سنه ١٩٦٧ ، ص ١٤ ــ ٣٠ من المقدمة ٠

(٨) المقريزى اتعـاظ الحنفـا ، الطبعـة الثانيـة ، ص ٢٤ ــ ٢٥ من المقدمـة ٠

(٩) ابن ايبك : كنز الدرر ، جـ ٦ ، مقدمة صلاح الدين المنجد ، ص ١٥ . ١٨ ، ٢٠ ، ٢١ ٠

(١٠) الحصنى : منتخبات التواريخ لدمشق ، جـ ١ ، ص ٩ ، ١٠ ٠

(١١) كرد على : خطط الشام ، المقدمة ، ص ٦ ٠

(١٢) مقدمة الكتاب ٠

(١٣) الطباخ الحلبى : اعلام النبلاء ، جـ ١ ، ص ٤ ، ٥ ، ٦ ٠

(١٤) نفس المصدر ، ص ١٦ ٠

تمهيـــــد

العوامل المؤثرة فى الحيــاة السياسية فى بلاد الشـام قبل القرن الخامس الهجرى

لكى نتعرف على عناصر الحياة السياسية فى القرن الخامس الهجرى تجدر بنا العودة الى الخلف قليلا للتعرف على جذور تلك العناصر منذ أواخر القرن الرابع الهجرى .

كانت بلاد الشام قلب العالم الاسلامى طوال العصر الأموى، اذ كانت دمشق عاصمة الخلافة الأموية العربية ، ثم تضاءلت اهمية بلاد الشام بعد انتقال العاصمة من دمشق الى بغداد فى العصر العباسى . وبعدت دمشق عن التأثير فى مجريات السياسة ولكن بلاد الشام اصبحت منذ اللحظة الأولى لقيام الدولة العباسية مثارا للقلاقل والاضطرابات ، فقد عز على اهالى الشام أن تنتقل الخلافة من مصرهم وأن يصبحوا تابعين للدولة العباسية فى بغداد فقد فقدت بلاد الشام مركز الصدارة فى الدولة الاسلامية وانتهز أهالى الشام فرصة ضعف الخلافة العباسية فى عصرها الثانى وسايروا ذلك التيار الانفصالى المنبعث من مصر ومن كثير من أقاليم

الدولة العباسية . واصبحت بلاد الشام تخضع للطولونيين ثم للاخشيديين فى مصر . وكان الفريقان يدينان بمذهب أهل السنــة مما ساعد على توطيد هذا المذهب فى بلاد الشام .

قام سيف الدولة الحمدانى بدور بارز فى سياسة بلاد الشام فى تلك الفترة التى ندرس تاريخها ، فقد تقدم سيف الدولة سنة ٣٣٣ هـ الى حلب واستولى عليها من يانس المؤنس ، ثم اتجه الى حمص فاقتتل مع جند محمد بن طغج الاخشيد بقيادة مولاه كافور ، فانهزم الجيش الاخشيدى واستولى سيف الدولة على حمص ، ثم زحف الى دمشق فحاصرها ولكنه لم ينجح فى فتحها (١٥) .

قاد الاخشيد جيشـــا الى الشـــام فالتقى بسيف الدولـــة بقنسرين ، الا أن أحدهما لم يظفر بالآخر ، وعاد سيف الدولة الى حلب وانسحب الاخشيد الى دمشق (١٦) ، وبعد وفاة الاخشيد سيطر كافور على الأمور فى مصر واصبح انو جورين الاخشـــيد لا يملك من السلطة سوى الاسم فقط ، واصبحت الفرصة سانحة لسيف الدولة ليسيطر على دمشق ، ولكن أهلها استنجدوا بكافور فقدم اليهم برفقة انو جور ، ونجحا فى اخراج سيف الدولـــة من دمشق سنة ٣٣٦ هـ ، وطارداه الى حلب ، حيث استقر انو جور بها فترة ، ثم اتفقوا جميعا على أن ينسحب سيف الدولة الى حلب وانو جور الى مصر (١٧) .

الا انه رغم امتداد نفوذ الاخشيديين الى سوريا منذ سنـــة ٣٣٠ هـ (١٨) فإن منطقة حلب لم تخضع ثانية لحكومة مصر بعـد ان انتزعها سيف الدولة من ابى سعيد الكلابى نائب الاخشيد (١٩) سنة ٣٣٣ هـ (٢٠) . اما دمشق فقد ولى كافور عليها ، بعد انفراده بالسلطة فى مصر دون انو جور بن الاخشيد ، بدر الاخشيدى فحكم سنة ثم خلفه أبو المظفر بن طغج (٢١) .

وفى سنة ٣٥٨ هـ تولى حكم دمشق الحسن بن عبيد الله بن طغج نائبا عن ابن عمه أحمد بن على بن الاخشيد والى مصر ، وكان أحمد هذا صبيا فطمع الحسن فى الاستيلاء على مصر فزحف اليها ولكن لقيه وجوه الدولة الاخشيدية واقنعوه باستمرار ولاية ابن عمه على مصر ، وقدموا له بعض الأموال ، فعاد الى الشام واستقر فترة فى دمشق (رجب سنة ٣٥٨ هـ) ، ثم غادرها فى شعبان عندما سمع بقدوم القائد جوهر الصقلى الى مصر على رأس الجيش الفاطمى ، واستخلف عليها شمول مولى كافور(٢٢) .

أما حلب ، فقد استمرت خاضعة لسيف الدولة منذ أن سيطر عليها سنة ٣٣٣ هـ ، الى أن توفى فى سنة ٣٥٦ هـ (٢٣) ، فوليها بعده ابنه أبو المعالى سعد الدولة فى ربيع الأول سنة ٣٥٦ هـ (٢٤)، واصبح الحاجب قرغويه هو المدبر لأمور الدولة (٢٥) . ولم يكن أبو المعالى على كفاءة أبيه ، فثار عليه جند حلب سنة ٣٥٧ هـ ، كما استولى الرعيلى على أنطاكية فترة حتى استولت الروم عليها (٢٦) . كذلك وقع خلاف فى نفس السنة بين أبى المعالى وخاله أبى فراس الحمدانى الذى حاول السيطرة على حمص ، فبعث اليه بجيش بقيادة الحاجب قرغويه الحق الهزيمة بأبى المعالى (٢٧) . وقد أدت هذه العوامل مجتمعة الى اضعاف نفوذ الحمدانيين فى منطقة حلب .

وفى المحرم سنة ٣٥٨ هـ استولى قرغويه على حلب وطرد منها ابن أستاذه (٢٨) (سعد الدولة) ، وكان أبو المعالى لا يزال محاصرا لحلب عندما وصلته الاخبار بفتح الروم لأنطاكية ، وقاد جيش الروم (الاصطراطوبدرخ Stratopedargue الذى يسميه العرب (أطربازى) (٢٩) وذلك فى ذى الحجة سنة ٣٥٨ هـ (٣٠) .

استنجد قرغويه بالطربازى فى سنة ٣٥٨ هـ (٣١) فزحف الى حلب فى مطلع سنة ٣٥٩ هـ فاضطر ابو المعالى الى الانسحاب عن حلب الى خناصرة ،ثم الى معرة النعمان (٣٢) .

والواقع أن البيزنطيين لم يقدموا لمساعدة قرغويه فحسب ، وانما كانوا طامعين فى الاستيلاء على حلب ، فحاصروها، واستبسل قرغويه فى الدفاع عنها ، واستمر الحصار البيزنطى نحو شهر(٣٣)، وتفاوض القائد البيزنطى (المصطراطوبدرخ) مع أهل حلب ثم وقعوا صلحا وهدنة دائمة (٣٤) . وينص الصلح على تقديم قرغويه جزية سنوية قدرها سبعمائة الف درهم (٣٥) . ونص الصلح أيضا على تبعية حلب الحقيقية للامبراطورية البيزنطية والسماح للروم بتولى أميرين مسلمين على التوالى ، وهما قرغويه ثم بكجور ، وبعدهما ينصب امبراطور الروم أميرا يختاره من سكان حلب ، كما نص الصلح أيضا على الا يؤدى النصارى الجزية ، وتعهد قرغويه بالدفاع عن حدود الامبراطورية البيزنطية فيمنع « كل عسكر اسلامى يريد غزو الروم » ، كما تعهد بمساعدة الروم اذا أرادوا غزو البلاد الاسلامية ، وحوى الصلح على نصوص مجحفة بحقوق أهالى منطقة حلب التى خضعت للنفوذ البيزنطى .

وهكذا خضع شمال بلاد الشام ، فى أواخر الخمسينات من القرن الرابع الهجرى ، وخاصة انطاكية وحلب ، للنفوذ البيزنطى (٣٦) .

وكان لاستيلاء البيزنطيين على انطاكية دوى هائل فى العالم المسيحى نظرا لما لهذه المدينة من مكانة فى تاريخ المسيحية . وباستيلاء البيزنطيين على انطاكية بلغوا الذروة فى الحركة

التوسعية على حساب المسلمين فى القرن العاشر الميلادى (٣٧) (الرابع الهجرى) . فقد كان لسقوط حلب فى يد الروم رنة الم وأسف فى نفوس المسلمين عامة ، وفى نفوس أهل بغداد خاصة ، حتى انهم اجتمعوا ولاموا الخليفة العباسى المطيع وطالبوه بالخروج للأخذ بثأر أهل حلب (٣٨) وهذا يوضح مدى ضعف الخلافة العباسية فى ذلك الوقت .

وفى أواخر الخمسينات وأوائل الستينات من القرن الرابع الهجرى ، بدأت بلاد الشام تدخل فى دور جديد ، اذ امتد اليها النفوذ الفاطمى الشيعى ، وكان أهالى الشاميدينون بالمذهب السنى مما أدى الى بداية صراع مذهبى عنيف بين الفريقين استمر نحو قرن تقريبا حتى سيطر السلاجقة السنيون على البلاد .

يمكننا أن نركز العوامل التى اثرت فى الحياة السياسية فى بلاد الشام فى النصف الأخير من القرن الرابع الهجرى فى العوامل الآتية :

أولا : امتداد النفوذ الفاطمى الى بلاد الشام وموقف الأهالى منه .

ثانيا : الحمدانيون فى حلب وعلاقتهم بالبيزنطيين من جهة وبالخلافتين : العباسية والفاطمية من جهة أخرى .

ثالثا : الصراع بين القرامطة والفاطميين حول النفوذ فى بلاد الشام .

رابعا : أثر بنى الجراح فى اثارة القلاقل فى جنوب بلاد الشام .

وسندرس هذه العوامل الأربعة التى امتدت جذورها وفروعها فى القرن الخامس الهجرى بشىء من التفصيل .

أولا : امتداد النفوذ الفاطمى الى بلاد الشام وموقف الأهالى منه :

بعد انتهاء الفتح الفاطمى لمصر واستقرار جوهر الصقلى فيها ، أعد جيشا كثيفا انفذه الى بلاد الشام بقيادة جعفر بن فلاح الكتامى ، فى أواخر سنة ٣٥٨ هـ (٣٩) ومنذ اللحظة الأولى لقدوم هذا الجيش الى بلاد الشام لقى مقاومة شديدة بدات بمقاومة اهالى الرملة (٤٠) ، وقد حمل لواء المقاومة ابو محمد الحسن بن عبد الله ابن طغج الذى طلب النجدة من شمول الاخشيدى فى دمشق (٤١) ، كما طلبها من الصباحى والى بيت المقدس ، ولكنهما لم ينجداه(٤٢)، فاضطر الى قتال الفاطميين وحده فلحقت به الهزيمة (٤٣) . وفتح ابن فلاح الرملة عنوة وقتل كثيرا من اهلها وجبى الخراج باسم الفاطميين (٤٤) ، ويذهب ابن خلدون الى انه اباح مدينة الرملة لجنده (٤٥) ، حتى نهاه النابلسى الزاهد عن ذلك (٤٦) . وأدت سياسة العنف التى اتبعها هذا القائد الفاطمى فى الرملة وغيرها من مدن الشام الى عداء الأهالى للفاطميين .

وبعد استقرار جعفر فى مدينة الرملة استخلف ابنه عليها ، ثم تقدم الى طبرية (٤٧) ليستكمل فتح جنوب سورية وكان يحكم طبرية حينئذ فاتك وقد ولاه عليها كافور الاخشيدى ، ونجح ابن فلاح فى فتحها .

تقدم جعفر الى دمشق ، أهم مدن الشام ، وقاومه أهلها مقاومة شديدة ، ولكنهم شعروا بضعفهم فعرضوا عليه تسليم

المدينة على أن يؤمنهم على أرواحهم ، وتعهدوا بدفع مبلغ كبير من المال (٤٨) .

وفى المحرم سنة ٣٥٩ هـ قطعت الخطبة للخليفة العباسى بدمشق ، وخطب للمعز الخليفة الفاطمى (٤٩) . ولكن هل استكان الدمشقيون للحكم الفاطمى كما استكان أهالى الرملة وطبرية ؟ والاجابة بالنفى ، فقد استمرت حركات المقاومة .

بعد فتح دمشق مباشرة سنة ٣٥٩ هـ عاد القائد الفاطمى جعفر الى مصر تاركا نائبه (اقبال) واليا عليها ، فثار عليه الشريف أبو القاسم اسماعيل بن بعلى وأخرجه من دمشق (٥٠) . وكان للشريف ابن القاسم بدمشق منزلة عظيمة فتزعم ثورة أهلها ولبس السواد — شعار العباسيين — وأعاد الخطبة للخليفة العباسى المطيع (٥١) . اشتد الصراع بين أهالى دمشق بزعامة الشريف والفاطميين بقيادة جعفر وانتهى الأمر بالصلح فى منتصف ذى الحجة سنة ٣٥٩ هـ (٥٢) .

استقام حكم دمشق لجعفر بن فلاح . وأعيدت الخطبة للخليفة الفاطمى المعز لدين الله وحذف اسم الخليفة العباسى المطيع وبذلك استقرت سيطرة الفاطميين على دمشق فى سنة ٣٦٠هـ(٥٣) . وانتشر المذهب الفاطمى رغم سخط أهل السنة (٥٤) . وخضع الدمشقيون مكرهين للنفوذ الفاطمى (٥٥) .

وبعد أن سيطر جعفر على دمشق ، سيطر على ساحل البحر المتوسط كله ثم استقر بدمشق (٥٦) ، ولكن جعفر أخفق فى بسط نفوذه التام على المناطق الشمالية ، وخاصة حلب وأنطاكية ، وكانت تخضع للحكم البيزنطى .

اختلف المؤرخون حول خضوع حلب للنفوذ الفاطمى ، ففى الوقت الذى تشير فيه مخطوطة عيون التواريخ الى انه فى سنة ٣٥٩ هـ خطب للمعز الفاطمى بحلب وحمص وحماه (٥٧) . يذكر (لين بول) أن حلب ادمجت فى سنة ٣٨١ هـ (٩٩١ م) فى الامبراطورية الفاطمية (٥٨) . ويرجع سبب اختلاف المؤرخين الى أن الحمدانيين استمروا يحكمون حلب مع اعلان ولائهم أحيانا للفاطميين ، بينما حكم الفاطميون المدن الأخرى حكما مباشرا وبعثوا بولاتهم من مصر ، مما دعم الحكم الفاطمى لهذه المدن ، وهو ما لا نراه فى مدينة حلب التى حكمها الحمدانيون ثم المرداسيون ، مع وجود فترات حكم مصرى مباشر تخللت فترة حكم هذين الفريقين .

وكان جعفر فلاح بعد سيطرته على دمشق قد طمع فى الاستيلاء على أنطاكية ، فبعث بجيش لانتزاعها من الروم (٥٩) الذين حكموها نحو ثلاث سنوات ، فحاصرها خمسة شهور ، وعانى الجند من شدة البرد ، واستبسال أهل انطاكية ، ثم علم جعفر بتقدم القرامطة نحو الشام فبعث الى نائبه يأمره بفك الحصار عن انطاكية والعودة الى دمشق (٦٢) . وهنا يعلق بعض المؤرخين على وضع سوريا بعد الفتح الفاطمى لها مباشرة ، فيذكرون أنها انقسمت الى محميتين : منطقة تحت الحماية البيزنطية فى الشمال حيث حلب وتوابعها مع وجود قاعدة بيزنطية وقد شدد البيزنطيون قبضتهم على هذه القاعدة التى كانت فى انطاكية ، وتركزت الحماية المصرية على مدينة دمشق فى الجنوب ، مع وجود قاعدة فاطمية أساسية فى طرابلس (٦٣) .

دخلت دمشق فى طور جديد من أطوار تاريخها الطويل اذ سيطر القرامطة عليها ثلاث سنوات (من ٣٦٠ هـ الى ٣٦٣ هـ) وسندرس تاريخ هذه الفترة فى موضع آخر من هذا البحث . واذا كان الفاطميون قد نجحوا فى استرداد دمشق الا ان ولاتهم

وجندهم المغاربة اساءوا معاملة اهالى دمشق فثاروا عليهم مرارا حتى أنهم استنجدوا بوالى طرابلس ، وتدخل الخليفة المعز لردع ولاته (٦٤) .

وهكذا طبعت دمشق بطابع ثورى منذ امتد النفوذ الفاطمى اليها ، وقد أخطأ الولاة الفاطميون فى سياستهم نحو الأهالى ، حتى انهم فضلوا حكم القرامطة لأنهم امنوا الاهالى ووفروا لهم الهدوء . وقد تميزت الفترة التى بدأت منذ سنة ٣٦٣ هـ بالاضطرابات الشديدة نتيجة كثرة تبديل الولاة كما تولى الحكم كثير من الولاة من غير العرب ، ثم نجح أفتكين التركى فى السيطرة على دمشق (٦٥) .

وقد نتساءل : لماذا لم تحاول الخلافة العباسية السنية أن تنتهز فرصة الاضطرابات والثورات التى قام بها الدمشقيون الناقمون على سياسة الفاطميين الشيعة ؟

ونجد الاجابة عن هذا التساؤل فى نص للمؤرخ السيوطى (٦٦) يقول فيه : « فى سنة اثنتين وستين وثلاثمائة صادر السلطان بختيار المطيع (الخليفة العباسى) فقال المطيع : أنا ليس لى غير الخطبة فان أحببتم اعتزلت فشدد عليه حتى باع قماشه وحمل اربعمائة الف درهم وشاع فى الألسنة أن الخليفة « صودر » . وهذا النص يوضح ضعف الخلافة العباسية وعجزها عن استرداد دمشق من الفاطميين .

اختلف الديلم والاتراك ببغداد سنة ٣٦٤ هـ فأراد عز الدولة البويهى الديلمى ، القضاء على سبكتكين التركى ولكن لحقت به الهزيمة ، وبعد سبكتكين تولى أمر الأتراك أفتكين التركى وكان من موالى البويهيين ، وحاول أفتكين هزيمة الديلم ولكن لحقت به الهزيمة فاتجه الى بلاد الشام (٦٧) . وفى ذلك الوقت كان

العيارون (٦٨) يملكون دمشق ويتحكمون فى أهلها (٦٩) فقد كان أميرها حينئذ ريان الخادم من قبل الخليفة الفاطمى المعز .

بوصول افتكين الى دمشق خرج اليه شيوخها مرحبين بقدومه، طالبين منه أن يخلصهم من الحكم الفاطمى المخالف لهم فى المذهب ، فوافق بعد أن تأكد من طاعتهم له ، ودخل البلد وأخرج ريان الخادم (٧٠) ، ثم قطع الخطبة للمعز الفاطمى وخطب للخليفة العباسى الطائع لله ، وأرسل للمعز الفاطمى يطلب منه أن يوليه على دمشق فلم يجبه الى ذلك (٧١) وتجهز الخليفة المعز لحرب افتكين ولكنه مات سنة ٣٦٥ هـ فأمن أفتكين بموته عداء مصر (٧٢).

أرسل الخليفة الفاطمى العزيز الى افتكين يستميله كما فعل والده المعز فأساء افتكين الرد على الخليفة (٧٣) . وهنا أشير على العزيز بحرب أفتكين . فلما علم أفتكين بذلك خير أهالى دمشق بين أن يؤيدوه ، أو أن يرحل عنهم الى بلاد الروم ، فتعهدوا له ببذل الأنفس والأموال فى نصرته (٧٤) .

لجأ جوهر الى السياسة ، فلما لم تجد لجأ الى استخدام القوة ، واشتبك الفريقان فى سلسلة من المعارك ، أبدى أفتكين فيها شجاعة واستبسالا فى القتال ، وفى النهاية استطاعت مصر أن تعيد قبضتها على تلك المناطق المناوئة بعد حروب طويلة أسر فيها أفتكين فى المحرم سنة ٣٦٨ هـ (٧٥) .

لم يعد النفوذ الفاطمى الى دمشق بعد القضاء على نفوذ افتكين اذ تولى شئونها رجل من أهل دمشق يقال له قسام التراب (وقيل قسيم الزبال) (٧٦) ويبدو أن قساما هذا كان على جانب كبير من الدهاء فلم يقطع الخطبة للعزيز الفاطمى استجلابا لرضاه وطمعا

فى الاغضاء عنه ، وأثمرت حيلته فأقره العزيز الفاطمى واليا على دمشق ، وأصبحت دمشق تابعة للدولة الفاطمية (٧٧) . ثم أن قساما هذا حدثته نفسه بأن يعصى خليفة مصر فبعث الخليفة بجيش أخفق فى فتح دمشق ، وظل قساما واليا على دمشق حتى سنة ٣٦٩ هـ حين بعث الخليفة الفاطمى واليا على دمشق هو سليمان بن جعفر بن فلاح (٧٨) ولكن قساما احتفظ رغم ذلك بالسلطة الحقيقية (٧٩) .

ظل الحال فى دمشق على هذا المنوال ، فساد الاضطراب ، ولم تخضع دمشق لنفوذ الخلافة الفاطمية أو نفوذ البويهيين المسيطرين على الخلافة العباسية ، على السواء .

بعثت الخلافة الفاطمية جيشا بقيادة بلتكين التركى سنة ٣٧٣ هـ لاخضاع ثورة فى فلسطين قام بها مفرج بن الجراح (٨٠) وللقضاء على حركة قسام الانفصالة ، ونجح بلتكين فى دخول دمشق فى المحرم سنة ٣٧٣ هـ ، وقبض على قسام وبعث به الى مصر حيث عفا العزيز عنه (٨١) . وظل بلتكين واليا على دمشق حتى دخلها بكجور واليا فى رجب سنة ٣٧٣ هـ (٨٢) ، ويعتبر حكمه امتدادا لحكم الموالى الاتراك . وكان الوزير الفاطمى يعقوب بن كلس قد نصح الخليفة العزيز بعدم تولية بكجور دمشق ولكن الخليفة أصر على توليته ، وحاول ابن كلس الخلاص من بكجور بقتله (٨٣) وعلم بكجور بالمؤامرة وأحبطها (٨٤) .

خلا الجو لبكجور فابرز ما انطوت عليه سريرته من الخبث وسوء السيرة والظلم ، فبدأ يضطهد أهالى دمشق ويجمع الأموال لنفسه (٨٥) فثارت عامة الناس عليه واستنجدت بالخليفة العزيز فعزله عن دمشق (٨٦) ، وولى بدله منير الخادم فى منتصف رجب سنة ٣٧٨ هـ (٨٧) فوجد البلاد أشبه ببوتقة تكاد تنفجر من كثرة غليانها من ظلم بكجور وعسفه واساءته السيرة فيها (٨٨) . فبدأ

منير الخادم يعمل اولا على تثبيت نفوذه بأن يحسن معاملة اهالى دمشق (٨٩) .

ظلت الأحوال فى دمشق هادئة فترة بفضل سياسة هذا الوالى الفاطمى ، الا انه لم يسلم من الوشاة اذ وشى به أحد اصحاب الوزير ابن كلس عند الخليفة العزيز واتهمه بانه على اتصال ببغداد وبصاحب حلب (٩٠) وهذه الوشاية تصور طبيعة العلاقات بين بغداد وحلب من جهة والقاهرة من جهة أخرى . فما كان من العزيز الا ان سير اليه جيشا بقيادة منجوتكين هزم منير فى رمضان سنة ٣٨١ هـ (٩١) .

اصبح منجوتكين واليا على دمشق واستمرت سيطرة الموالى الاتراك عليها . وبعد وفاة الخليفة العزيز زاد نفوذ ابن عمار بمصر فى عهد الخليفة الحاكم بأمر الله فكتب برجوان الخادم الى منجوتكين يصف اضطراب أحوال مصر ويطلب منه القدوم اليها ليصلح أمورها فلما تسلم الكتاب قراه فى المسجد الجامع ، « وبكى بكاء شديدا رقت له القلوب ومزق ثيابه » (٩٢) . ففعل الناس مثله وعاهدوه على الطاعة .

اصر منجوتكين على الزحف الى مصر لردع الحسن بن عمار والكتاميين الذين استبدوا بالسلطة دون الخليفة الفاطمى (الحاكم بأمر الله) فقد مال منجوتكين للتحيز للترك المرتزقة الذين جلبهم الخليفة العزيز لمصر ليوازن بهم تأثير الكتاميين وغيرهم من قبائل البربر ، فجمع القوات ليتقدم الى مصر ، وأعد ابن عمار جيشا بقيادة أبى تميم سليمان بن جعفر بن فلاح وهو من البربر من قبيلة كتامة ، لصد منجوتكين (٩٣) الثائر والتقى الجيشان فى أوائل سنة ٣٨٧ هـ (٩٤) عند عسقلان فلحقت الهزيمة بمنجوتكين (٩٥) .

وبعد نجاح سليمان بن جعفر فى هزيمة منجوتكين دخل طبرية وأرسل أخاه نائبا عنه الى دمشق (٩٦) فمنعه أهلها من دخول مدينتهم ، فكاتب أخاه بقتالهم (٩٧) ، فأسرعوا باعلان الطاعة والولاء ، فلم يعبأ باعتذارهم وأحرق أجزاء كثيرة من المدينة ، ثم انسحب الى خارجها (٩٨) ثم وصل أبو تميم سليمان ابن جعفر بعد ذلك الى دمشق ، فتلقاه أهلها بالترحاب وكرروا الاعتذار له عما بدر منهم فأحسن لقاءهم (٩٩) .

فى ذى القعدة سنة ٣٨٧ هـ ، خرج القائد جيش ابن الصمصامة من مصر متوجها الى دمشق ، فغادرها سليمان الى الرملة (١٠٠) فاستمر جيش بدمشق الى ان مات فى ربيع الثانى سنة ٣٩٠ هـ (١٠١) .

عندما توفى جيش كان من المحتم على الخليفة الفاطمى الحاكم بأمر الله أن يبعث واليا آخر ، فولى فحل بن تميم ، وهو شيخ من البلقاء (١٠٢) ، ولكنه توفى بعد شهور قليلة ، فاختار الخليفة على ابن فلاح الكتامى بدله (١٠٣) ، فى شوال سنة ٣٩٠ هـ (١٠٤) .

ظل على بن فلاح يحكم دمشق حتى عزله الخليفة وولى بعده عدة ولاة على التوالى ، مما أدى الى اضطراب الأحوال الداخلية فى دمشق ، والى ضعف النفوذ الفاطمى أيضا (١٠٢) .

وهكذا اقتصر امتداد النفوذ الفاطمى الى بلاد الشام فى نهاية القرن الرابع الهجرى ، على مدينة دمشق ، بل ان قبضة الفاطميين لم تكن قوية على دمشق طوال تلك الفترة ، اذ كان أهلها فى ثورة مستمرة على الحكم الفاطمى الشيعى المخالف لاعتقاداتهم المذهبية كما أن النفوذ التركى كان واضحا فى تلك الفترة ، ويبدو أن ظاهرة الارتزاق كانت قد بدأت تقوم بدورها ، واصبح للموالى مكانة ممتازة فى الدولة الفاطمية حتى ان الفاطميين أقروا بعض الاتراك على

حكم دمشق ، وكان الاهالى يخضعون لحكمهم حتى اذا بداوا فى الاستقلال بنفوذهم ثاروا عليهم ، مثلما ثاروا ضد أفتكين التركى وبكجور ومنجوتكين . وكان الوالى اذا ثار الاهالى ضده وأراد الاحتفاظ بسلطته يعلن الولاء للخلافة العباسية التى كان البويهيون مسيطرين عليها . وقد ازداد النفوذ التركى حتى قدم السلاجقة السنيون الذين سيعيدون للمذهب السنى مكانته القديمة فى بلاد الشام قبل امتداد النفوذ الفاطمى ، ان لم يكن فى صورة أشد وأكثر تعصبا .

وخلاصة القول ان تلك الفترة ، أى النصف الثانى من القرن الرابع الهجرى ، كانت فى دمشق ، فترة اضطراب وعدم استقرار . فكانت الدولة الفاطمية تبعث بولاتها الى دمشق ، فاذا أحسنوا معاملة الأهالى خضعوا للنفوذ الفاطمى رغم الخلاف المذهبى ، واذا أساء الولاة السيرة ثار الأهالى ضدهم فتضطر الدولة الفاطمية الى عزل هؤلاء الولاة وابدال غيرهم بهم ، وكثيرا ما كان بعض الولاة يعصون الدولة الفاطمية ويعلنون ولاءهم للدولة العباسية حتى تقوى قبضتهم على حكم دمشق ، وكثيرا ما حاولت الدولة الفاطمية تأديب هؤلاء الولاة العاصين وتدعيم النفوذ الفاطمى ، بينما كانت الدولة العباسية عاجزة عن حماية هؤلاء الولاة الذين أعلنوا ولاءهم لها ، اذ كانت الدولة تعانى من عوامل الضعف والانحلال واستبداد البويهيين بالسلطة دون الخلفاء العباسيين .

ثانيا : الحمدانيون وعلاقتهم بالبيزنطيين وبالخلافتين العباسية والفاطمية .

مر بنا كيف حاول الفاطميون مد نفوذهم الى مدينة دمشق ، وقد حكمها بعض ولاة الفاطميين فى النصف الثانى من القرن الرابع الهجرى ، وسندرس الآن الأوضاع السياسية فى حلب مركز

شمال الشام فى تلك الفترة أيضا ، وقد مر بنا كيف بدأ الحمدانيون حكمهم لحلب فى عهد سيف الدولة سنة ٣٣٣ هـ وكيف قام هـذا الامير الحمدانى بدور فعال فى صراع البيزنطيين فتبادلا النصر والهزيمة عدة مرات . ولكنه لم يكف عن الجهاد وبعد وفاته سنة ٣٥٦ هـ خلفه ابنه شريف أبو المعالى ولكن سيطر عليه غلامه قرغويه وحاجبه بكجور واخرجاه من حلب ، ثم استنجد بالروم ضده ، وانتهى الصراع بعقد معاهدة مخزية حطت من المكانة التى تمتع بها الحمدانيون زمن سيف الدولة .

وفى ربيع الأول سنة ٣٥٩ هـ اصطلح قرغويه غلام سيف الدولة بن حمدان متولى حلب مع أبى المعالى شريف بن سيف الدولة (١٠٦) . ولما كان أبو المعالى مقيما بحمص (١٠٧) وقرغويه مقيما بحلب فقد خطب الاثنان فى البلدتين للمعز لدين الله الفاطمى وبعث جوهر الصقلى اليهما بالأموال والخلع (١٠٨) .

وهكذا خلع بنو حمدان طاعة العباسيين السنيين واعلنوا ولاءهم للفاطميين الشيعة المتفقين معهم فى المذهب (١٠٩) . وفى سنة ٣٧٠ هـ تسلم ابو المعالى قلعة حلب من بكجور مولى قرغويه وانفرد ابو المعالى بحكمها ، وجدد سعد الدولة اعترافه بسيادة الخليفة الفاطمى العزيز بالله سنة ٣٧٦هـ (٩٨٦ م) ، وخطب له بحلب ووصلته خلع العزيز (١١٠) .

ظلت الأحوال على هذا المنوال بحلب حتى اخرج بكجور من دمشق سنة ٣٧٨ هـ الى الرقة فقوى أمره واشتد طمعه فى انتزاع حلب من سعد الدولة (١١١) فأرسل بكجور الى الخليفة الفاطمى العزيز يستحثه على انتزاع حلب بعد أن استحال عليه فتحها وحده ، وذكر له عن حلب انها « دهليز ، العراق ومتى أخذت

كان ما بعدها اسهل منها ويطلب الانجاد بالعساكر » (١١٢) .
وكانت حلب حتى هذا الوقت تخضع للدولة الفاطمية اسميا دون ان يبعث الخليفة الفاطمى بولاة لحكمها .

انتهز الخليفة العزيز فرصة استنجاد بكجور بـه ليبسط سلطانه على حلب ، وارسل الى والى طرابلس وولاة بعض مدن الشام يأمرهم باعداد الجيوش لقتال سعد الدولة .

وعلم سعد الدولة بزحف بكجور فغادر حلب ومعـه لؤلؤ الكبير مولى أبيه ، وكتب الى بكجور ، يستميله ويدعوه الى طاعته ويعده بأن يقطعه الأراضى من الرقة الى حمص فلم يقبل هـذا العرض (١١٣) ، واستنجد سعد الدولة بوالى انطاكية من قبـل الروم ، كما كاتب انصار بكجور ورغبهم بالأموال الكثيرة فتخلوا عن بكجور فلقى حتفه .

اتجه سعد الدولة الى الرقة وهناك وجد بها أولاد بكجـور ووزيره ، فأمنهم ولكنه طمع فيما معهم من الأموال فقبض عليهـم وانتزعها منهم (١١٤) . وكتب الخليفة الفاطمى اليه كتابا يتوعـده فيه ويأمره بالابقاء على هؤلاء الأسرى وتسييرهم الى مصر (١١٥) . الا أن سعد الدولة رفض تهديد العزيز واستعد لقتاله وتقدم الى حمص ولكنه ما لبث أن مات سنة ٣٨١ هـ (١١٦) فخلفه ابنه سعيد الدولة (١١٧) .

كان لموقف سعد الدولة من العزيز بالله الفاطمى أثره فى اثارة الفاطميين ضد الحمدانيين ، ونجح الحسن المغربى ، وزير بكجور، الذى فر الى مصر سنة ٣٨١ هـ فى ان يبلغ عند العزيز مرتبة عظيمة حتى صار يستشيره فى مهام الأمور ، فلما علم بوفاة سعد الدولة .

أشار على العزيز بفتح حلب (١١٨) . كما كان لعصيان منير والى دمشق أثره أيضا فى التعجيل بارسال الجيش الفاطمى بقيادة منجوتكين ، وأمر العزيز منجوتكين بأن يفتح دمشق ثم يمضى الى حلب (١١٩) .

لما علم أبو الفضايل بزحف منجوتكين الى دمشق استنجد بامبراطور الروم باسيل (١٢٠) ، وكتب الامبراطور الى البرجى (١٢١) يأمره بنجدة والى دمشق (١٢٢) .

وهذا يوضح العلاقة التى كانت تربط الحمدانيين بالدولة البيزنطية حينئذ ، فقد أصبح البيزنطيون حماة الحمدانيين ، رغم وجود هدنة بين الفاطميين والبيزنطيين سنة ٣٧٧ هـ (٩٨٧ م) لمدة سبع سنوات (١٢٣) ، ولكن البيزنطيين نقضوا الهدنة تلبية لاستنجاد سعيد الدولة بهم .

كما يبدو أيضا مدى تأثير القوتين : البيزنطية والحمدانية فى السياسة الخارجية للدولة الفاطمية ، ويتضح ذلك فى الوصية التى تركها الوزير يعقوب بن كلس قبل وفاته سنة ٣٨٠ هـ حين قال للخليفة العزيز . « أنصح لك فيما يتعلق بدولتك ، سالم الروم ما سالموك ، واقنع من الحمدانية بالدعوة والسكة ، ولا تبق على مفرج بن دغفل بن جراح ان عرضت لك فيه فرصة » (١٢٤) .

ومن هذه الوصية تتضح حقيقتان بارزتان : اولاهما أن الحمدانيين حتى وفاة الوزير ابن كلس (حوالى ٣٨٠ هـ) كانوا مرتبطين بالخلافة الفاطمية بالخطبة والسكة فقط ، ولم يكن هناك ولاة فاطميون تعينهم الدولة (١٢٥) أما الحقيقة الثانية فهى أن الحمدانيين كانوا مصدر قلق للخلافة الفاطمية نتيجة ولائهم للبيزنطيين أعداء الفاطميين .

وبعد ان استقرت أحوال منجوتكين فى دمشق ، طلب منه الخليفة العزيز الزحف الى حلب (١٢٦) ، فحاصرها سنة ٣٨٢ هـ وحاول سعيد الدولة اغراءه بالأموال حتى يرحل عنها وأن يعلن طاعته للخليفة الفاطمى ويقيم الدعوة له ويضرب السكة باسمه ، فامتنع عن قبول هذا العرض (١٢٧) وتقدم الروم لنجدة حلب (١٢٨) . وانتصر الجيش الفاطمى على جيش حلب وحلفائهم الروم (١٢٩) . ثم تتبع منجوتكين الروم الى انطاكية وأحرق ضياعها (١٣٠) ولجأ لؤلؤ الى أسلوب خداع منجوتكين وأتباعه ، فنصحهم بالانصراف على أن يعودوا فى العام المقبل ، فانخدعوا (١٣١) ، وارسلوا للخليفة الفاطمى يستأذنونه فى العودة الى دمشق لقلة مؤنهم ، وانسحبوا دون موافقته فى أواخر سنة ٣٨٢ هـ (١٣٢) .

غضب الخليفة العزيز عند سماعه بانسحاب جيشه ، وطلب منه العودة الى حلب ، فزحف منجوتكين من دمشق الى حلب فى ربيع الثانى سنة ٣٨٣ هـ ، فاستنجد والى حلب بالروم (١٣٣) . وآثر الجيش الفاطمى الانسحاب الى دمشق (١٣٤) ، وحاول منجوتكين فتح حلب مرة اخرى فى شعبان سنة ٣٨٤ هـ (١٣٥) وانتهى الصراع بعقد الصلح بين الخليفة العزيز والأمير الحمدانى أبى الفضايل (١٣٦) .

وبعد وفاة سعيد الدولة أبى الفضايل (١٣٧) ، حاول لؤلؤ الجراجى (١٣٨) السيطرة على الحكم وأعلن حكما مشتركا تولاه ابنا سعيد الدولة أبو الحسن على وأبو المعالى شريف وأصبح لؤلؤ وصيا عليهما (١٣٩) وفى سنة ٣٩٤ هـ أراد لؤلؤ الانفراد بالسلطة فارسل الأميرين الحمدانيين الى القاهرة وتلقب بأمير حلب (١٤٠) ، وظل يحكم حلب معترفا بتبعيته للخليفة الفاطمى

الحاكم بأمر الله حتى مات سنة ٣٩٩ هـ (١٤١) فخلفه ابنه منصور الذي سماه الخليفة الحاكم (مرتضى الدولة) (١٤٢) .

واصبح مرتضى الدولة أول وال لحلب يعترف بالسيادة الفاطمية الحقيقية ، واعترفت به الخلافة الفاطمية . والراجح أن محاولات الحمدانيين التي سبقت هذه السنة فى الاعتراف بالخليفة الفاطمى فى الخطبة والسكة كان نوعا من تسكين خواطر الفاطميين بينما كانوا يوالون فى الحقيقة بيزنطة . ولم يكن الاعتراف بالخلافة الفاطمية منذ سنة ٣٥٩ هـ بعد عقد الصلح بين سعد الدولة رمولاه قرغويه الا محاولة للاحتفاظ بالعلاقات الودية مع الفاطميين ، دون أن يكون للفاطميين سلطة فعلية ، ويتضح ولاء حلب لبيزنطة بعد معاهدة سنة ٣٥٩ هـ ونجدة الروم لحلب ، عندما حاولت الخلافة الفاطمية زمن العزيز استخدام القوة الحربية ضد حلب ، وبذلك نقلت حلب ولاءها من الدولة البيزنطية الى الدولة الفاطمية بعد أن والت البيزنطيين حوالى اربعين عاما (١٤٣) . (٣٥٩ هـ — ٣٩٩ هـ) .

ثالثا : الصراع بين القرامطة والفاطميين فى الشام فى أواخر القرن الرابع الهجرى .

تفرعت جماعة القرامطة عن فرقة الشيعة الاسماعيلية(١٤٤) فقد لجأت الاسماعيلية الى الدعوة السرية ، وكان من كبار دعاتها عبد الله بن ميمون (١٤٥) الذى بعث من الاهواز ، الحسين الاهوازى لنشر الدعوة الاسماعيلية فى سواد الكوفة ، وتعاون مع حمدان بن الاشعث المعروف بقرمط (١٤٦) واصبح قرمط هذا راس الدعوة الاسماعيلية ، ونجح فى تكوين جماعة القرامطة التى تنتسب اليه ، واتخذ كلواذا احدى ضواحى بغداد مركزا لنشر دعوته

سنة ٢٧٦ هـ (١٤٧) . واعتمد قرمط على صهره (عبدان) ، ثم تفرعت القرامطة الى فرعين ، أحدهما قرامطة البحرين بزعامة أبي سعيد الجنابى ، وثانيهما جماعة ذكرويه بن مهرويه الذى تزعم قرامطة شمال غربى العراق وبادية سماوة وبعض مدن الشام . وحمل لواء الدعوة بعد ذكرويه ابنه الحسين الذى أصبح مصدر قلق واضطواب فى بلاد الشام حتى قضى العباسيون عليه سنة ٢٩١ هـ ، فنقل نشاطه الى الكوفة ثم قضى العباسيون عليه نهائيا سنة ٢٩٤ هـ ، فحمل قرامطة البحرين لواء دعوة الاسماعيلية . ونجح ابو سعيد الجنابى فى تأسيس دولة للقرامطة فى بلاد البحرين ، وتصادق فى أواخر عهده مع العباسيين ، ولم يساعد الفاطميين فى محاولاتهم الأولى لفتح مصر ، ولهذا يتهم المؤرخون الخليفة الفاطمى عبد الله المهدى بتدبير قتله . وسار ابنه سعيد على سياسة أبيه فى مصادقة العباسيين ومعاداة الفاطميين، وكان كثير من القرامطة يميلون الى اعلان ولائهم للفاطميين ، ولذا عزلوا سعيدا وولوا أخاه أبا طاهر .

وهكذا انقسم القرامطة الى فريقين يرى أحدهما اعلان الولاء للفاطميين ، والآخر يرى الاستقلال عنهم ، وساءت العلاقات بين القرامطة والفاطميين ، فكان الصدام الحربى ثم زحف القرامطة الى القاهرة واعتداءاتهم المستمرة على أراضى الفاطميين.

تدخل عبيد الله المهدى اول الخلفاء الفاطميين فى شئون القرامطة الداخلية منذ أوائل القرن الرابع الهجرى حتى لقد ذهب بعض المؤرخين كما ذكرنا — الى القول بانه هو الذى دبر مقتل أبي سعيد الجنابى سنة ٣٠١ هـ . كما قام المهدى بدور كبير فى عزل الداعى القرمطى سعيد بن أبي سعيد وساهم الى حد كبير فى الثورة التى انتهت بعزله وعين مكانه أبا طاهر الجنابى سنة

٣٠٥ هـ . وظل هذا على اخلاصه للفــاطميين حتى تــوفى سنة ٣٣٢ هـ (١٤٨) . وبموته وجد الفريق المناهض فرصة للتخلى عن ولائهم للفاطميين لا سيما وأن ولده سابور كان طفلا صغيرا لا يصلح للحكم فهب سعيد أخو أبو طاهر للمطالبة بالحكم ، فلم ير المهدى بدا من اقراره فى الحكم ، وتعيين أخيه أحمــد بن أبى سعيــد للرئاسة ، وجعل سابور وليا للعهد .

انقسم القرامطة الى فريقــين ، يميــل الفــريق الأول الى الفاطميين ، ويتطلع الى الحكم فى الوقت نفسه وعلى راس هــذا الفريق أبناء أبى طاهر ويساندهم بعض وجوه القرامطــة وذوو النفوذ ، وهم المعروفون بالعقدانية ، ويرى هذا الفريق أن تنضوى طائفة القرامطة فى سياستها الخارجية والمذهبية تحـت لــواء الفاطميين كما كانوا فى عهد أبى طاهر بن أبى سعيد سنة ٣٠٥ هـ الى سنة ٣٣٢ هـ (١٤٩) . اما الفريق الثانى فيمثلون الطبقة العليا الحاكمة من القرامطة ، ويتزعمهم أحمد بن أبى سعيد واخــوته ، ويرى هؤلاء الاحتفاظ برئاسة دولتهم القرمطيــة الاسماعيليــة وتوجيهها الوجهة التى تعود بالنفع على القرامطــة أنفسهم سواء وافقت سياستهم سياسة الفاطميين أم خالفتها .

كان الارتباط بين الفاطميين والقرامطة فى البداية ارتباطــا مصلحيا بالنسبة للقرامطة ، فى حين جهل الفاطميون حقيقة الدعوة القرمطية ، اذ استتر القرامطة فى بداية دعوتهم وراء ستار الدعوة للامام المهدى المنتظر ، ثم انقسم القرامطة الى قسمين ، أحدهما برئاسة احفاد ذكرويه الذين انتهى أمرهم سنة ٣٩١ هـ ، والآخر كان فى البحرين ، وقد اختلفت سياسة الفاطميين نحو هذا الفريق ، فأحسن الفاطميون معاملة قرامطة البحرين لانهم أقل تطرفــا ، فكانت هناك مكاتبات يتضح فيها أسلوب النصح أحيانا واسلوب

عنف احيانا أخرى ، ففى سنة ٣١٧ هـ عندما انتزع القرامطة الحجر الأسود أرسل الخليفة المهدى الى ابى طاهر يلومه على ذلك ويقول « قد حققت على شيعتنا ودعاة دولتنا اسم الكفر والالحاد بما فعلت » وامره بإعادة الحجر الأسود الى مكانه فاستجاب لأمره (١٥٠) .

تغلب عنصر المصلحة السياسية على الصلات الدينية فى علاقة القرامطة بالفاطميين . ويرى المؤرخ (جوزى) أن العلاقة بين القرامطة والفاطميين كانت ودية ملؤها الاخلاص والطاعة ، وانهم كانوا فى أول الحركة الفاطمية يساعدونهم بالمال والرجال ، ويظهرون لهم الطاعة والمحبة ، لا لانهم كانوا يخشون بأسهم بل لانهم كانوا يعتقدون أن مؤسس الدولة الفاطمية عبيد الله هو حقيقة (امام الزمان) والمهدى المنتظر . الا ان ابا طاهر واصحابه مالبثوا مع مرور الزمن ، وبعد أن تعرفوا الى الفاطميين فى سوريا ومصر ، ولمسوا حياتهم وتصرفاتهم هناك ، وما ادخلوه من النظم الجديدة فى مصر وشمال افريقيا ، أن ادركوا أن مؤسس هذه الدولة لا صلة ولا نسب بينه وبين الامام السابع اسماعيل بن جعفر (١٥١) وان هذا الامام قد خدعهم واستخدمهم آلة للوصول الى غاياته الشخصية ، فلما صحت عند القرامطة هذه الحقيقة كان لها وقع شديد على هؤلاء الاعراب الذين عرفوا دائما بسذاجتهم وصفاء قلوبهم ، فثار غضبهم على مؤسس الدولة الفاطمية وأولاده فقطعوا علاقتهم بهم واخذوا يتقربون الى أعدائهم العباسيين الذين أصبحوا فى نظرهم خيرا من حلفائهم السابقين (١٥٢) .

ولكننا لا نوافق على رأى المؤرخ (جوزى) المتطرف ، ونرى أن الامام المهدى مؤسس الدولة الفاطمية هو فى الحقيقة ينتمى الى الأسرة العلوية الفاطمية ، كمايذكر معظم المؤرخين ، ولكن

القرامطة ، وخاصة فرع البحرين ، اصطدموا بالفاطميين لتشددهم وتطرفهم فى آرائهم الدينية وخاصة آراءهم الشيعية ، وظهر هذا الصدام بين الفاطميين والقرامطة واضحا فى النصف الثانى من القرن الرابع الهجرى ، مما كان له أثره فى تاريخ بلاد الشام فى تلك الفترة .

تعرضت سوريا فى العهد الاخشيدى لهجومين قام بهما القرامطة ، أولهما فى سنة ٣٥٣ هـ والثانى فى سنة ٣٥٧ هـ (١٥٣) وقد غلب الحسن الأعصم على الشام فى ذى الحجة سنة ٣٥٧ هـ وولى عليها وشاحا السلمى ثم رجع الى الاحساء سنة ٣٥٨ هـ (١٥٤) ، كما أجبر ابن طغج الاخشيد على دفع ضريبة لهم قدرها ثلاثمائة الف دينار سنويا (١٥٥) .

وكان المعز كريما فى معاملته للقرامطة فقد كان يبعث لهم بهداياه من المغرب ولكن بعد انتقاله الى مصر قطع ما كان يقدمه الاخشيديون للقرامطة من أموال (١٥٦) منذ سنة ٣٥٧ هـ وكانت هزيمة الحسن بن عبد الله بن طغج امام القرامطة فى ذى الحجة سنة ٣٥٨ هـ فى مقدمة العوامل المشجعة للفاطميين على فتح الشام ، كما أدى نجاح القائد جوهر فى فتح الشام الى فرار بعض زعماء الشام الى القرامطة (١٥٧) ، كما فر البعض الآخر الى الحمدانيين الى جانب مساعدة العباسيين للقرامطة وتشجيعهم لهم (١٥٨) ونضيف الى هذه العوامل كلها الشعور العدائى بين القرامطة من ناحية والفاطميين من ناحية أخرى .

وفى أواخر سنة ٣٥٩ هـ وردت الاخبار على ابن فلاح بأن القرامطة زاحفون الى الشام ، ثم علم أنهم نزلوا الكوفة ، وأمدهم بختيار الديلمى ، احد سلاطين البويهيين بالسلاح (١٥٩) . ونجح القرامطة فى الاستيلاء على دمشق واحسنوا معاملة أهلها (١٦٠) .

وحتى سنة ٣٦٣ هـ كان القرامطة مسيطرين على دمشق ولكن بعد هذه السنة بدأ أهالى دمشق يتطلعون الى الخلاص من حكم القرامطة (١٦١) .

كان القرامطة حينما فتحوا دمشق قد استولوا أيضا على الرملة (١٦٢) وبعث القائد جوهر الصقلى جيشا استولى على مدينة يافا ، وحاصر القرامطة يافا ولكنهم اضطروا لفك الحصار لقلة مؤنهم (١٦٣) . ثم رأى القرامطة غزو مصر (١٦٤) ، قلب الدولة الفاطمية ، ودار القتال بين القرامطة والفاطميين على مشارف القاهرة فى مستهل ربيع الأول سنة ٣٦١ هـ ، ولحقت الهزيمة بالأعصم قائد القرامطة فاضطر الى الانسحاب من مصر (١٦٥) ، واتجه نحو يافا وحاصرها طويلا حتى هلك معظم أهلها جوعا (١٦٦) ، ثم استولى عليها .

والحقيقة أن هزيمة القرامطة فى مصر كان لها صداها القوى فى العالم الاسلامى اذ أنها أول هزيمة لحقت بهم (١٦٧) .

نجح الفاطميون فى استرداد يافا ، وتقدم الحسن بن أحمد من الاحساء ونزل الرملة ، واشتد الحسن فى عدائه للفاطميين ، وعمل على توطيد نفوذ العباسيين بعد أن أقره الخليفة المطيع العباسي على سلطته فأخذ يلعن الخلفاء الفاطميين على المنابر ، وينفى نسبهم الى على بن أبى طالب (١٦٨) .

ومضى الحسن بن أحمد فى تطرفه فبعث بسفن محملة بالجند الى تنيس ، كما أعد جيشا كبيرا من المقاتلة (١٦٩) . ولما اشتد الحال بجوهر كتب الى المعز بالقيروان ينبئه بخطورة الموقف(١٧٠) فغادر المعز المهدية بالمغرب ورحل الى القاهرة فى رمضان سنة

٣٦٢ هـ (١٧١) . وبعد وصوله الى مصر بدأ يفكر فى أسلوب جديد يتبعه فى معاملة القرامطة بدلا من الأسلوب الذى اثار عداء الأعصم ، فاتبع أسلوب الترهيب والترغيب ، وبعث الى الأعصم بكتاب (١٧٢) يتهمه بالخروج على الاسلام ، وكان المعز يدرك خطورة القرامطة ، وجمع كتاب المعز بين التهديد والوعيد ، وبين التودد والملاينة ، فاشار المعز فى كتابه الى تلك المودة والعلاقة التى كانت تربط أجداد الزعيم القرمطى بالفاطميين ، وأنهم جميعا ينتمون الى أصل واحد (١٧٣) . ثم ندد المعز بانضمام الأعصم الى العباسيين (١٧٤) . وعاب عليه موقفه من قائده جعفر بن فلاح (١٧٥) . ثم عرض المعز على زعيم القرامطة شروطا ثلاثة ، اما فداء نفسه ومن معه بجعفر بن فلاح ومن قتلوا معه ، ورد كل ما كان معهم ، واما أن يردهم أحياء ، وهو فى الحقيقة يسخر منه ، واما أن يصير اليه بمن معه ليحكم هو فيهم بما يراه (١٧٦) ، وذكر المعز أنه لن يتخذ قرارا الا بعد أن يصله الرد . وخيره بين الرجوع عن غيه والتوبة عما فعل ، أو أن ينتظره فى مكانه حتى يحضر اليه بجيوش جرارة ، وحنئذ يناله « ما نال من كان قبله من عاد وثمود » (١٧٧) .

ورغم كل ما حواه كتاب المعز من التهديد والوعيد فإن ذلك لم يفت فى عضد القرمطى ، فقد بعث بخطاب سخر فيه من المعز فقال فيه : « بسم الله الرحمن الرحيم — من الحسن بن أحمد القرمطى الأعصم . اما بعد فقد وصل كتابك الذى كثر تفصيله وقل تحصيله ونحن سائرون على اثره والسلام » (١٧٨) .

تقدم الأعصم لقتال المعز ، وانضم اليه ابن الجراح الطائى فى جيش عظيم (١٧٩) . فرأى المعز استمالة ابن الجراح الى

جانبه ، فراسله ووعده بمائة الف دينار (١٨٠) . فلحقت الهزيمة بالقرامطة واضطروا الى الانسحاب من الشام (١٨١) .

وفى ذى القعدة سنة ٣٦٥ هـ وصل جوهر الصقلى الى دمشق لانتزاعها من أفتكين التركى ، فاستمر القتال بين الجانبين حوالى شهرين ، واقترح اهل دمشق على أفتكين مكاتبة الحسن القرمطى والاستنجاد به (١٨٢) وبالفعل تقدم القرامطة الى دمشق (١٨٣) ثم زحفوا الى الرملة (١٨٤) .

استقر القرامطة بالرملة وجبوا الضرائب فخرج جوهر الصقلى من مصر لقتالهم فى جيش كبير (١٨٥) . واشتبك جوهر مع القرامطة فى مواقع حامية حتى شهر ربيع الأول سنة ٣٦٦ هـ ، والحق الهزيمة بأفتكين (١٨٦) . ولكن عندما قلت الأقوات عند جوهر ، وأشرف هو ومن معه على الهلاك جوعا ، طلب مفاوضة أفتكين ، واتفقا على انسحاب جيش جوهر الى مصر (١٨٧) . ورحل جوهر عن دمشق فى جمادى الأولى سنة ٣٦٦ هـ (١٨٨) . فلما وصل الحسن بن أحمد القرمطى وبخ أفتكين على سماحه لجوهر بالانسحاب وقال له : « الرأى أنا كنا نحصرهم حتى يموتوا عن آخرهم ، فانه الآن سيذهب الى سيده فيخبره ثم يخرجه الينا ولا طاقة لنا به » (١٨٩) ثم تم التحالف بين القرمطى وأفتكين وتتبعا جيش جوهر فأسرع منسحبا الى الرملة ، وكتب الى العزيز يصور له الموقف واستأذنه فى الرحيل الى عسقلان . وتقدم أفتكين والحسن بن احمد القرمطى الى الرملة لقتال جوهر (١٩٠). ومات الحسن القرمطى وخلفه ابن عمه جعفر (١٩١) ، فثارت قبيلة كتامة على جوهر (١٩٢) فراسل أفتكين فى طلب الصلح وذكر له الوشائج التى تربطهما فقال : « قد علمت ما يجمعنى واياك من حرمة الاسلام .. وقد دعوتك الى الموادعة » . فذكر

له افتكين أن ما يمنعه من موادعته هو صلته بالقرمطى ، فطلب منه أن يمن عليه وعلى من معه من المسلمين ، فوافق على ذلك ، وشرط عليه أن يخرج من تحت سيف ورمح الحسن القرمطى على باب عسقلان ، وتم الأمر على هذا النحو (١٩٣) .

قدم جوهر على الخليفة العزيز فى القاهرة واشار على الخليفة بأن يخرج بنفسه لقتال افتكين والقرامطة (١٩٤) ، وتقدم العزيز الى الرملة فى المحرم سنة ٣٦٧ هـ (١٩٥) وحاول استمالة افتكين اليه ، الا ان افتكين ذكر له أن الوقت أصبح متأخرا بعد تفاوضه مع القرمطى ، وانتهى القتال بالقبض على افتكين فى المحرم سنة ٣٦٨ هـ (١٩٦) ثم بدأ العزيز يراسل القرمطى ، واتفقا على أن يدفع الفاطميون ثلاثين الف دينار له ولأصحابه تحمل اليه فى كل سنة (١٩٧) . ويكونوا على الطاعة والموادعة وحمل اليه مال سنة واستحلفه العزيز على الوفاء وانسحب القرامطة الى الاحساء .

أضعفت هذه الحروب القرامطة وفككت وحدتهم حتى أن جماعة منهم ثاروا على آل الحسن الأعصم واضطروهم الى الهجرة الى جزيرة « أوال » (١٩٨) حيث انتقم منهم أعداؤهم وانتهز الخليفة العزيز هذه الفرصة لاستمالة هؤلاء القرامطة واعادتهم ثانية الى طاعة الفاطميين . واستمر ولاء القرامطة للفاطميين حتى زالت دولتهم من جزيرة « أوال » سنة ٤٥٨ هـ ثم من البحرين بعد أن قضى السنيون عليهم فى سنة ٤٧٠ هـ (١٩٩) .

وهدأت الأحوال بين القرامطة والفاطميين بعد ذلك ، والراجح أنهم كانوا يبعثون الى الخلافة من حين لحين يؤكدون تبعيتهم ونصرتهم كما حدث سنة ٣٨٢ هـ (٢٠٠) .

رابعا : اثر بنى الجراح فى اثارة القلاقل فى جنوب بـلاد الشـام :

كان لبنى الجراح اثر كبير فى اثارة الاضطرابات فى فلسطين، وكان الفاطميون يسيطرون على تلك المناطق باللين تارة وبالشدة تارة أخرى ، من ذلك ما حدث سنة ٣٦١ هـ عندما تحالف سـعد أمير عرب الشام وحسان بن جراح ضد النفوذ الفاطمى فى بـلاد الشـام ، فارسل المعز الى حسان ووعده بمائة الف دينار إن ترك أمير الشام وخذله بين الناس ، وبالفعل تم ذلك (٢٠١) .

وفى سنة ٣٦٣ هـ انضم ابن الجراح الى القرمطى فى جيش عظيم لقتال المعز (٢٠٢) ، فراى الخليفة استمالة ابن الجراح الى جانبه فراسله ووعده بمائة الف دينار (٢٠٣) فتم انفصام التحالف وانهزم القرمطى كما مر بنا . وظلت العلاقات هـادئة بين ابن الجراح والفاطميين حوالى خمس سنوات بدليـل انـه فى سنة ٣٦٧ هـ قدم حسان بن الجراح على العزيز فخلع عليه (٢٠٤) ولكن فى سنة ٣٦٨ هـ تغلب المفرج بن الجراح على الرملة وناحيتهـا وأعلن ولاء اسميا للعزيز (٢٠٥) .

وفى سنة ٣٦٩ هـ ، حاول ابو تغلب الحمدانى التغلب على دمشق والرملة فقدم جيش فاطمى من مصر فنزل الرملة ، وارسل الى ابن الجراح سجلا بولايتها ، واخبره أن أبا تغلب متوجه اليها للاستيلاء عليها وأنه يعهد اليه بالدفاع عنها (٢٠٦) ، ليضمن بذلك مساعدة ابن الجراح ضد أبى تغلب ، ثم يتخلص فيما بعد من نفوذ ابن الجراح . وبالفعل نجح الفاطميون بمساعدة ابن الجراح فى القضاء على أبى تغلب ، ثم فطن ابن الجراح الى نوايا الفاطميين نحوه ، فبدأ يستميل الخليفة العزيز حتى عفا عنه (٢٠٧) .

ادى حكم بنى الجراح الى سوء أحوال جنوب الشام فقد خيم عليه فقر مدقع (٢٠٨) لم يلبث مفرج بن الجراح أن خلع طاعة العزيز سنة ٣٧١ هـ فسير اليه العزيز جيشا هزمه ، فحاول ابن الجراح اعتراض طريق قوافل الحجاج فبعث العزيز جيشا آخر هزمه للمرة الثانية ، فسار الى امبراطور الروم ملتمسا النجدة ، فأمنه وأعاده الى الشام بعد أن أخذ له الأمان من العزيز (٢٠٩) .

ولكن يبدو أن ابن الجراح عاد الى سيرته الأولى من العصيان بعد فترة فأرسلت له الخلافة الفاطمية جيشا بقيادة بلتكين التركى الحق به الهزيمة فاضطر الى الفرار الى انطاكية واستجار بصاحبها فأمنه (٢١٠) .

وفى سنة ٣٨١ هـ خرج القائد ياروختكين الى الشام لفتح حلب وأمر القواد بتبجيله والترجل له وكان من بينهم ابنا المفرج ، فما كان منهما الا أن توجها الى أبيهما وشرحا له ما فى ذلك من المهانة لهما وله ، وخوفاه من سيطرة الفاطميين على الرملة وأشارا عليه بالاسراع بلقاء ياروختكين قبل وصوله اليهم (٢١١) وبالفعل تم جمع حسان بن المفرج جيشا كبيرا وهزم ياروختكين وأسره ، وعلم الخليفة الفاطمى بذلك فحذر المفرج وطلب منه الافراج عن قائده ، وهنا اشار البعض على حسان بالتخلص من ياروختكين قبل أن يصل أبوه ويطلق سراح القائد الفاطمى ؛ لأن هذا القائد اذا رجع الى مصر ، يعود اليه على راس جيش آخر ، ولذا أقدم على قتل هذاالقائد وأرسل رأسه الى أبيه فأدرك أن الوضع أصبح خطيرا (٢١٢) .

وفى سنة ٣٨٨ هـ تجدد عصيان جنوب الشام ، وحمل لواء العصيان مفرج ابن دغفل ، فبعث الفاطميون الى فلسطين جيشا

ضخما بقيادة جيش بن الصمصامة ، فاستولى على الرملة وأخضع ثوارها ، وطارد المفرج بن دغفل وقواته حتى أذعن الثائر وطلب الصلح ، فعفا القائد الفاطمى عنه وأمنه (٢١٣) .

وهكذا لعب بنو الجراح فى جنوب فلسطين دورا ملحوظا فى اثارة القلاقل فى جنوب فلسطين رغم قربه من مقر الخلافة الفاطمية صاحبة النفوذ الفعلى فى بلاد الشام فى تلك الفترة .

ومجمل القول ان بلاد الشام فى نهاية القرن الرابع الهجرى كانت مفككة العرى تتنازعها قوى مختلفة ، فى الداخل والخارج ، وسنرى خلال دراستنا للقرن الخامس الهجري ، ان حالة التفكك والاضطراب ستستمر وتستفحل حتى اذا ماوافت نهـاية القـرن الخامس وقعت البلاد فريسة الغزو الصليبى .

الهـــــوامش

(١٥) ابن الأثير : الكامل ، ج ٦ ، ص ٣١٢ ٠
(١٦) ابن الأثير : الكامل ، ج ٦ ، ص ٣١٢ ٠
(١٧) نفس المرجع : ص ٣١٨ ٠
(١٨) S. L. Poole : The Mohammadan Dynasties, 1925, p. 69.
(١٩) الغزى : نهر الذهب فى تاريخ حلب ، ج ٣ ، ص ٦٤ ٠
(٢٠) زامبور : معجم الأنساب ، ج ٢ ، ص ٢٠١ ، ابن العديم : زبدة الحلب من تاريخ حلب ، ج ١ ، ص ٣٤٩ ٠
(٢١) القلقشندى : مآثر الاناقة فى معالم الخلافة ، ج ١ ، ص ٣٠٨ ٠
(٢٢) ابن عساكر : التاريخ الكبير ، ج ٤ ، ص ١٩٠ ٠
(٢٣) الغزى : نهر الذهب فى تاريخ حلب ، ج ٣ ، ص ٦٤ ٠
(٢٤) ابن العديم : زبدة الحلب من تاريخ حلب ، ج ١ ، ص ١٥٥ ٠
(٢٥) نفس المصدر السابق والصفحة ، الطباخ الحلبى : أعلام النبلاء تاريخ حلب الشهباء ، ج ١ ، ص ٢٩٤ ـ ٢٩٥ ٠
(٢٦) كرد علي : خطط الشام ، ج ١ ، ص ٢٢٨ ٠
(٢٧) الدبس : تاريخ سورية ، ج ٣ ، م ٥ ، ص ٣٩٧ ٠
(٢٨) الغزى : نهر الذهب ، ج ٣ ، ص ٦٥ ٠
(٢٩) الباز العرينى : الدولة البيزنطية ، ص ٤٨١ ٠
(٣٠) Histoire de Yahya Ibn Sa'id D'antioches : p. 125.
(٣١) ابن العديم : زبدة الحلب ، ج ١ ، ص ١٦١ ٠
(٣٢) ابن العديم : ص ١٦٣ ، ويذكر يحيى بن سعيد الانطاكي انه انسحب الى حمص ـ (الانطاكى ، ص ١٢٥) ٠
(٣٣) ابن العديم : ص ١٦٣ ٠
العرينى : الدولة البيزنطية ، ص ٤٨٤ ٠
(٣٤) Hist. De Yahya D'antioches : ...... p. 126.
(٣٥) تناول ابن العديم المعاهدة بالتفصيل فى زبدة الحلب ، ج ١ من ص ١٦٣ الى ١٦٨ ، تاريخ الانطاكي ، ص ١٣٦ ،
Vasiliev : Hist. Of The Byzantine Empire. p. 209.
(٣٦) Vasilviev : Ibid, p. 309.
(٣٧) سعيد عاشور : الحركة الصليبية ، ج ١ ، ص ٦٣ ٠
(٣٨) حسن ابراهيم ، تاريخ الاسلام ، ج ٣ ، ص ٢٣٧ ٠

(٣٩) ابن الأثير : الكامل ، جـ ٧ ، ص ٣١ .
(٤٠) الرملة هي قصبة كورة فلسطين (المقدس . أحسن التقاسيم ، ص ١٥٤).
(٤١) المقريزى : اتعاظ الحنفا ، ص ١٢٢ .
(٤٢) ابن أيبك : كنز الدرر ، جـ ٦ ، الدرة المضية فى اخبار الدولة الفاطمية ، ص ١٢٣ .
(٤٣) العيني : عقد الجمان ، جـ ١٤ ، م ٢ ، مخطوط بدار الكتب رقم ١٥٨٤ ، تاريخ ، ص ٢٢٣ .
(٤٤) بيبرس الدوادارى : زبدة الفكرة فى تاريخ الهجرة ، جـ ٦ ، مخطوط بجامعة القاهرة ، رقم ٢٤٠٢٦ ، ص ٢٠٥ (١) .
(٤٥) تاريخ ابن خلدون ، جـ ٤ ، ص ٤٨ .
(٤٦) ابن القلانسى : ذيل تاريخ دمشق . ص ١ .
(٤٧) ابن القلانسي ، ص ١ (طبرية قصبة الأردن . المقدسي . أحسن التقاسيم ، ص ١٥٤ .
(٤٨) المقريزى : اتعاظ الحنفا ، ص ١٢٥ .
(٤٩) ابن كثير : البداية والنهاية فى التاريخ ، جـ ١١ ، ص ٢٦٧ .
(٥٠) الصالحي : القلائد الجوهرية فى تاريخ الصالحية ، قسم أول ، ص ٩ .
(٥١) ابن خلدون : تاريخه ، جـ ٤ ، ص ٤٨ ، العينى : عقد الجمان ، جـ ١٤ م ٢ (مخطوط رقم ١٥٨٤ تاريخ ، ص ٢٢٤ .
(٥٢) ابن الاثير : الكامل ، جـ ٧ ، ص ٣٢ ، بيبرس الدوادارى : زبدة الفكرة ، جـ ٦ ، مخطوط ، ص ٢٠٥ أ ، ب ، ابن العماد : شذرات الذهب ، جـ ٢ ، ص ٣٥ .
(٥٣) العينى . عقد الجمان . جـ ١٤ م ٢ . مخطوط ، ص ٢٣٣ ، جمال سرور : النفوذ الفاطمى فى بلاد الشام والعراق فى القرنين الرابع والخامس الهجرى ، ص ١٨ .
(٥٤) S. L. Poole : A Hist. Of Egypt , V. I. p. 105.
(٥٥) الحسنى : منتخبات التواريخ لدمشق ، جـ ١ ، ص ١٣١ .
(٥٦) ابن ظافر : اخبار الدول المنقطعة ، مخطوط بدار الكتب رقم ٨٩٠ ، تاريخ ، ص ٤٧ (ب) ، ٤٨ (أ) .
(٥٧) ابن شاكر : عيون التواريخ ، جـ ٨ ، ص ٥٣٩ .

(٥٨) S. L. Poole : The Mohammadan Dynasties, ..., p. 70.

(٥٩) ابن أيبك . كنز الدرر ، جـ ٦ ، ص ١٣٢ .

(٦٠) اسد رستم : الروم ، جـ ٢ ، ص ٤٨ .

(٦١) ابن أيبك : كنز الدرر ، جـ ٦ ، ص ١٢٣ .

(٦٢) المقريزى . اتعاظ الحنفا ، ص ١٢٦ .

(٦٣) Setion & Baldwin : A Hist. of Crusades, V.I., p. 89.

(٦٤) ابن أيبك الدوادارى . كنز الدرر ، جـ ٦ ، ص ١٦٢ ، ابن شاكر : عيون التواريخ ، مخطوط ص ٩١ .

(٦٥) ابن الاثير : الكامل ، جـ ٧ ، ص ٥٥ .

(٦٦) السيوطى : تاريخ الخلفاء ، ص ٢٦٧ .

(٦٧) المقريزى : اتعاظ الحنفا ، ص ٢١٩ ، ابن الأثير : الكامل ، جـ ٧ ، ص ٦٢ ، ٦٣ .

(٦٨) يقال رجل عبار ، أى رجل ذكى كثير التطواف والحركة ، والعبارون هنا بمعنى قطاع الطرق .

(٦٩) ابن العميد : تاريخ المسلمين : ص ٢٣٣ .

(٧٠) ابن الأثير : الكامل ، جـ ٧ ، ص ٦٣ ، بيبرس الدوادارى : زبـدة الفكرة ، جـ ٦ ، ص ٢٢٧ (أ) .

(٧١) ابن شاكر : عيون التواريخ ، جـ ٩ ، ص ١٠٩ .

(٧٢) ابن كثير : البداية والنهاية ، جـ ١١ ، ص ٢٨١ . ابن الأثير : الكامل ، جـ ٧ ، ص ٦٣ .

(٧٣) سبط بن الجوزى : مرآة الزمان ، جـ ١١ ، م ١ ، مخطوط بدار الكتب رقم ٥٥١ تاريخ ص ٩١ ، فقد قال الفتكين « هذا بلد أخذته بالسيف وما أدين فيه لأحد بطاعة) .

(٧٤) ابن القلانسى : ذيل تاريخ دمشق ، ص ١٥ ـ ١٦ .

(٧٥) القضاعى : تاريخه ، مخطوطة بدار الكتب رقم ٢٥٢٥ تاريخ تيمور ، ص ١١٩ ، ابن ظافر : أخبار الدول المنقطعة ، مخطوط بدار الكتب رقم ٨٩٠ تاريخ ، ص ٥٠ (ب) .

(٧٦) وهذا هو الرجل الزبال الذى يذكر الناس أنه ملك دمشق (ابن كثير : البداية والنهاية ، جـ ١١ ، ص ٢٩٢) .

(٧٧) الحصنى : منتخبات التواريخ لدمشق ، جـ ١ ، ص ١٣٣ .

(٧٨) ابن الأثير : الكامل ، جـ ٧ ، ص ٩٦ .

(٧٩) ابن القلانسى : ذيل تاريخ دمشق ، ص ٢٨ .

(٨٠) ابن الوردى : تتمة المختصر فى أخبار البشر ، ج ١ ، ص ٣٠٥ .

(٨١) المقريزى : اتعاظ الحنفا ، ص ٢٥٧ وهنا ينكر الصفدى : أمراء دمشق فى الاسلام ، ص ٣٠ أن الذى قبض على قسام وأرسله الى مصر هو خطلخ الحاجب الذى ولى دمشق نائبا عن بلتكين .

(٨٢) ابن القلانسى : ذيل تاريخ دمشق ، ص ٢٩ ، النويرى : نهاية الأرب ، ج ٢٤ ، ق ٢ ، مخطوط ، ص ٥١ .

(٨٣) ابن أيبك : كنز الدرر ، ج ٦ ، ص ٢١٨ ــ ٢١٩ .

(٨٤) ابن القلانسى : الذيل ، ص ٣٠ .

(٨٥) ابن العديم : زبدة الحلب ، ج ١ ، ص ١٧٧ .

(٨٦) الحصنى : منتخبات التواريخ ، ج ١ ، ص ١٣٤ .

(٨٧) ابن العديم : زبدة الحلب ، ج ١ ، ص ١٧٨ المقريزى : اتعاظ الحنفا ، ص ٢٦٠ .

(٨٨) ابن شاكر : عيون التواريخ ، ج ٩ مخطوط ، ص ٢٤٦ .

(٨٩) نعمان قساطلى : الروضة الغناء ، ص ٤٣ .

(٩٠) ابن القلانسى : ذيل تاريخ دمشق ، ص ٤٠ ، ابن أيبك : كنز الدرر ، ج ٦ ، ص ٢٣٢ .

(٩١) ابن أيبك : كنز الدرر ، ج ٦ ، ص ٢٣٢ ، الصفدى : أمراء الاسلام ، ص ٨٧ .

(٩٢) الوزير أبو شجاع : ذيل تجارب الأمم ، ص ٢٢٢ .

(٩٣) O. Leary : A Short Hist. of The Fatifid ..., p. 125.

(٩٤) ابن ميسر : أخبار مصر ، ج ٢ ، ص ٥٥ .

(٩٥) ابن القلانسى : الذيل ، ص ٤٦ ، ٤٧ ، أبو شجاع : ذيل تجارب الأمم ، ص ٢٢٣ .

(٩٦) O'Leary : A Short Hist., p. 125.

(٩٧) ابو شجاع : ذيل تجارب الامم ، ص ٢٢٣ .

(٩٨) O'Leary : Op. Cit., p. 126.

(٩٩) ابو شجاع : ذيل تجارب الامم ، ص ٢٢٣ ــ ٢٢٤ .

(١٠٠) المقريزى : اتعاظ الحنفا ، مكروفيلم بمعهد المخطوطات رقم ٦ تاريخ ، ص ٥٢ (ب) ، ٥٣ (أ) .

(١٠١) المقريزى : الخطط ، ج ٢ ، ص ٢٨٥ .

(١٠٢) المقريزى : اتعاظ الحنفا ، مكروفيلم ، ص ٥٨ (أ) ويذكر الصفدى فى امراء دمشق فى الاسلام ، ص ٦٥ ان فحل بن تميم المعزى ولى امرأة دمشق زمن الحاكم بعد هلاك جيش بن الصمصامة فى ربيع الآخر سنة ٣٩٠ هـ ، فحل أميرا بها شهورا ، ثم هلك فى هذه السنة فوليها على بن جعفر بن فلاح .

(١٠٣) المقريزى : الخطط ، جـ ٢ ، ص ٣٧٥ .

(١٠٤) ابن القلانسى : ذيل تاريخ دمشق ، ص ٥٧ . المقريزى : اتعاظ الحنفا ، ميكروفيلم ، ص ٥٨ (أ) .

(١٠٥) ابن كثير . البداية والنهاية . جـ ١١ ، ص ٣٣٢ ، ابن عساكر : التاريخ الكبير ، جـ ٣ ، ص ٣٤٤ .

(١٠٦) العينى : عقد الجمان ، جـ ٩ ، ق ٢ ، مخطوط ، ص ٢٤٤ .

(١٠٧) بيبرس الدوادارى : زبدة الفكرة ، جـ ٦ ، مخطوط ، ص ٢١١ (أ) .

(١٠٨) أبو المحاسن : النجوم الزاهرة ، جـ ٤ ، ص ٥٨ .

(١٠٩) كرد على : خطط الشام ، جـ ١ ، ص ٢٢٥ .

(١١٠) العرينى : الدولة البيزنطية ، ص ٦٠٣ ويعلل المؤلف أن هذا التقارب بين الأمير الحمدانى والخليفة الفاطمى انما حدث بعد أن حلت الهزيمة الساحقة بالجيوش البيزنطية فى البلقان على يد البلغار وتردد صداها فى سائر أنحاء الشرق .

(١١١) ابن ظافر : أخبار الدول المنقطعة ، مخطوط ، ص ١٩ (أ) .

(١١٢) بيبرس الدوادارى : زبدة الفكرة ، جـ ٦ ، ص ٢٧٧ (أ) .

(١١٣) بيبرس الدوادارى : زبدة الفكرة ، جـ ٦ ، ص ٢٧٧ أ ، ب .

(١١٤) نفس المصدر ، ص ٢٧٨ أ .

(١١٥) أبو شجاع : ذيل تجارب الأمم ، ص ٢١٥ — ٢١٦ .

(١١٦) ابن العميد : تاريخ المسلمين ، ص ٢٤١ — ٢٤٢ ، اليافعى : مرآة الجنان ، جـ ٢ ، ص ٤١٤ .

زامبور : معجم الاسرات الحاكمة ، جـ ٢ ، ص ٢٠١ (فى حين ينفرد الغزى : نهر الذهب جـ ٣ ، ص ٦٦ بأن أبو المعالى توفى سنة ٣٧٨ هـ وتولى مكانه ابنه أبو الفضايل ، والراجح أنه توفى سنة ٣٨١ هـ باتفاق آراء معظم المؤرخين) .

(١١٧) ابن العماد : شذرات الذهب ، جـ ٣ ، ص ١٠٠ .

(١١٨) النويرى : نهاية الأرب ، جـ ٢٤ ، ق ١ ، مخطوط ، ص ٥٣ ، سبط بن الجوزى ، مرآة الزمان ، مخطوط ، جـ ١١ ، م ١ ، ص ١٥٩ .

(١١٩) ابن ظافر . أخبار الدول المنقطعة . مخطوطة ، ص ٢٢ (ب) النويرى : نهاية الارب ، جـ ٢٤ ، ق ١ . مخطوط ، ص ٥٣ .

(١٢٠) أبو المحاسن . النجوم الزاهرة ، جـ ٤ ، ص ١١٨ ، سبط بن الجوزى : مرآة الزمان ، جـ ١١ م ١ ، مخطوط ، ص ١٦٠ .

(١٢١) وهو نقفورس أورانوس ويعرف فى المراجع العربية بالبرجي (عبد الله عنان . الحاكم بأمر الله ، ص ٣٨) .

(١٢٢) ابن ظافر : أخبار الدول المنقطعة ، ص ٢٢ ب ، النويرى : نهاية الارب ، جـ ٢٤ ، ق ١ ، ص ٥٣ .

(١٢٣) سعيد عاشور : الحركة الصليبية ، جـ ١ ، ص ٦٨ .

(١٢٤) ابن الصيرفى : الاشارة الى من نال الوزارة ، ص ٢٣ ، ابن خلكان : وفيات الاعيان ، جـ ٦ ، ص ٣١ .

(١٢٥) يذكر القلقشندى : مآثر الانافة فى معالم الخلافة ، جـ ١ ، ص ٣٢٤ أن الخليفة الفاطمى أرسل أبو على بن مروان من قبله كوال على حلب فى سنة ٣٨٠ هـ ولكنه لم يدخلها .

(١٢٦) بيشوف الجرمانى : تحف الانباء فى تاريخ حلب الشهباء ، ص ٣٨ .

(١٢٧) ابن العديم : زبدة الحلب ، جـ ١ ، ص ١٨٦ .

(١٢٨) ابو المحاسن : النجوم الزاهرة . جـ ٤ . ص ١١٨ . بيبرس الدوادارى : زبدة الفكرة ، جـ ٦ ، ص ٢٧٨ (ب) .

(١٢٩) أبو المحاسن : النجوم الزاهرة ، جـ ٤ ، ص ١١٨ ، أبو شجاع : ذيل تجارب الامم . ٢١٨ .

(١٣٠) أبو المحاسن : ص ١١٨ .

(١٣١) ابن العميد : تاريخ المسلمين ، ص ٢٤٢ .

(١٣٢) المصدر السابق والصفحة ، ابن العديم ، زبدة الحلب ، جـ ١ ، ص ١٨٨ .

(١٣٣) ابن العميد : تاريخ المسلمين ، ص ٢٤٢ .

(١٣٤) بيبرس الدوادارى : زبدة الفكرة ، جـ ٦ ، مخطوط ، ص ٢٧٩ (١) .

(١٣٥) النويرى : نهاية الارب ، جـ ٢٤ ، ق ١ ، مخطوط ، ص ٥٣ .

(١٣٦) المقريزى : اتعاظ الحنفا ، ص ٢٨٨ .

(١٣٧) زامبور . معجم الأنساب والأسرات ، ج ٢ ، ص ٢٠١ ، بيشوف الجرماني : تحف الأنباء ، ص ٤٠ .

(١٣٨) عرف بذلك لأنه كان مولى جحراج أحد غلمان سيف الدولة فاخذه منه وسماه لؤلؤ الكبير (ابن العديم : زبدة الحلب ، ج ١ ، ص ١٩٧ .

(١٣٩) ابن العديم : زبدة الحلب ، ج ١ ، ص ٩٥ .
O'Leary : Op. Cit., p. 136-137.

(١٤٠) ابن العديم : ص ٩٥ . O'Leary : Ibid, p. 137.

(١٤١) الغزى : نهر الذهب ، ج ٣ ، ص ٦٧ ، العينى : عقد الجمان ، ج ١٤ م ٤ مخطوط ، ص ٥٥٤ .

(١٤٢) ابن العميد : تاريخ المسلمين ، ص ٢٥٦ ، الدبس : تاريخ سورية ، ج ٣ م ٥ ، ص ٤٠٦ .

(١٤٣) O'Leary : Op. Cit., p. 137.

(١٤٤) الاسماعيلية فرقة من فرق الشيعة التى تفرعت عن طائفة الامامية الاثنا عشرية ، فقد رأت طائفة الاسماعيلية أن الامام بعد جعفر الصادق هو ابنه اسماعيل ، لا ابنه موسى الكاظم ، وانكرت موت اسماعيل فى حياة أبيه وقالت انه اختفى ، كما قالت بعدم جواز تحويل الخلافة الى موسى بعد وفاة أخيه اسماعيل ، لأنها لا تنتقل من اخ الى أخ ، ولا تكون الا فى الأعقاب . وقام خلاف شديد بين الموسوية انصار موسى الكاظم ، وبين الاسماعيلية اتباع اخيه اسماعيل ثم ابنه محمد . وهؤلاء يقولون ببطلان امامة موسى لأنه قد نص على امامة اسماعيل . وادى اضطهاد العباسيين للشيعة الى اختفاء ائمة الاسماعيلية ، ولجوئهم الى الدعوة السرية .

(١٤٥) W. Ivanow : The Alleged Founder Of Ismailism., p. 62 & 66.

(١٤٦) كان قرمط هذا قصيرا وخطوه متقاربا لقصر رجليه . والقرمطة فى اللغة تقارب الشيء بعضه من بعض ويقال خط مقرمط ومشى مقرمط اذا كان كذلك . وقيل انه سمي بذلك لاحمرار بشرته تشبيها له بالقرمد ، واصل هذا اللفظ يونانى من كيراميدى ، ويرى البعض أن هذا اللفظ مأخوذ من (اقرمط) أى غضب أو عبس . ولكن أحسن ما أعجبنا فى كل ما اطلعنا عليه من تعريفات خاصة بأصل هذه التسمية ما ذكر من أن اللفظ آرمية نبطية من قرمطون أى المدلس أو الخبيث أو المكار أو المحتال . كذلك قيل قرمط تعنى كلمة ارامية بمعنى « المعلم السرى » لأنه كان يظهر خلاف ما يبطن .

(ابن الوردى : تاريخه ، جـ ١ ، ص ٢٤١ ، ابن خلكان : وفيات الاعيان ، جـ ١ ، ص ٤١٢ ،
(C. Brockelmann : Hist. Of The Islamic People, p. 144.

(١٤٧) كان القرامطة دهرية يقولون بقدم العالم وينكرون الرسل والشرائع كلها ويميلون الى استباحة كل ما يميل اليه الطبع وشعارهم : ادع الناس بأن تتقرب اليهم بما يميلون اليه وأوهم كل واحد منهم بأنك منهم فمن آنست فيه رشداً فاكشف له الغطاء (كرد علي · خطط الشام ، جـ ١ ، ص ٢٠٩) وكان من أهم تعاليم قرمط أنه جاء بكتاب فيه : « بسم الله الرحمن الرحيم · يقول الفرج بن عثمان انه داعية المسيح وهو عيسى وهو الكلمة وهو المهدى وهو أحمد بن محمد ابن الحنفية وهو جبريل وان المسيح تصور فى جسم انسان وقال له : انك الداعية وانك الحجة وانك الناقة وانك الدابة وانك يحيى بن زكريا ، وانك روح القدس وعرفه أن الصلاة أربع ركعات : ركعتان قبل طلوع الشمس وركعتان قبل غروبها ، وان الأذان فى كل صلاة أن يقول المؤذن : الله أكبر ثلاث مرات ، وأشهد أن لا اله الا الله مرتين ، وأشهد أن آدم رسول الله ، وأشهد أن نوحاً رسول الله ، وأشهد أن ابراهيم رسول الله ، وأشهد أن موسى رسول الله ، وأشهد أن عيسى رسول الله ، وأشهد أن محمد رسول الله ، وأشهد أن أحمد بن محمد بن الحنفية رسول الله (المقريزى · اتعاظ الحنفا ، ص ١٥٣) القلقشندى · ماثر الأناقة فى معالم الخلافة ، جـ ١ ، ص ٢٥٤ ــ ٢٥٥) توفيق الطويل · قصة الاضطهاد الدينى فى المسيحية والاسلام ، ص ١٥٣) ، أما عن القراءة فى الصلاة : الحمد لله بكلمته وتعالى باسمه ، المنجد لاوليائه ، قل ان الاهلة مواقيت للناس ظاهرها ليعلموا عدد السنين والحساب والشهور والأيام وباطنها لاوليائى الذين عرفوا عبادى وسيلتى فاتقونى يا أولى الالباب وانا الذى لا أسأل عما افعل وانا العليم الحكيم ·· ومن شرائعه صيام يومين فى السنة هما : المهرجان والنوروز وان النبيذ حلال والخمر حرام · ولا يؤكل ما له ناب ولا مخلب ، ولا يشرب النبيذ ، وان القبلة الى بيت المقدس والحج اليه وان الجمعة يوم الاثنين لا يعمل فيه شغل · (المقريزى : اتعاظ الحنفا ، ص ١٥٤) · لما تمكنت منزلة حمدان بين اتباعه بدأ يستنزف أموالهم وممتلكاتهم ففرض عليهم فى البداية ضريبة الفطرة (ابن ايبك ، كنز الدرر ، جـ ٦ ، ص ٤٨) وهى على كل رأس من الرجال والنساء والصبيان فى حين يذكر بندلى جوزى : تاريخ الحركات الفكرية ، جـ ١ ، ص ١٣٤) انها درهم واحد يؤدى على الجميع بدون استثناء) ثم فرض ضريبة الهجرة (وهى خاصة بتأسيس دار الهجرة مركزهم : Olleary op. cit., p. 43. ويذكر (بندلى جوزى ، جـ ١ ، ص ١٢٤ :) أنها كانت دينارا واحدا · واخيرا فرض ضريبة تسمى البلغة

وهى سبعة دنانير (ابن أيبك ، ص ٤٨) ومن يدفع هذه الضريبة الأخيرة يقدم له طعام على (قد البندقة) وزعم انه طعام أهل الجنة وزعم أنه ينفذ الى الداعى منها مائة بلغة .

ويطالبه الامام بسبع مائة دينار لكل واحدة منها سبعة دنانير (ابن أيبك : كنز الدرر ، جـ ٦ ، ص ٤٩) فلما توطأ له الامر فرض عليهم اخماس جميع ما يملكون وما يتكسبون مستندا الى الآية الكريمة « واعلموا أن ما غنمتم من شيء فان لله خمسة » فسارعوا الى تلبية ذلك حتى أن المرأة كانت تخرج خمس ما تغزله والرجل خمس ما يكسبه (ابن أيبك ، ص ٤٩) وفى النهاية طلب منهم أن يضعوا كل ما يملكون فى مكان واحد (سماه بندلى جوزى ، جـ ١ ، ص ١٢٥ صندوق الأخوية) وان يتساوى الجميع فيما يملكون مستندا الى قول الله تعالى « واذكروا نعمة الله عليكم اذ كنتم أعداء فألف بين قلوبكم فأصبحتم بنعمته اخوانا (ابن أيبك ، ص ٤٩ ، (O'Leary : p. 44.

(١٤٨) حسن ابراهيم ، طه شرف : المعز لدين الله ، ص ٩٨ ــ ٩٩ .

(١٤٩) حسن ابراهيم ، طه شرف : المعز لدين الله ، ص ٩٩.

(١٥٠) B. Lewis : The Origins Of Islamism, ... p. 81.

(١٥١) بندلى جوزى : تاريخ الحركات الفكرية فى الاسلام ، جـ ١ ص ١٥٥ ــ ١٥٦ .

(١٥٢) نفس المصدر ، ص ١٥٦ .

(١٥٣) De Goeje : Mémoire, Sur les Carmathes ..., p. 182.

(١٥٤) ابن عساكر : التاريخ الكبير ، جـ ٤ ، ص ١٤٨ ــ فى حين يذكر كرد على ــ خطط الشام ، جـ ٨ ، ص ٢٣٠ ان هذا حدث سنة ٣٦٨ هـ وأن الوالى قبل وشاح كان صالح بن عمير العقيلى وكانا من قبل الحسن بن أحمد القرمطى ولكن الأرجح هو رأى ابن عساكر لأنه فى سنة ٣٦٨ هـ كان الحسن القرمطى قد توفى منذ سنتين ، سنة ٣٦٦ هـ . (ابن العماد : شذرات الذهب ، جـ ٣ ، ص ٥٥) .

(١٥٥) بيبرس الدوادارى : زبدة الفكرة ، جـ ٦ ، مخطوط ، ص ٢١٢ (١) ، النويرى : نهاية الأرب ، جـ ٢٣ ، ص ٢ ، مخطوط ، ص ٦٥ فى حين يذكر ابن الأثير : الكامل ، جـ ٧ ، ص ٤٢ أنها الف دينار ونحن نرجح الرأى الأول .

(١٥٦) De Goeje : Op. Cit., p. 182.

(١٥٧) ابن أيبك الدوادارى : كنز الدرر ، جـ ٦ ، ص ١٣٢ .

(١٥٨) المقريزى : اتعاظ الحنفا ، ص ١٨٧ .

(١٥٩) النويرى) نهاية الأرب ، جـ ٢٣ ، ق ٢ ، مخطوط ، ص ٦٥ .

(١٦٠) ابن القلانس : نيل تاريخ دمشق ، ص ٢ ٠
(١٦١) ابن أيبك : كنز الدرر ، جـ ٦ ، ص ١٦٠ ٠
(١٦٢) ابن الاثير : الكامل ، جـ ٧ ، ص ٤٣ ٠
(١٦٣) النويرى : نهاية الأرب ، جـ ٢٣ ، ق ٢ ، ص ٩٦ ٠
(١٦٤) ابن كثير : البداية والنهاية ، جـ ١١ ، ص ٢٦٩ ،، ابن شاكر : عيون التواريخ ، جـ ٩ ، ص ٣ ٠
(١٦٥) المقريزى : الخطط والاثار ، جـ ٢ ، ص ١٢٨ ٠
(١٦٦ ، ١٦٧) ابن الأثير : الكامل ، جـ ٧ ، ص ٤٣ ، كرد على : خطط الشام ، جـ ١ ، ص ٢٢٥ ٠
(١٦٨) حسن ابراهيم ، طه شرف : المعز لدين الله الفاطمى ، ص ١١٦ ـ ١١٧ ٠
(١٦٩) المقريزى : اتعاظ الحنفا ، ص ١٨٩ ٠
(١٧٠) النويرى : نهاية الأرب ، جـ ٢٣ ق ٢ ، مخطوط ، ص ٩٦ وهنا يذكر ابن ظافر : أخبار الدول المنقطعة ، ص ٤٨ (٩) ، أن جوهر كتب للمعز يستنهضه ويخبره أنه أكله القرامطة ٠
(١٧١) النويرى : نهاية الأرب ، جـ ٢٣ ، ق ٢ ، ص ٩٦ ٠
(١٧٢) نص الكتاب نقله الينا المقريزى بالتفصيل (اتعاظ الحنفا) ، ص ١٨٩ ـ ٢٠١ ، ابن أيبك بايجاز (كنز الدرر ، جـ ٦ ، ص ١٤٨ ـ ١٥٦) ٠
(١٧٣) المقريزى : اتعاظ الحنفا ، ص ١٩٥ ، ابن أيبك : ص ١٥٣ ٠
(١٧٤) نفس المصدر ، ص ١٩٧ ـ ١٩٨ ٠
(١٧٥) نفس المصدر ، ص ١٩٨ ، ابن أيبك : ص ١٥٤ ٠
(١٧٦) المقريزى : اتعاظ الحنفا ، ص ٢٠٠ ٠
(١٧٧) نفس المصدر ، ص ٢٠١ ، ابن أيبك ، ص ١٥٤ ـ ١٥٥ ٠
(١٧٨) ابن أيبك ، ص ١٥٦ . ابن ظافر : أخبار الدول المنقطعة ، ص ٤٨ (ب) ، ابن كثير : البداية والنهاية ، جـ ١١ ، ص ٢٧٦ ٠
(١٧٩) النويرى : نهاية الأرب ، جـ ٢٣ ق ٢ ، مخطوط ، ص ٩٨ ٠
(١٨٠) ابن كثير : البداية والنهاية ، جـ ١١ ، ص ٢٧٦ ٠
(١٨١) نفس المصدر والصفحة ، ابن خلدون : تاريخه ، جـ ٤ ، ص ٥٠ ٠

(١٨٢) ابن الأثير : الكامل ، جـ ٧ ، ص ٦٣ ، ابن شاكر : عيون التواريخ ، جـ ٩ ، ص ١١٠ .

(١٨٣) ابن القلانس : ذيل تاريخ دمشق ، ص ١٥ .

(١٨٤) نفس المصدر والصفحة ، المقريزى ، اتعاظ الحنفا ، ص ٢٣٨ .

(١٨٥) النويرى : نهاية الأرب ، جـ ٢٣ ق ٢ ، ص ٩٩ ، المقريزى · اتعاظ الحنفا ، ص ٢٣٩ .

(١٨٦) المقريزى : اتعاظ الحنفا ، ص ٢٤٠ .

(١٨٧) ابن شاكر : عيون التواريخ ، جـ ٩ ، ص ١١١ .

(١٨٨) المقريزى : اتعاظ الحنفا ، ص ٢٤٠ .

(١٨٩) ابن شاكر : عيون التواريخ ، جـ ٩ ، ص ١١١ .

(١٩٠) ابن القلانس : ذيل تاريخ دمشق ، ص ١٦ ـ ١٧ .

(١٩١) المقريزى : اتعاظ الحنفا ، ص ٢٤١ ، النويرى : نهاية الأرب ، جـ ٢٣ ق ٢ ، ص ٩٩ .

(١٩٢) المقريزى : اتعاظ الحنفا ، ص ٢٤١ .

(١٩٣) ابن القلانس : ذيل تاريخ دمشق ، ص ١٧ ، ابن الأثير : جـ ٧ ، ص ٦٤ .

(١٩٤) ابن القلانس : ذيل تاريخ دمشق ، ص ١٨ .

(١٩٥) ابن الأثير : الكامل ، جـ ٧ ، ص ٦٤ .

(١٩٦) المقريزى : اتعاظ الحنفا ، ص ٢٤٣ ـ ٢٤٤ .

(١٩٧) يذكر دى جويه : De Qoeje : Op. Cit., p. 182. أنها كانت ٧٠٠٠٠ر٧٠ دينار سنويا .

(١٩٨) أوال جزيرة يحيط بها البحر بناحية البحرين (ياقوت الحموى : معجم البلدان ، جـ ٣ ، ص ٢٧٤) .

(١٩٩) على حسنى الخربوطلى : العزيز بالله ، ص ١٣٠ ـ ١٣١ .

(٢٠٠) المقريزى : اتعاظ الحنفا ، ص ١٧٤ .

(٢٠١) كرد على : خطط الشـام ، جـ ١ ، ص ٢٢٥ ـ ٢٢٦ .

(٢٠٢) النويرى . نهاية الأرب ، جـ ٢٣ ، ق ٢ ، ص ٩٨ .

(٢٠٣) ابن كثير : البداية والنهاية ، جـ ١١ ، ص ٢٧٦ وهنا يذكر النويرى : نهاية الأرب ، جـ ٢٣ ق ٢ ، ص ٩٨ ، ابن شاكر : عيون التواريخ ، ٩

ص ٨٩ ان المعز استكثر المال فعملوا دنانير من النحاس وطلوها بالذهب وجعلوها في اكياس وجعلوا على راس كل كيس منها دنانير يسيرة من الذهب .

(٢٠٤) المقريزى : اتعاظ الحنفا ، ص ٢٤٦ .

(٢٠٥) البرغوثى وطوطح : تاريخ فلسطين ، ص ١٦٣ ـ ١٦٤ .

(٢٠٦) ابن أيبك : كنز الدرر ، جـ ٦ ، ص ١٩٢ ـ ١٩٣ .

(٢٠٧) نفس المصدر ، ص ١٩٨ ـ ١٩٩ .

(٢٠٨) يذكر ابن أيبك ، ص ١٩٩ (أن الانسان كان يدخل الرملة يطلب شيئا ياكله فلا يجده وكان الفلاحون والمزارعون فى الأسواق يسألون الناس .

(٢٠٩) كرد على : خطط الشام ، جـ ١ ، ص ٢٣٠ ـ ٢٣١ .

(٢١٠) ابن أيبك : كنز الدرر ، جـ ٦ ، ص ٢٠٥ .

(٢١١) ابو شجاع : ذيل تجارب الأمم ، ص ٢٣٣ .

(٢١٢) نفس المصدر : ص ٢٣٤ ـ ٢٣٥ .

(٢١٣) جمال سرور : النفوذ الفاطمى فى بلاد الشام والعراق فى القرنين الرابع والخامس الهجرى ، ص ٤٤ .

(٢١٤) عبد الله عنان : الحاكم بامر الله ، ص ٩٨ ، كرد على ، خطط الشام ، جـ ١ ، ص ٢٤١ .

الباب الأول

الحياة السياسية فى بلاد الشـام

فى النصف الأول من القرن الخامس الهجرى

(زمن الفاطميين)

١ ـ موقف أهالى الشام من الخلافتين : العباسية والفاطمية

فى سنة ١٣٢ هـ سقطت الخلافة الأموية العربيــة التى كان مقرها دمشق ، وقامت الخلافة العباسية بالعراق ودخلت الجيوش العباسية مدينة دمشق فى رمضان من هذه السنة ، وقتل مروان ابن محمد آخر الخلفاء الامويين فى مصر،وحمل رأسه الى أبى العباس فسجد لله شكرا (١) ونبش العباسيون قبور بنى أمية وسيطرت على العباسيين روح انتقامية واضحة (٣) .

سخط عرب الشام على سيطرة الخراسانيين على الدولــة العباسية ، وامتنع بعضهم عن البيعة لأبى العباس . وحينما دخل الجيش العباسى بلاد الشام سنة ١٣٢ هـ أظهر حبيب بن مرة المرى اللون الأبيض فى اقليمى حوران والبثنية ، وهو شعار الأمويين ، فلما بلغ عبد الله بن على عصيان أهل قنسرين فى شمال الشام ، صالح حبيب بن مرة وامنه هو وانصاره (٤) .

لم يقبل أهالى الشام الحكم العباسى نتيجة ولائهم القديم لبنى أمية ، ولذلك تكررت ثوراتهم . فظهرت فى العصر العباسى الأول عدة حركات اختلفت فى دوافعها ومظاهرها ، فاصطبغت بصبغات مختلفة ولكنها اشتركت كلها فى الخروج على طاعة العباسيين ، ومن هذه الثورات حركة الراوندية سنة ١٤١ هـ التى نادت بآراء زندقة (٥) وفى سنة ١٨٠ هـ تفاقمت الفتن بالشام فولى الرشيد جعفر البرمكى حكمها فنجح فى القضاء عليها (٦) .

ثم ظهرت حركة السفيانى الذى عمل على احياء الدولة الأموية من جديد فى سنة ١٩٥ هـ فى عهد الخليفة الأمين وهو على بن عبد الله بن خالد بن يزيد بن معاوية الملقب بالعميطر ، وهو ممن نجوا من بنى أمية بعد التنكيل بهم عند قيام الدولة العباسية ، ودعا السفيانى لنفسه بالخلافة ، وطرد والى الخليفة الأمين على دمشق (٧) . ولم تكد تستقر الأحوال الداخلية فى الشام بعد القضاء على فتنة السفيانى حتى ظهر فى دمشق فى أول عهد المأمون رجل من بنى أمية هو سعيد بن خالد الأموى أخذ البيعة لنفسه بالخلافة فبعث الخليفة بجيش بقيادة صالح بن بيهس فقضى على الثورة (٨) .

وكان لتسلط الأتراك على الحكم فى أواخر العصر العباسى الأول وسوء معاملتهم للعناصر العربية ، أثره فى قيام ثورات عربية (٩) من ذلك حركة تيم اللخمى المعروف بأبى حرب والملقب بالمبرقع اليمانى فى فلسطين سنة ٢٢٧ هـ فاعتقد الناس انه السفيانى فالتفوا حوله ، فأرسل المعتصم رجاء الأنصارى لقتاله فقبض عليه وأرسله للخليفة (١٠) .

وفى بداية العصر العباسى الثانى ثارت الفتن فى بلاد الشام من جديد ضد العباسيين فأرسل المتوكل احد قواده فأخمدها(١١) ، وانتهز المتوكل فرصة مشورة احد اطبائه بالذهاب لدمشق لطيب هوائها ، ففكر جديا فى نقل دواوين الحكم اليها سنة ٢٤٣ هـ ،

ولكن جدت بعض الظروف جعلته يسارع الى العودة الى عاصمته سامراء ، فكان مقامه بدمشق شهرين وأياما (١٢) وربما تبدل تاريخ الشام لو أن المتوكل ظل مقيما بدمشق العاصمة السابقة للأمويين .

وفى النصف الثانى من المائة الثالثة للهجرة ، أصاب الضعف والانحلال الخلافة العباسية مما شجع ولاة الأطراف على الاستقلال ومنهم أحمد بن طولون الذى استقل بمصر والشام فحكمهما هو وأبناؤه من بعده . وعبثا حاولت الخلافة العباسية استعادة نفوذها لكن بدون جدوى . ولذا ظلت مصر والشام تابعة للطولونيين فعلا ، وللخلافة العباسية اسما حتى سنة ٢٩٢ هـ (١٣) .

وفى سنة ٣١٨ هـ تولى الاخشيد حكم دمشق بتفويض من الخليفة الراضى ، ثم عزل الخليفة ابن كيغلغ عن حكم مصر فصارت مصر والشام للاخشيد (١٤) . وفى سنة ٣٣٣ هـ دخل سيف الدولة حلب ، واقام الدعوة فيها للمستكفى ، بينما أقام الاخشيد الخطبة للخليفة بمصر والبلاد التى يحكمها ، فخلع الخليفة عليهما . واستمر ولاء الاخشيد وسيف الدولة للمطيع أيضا بعد مبايعته بالخلافة (١٥) . وهكذا كان ولاة الشام المستقلون يعلنون الولاء الاسمى حتى ذلك الحين للعباسيين .

ولما مات الاخشيد وخلفه ابنه أونوجور وسار كافور بجند مولاه من الشام الى مصر خلت دمشق من حامية قوية ترد عنها خطر الحمدانيين ، وطمع فيها سيف الدولة فاتجه اليها واستولى عليها ، فكاتب الدمشقيون كافورا يستنجدون به فقدم الى دمشق ، وظلت الخلافات بين الفريقين حتى تم عقد الصلح بينهما سنة ٣٣٦ هـ (١٦) .

وهكذا يتضح لنا أن بلاد الشام كانت تقف موقفا عدائيا مستمرا من العباسيين وسارع أهلها بالانضمام الى كل خارج على

الدولة العباسية وأيدوا الحركات الانفصالية . فاذا كان هذا هو موقف أهالى الشام من العباسيين فهل سيرحبون بالحكم الفاطمى الشيعى ؟

كما نتساءل : ما هو موقف الخلافة العباسية من أهالى الشام عند امتداد النفوذ الفاطمى الى بلادهم ؟

واذا كان النفوذ العباسي قد انحسر عن الشام واقتصر على سلطة اسمية في العصر العباسى الثانى ، فقد أدى نجاح الخلافة الفاطمية فى المغرب ومصر وامتداد نفوذها الى الشام ، الى القضاء على البقية الباقية من النفوذ العباسى ، وتم ذلك بعد فتح جوهر الصقلى مصر فى شعبان سنة ٣٥٨ هـ (١٧) فقد بدأ الفاطميون يفكرون جديا فى الاستيلاء على الشام رغم أن ذلك يؤدى الى الصدام بالخلافة العباسية .

فما هى العوامل التى دفعت الفاطميين الى فتح الشام ؟ والى أى مدى نجحوا فى تحقيقها ؟ وماذا يكون موقف أهالى الشام وموقف الخلافة العباسية ؟

كان فتح الفاطميين لبلاد الشام خطوة طبيعية تتلو فتحهم لمصر ، كمايؤدى فتح الشام الى حماية الحدود الشمالية الشرقية لمصر من اى خطر خارجي . وهى السياسة التى جرى عليها حكام مصر منذ العصر الفرعونى ، وفى عصر الطولونيين والاخشيديين .

وهذا الرأي يخالف راى المؤرخ او ليرى فى كتابه « الخلافة الفاطمية » فهو يقول : « جعل الفتح الفاطمى مصر على اتصال بعالم متسع مما دفعهم ، بدون تعقل الى المخاطرة بفتح

الشام » (١٩) اذ لم يكن تفكير الفاطميين فى فتح الشـــام شيئا مستحدثا بالنسبة لتاريخ مصر ، فانه لا يمكن أن يوصف بالمخاطرة غير مأمونة العواقب • كما تخالف رأى (أولبرى) أيضا حينما يقول « كانت سوريا دائما المقبرة التى دفنت فيها آمال وأمانى المصريين » (٢٠) •

ولو كان رأى أوليرى صائبا لما استقر الحكم المصرى لبلاد الشام عبر العصور التاريخية بينما تؤكد المصادر التاريخية المختلفة حقيقة استقرار الحكم المصرى فى الشام فترات متصلة ، ولم تكن فترات انحسار الحكم المصرى عن بلاد الشام الا فترات تصـــور وضعف السلطات الحاكمة فى مصر ، فأدى ضعف الحكم المركزى فى مصر الى ضعف نفوذه فى الشام وسائر الأقاليم .

أدى فتح الفاطميين لبلاد الشام الى السيطرة على دمشق ، فاصبحوا بذلك على مقربة من مقر الخلافة العباسيـــة عـــدوتهم اللدود واصبح الصدام بينهما حتميا نتيجة الخـــلاف فى المذهـــب الدينى .

كما كان فتح الفاطميين لبلاد الشام لونا من الوان التحدى للقرامطة ، المناوئين لهم ، فقد ازداد نفوذ أبناء أبى سعيد الجنابى، وحز فى نفس الفاطميين احتلال القرامطة لدمشق سنة ٣٥٧ هـ بعد أن كان القرامطة لا يحاربون الا بوحى من الفاطميين (٢١) حتى أن القرامطة غلبوا فى سنة ٣٥٨ هـ على الشام وولوا عليهـــا واليا من قبلهم (٢٢) واجبروا ابن طغج الاخشيد على دفع ضريبة لهم قدرها ثلاثمائة الف دينار سنويا (٢٣) .

ومن عوامل فتح الفاطميين لبلاد الشام ، مواجهـــة العـــدو البيزنطى الجاثم فى منطقة العواصم والثغور والذى طالما اتـــلق

أمن أهالى شمال الشام والحكومات المحلية بها ، ورأى الفاطميون أن تكون بلاد الشام هى خط الدفاع عن مصر ، وابعاد الخطر البيزنطى الذى قد يهدد الدولة الفاطمية .

وباستعراض تاريخ العلاقات البيزنطية الشامية فى الفترة السابقة لفتح الفاطميين لمصر والشام نلاحظ أن الحرب كانت سجالا بين الجانبين (٢٤) .

وقد مر بنا أن البيزنطيين قبيل الفتح الفاطمى للشام كانوا قد عقدوا معاهدة مع حكام حلب وانطاكية فأصبح شمال بلاد الشام مواليا لهم ، مما يوضح الخطر البيزنطى الداهم الذى يهدد الخلافة الفاطمية الناشئة وممتلكاتها .

بعد استيلاء الفاطميين على مصر كان لا بد من القضاء على بقايا الاخشيديين الذين فروا الى الشام وعلى رأسهم الحسن بن عبيد الله بن طغج والى دمشق حتى لا يقوم بينهم اتحاد قد يهدد الفاطميين (٢٥) .

وفى ذى الحجة سنة ٣٥٨ هـ اشتبك الحسن بن عبيد الله ابن طغج مع القرامطة في الرملة ولحقت الهزيمة بالحسن ، ثم عقد الصلح بينهم ، ورحل القرامطة عن الرملة بعد ثلاثين يوما . وشجعت هذه الهزيمة الفاطميين على منابذة الحسن ، وحرضوا ولاته على عصيانه ، وقدم جيش فاطمى الى مصر بقيادة جعفر ابن فلاح (٢٦) .

ومن عوامل فتح الفاطميين لبلاد الشام رغبتهم فى السيطرة على سواحل البحر المتوسط الشرقية والجنوبية ، ليكونوا قوة

بحرية وبرية تواجه القوتين المعاديتين لهما ، وهما الخلافة العباسية فى الشرق والامبراطورية البيزنطية فى الشمال .

لقى الفاطميون عناء كبيرا فى فتح بلاد الشام ، بينما كان فتح مصر أكثر يسرا وسهولة (٢٧) ويمكن أن نرجع هذه المقاومة التى لقيها الفاطميون فى الشام الى عاملين ، أولهما : الخلاف المذهبى بين أهل السنة والشيعة وتعصب اهالى الشام للمذهب السنى . وثانيهما : طبيعة بلاد الشام الجبلية التى جعلت الأهالى شديدى المراس . واذا كانت الخلافة الفاطمية قد بسطت نفوذها على مصر والشام التابعتين اسميا للعباسيين ، فان الخلافة العباسية لم تحرك ساكنا للدفاع عن تلك الاقاليم التابعة لها رغم خطر الزحف الشيعى واقترابه منها ، فقد كانت الدولة العباسية قد بدأت فى التدهور نتيجة سيطرة السلاطين البويهيين ، وبذلك كانت الظروف متاحة للفاطميين لتحقيق أطماعهم التوسعية فى حين حاول الأهالى جاهدين الوقوف ضد الفاطميين الشيعة ولكن بدون جدوى . ويذكر (لامانس) « انه بعد فقدان الأهالى القيم والاخلاق لمدة قرنين (من منتصف القرن الثانى الى منتصف القرن الرابع) وبوجود الانشقاقات المدنية والضغط العباسى . لم يكن لدى السوريين القوة ليقوموا ويدافعوا عن مبادئهم القديمة ولكنهم كانوا مجهدين من معاناتهم الطويلة من التعسف ، ولذا كانوا على استعداد لتلبية نداء أول قائد يضمن لهم الاستقرار ويشيع النظام فى البلد » (٢٨) .

وبعد امتداد النفوذ الفاطمى الى بلاد الشام بدأ الأهالى سلسلة جديدة من الصراع ضد الولاة الفاطميين الذين اساءوا فى الغالب استخدام سلطاتهم ، فكانت الخلافة « الفاطمية » تسارع بعزلهم . وحين كان بعض هؤلاء الولاة يغضبون الخلفاء الفاطميين كان ينضم اليهم بعض الأهالى ، ولتدعيم حركاتهم كان هؤلاء الولاة

يعلنون ولاءهم للعباسيين ، ولكن كان النصر دائما للخلافة الفاطمية القوية سواء على الأهالى المتمردين أو على الولاة الفاطميين الخارجين على الطاعة المحتمين بالخلافة العباسية الضعيفة .

وببداية القرن الخامس الهجرى كانت أحوال دمشق على ما كانت عليه فى القرن الرابع ، فاستمر النفوذ الفاطمى يقوى احيانا ، وينكمش أحيانا أخرى ، نتيجة المعارضة الشديدة التى ابداها الأهالى . أما مدينة حلب ، فكان لها وضعها الخاص ، فقد بدأ النفوذ الفاطمى يمتد اليها منذ بداية القرن الخامس فماذا كان موقف أهالى حلب ؟ سيطر بنو الجراح على الاقليم الجنوبى وعارضوا النفوذ الفاطمى ، حتى أنهم طلبوا من أمير مكة القدوم اليهم وبايعوه بالخلافة كما سنرى بعد ذلك — وأدي اختلاف موقف الأهالى من الفاطميين فى اقاليم الشام المختلفة ، الى ضرورة تناولنا كل اقليم على حدة للتعرف على موقف الأهالى فيه من كل من الخلافتين : العباسية والفاطمية ، وكذلك موقفهم من النفوذ البيزنطى الجاثم فى الشمال والذى كان يهدد حلب بصفة خاصة .

أولا : موقف دمشق من النفوذ الفاطمى :

نبدا دراستنا بمدينة دمشق باعتبارها مدينة الشام الأولى من ناحية ولأن موقف اهلها لم يتغير كثيرا عما كان عليه فى أواخر القرن الرابع الهجرى . فهى أول منطقة استقر فيها النفوذ الفاطمى ، كما أنها أيضا أكثر منطقة تقاوم فيها الأهالى هذا النفوذ فقد بدأ القرن الخامس بسلسلة من الاضطرابات تتضح فى تعدد الولاة الذين قدموا من مصر ، فقد تولى خمسة ولاة خلال سنتين (٢٩) . مما جعل الأهالى يسخطون على هذا الاسراف فى تبديل الولاة وهم فى كل مرة يدعون الله أن يوفقهم الى وال صالح يعيد الى بلدتهم السكينة والأمن .

ثم هدأت ثائرة الأهالى بعض الشيء بولاية محمد بن نزال التى استمرت الى ذى الحجة سنة ٤٠٦ هـ ، اذ أصلح أحوالهم وطيب خواطرهم فهدأت معارضتهم بعض الشيء لمدة أربع سنوات تقريبا (٣٠) . ولكن سرعان ما ساءت أحوالهم مرة أخرى فبدأوا يستنكرون مظالم الوالى الجديد التركي الجنس ، ولكن يبدو أنهم كانوا قد بدأوا يعتادون سياسة تبديل الولاة الفاطميين حتى انهم كتبوا الى الخليفة الحاكم يشكون ظلم الوالى ساتكين (٣١) الذى استمر فى ولاية دمشق مدة سنتين (٣٢) . فعزله الخليفة .

وفى سنة ٤٠٠ هـ اختار الخليفة الحاكم بأمر الله لولاية عهده ابن عمه أبا القاسم عبد الرحيم بن الياس بن المهدى (٣٣) . ويذكر المقريزى أن الحاكم ولى عبد الرحيم هذا دمشق فى جمادى الثانية سنة ٤٠٩ هـ فأقام فيها شهرين ثم هجم عليه قوم وحملوه الى مصر ثم أعيد ثانية الى دمشق (٣٤) .

والمتفق عليه أن ولى العهد هذا كان يتولى أمور دمشق عند وفاة الحاكم بأمر الله سنة ٤١١ هـ ، فظل فى الولاية ولكن ست الملك أخت الحاكم كتبت اليه تستدعيه الى مصر : « فبدلا من أن يعلن طاعته للأوامر ، أعلن نفسه حاكما مستقلا لدمشق وأصبح له شعبية بين أهلها عن طريق اباحة كل ما منعه الحاكم بأمر الله . الا أن شعبيته لم تستمر طويلا فقد جلب لنفسه كراهية الناس بسبب بخله واغتصابه للأموال ، الى جانب غضب الجند الذين لم يأخذوا عطاءاتهم (٣٥) . وحينئذ أرسلت ست الملك من قبض عليه بمساعدة الأهالى وكان ذلك فى ربيع الأول سنة ٤١١ هـ (٣٦) . ثم عاد بعد ذلك الى دمشق فى رجب سنة ٤١٢ هـ .

وأجاد ابن القلانسى تصوير تلك الفترة الحافلة بالاضطراب ، التى كان يحياها أهالى دمشق فقال : « أكثر الناس فى التعجب

من اختلاف الآراء فى تدبير هذه الولايات وتنقل الأغراض والأهواء فيها ، ولم يشعروا وهم يتعجبون من هذه الأحــوال واستمرار الاختلال الا وقد وصل من مصر المعروف بابن داود المغربى ومعه جماعة من الخدم فى يوم عرفه بسجل الى ولى عهــد المسلمــين ودخلوا عليه القصر وجرى بينه وبينهم كلام طويل الا أنهم أخرجوه من القصر وضرب وجهه وأصبح الناس فى يوم العيد ولم يصلوا صلاة العيد ولا خطب خطيب ، وساروا بولى العهد فى اليوم المذكور الى مصر فزاد عجب الناس وحاروا فيما هم فيه وتشاكوا ما ينزل بهم من الاحوال المضطربة والأعمال المختلفة » (٣٧) .

ظل الاهالى يعانون من تلك السياسة المضطربة مدة ثلاث سنوات تقريبا ، ثم نعموا بفترة هدوء نسبى أعقبتها فترة هدوء طويلة واصلاحات شاملة . وكانت الفترة الأولى هى فترة حكم وجيه الدولة أبى المطاع ، وهى الولاية الثالثة له على دمشق ، وذلك فى ربيع الأول سنة ٤١٥ هـ ، فاستقر بها وأصلح أحوالها الى أن قدمها أمير الجيوش الدزيرى فى سنة ٤١٩ هـ .

نعم الأهالى منذ ذلك الوقت بمرحلة أكثر هدوءا بالنسبة للفترة السابقة ، اذ استقر الوالى الجديد فى الولاية حوالى أربعة عشر عاما (٤١٩ هـ الى ٤٣٣ هـ) وهو ما لم نلحظه منذ الفتح الفاطمى للشام ، حتى الآن ، فلنا أن نتساءل عن الأسباب الحقيقية لهــذا الاستقرار ؟ هل ضاق الأهالى بحياة التمرد ؟ أو هل أرضــت سياسة الوالى الجديد الأهالى ؟ أو أن بقاء الوالى فى الحكم فترة طويلة كان نتيجة سياسة مرسومة خطتها الدولة الفاطمية ؟

ربما يكون فى دراستنا لتاريخ الدزيرى قبل توليه السلطة بدمشق ، ما يفسر الموقف ويوضحه ، والدزيرى هذا هو (الأمير المظفر أمير الجيوش عدة الامــام شرف المعــالى أبو منصــور

انوشتكين) (٣٩) . ويسمى أيضا التركى (٤٠) حمل الى بغداد ثم الى دمشق سنة ٤٠٠ هـ فاشتـــراه القـــائد تزيرى أو ينم الديلمى (٤١) وندبه هذا القائد لحماية أملاكه ، فقام بمهمته خير قيام بسبب شهامته وصرامته ، فاشتهر أمره وشاع ذكره ، وسأل مولاه ان يهديه للخليفة الحاكم بأمر الله ، وقيل بل جاءه الأمر بطلبه فحمل اليه مع جملة غلمان (٤٢) سنة ٤٠٣ هـ فبرز عـــلى بقيـــة الغلمان ، واشتهر بالمقدرة والذكاء ، وخرج الى الشام مع واليها سنة ٤٠٦ هـ فتودد الى عامة الناس ثم عاد بعد فترة الى مصر .

ثم تولى حكم بعلبك فأحسن السيرة بين أهلها . ثم دعى الى مصر وعهد اليه بولاية قيسارية فكان من حسن سياسته فيهـــا وجميل عشرته لأهليها وحمايته لها مـــاذاع به ذكـــره وبعـــد صيته (٤٣) .

اصبح أمير الجيوش الدزيرى والياً على دمشق فى عهـــد الخليفة الفاطمى الظاهر فى سنة ٤١٩ هـ (٤٤) . وكانت سلطات الفاطميين فى سوريا عندما تولى الخليفة الظاهر غير مستقـــرة أو ثابتة ، ولكن سرعان ما تغيرت الأحوال بفضل جهود أنوشتكين الدزيرى .(٤٥) . بدا أنوشتكين توطيد الحكم الفاطمى بالشـــام باخضاع صالح بن مرداس الزعيم العربى الذى انتزع حلب من مرتضى الدولة وأعلن نفسه أميرا مستقلا ، فهزمه أنوشتكين وقتله سنة ٤٢٠ هـ (٤٦) ثم قضى أنوشتكين على حركة حسن بن مفرج ابن الجراح واضطره الى الفرار الى بلاد الروم (٤٧) ، ثم فتح حلب واحسن الى أهلها ، ورد المظالم وعدل (٤٨) واستطـــاع أنوشتكين بشجاعته وعظيم وحسن سياسته القضاء على المفسدين وتوطيد الامن فى الشام (٤٩) وطالت مدة حكمه حيث اقامها عـــلى اسس سليمة من الود والاخاء مع الأهالى ، وبعد أن تخلص من

كل العناصر المناوئة نعم الناس فى عهده بفترة من الهدوء طالما كانوا يحلمون بها .

كان الوزير الجرجراى يحسد أنوشتكين فبدأ يؤلب الجند وأهالى دمشق عليه حتى خرج منها الى بعلبك سنة ٤٣٣ هـ (٥٠) ثم سار الدزيرى الى حلب فمرض بالحمى ومات فى جمادى الأولى سنة ٤٣٣ هـ (٥١) وخير دليل على تمتع الدزيرى بشعبية كبيرة بين الأهالى أنه فى سنة ٤٤٨ هـ قام أمير الجيوش (بدر الجمالى) بنقل جثمانه من حلب الى بيت المقدس ، واستقبل أهالى المدن مرور الجثمان بهم باحترام وتقدير (٥٢) .

وكان لنجاح سياسة الدزيرى نحو الأهالى أثرها فى استقرار أحوال البلاد وامتناع الأهالى عن الخروج على الحكم الفاطمى ، وخاصة بعد ان ولت مصر عليهم والياً مصلحا آخر أحسن السيرة فيهم ، وهو ناصر الدولة الحسن بن الحسين بن حمدان ، ولذا استمرت الأحوال هادئة حتى نهاية حكم هذا الوالى فى رجب سنة ٤٤٠ هـ (٥٣) ثم بدأت فترة انتقال شهدت عدة ولاة اتراك واستمرت سنتين (٥٤) وأخيرا هدأت أحوال الأهالى وقلت معارضتهم بتولى الأمير حيدرة بن مفلح فى رجب سنة ٤٤١ هـ ويعرف بأبى الكرم اطويد (٥٥) .

أحسن هذا الوالى السيرة فى الأهالى والجند فاستقامت أمور الولاية على يديه واستمرت ولايته حتى سنة ٤٤٨ هـ فى رأى ابن القلانسى (٥٦) أو سنة ٤٥٠ هـ كما يذكر كل من ابن عساكر وأبى المحاسن (٥٧) وقد كان من الولاة الصالحين القادرين الذين تولوا دمشق فانتشلوها فترة من الزمن من الفوضى التى كانت سمة للحياة فى تلك البلاد طوال الحكم الفاطمى .

بدأت بلاد الشام مرحلة جديدة من الاضطرابات حتى أنــه خلال خمس سنوات تولى أمر دمشق خمسة من الولاة (٥٨) ويبدو أن الأهالى قد ضاقوا بالخلافة الفاطمية وبولاتها الضعفاء . حتى انه عندما تولى بدر الجمالى فى سنة ٤٥٥ هـ ، وهــو من الولاة البارزين فى الادارة سواء فى الشام أو فى مصر ، وجد أهلها فى أسوأ حال (٥٩) وحدثت بينه وبين الأهالى خلافات امتد أثرها الى الجند فثاروا عليه (٦٠) فاضطر للهرب من هذا الجو المضطرب فى رجب سنة ٤٥٦ هـ (٦١) ولكن الاضطرابات تفاقمت فى دمشق مما أدى الى اعادته الى حكمها مرة أخرى فى شعبان سنة ٤٥٨ هـ بل انه تولى حكم بلاد الشام كلها (٦٢) ولكن الخلافات دبت من جديد بين أهالى دمشق من جهة وبين بدر وجنده من جهة أخرى فاضطر بدر الى أن يغادر دمشق فى رمضان سنة ٤٦٠ هـ (٦٣) .

ويبدو أن الأحوال زادت سوءا فى دمشق حتى أن الأمير حصن الدولة معلى بن حيدرة الكتامى ، تغلب على دمشق بدون تقليد فى شوال سنة ٤٦١ هـ ثم وافاه التقليد فبالغ فى المصادرات والظلم واستمرت الأحوال تنتقل من سيء الى أسوأ حتى أن أهل دمشق لم يلقوا من الظلم والعسف منذ ولاية جيش بن الصمصامة ما لا قوة فى ولاية معلى بن حيدرة (٦٤) .

ولم تتحسن أحوال الأهالى ولكنهم لم يقوموا بأية معارضة للنفوذ الفاطمى لأن استمرار الانشقاقات والاضطرابات أضعفت فيهم بمرور الزمن روح المعارضة ، كما أن الخلافة العباسية لم تحرك ساكنا للوقوف بجانب الأهالى منتهزة فرصة تذمرهم المستمر، فقد كان « بنوبويه » قد سيطروا على الخلافة العباسية واخذوا العالم الاسلامى من غير أن يحفلــوا بمــن يدعــى انــه أمــير المؤمنين » (٦٥) . مما أدى الى حرج موقف أهالى دمشق وجعلهم

يخضعون لهذا الضغط الشيعى فى النهايـــة الى ان اجتاح البلاد الزحف السلجوقى التركى فبدأت حلقة جديدة من حلقات تاريخهم المشحون بالقلاقل .

ثانيا : موقف حلب من الحكم الفاطمى :

اختلفت أحوال حلب تماما عن أحوال دمشق ، فقد دخلت تحت طاعة الفاطميين منذ بداية القرن الخامس الهجرى تقريبا فى عهد مرتضى الدولة أبى نصر منصور بن لؤلؤ (٦٦) الذى يعتبر أول وال لحلب يعترف بالسيادة الفاطمية الحقيقية . وفى نفس الوقـــت اعترفت به الخلافة الفاطمية فى عهد الخليفة الحاكم بأمر الله الذى خلع عليه ولقبه (مرتضى الدولة) (٦٧) . كما نلحظ أن النفـــوذ البيزنطى ظل متغلبا فى حلب فى بعض الأحيان ، مما لا نجده فى دمشق وفى جنوب الشام ، وذلك لقرب حلب من بيزنطه . كذلك كانت معارضة أهل دمشق قد اصطبغت بالصبغة المذهبية ، حيث كانوا يميلون للمذهب السنى بينما كان الفاطميون شيعة . وهنا يذكر (ستون وبلدوين Settonand Baldwin) أنه اذا استثنينا دمشق حيث كان أهلها من غلاة السنة الذين لم يتقبلوا أبـــدا الحـــكم الفاطمى ، نجد أن اهالى البلاد المدنيين والبدو سواء الشماليون أو الجنوبيون كانوا أقرب الى الفاطميين منهم الى العباسين (٦٨) . وفى صفر سنة ٣٦٠ هـ عندما أمر القائد جعفر بن فلاح المؤذنين بدمشق أن يؤذنوا بالاذان الشيعى وهى « حى على خير العمل » خضع الناس على مضض ، ولم يجسر أحد على مخالفته . وعندما أمرهم فى جمادى الثانية أن يثنوا الأذان والتكبير فى الاقامة زاد سخط الناس (٦٩) .

أما أهل حلب فقد كانوا أكثر ميلا الى المذهب الشيعى فاتبعوا الاذان الشيعى منذ عهد سيف الدولة سنة ٣٤٧ هـ (٧٠) (أى قبل

امتداد النفوذ الفاطمى الى حلب) بل أنهم أبدوا المهم عندما طلب منهم التخلى عن المذهب الشيعى وتأييد المذهب السنى سنة ٤٦٢ هـ (٧١) .

وتميزت حلب بأن ولاتها كانوا غالبا من أهلها وأنه فى النادر ما تولى ولاة تبعثهم الخلافة الفاطمية . واختلف هؤلاء الولاة فى سياستهم واتجاهاتهم فكان بعضهم يعضد النفوذ الفاطمى ، وانحاز البعض الآخر للبيزنطيين ، بينما حاول فريق ثالث أن يكون مستقلا عن الجانبين .

ومنذ بداية القرن الخامس تولى حكم حلب مرتضى الدولة ، الذى حسن علاقاته فى أول الأمر بالخلافة الفاطمية ، ولكنه مالبث أن قلب لهاظهر المجن . ولكن توثقت العلاقات مرة أخرى عند قيام النزاع بين مرتضى الدولة والفتح غلام أبيه (٧٢) ، وأشير على الفتح بالاستنجاد بالحاكم بأمر الله (٧٣) فأنجده وساعده الأهالى على التخلص من حكم لؤلؤ الذى أساء السيرة (٧٤) ففر هاربا الى انطاكية مستجيرا بامبراطور الروم . وأعلن فتح القلعى أبو نصر ولاءه للخليفة الحاكم بأمر الله (٧٥) .

ثم عمل فتح على توطيد نفوذه فى الداخل فولى أبا المرجان المستفاد (٧٦) كمساعد له فى حكم البلد فأحسن معاملة الأهالى ، واصطلح مع صالح بن مرداس(٧٧) ثم استدعى، والى افاميه (٧٨)، أبا الحسن على بن أحمد العجمى المعروف بالضيف فأنزله المدينة فى أوائل شعبان سنة ٤٠٦ هـ وبقى فتح بالقلعة ، فأحسن الضيف السيرة فى الأهالى ثم كاتب فتح الحاكم بأمر الله يخبره بذلك فشكره الخليفة على ما فعل ولقبه مبارك الدولة وسعيدها (٧٩) كما كاتب الحاكم بأمر الله اباالحسن الضيف يحثه على معاضدة فتح ولقبه

سديد الدولة وكاتب صالح بن مرداس يامره بالاتفاق معهما ولقبه أسد الدولة . وأخيرا كاتب الخليفة الأهالى انفسهم رافعا عنهم المكوس والخراج (٨٠) .

ظل التحالف قائما بين فتح وابن الضيف فترة من الزمن . وفى تلك الفترة كانت سطوة صالح بن مرداس قد بدأت تزداد تألقا . وكان ابن الضيف قد ضم اليه بعض العساكر المغاربة وأخذ من فتح بعض المال وأنفقه فيهم ، ولم يشأ أن يتخلى عن حكومة حلب لصالح بن مرداس والعرب من بنى كلاب ، ولقى التأييد من سكان المدينة الذين كرهوا أن يحكمهم هؤلاء البدو ، وطلب ابن الضيف من الخليفة الحاكم أن يمده بالعساكر ، فجاءته الامدادات من سائر ولاة الشام وزعماء العشائر العربية (٨١) . وهنا عمل الخليفة الحاكم على تركيز السلطة فى حلب فى يد وال واحد ، فأرسل الى فتح يأمره بتسليم البلد والقلعة لابن الضيف ، وأن يتوجه هو واليا على صور وبعض المناطق الأخرى (٨٢) .

وصل الأمير عزيز الدولة أبو شجاع فاتك الى حلب فى رمضان سنة ٤٠٧ هـ ، واليا عليها من قبل الخليفة الحاكم بأمر الله (٨٣) ورغم المعاملة الحسنة التى عامله الخليفة بها فقد حدثته نفسه بالعصيان (٨٤) . ذلك أنه وطد سلطته واستفحل أمره وعظم شأنه ، وكان قد جدد تحصينات حلب وعقد معاهدة مع الروم(٨٥) فخلع طاعة الحاكم ودعا لنفسه على المنبر وضرب السكة باسمه ، وشجعته على ذلك ظروف البلاد حينئذ نتيجة انتشار المذهب الدرزى وقيام الثورات فى بلاد الشام (٨٦) وأرسل الخليفة الحاكم الجيوش الى عزيز الدولة وكان قد استنجد بامبراطور الروم ، فخرج بالفعل الى الشام ، ولكن وفاة الحاكم جعلت عزيز الدولة يرسل للامبراطور باسيل يعلمه بنقض ما بينهما من شروط (٨٧) .

وبعد وفاة الخليفة الحاكم سنة ٤١١ هـ ، قامت أخته ست الملك بالنظر فى أمور الدولة وشهد عهدها استمرار عصيان عزيز الدولة فاتبعت أولا أسلوب الملاطفة معه ولم تزل تعمل الحيلة حتى حرضت عليه غلاما له يسمى (بدر) فاقدم على قتله فى ربيع الثانى سنة ٤١٣ هـ ، فشكرته ست الملك ولقبته وفى الدولة وولتـه مكانه (٨٨) .

استمر وفى الدولة بدر يحكم حلب حوالى أربعة أشهر حتى ولى الخليفة الظاهر بعده اثنين من الولاة : فتولى حكم مدينة حلب صفى الدولة أبو عبد الله محمد بن وزير الوزراء أبى الحسن على ابن جعفر بن فلاح الكتامى وذلك فى رجب سنة ٤١٣ هـ فى حين تولى القلعة (٨٩) يمين الدولة سعادة الخادم المعروف بالقلانسى وقد تعمد الظاهر تولية وال للمدينة ، وتولية آخر للقلعة حتى لا ينفرد وال واحد بحكمهما فيتكرر ما حدث فى عهد عزيز الدولة (٩٠) .

لم تمر سوى أربعة أشهر أخرى حتى عزل صفى الدولة بن فلاح عن حلب فى منتصف المحرم سنة ٤١٤ هـ ، وولى الخليفة سند الدولة أبا محمد الحسن بن محمد بن ثعبان الكتامى الجيملى (٩١) . الا ان سند الدولة مرض فى آخر ربيع الثانى سنة ٤١٥ هـ فكتب الخليفة الظاهر بتولية أخيه سديد الملك أبى الحارث ثعبان بن محمد بن ثعبان (٩٢) وكان قبل ذلك واليا على تنيس بمصر (٩٣) ، فى حين تولى القلعة أبو الحارث موصوف الخادم الصقلبى الحاكمى (٩٤) . وظل حال حلب على هذا المنوال حتى قدمها صالح بن مرداس فدخلت حلب فى دور جديد من أدوار تاريخها .

وهكذا خضع أهالى حلب للنفوذ الفاطمى الموجه من مصر مباشرة حوالى ثمان سنوات (من ٤٠٧ هـ الى ٤١٥ هـ) وهى مرحلة الانتقال بين حكمين محليين هما حكم الحمدانيين ثم المرداسيين ، وكان الفريقان يعلنان الولاء للخلافة الفاطمية أحيانا وللبيزنطة أحيانا أخرى ، وقد يحتفظون بشخصيتهم المستقلة أحيانا ثالثة . وفى كل الظروف كان الأهالى يعانون من الاضطرابات المستمرة بسبب تطاحن القوى المختلفة للسيطرة عليهم .

كان لسوء سيرة الواليين السابقين على حلب (ابن ثعبان وموصوف) أثره الكبير فى التعجيل بتسليم حلب الى صالح بن مرداس (٩٥) فما كان من صالح الا أن عدل بين الأهالى وعاملهم معاملة حسنة (٩٦) ثم ترك صالح حلب لبعض نوابه ومضى الى بعلبك ففتحها عنوه (٩٧) وقتل جماعة من أصحاب الخليفة الظاهر ثم اجتمع هو وحسان بن جراح وسنان بن عليان على فلسطين وتحالفوا على اجتماع كلمتهم ومحاربة الخليفة الظاهر (٩٨) .

أما عن الوضع فى حلب بعد مغادرة صالح فقد اجتمع الأهالى الناقمون على الولاة الفاطميين ونقبوا قلعتها ، فوصل النقب الى بئرها وقل الماء فيها ودام الحصار حوالى سبعة أشهر . فراسل من فى القلعة نائبى ابن مرداس بحلب فى الصلح ، فلم يجيباهم ، فأظهر الأهالى الميل للبيزنطيين ، « فنصبوا الصلبان ثلاثة أيام ودعوا لملك الروم ولعنوا الظاهر ونادوا بالحرب » (٩٩) وأخيرا استطاع الأهالى أن يدخلوا القلعة من كل مكان ودخلها نائبا صالح فى أول جمادى الأولى سنة ٤١٦ هـ وقبضا على موصوف وابن ثعبان ، ثم كتبا الى صالح بذلك فقدم اليها فى أقرب وقت واستولى على القلعة فى الثالث عشر من ذى الحجة سنة ٤١٧ هـ (١٠٠) ،

قبل صالح هدية ابن ثعبان وقتل موصوف (صبراً بين يديه) ثم اتبع طريق العدل مع الأهالى فهدات البلاد (١٠١) .

وهكذا أصبحت قبضة الفاطميين فى سورية فى سنة ٤١٦ هـ ضعيفة ، اذا استثنينا دمشق التى كان عليها أبو المطاع وجيه الدولة ابن حمدان منذ ربيع الأول سنة ٤١٥ هـ ، والذى ظل بها حتى وصلها أنوشتكين الدزيرى سنة ٤١٩ هـ (١٠٢) . بينما تغلب صالح بن مرداس على حلب وتغلب حسان بن الجراح على الرملة. وربما دفع هذا الوضع أو ليرى الى القول بأنه فى « سنة ٤١٦ هـ كانت القوة الفاطمية فى سورية قد انتهت كلية » (١٠٣) .

أرسل الخليفة الفاطمى الظاهر جيشا بقيادة الدزيرى لقتال حسان وصالح ، فقتل الأخير بالأقحوانة على شاطىء نهر الأردن فى جمادى الأولى سنة ٤٢٠ هـ (١٠٤) فما كان من ولديه أبو كامل نصر الملقب بشبل الدولة (١٠٥) . ومعز الدولة أبو علوان ثمال الا أن قرا الى حلب فملكاها شركة بينهما (١٠٦) .

وفى سنة ٤٢١ هـ انفرد شبل الدولة نصر بالسلطة واستقرت له الامارة (١٠٧) وفى عهده بدأ موقف حلب يتغير تجاه بيزنطة فقاد شبل الدولة عدة حملات ناجحة ضد الروم وقام بحملة تأديبية ضد حاكم أنطاكية ، وتعددت هذه الحملات حتى أن الامبراطور البيزنطى قام بحملة ضد حلب ولكنها صدته فاضطر للعودة (١٠٨) . ظل شبل الدولة نصر بن صالح مسيطرا على حلب حتى سنة ٤٢٩ هـ ، كانت العلاقات قد ساءت بينه وبين الخليفة الفاطمى المستنصر سنة ٤٢٨ هـ فالتجأ الى ميخائيل والى انطاكية ثم بعث الى المستنصر بهدية وطلب منه حكم حمص فاجاب طلبه (١٠٩) .

كانت عادة نصر أن يحمل هداياه لصاحب أنطاكية فتأخر عن ذلك فى سنة ٤٢٨ هـ . فاستأذن الدزبرى امبراطور الروم فى قتال نصر وانتزاع حلب منه على « أن يؤدى ما عليه من الحمل المقرر » (١١٠) واتحدت بعض القبائل العربية من الطائيين والكلبيين مع الدزبرى ضد نصر بن صالح (١١١) ، فانهزم وحاول اخوه السيطرة على حلب الا أنه خاف من الدزبرى فنزل عليها ابن عمه مقلد بن كامل (١١٢) وهنا ثار الأهالى ضد الوالى الجديد فلما وصل اليهم نائب الدزبرى (١١٣) رحبوا به ثم رحبوا بالدزبرى نفسه الذى تسلمها آخر رمضان سنة ٤٢٩ هـ (١١٤) .

ظل الدزبرى بحلب حوالى شهرين فأحسن السيرة فى الأهالى ورد عليهم ما كان صالح بن مرداس قد اغتصبه منهم (١١٥) ثم عاد الى دمشق . وهكذا اصبحت حلب مرة أخرى جزءا من الامبراطورية الفاطمية واصبح الدزبرى والياً على الشام بأجمعه وذلك لحسن تدبيره .

ثم بدأت الدسائس تلعب دورها ضد الدزبرى ، فقد كاتب الوزير الجرجرائى ولاة الشام يثيرهم ضده ، كما كتب رسالة بتوقيع المستنصر الى ثمال بن صالح بحلب وشرط عليه أن يحمل جميع ما بقلعتها من المال الى المستنصر (١١٦) اضطر الدزبرى أن يسلم حلب لثمال ، ثم مات بعد فترة قصيرة ، وبوفاته أصبحت حلب بيد معز الدولة أبي علوان ثمال بن صالح (١١٧) ، الذى تسلمها بالتوقيع الذى أرسله اليه الوزير لا الخليفة كما رأينا ، ولذا حدث احتكاك بين ثمال وبين الخليفة حتى أن ثمال أعلن انتماءه لتدورا امبراطورة الروم ، وبذلك أصبح خارجا على الخلافة الفاطمية (١١٨) .

ظلت العلاقات متوترة بين ثمال والخلافة الفاطمية حـوالى أربعة عشر عاما (من ٤٣٥ هـ ـ ٤٤٩ هـ) أرسلت مصر خلالهـا عدة جيوش لردعه ولكنها لم تنجح (١١٩) وفى سنة ٤٤٩ هـ حسن ثمال علاقاته مع المصريين وأرسل لهم الهدايا (١٢٠) ونزل لهم عن حلب فمنحه المستنصر عوضا عنها حكم عكا وبيروت وجبيل (١٢١) وكان هذا بتدبير الوزير الجرجرائى (١٢٢) ويذكر بعض المؤرخين ان سبب تنازل ثمال عن حلب طوعا انه عجز عن المحافظة عليها وكان ذلك فى ذى القعدة من سنة ٤٤٩ هـ (١٢٣) فأنفذ المصريون رجلا من أصحابهم يسمى الحسن بن على بن ملهم ولقبوه مكين الدولة فتسلمها من ثمال فى أخر ذى القعدة سنة ٤٤٩ هـ (١٢٤) . فأقام بحلب وأحسن السيرة فى أهلها (١٢٥) .

ظل ابن ملهم واليا على حلب حتى سيطر عليها محمود بـن صالح بن مرداس سنة ٤٥٢ هـ (١٢٦) ويرجع استيلاء محمـود عليها الى عدة أسباب منها : أنه حدثت فتنه بين الجند السودانيين وأحداث حلب ، فسمع ابن ملهم أن بعض الأحداث فى حلب قد كاتب محمود بن شبل الدولة ليسلموا اليه البلد ، فقبض على جماعة منهم فاجتمع أهل البلد وراسلوا محمود يستدعونه (١٢٧) . ويبدو أن اساءة ابن ملهم السيرة مع الأهالى هو الذى دفع الى مراسلة محمود (١٢٨) . وقيل بل طمع بنو كلاب فى حلب وقدموا عليهم الأمير محمود بن نصر بن صالح لان حلب كانت لأبيه شبل الدولة فسار محمود اليها ببنى كلاب ، فى جمادى الأولى سنة ٤٥٢ هـ (١٢٩) فأقام بها سبعة أيام ثم رحل عنها . فطلب الأحداث من مكـين الدولة ما لا ينفقه فيهم فرفض . فعصى أحداث حلب عليه وغدروا به ، وأنفذوا الى محمود بن نصر بن صالح فردوه (١٣٠) وفعـلا وصل محمود وتسلم البلد عنوة (١٣١) وذلك فى مستهل جمـادى الثانية سنة ٤٥٣ هـ (١٣٢) . فما كان من مكين الدولة ابن ملهم

الا أن انحاز الى القلعة وتحصن بها وانفذ الى مصر رسولا يطلب النجدة (١٣٣) فطلب الخليفة الفاطمى من والى دمشق التوجه الى حلب (١٣٤) فلما علم محمود بذلك غادرها فى رجب سنة ٤٥٢ هـ (١٣٥) فما كان من مكين الدولة بن ملهم وأصحابه الا أن نزلوا من القلعة ونهبوا المدينة وقتلوا من وجدوا بها من الأحداث (١٣٦) .

وأخيرا وصل ناصر الدولة الى حلب وأراد أن ينهبها فقيل له « ان أصحاب مكين الدولة قد سبقوك ، ولم يبق لك ولاصحابك الا اسم بلا فائدة » وهذا القول يوضح سوء ظن اهالى حلب بولاتهم لاقدامهم على ابتزاز أموالهم . فطلب ناصر الدولة من اهالى حلب مبلغا من المال فاعتذروا ، فصمم على مقاتلة محمود أولا ، ثم التفرغ لهم والانتقام منهم (١٣٧) .

التقى الفريقان عند الفنيدق ، فهزم ناصر الدولة وأسر فى آخر رجب سنة ٤٥٢ هـ (١٣٨) فلما بلغ مكين الدولة ذلك بعث الى أسد الدولة أبو ذؤابة عطية بن صالح بن مرداس ، فتسلم حلب يوما واحدا ، هو الخميس أول شعبان ، ثم تسلمها منه محمود يوم الجمعة الثانى من شعبان ، وهكذا سيطر على حلب ثلاثة من الملوك فى ثلاثة أيام متتابعة (١٣٩) مما يدل على مدى اضطراب الأمور فيها .

أرسلت مصر جيشا الى حلب لمحاربة محمود بقيادة عمه معز الدولة ثمال فوصلها فى ذى الحجة سنة ٤٥٢ هـ (١٤٠) وظلت الخلافات قائمة بين مصر وحلب ، فدخلها محمود بن صالح مرة ثانية فى سنة ٤٥٥ هـ وعاد بدون جدوى (١٤١) ، ثم نزلها للمرة الثالثة فى سنة ٤٥٧ هـ وخلال حصاره لها، وصل رسول الخليفة

المستنصر الفاطمى ، فسلمه حلب ولقبه (عظيم أمراء العرب عضد الدولة سيف الخلافة ذو الفخرين) (١٤٢) .

وفى عهد محمود هذا بدأت الأطماع التركية السلجوقية تتجه نحو حلب ، فبعد أن استأثر السلاجقة بالنفوذ فى العراق عملوا على استعادة ما فقدته الدولة العباسية من البلاد (١٤٣) ففى سنة ٤٦٢ هـ ، تراسل كل من محمود والسلطان الب أرسلان السلجوقى ، واتفقا على « أن يخطب محمود بحلب للامام القائم خليفة بغداد وبعده للسلطان العادل الب أرسلان وبعده لنفسه » (١٤٤) .

وكان هذا فى الحقيقة بداية النهاية للنفوذ الفاطمى فى حلب ولكن كيف حدث هذا التحول ؟ وكيف أقنع محمود أهالى حلب من الشيعة بالخضوع للسلاجقة والعباسيين السنيين ؟

لقد جمع محمود اهالى حلب ، واقنعهم ان الخليفة الفاطمى اصبح يلفظ انفاسه الأخيرة ، ثم نصحهم بالخضوع للقوة الجديدة أى للسلاجقة السنيين ، التى ستحتل البلده سواء رغبوا فى ذلك أم لم يرغبوا ، ووضح لهم أن معارضتهم ستكون نتيجتها غير مرضية ، لاختلافهم مع الفاتحين الجدد فى المذهب . « قد ذهبت دولة المصريين وهذه دولة جديدة ومملكة شديدة ونحن تحت الخوف منهم وهم يستحلون دماءكم لأجل مذهبكم والراى أن نقيم الخطبة خوفا من أن يجيئنا وقت لا ينفعنا فيه قول ولا بذل » (١٤٥) .

ولكن رغم هذا بدأت العصبية المذهبية تبرز من جديد فلم يخضع اهل حلب بسرعة لهذا التحول ، ففى أول جمعة : « خرج الخطيب والمؤذن وعليهم شعار العباسيين السنيين ، وهو السواد،

فلما رآهم الناس ارتاعوا لذلك فلما ذكر الامام القـائم نفـروا وخرجوا من الجامع بغير صلاة » (١٤٦) .

وبدأ محمود يستخدم أسلوب الضغط والارهاب ، ففى الجمعة التالية أمر محمود بعض أصحابه الاتراك بالوقوف على باب الجامع وقتل كل من يخرج ممتنعا عن الصلاة وسماع الخطبـة (١٤٧) ، فصلى الناس « تحت القهر » (١٤٨) . الا أن العامة ما لبثت أن انتزعت الحصر من الجامع وقالوا : « هذه حـصر على بن أبى طالب فليجىء أبو بكر بحصر حتى يصلى عليها الناس » (١٤٩) وكانت هذه الأحداث فى يوم الجمعة التاسع عشر من شوال سنة ٤٦٢ هـ (١٥٠) وقيل انه بعد قطع الخطبة للمستنصر من حلب لم تعد بعد ذلك (١٥١) .

وهكذا اضطر أهل حلب تحت أسلوب الضغط والارهـاب والتخويف الى التخلى عن أهم مبادئهم وخاصة عن المذهب الشيعى مما أدى الى انحسار النفوذ الفاطمى عن بلدتهم .

ثالثا : موقف الرملة من النفوذ الفاطمى :

رأينا كيف أصبح بنو الجراح ، مبعث قلاقل واضطـراب مستمر مما يهدد النفوذ الفاطمى فى بلاد الشام ، ولما كانوا يقيمون بالقرب من مركز الخلافة الفاطمية بمصر فقد أصبحوا مصدر خطر كبير عليها . وحاول بنو الجراح الاستقلال عن الخلافة الفاطمية فى أواخر القرن الرابع الهجرى ولكن الخليفة الحـاكم بأمر الله سير اليهم حملة بقيادة جيش بن صمصامة استطاعت أن تردهم الى طاعة الدولة الفاطمية .

وببداية القرن الخامس الهجرى عاد بنو الجراح مرة أخرى للوقوف فى وجه الخلافة الفاطمية ، واستخدموا أسلوبا جديدا فى

المعارضة . ذلك أنه لما نقم الحاكم بأمر الله على آل المغربى بمصر ، فر الوزير أبو القاسم حسن بن على بن المغربى الى حسان بن مفرج بن دغفل بن الجراح أمير طىء بالرملة ، واغراه بخلع طاعة الحاكم بأمر الله فزحف حسان الى الرملة واستولى عليها وقتل واليها من قبل الفاطميين (١٥٢) .

اتفق بنو الجراح سنة ٤٠١ هـ على استدعاء أبى الفتوح الحسن بن جعفر الحسنى أمير مكة ليبايعوه بالخلافة فأوفدوا اليه الوزير أبا القاسم بن المغربى ليغريه بالخروج على الحاكم (١٥٣). فوافق على ذلك وبايعه أهل مكة بالخلافة وتلقب بالراشد بالله وصعد المنبر وخطب لنفسه (١٥٤) .

قصد أبو الفتوح الرملة فتلقاه اهلها بالترحاب وسلموا عليه بامرة المؤمنين ونادى فى الناس بالأمان والأمر بالمعروف والنهى عن المنكر . فلما علم الخليفة الحاكم بذلك عمل على الايقاع بين الحليفين فمن ناحية أمير مكة كاتب الحاكم ابن عم له كان بينهما تنازع باستمرار ، فقلده الحرمين ، فلما وصلت تلك الأخبار لأبى الفتوح خاف خروج الحرمين من يده (١٥٦) . كذلك بعث الحاكم بأمر الله الى عرب الحجاز بمائة وخمسين الف دينار (١٥٧) . ثم استمال الحاكم بنى الجراح بالأموال فانحرفوا عن الامير ، فلما شعر الامير بذلك رجع الى مكة وطلب من الحاكم بأمر الله أن يعفو عنه فتم لهم ذلك (١٥٨) ورجع الى مكة حيث أقام الدعوة للحاكم بعد أن كان قد أقامها لنفسه (١٥٩) . وهكذا اخضع الحاكم الجانبين بأساليبه الدبلوماسية وباغداقه الأموال (١٦٠) والراجح أن بنى الجراح تخلوا سريعا عن أمير مكة اذ شعروا بالخطر الذى يهددهم اذا ثبت نفوذه بينهم فيصبحون حينئذ بين نارين .

ظل بنو الجراح مسيطرين على جنوب بلاد الشام ومعارضين للفاطميين سنتين وخمسة أشهر (١٦١) . ويبدو أنه كان للوزير عيسى بن نسطورس يد فى اثارة تلك القلاقل على الحاكم (١٦٢) .

وفى سنة ٤٠٤ هـ أرسل الحاكم بأمر الله جيشا الى الرملة بقيادة على بن جعفر بن فلاح وكان لقبه (قطب الدولة) وكان الحاكم قد خدع كاتبا للمفرج وبذل له الأموال الكثيرة حتى دس السم للمفرج فما ت، وضعف أمر حسان بن المفرج وفقد معاقله فاضطر الى أن يلجأ الى الحاكم طالبا عفوه « فعفا عنه وأعطاه أرضه واصطنعه وأعاده الى الشام فظل حسان وبنو الجراح على الولاء للفاطميين حتى وفاة الحاكم » (١٦٣) .

ولم يلبث أن عاود بنو الجراح معارضة الفاطميين ، وتزعمهم حسان بن المفرج ، وذلك فى بداية حكم الخليفة الظاهر لاعزاز دين الله حوالى سنة ٤١١ هـ (١٦٤) فما كان من الخليفة الظاهر الا أن ولى منتخب الدولة الدزبرى ، متولى قيسارية ، ولاية فلسطين ، فاشتبك مع حسان الطائى فى حروب طويلة (١٦٥) وفى سنة ٤١٥ هـ أخذ حسان مدينة الرملة «(١٦٦) ، وقيل انه ترجل عند باب المدينة وقبل التراب من بابها الى دار الامارة ثم أحضر القاضى وشيوخ فلسطين وأشهدهم أنه داخل تحت طاعة الدولة الفاطمية « ولا يريد أحداً من أهل البلد بسوء وانما كره مقام الدزبرى فى الرملة .. وذكر سوء ما عمله به وأن ذلك اوجب قتاله وأن البلد لأمير المؤمنين وهو من عبيده يسمع له ويطيع (١٦٧) .. ولكن لم يبث أن فطن الناس الى أساليب الخديعة التى استخدمها حسان فقد حشد الجند ووضع السيف فى الناس ونهب المدينة واضرم النار فى الدور والحوانيت وسبى النساء والأولاد (١٦٨) .

وأخيراً استنجد حسان بأمراء العرب الموجودين بالشام فى ذلك الوقت سنة ٤١٥ هـ وهم سنان بن عليان وصالح بن مرداس ،

وعقدوا اجتماعا تحالفوا فيه على اجتماع الكلمة وان يكونوا يدا واحدة على الخليفة الظاهر وقسموا البلاد فيما بينهم فاستولى حسان على الرملة حتى الحدود المصرية واستولى أخوه محمود على طبرية وما يتصل بها من السواحل وأخذ سنان بن عليان دمشق وسوادها فى حين وضع صالح يده على ما بقى من الشام الى عانه (١٦٩) .

ولم يكتف حسان بن جراح بذلك بل تمادى فى جرأته أنه كتب الى مصر فى رمضان سنة ٤١٥ هـ « بأنه تحت الطاعة فلا يجب أن يشغل السلطان قلبه بأمر الشام وانه يقوم بأمر فلسطين ويجبى خراجه وينفقه فى رجاله ، ودمشق فيها ابن عمه سنان وحلب مردود تدبيرها الى صالح بن مرداس ، وأنه قد كفى السلطان أمر الشام كله فطرد رسوله ولم يكتب له ردا (١٧٠) .

ولكن رغم محاربة الدزبرى لحسان فى رمضان سنة ٤١٥ هـ عند عسقلان ، فإنه ظـــل مسيطرا على جنوب الشام (١٧١) . حتى أنه فى سنة ٤١٩ هـ كان حسان ما يزال مسيطرا على الرملة ومتغلبا على معظم بلاد الشام ، مما أضعف نفوذ الخليفة الظاهر (١٧٢) .

وفى سنة ٤١٩ هـ توفى سنان بن عليان امير الكلبيين ، ووصل ابن اخيه رافـــع بن ابى الليـــل الى الخليفـــة الظاهـــر فاصطنعه (١٧٣) . وفى مطلع سنة ٤٢٠ هـ أرسل الخليفة الظاهر جيشا بقيادة الدزبرى وضم اليه ابن أخى سنان وولاه زعامـــة الكلبيين لمحاربة حسان بن المفرج الذى أخرب الشام وخلع طاعة الدولة الفاطمية . فاستنجد حسان بصالح بن مرداس . وتلاقى الفريقان عند الأقحوانه على نهر الأردن فقتل صالح بن مرداس وابنه (١٧٤) .

استطاع الدزبرى أن يعيد الهدوء والسكينة الى أرجاء الشام الى ان توفى فى جمادى الأولى سنة ٤٣٣ هـ (١٧٥) ، فعادت الأحوال الى ما كانت عليه من الاضطراب والفوضى والخروج على طاعة الفاطميين ، فقد استقل معز الدولة بن صالح الكلابى بحلب، واستقل حسان بن المفرج الطائى بفلسطين (١٧٦) .

وظل بنو الجراح يثيرون القلاقل والاضطرابات فى الجنوب مما ضاعف من متاعب الخلافه الفاطمية فى بلاد الشام . التى كانت تشعر دائما بمدى الخطر الجاثم بالقرب من جناحها الأيمن ، فكانت باستمرار تبعث الجيوش لاخماد ثورات الطائيين . ولكن هل حقق بنو الجراح نوعا من الحكم المستقر القائم على دعائم قوية ؟ والاجابة بالنفى . وكذلك حال المرداسيين ويرجع سبب عدم استقرار نفوذهما وعدم استمرار استقلالهما عن الخلافة الفاطمية الى انهم كانوا من الأعراب الذين قال ابن خلدون عنهم « أنهم ما دخلوا بلدا الا أسرع اليه الخراب بينما قيام الملك يحتاج الى حسن تدبير وتقرير أكثر من قوة البطش » (١٧٧) .

وهكذا ظل بنو الجراح فى صراع مع الخلافة الفاطمية ، يشتد ساعدهم اذا ما ضعف جانب الخلافة ، ويضطرون للخضوع للارادة الفاطمية اذا ما قوى جانبها ، الى أن اجتاح بلادهم السلاجقة السنيون ، كما هو الحال بالنسبة لبقية أرجاء بلاد الشام ، فبدأت المعارضة تتخذ شكلا جديدا .

ذلك أنه فى سنة ٤٦٣ هـ قصد اتسز بن أوق الخوارزمى ؛ وهو من أمراء السلطان ملكشاه بلاد الشام فجمع الأتراك وزحف الى فلسطين ففتح مدينة الرملة ، وتقدم منها الى مدينة بيت المقدس فحاصرها وكان بها العساكر المصرية ففتحها واستولى على ما يجاورها من المدن عدا عسقلان (١٧٨) .

وهكذا خضع جنوب الشام ، كما خضع وسطه وشماله ، للسلاجقة السنيين ، وبدأت المعارضة تتخذ لونا جديدا ، فلم يخضع الاهالى لحكمهم ، وسنرى أن هذا الاضطراب المستمر سيجعل البلاد تتعرض لعدوان جديد مستفيدا من تلك الحالة المضطربة ، التى تدل على تفرق الكلمة واختلاف الأهواء والنزعات .

ومجمل القول ، وقف أهالى الشام دائما من الخلافة الفاطمية موقف المعارضة بدرجات مختلفة ، نتيجة سوء اختيار الدولة الفاطمية لبعض الولاة فى مدن الشام المختلفة ، وسوء سياسة بعض هؤلاء الولاة ، الى جانب العصبية المذهبية والقبلية . مما ادى الى اشتداد نقمة الأهالى على النفوذ الفاطمى فقاموا بحركات معارضة مختلفة . حتى اذا قدم السلاجقة السنيون وجدوا البلاد فى حالة من التفكك سمحت لهم بالسيطرة على البلاد وانتزاعها من القبضة الفاطمية الشيعية .

اما عن موقف الأهالى من الخلافة العباسية ، فلم نقرأ فى أى مصدر تناول تاريخ تلك الفترة عن اى محاولة بذلها الأهالى لاعلان طاعتهم للعباسيين ، او حتى الاستنجاد بهم فى وقت تذمرهم على الخلافة الفاطمية ، كما اننا لم نقرأ عن اية محاولة جادة من قبل الخلافة العباسية للاستفادة من ذلك الوضع المضطرب فى بلاد الشام لاسترجاع نفوذها فى تلك البلاد . ولكن كان من المستحيل أن يحدث ذلك والخلافة العباسية مشلولة القوى بسبب التسلط البويهى ثم السلجوقى على الدولة .

٢ ـ مظاهر النفوذ التركى فى الشام منذ العصر الفـــاطمى الى قدوم الســـلاجقة

برز نفوذ الموالى وخاصة العنصر التركى ، كظاهرة مصاحبة للنفوذ الفاطمى فى الشام . وقد امتد هذا النفوذ الى بلاد الشـــام طوال قرن تقريبا (٣٦٠ هـ ــ ٤٦٨ هـ) كما حكمها الطولونيـــون والاخشيديون وكان أحمد بن طولون ومحمد بن طغج الاخشيد (١٧٩) قد استقلا بحكم مصر والشام مستغلين ضعف الخلافة العباسية ، وأسسا الدولتين : الطولونية والاخشيدية .

برز نفوذ العنصر التركى فى العصر الفاطمى فتولى الأتراك المناصب المختلفة فكان منهم الولاة وقواد الجيش ، بأعداد جمة ، مما كان له أثره الواضح فى الحياة السياسية فى بلاد الشـــام أثناء امتداد النفوذ الفاطمى اليها . وخاصة فى القرن الخامس الهجرى الذى نتناوله بالدراسة والبحث حيث ظهرت فيه شخصيتان بارزتان هما : الدزبرى وبدر الجمالى .

وقد يبدو هذا غريبا أن الدولة الفاطمية التى قامت على أكتاف المغاربة ، الذين اعتمد عليهم الفاطميون فى جيوشهم ، وخاصـــة

على الكتاميين الذين كانوا عصب الدولة الفاطمية (١٨٠) ، قد لجأت بعد فترة الى اصطفاء الموالى .

اعتمدت الدولة الفاطمية منذ نشأتها حتى عهد الخليفة المعز لدين الله على تأييد القبائل المغربية ذات البأس والعصبية ، واصطفت زعماءها للمناصب الكبرى ، الى جانب اصطفاء بعض الموالى من الاتراك والصقالبة ، نذكر منهم على سبيل المثال نصير الخادم الصقلبى الذى أرسله الخليفة المعز لدين الله ، سنة ٣٦٤ هـ الى الشام فى جند كثير ففتح بيروت (١٨١) ومن هؤلاء الموالى ايضا ريان الخادم والى طرابلس الذى كلفه الخليفة المعز باخماد الاضطرابات التى أثارها المغاربة بزعامة أبى محمود بن جعفر بن فلاح فى دمشق ، وبالفعل نجح ريان فى تهدئة الأمور بدمشق (١٨٢). ومن هذه الأمثلة أيضا أفتكين التركى الذى حكم دمشق برضا أهلها الحانقين على الخلافة الفاطمية الشيعية ، بعد أن قطع الخطبة للمعز وخطب للطائع العباسى واستقر حكمه فى البلاد (١٨٣) وقد كتب الخليفة المعز اليه مضطرا ، ازاء نفوذه القوى بين الدمشقيين، ليشكره على اقراره الأمن فى دمشق ويعترف به نائبا عنه فلم يجبه (١٨٤) . فأراد المعز أن يتوجه الى الشام لمحاربة أفتكين الا انه توفى سنة ٣٦٥ هـ (١٨٥) .

يعتبر المؤرخ المقريزى الخليفة العزيز أول الخلفاء الفاطميين، الذين اعتمدوا على الاتراك ، اذ اتخذ منهم القواد (١٨٦) وقد يرجع ذلك الى أن الخليفة العزيز كان أول الخلفاء الفاطميين الذين توسعوا فى سياسة الاعتماد على الموالى من الترك والصقالبة ومن هنا بدأت المنافسة بينهم من جهة وبين الزعماء المغاربة من جهة أخرى (١٨٧) .

فى مطلع عهد العزيز كان افتكين التركى متغلبا على دمشق وقد حاول أبوه المعز — كما رأينا — استمالته واصطناعه فلم

تجد معه أية وسيلة ، فلما مات المعز وتولى العزيز ، كاتبه من جديد وحاول أن يستميل افتكين التركى اليه ويتخذه والياً ، فأساء أفتكين الرد على الخليفة العزيز ولذلك خرج العزيز لقتاله ، ولكن بعد أن لمس العزيز شجاعة أفتكين النادرة اتبع معه سياسة اللين ، ولكن افتكين اعتذر بأن الوقت قد فات ولا مفر من الحرب بين الجانبين (١٨٨) وبالفعل دارت الحرب من جديد بين الطرفين هزم فيها افتكين وحليفه القرمطى كما رأينا ـ وبذل العزيز لمن يأسر افتكين مائة الف دينار (١٨٩) . وتم القبض عليه فعفا العزيز عنه ، مما أدى الى اكبار أفتكين للعزيز (١٩٠) . ويفسر (لين بول) تلك المعاملة الحسنة ، بأن العزيز أراد أن يرد جميل افتكين ، ومعاملته الطيبة لجوهر الصقلى عندما وقع فى أسر أفتكين (١٩١) .

وقيل إن احد وجوه القوم بمصر قال للعزيز : يا مولانا ، لقد استحق هذا الكافر كل عذاب ، والعجب من الاحسان اليه . فلم يرد العزيز عليه جوابا (١٩٢) . وانزل العزيز افتكين دارا حسنة والبسه تاجا مرصعا ، ووصله بالهدايا الكثيرة ، حتى قال : « لقد احتشمت من ركوبى مع مولانا العزيز بالله ونظرى اليه مما غمرنى من فضله واحسانه » فلما بلغ العزيز ذلك قال لعمه حيدرة : « ياعم : أحب ان أرى النعم عند الناس ظاهرة ، وارى عليهم الذهب والفضة والجوهر : ولهم الخيل واللباس والضياع والعقار وان يكون ذلك كله من عندى (١٩٣) .

قويت شوكة أفتكين فى دولة العزيز « حتى صار له بمصر عسكر على رسم عسكر العراق » (١٩٤) وتجبر على الوزير ابن كلس وامتنع من الركوب اليه ، وامره العزيز بذلك فرفض ، فلما زادت الهوة اتساعا دس له ابن كلس السم فمات سنة ٣٦٨ هـ (١٩٥) . فحزن العزيز عليه كثيرا وامر بحبس الوزير

حوالى أربعين يوما (١٩٦) . ثم رأى العزيز أن الأمور لا تنتظم الا بابن كلس فأعادوه الى وزارته وأحسن اليه (١٩٧) . وقد فسر (أوليرى) اهتمام العزيز بأفتكين التركى وحسن معاملته له بأنه أراد أن يكون قوة تركية لها من الكفاية العسكرية ما يحطم بهـا جناح العنصر البربرى الذى بدأ العزيز ينظر اليه بشىء من الشك ، ولذلك وضع العزيز الترك والديلم الذين كانوا فى مصر تحت أمرة افتكين (١٩٨) .

وعندما تغلب قسام التراب على دمشق أرسل العزيز اليه بعض الجيوش لاعادته الى الطاعة ولكنها لم تجح ، وفى النهايـة أرسل العزيز جيشا بقيادة القائد التركى بلتكين فدخل دمشق فى المحرم سنة ٣٧٣ هـ (١٩٩) ، وقد ظل بلتكين واليا على دمشق حتى دخلها بكجور واليا فى سابع رجب سنة ٣٧٣ هـ (٢٠٠) .

ويعتبر حكم بكجور امتدادا لحكم الموالى الأتراك أيضا ، وكان بكجور غلاما مملوكا لقرغويه أحد غلمان سيف الدولة بن حمدان صاحب حلب ، وكان قرغويه قد غلب على أمر حلب بعد وفـاة سيف الدولة ومنع ابنه سعد الدولة أبا المعالى منها ، ثم ان قرغويه أناب بكجور عنه فى حلب فلما قوى أمره حبس مولاه وسيطر على الحكم حوالى ست سنوات ، حتى قدم أبو المعالى الى حلب ودارت بينه وبين بكجور محادثات انتهت بانتقال بكجور الى حمص سنـة ٣٦٦ هـ (٢٠١) .

اهتم أبو المعالى بالعمران فى حلب بعد تخريب الروم لها ، وكانت دمشق قد خربت أيضا بسبب قلة الاقوات وغلاء الاسعـار بها فجلا خلق كثير الى حمص استطاعوا بواسطة بكجور أن يؤمنوا الطرق ويحملوا الغلات الى بقية أهلهم فى دمشق (٢٠٢) ، ثم كاتب بكجور العزيز بالله ليوليه دمشق فرد عليه بأن (تصير الى بابنا لنوليك دمشق (٢٠٣)) .

وفى سنة ٣٧٢ هـ حدثت خلافات بين سعد الدولة . أبى المعالى صاحب حلب وبين بكجور فكتب الأخير الى العزيز يسأله انجاز الوعد بولاية دمشق (٢٠٤) .

وحدث أن قام المغاربة بحركة فى مصر ترمى الى الخلاص من الوزير ابن كلس بقتله ، فأمر العزيز باستدعاء بلتكين من دمشق (٢٠٥) وكتب العزيز الى بكجور بولاية دمشق ، كما كتب الى بلتكين أن يسلمها اليه فتقاعس بلتكين عن تسليمها (٢٠٦) ولم يزل بلتكين يسوف بسبب تحريض الوزير ابن كلس له بألا يسلم دمشق الى بكجور ، فلما علم العزيز بذلك كتب الى الوزير يسأله عن السبب فقال : الصواب الا يلى بكجور دمشق ويعصى فيها . فرد العزيز بأنه قد وعده بذلك ، فكرر الوزير النصح بالا يولى بكجور (٢٠٧) .

أنفذ العزيز رجلا بخلعه لبكجور وكتب الى بلتكين بتسليم دمشق لبكجور فاستجاب بلتكين ، وعاد الى مصر فى رجب سنة ٣٧٣ هـ (٢٠٨) فلما دخل بكجور دمشق فطن الى دسائس الوزير ابن كلس فحقد عليه ، وعمل بكجور كل ما فى وسعه للانتقام من الوزير ، فكان للوزير ضياع بدمشق يديرها وكيل يهودى فانتزع الاملاك من هذا الوكيل ثم قتله (٢١٠) فلما علم الوزير بذلك قال للعزيز : هذا أول عصيان بكجور وسوف ترى ما يكون منه (٢١٠) ودبر مؤامرة لقتل بكجور ولكنه أخفق . وحكم بكجور دمشق حكما تعسفيا ادى الى استنجاد اهلها بالخليفة العزيز الذى أدرك خطأه فى تولية بكجور التركى (٢١١) .

اراد العزيز الخلاص من بكجور التركى فاستعان بمولى آخر هو منير الخادم وانفذه الى الشام على رأس جيش فى سنة

٣٧٨ هـ (٢١٢) وكانت الظروف حينئذ مواتية ، اذ حدث خلاف بين بكجور وبشاره الاخشيدى والى طبرية فانضم الأخير الى جانب منير الخادم (٢١٣) وكتب العزيز الى نزال والى طرابلس بمساعدة كل من منير وبشارة (٢١٤) وانتهى الأمر برحيل بكجور الى الرقة (٢١٥) . ودخل منير دمشق واستقر فى ولايتها (٢١٦) والى بكجور هذا تنسب المزرعة التى فى ظاهر دمشق ، والتى تعرف بالقصر النكجورى (٢١٧) .

مما سبق يتبين لنا الى اى مدى لعب الموالى الاتراك والصقالبة دورا فعالا فى تاريخ الشام فى عهد الخليفة العزيز ، فمثلا فى الوقت الذى تغلب فيه بكجور على دمشق نجد أن طبرية كان يتولى أمرها بشارة الاخشيدى ، وتولى نزال أمر طرابلس هذا الى أن القائد الذى توجه من مصر للقضاء على بكجور كان من الموالى أيضا وهو منير الخادم . فاذا ما أضفنا الى ذلك ولاية وفى الصقلبى لعكا ، ورباح على غزه (٢١٨) لتبين لنا مبدئيا مدى تغلب الموالى على الشام فى تلك الفترة .

دخل منير الخادم دمشق فى رجب سنة ٣٧٨ هـ (٢١٩) فبدأ يتقرب للأهالى عن طريق الاحسان اليهم (٢٢٠) ، ولكن الدسائس اثارت خليفة مصر ضده فارسل جيشاً كبيراً بقيادة قائد تركى كان له شأن كبير لدى العزيز وهو منجوتكين (٢٢١) .

وفى صفر سنة ٣٨١ هـ ، خرج جيش من مصر بقيادة منجوتكين للزحف الى الشام ، ظل هذا الجيش نحو شهرين ونصف شهر للتدريب الحربى ثم اتجه بعد ذلك الى الشام (٢٢٢) .

طلب الخليفة العزيز من حسان بن المفرج بن الجراح صاحب الرملة مساعدة منجوتكين ، كما ارسل الى منجوتكين هدية قيمتها

مائة الف دينار ، فبلغ ما انفقه العزيز على منجوتكين خوالى مليون دينار (٢٢٣) وهذا يوضح لنا مدى ما وصل اليه الاتراك المرتزقة من نفوذ فى عهد العزيز ، وعندما علم منير بخروج تلك القوات اليه ، بدأ يستعد للحرب .

وصل منجوتكين الى الرملة فلقيه بشارة والى طبرية ، ثم راسل منجوتكين نزال والى طرابلس (٢٢٤) وعلم منجوتكين أن أهل دمشق يريدون قتاله مع واليهم منير الخادم ، فجمع النفاطـين بالرملة ليسيروا معه الى دمشق لحرقها (٢٢٥) وبدأ نزال يستخدم أسلوب المخادعة ضد منير ، فعندما أصبح على مقربة من دمشـق كاتب منير « انى لم أصل الا لاصلاح أمرك » فعلم منير أنه يريـد الحيلة عليه والمكر به (٢٢٦) .

واخيرا اتجه منجوتكين الى طبرية وخرج منير لملاقـاة نزال فالتقوا بمرج عذراء ، فانهزم منير فى التاسع عشر من رمضان سنة ٣٨١ هـ (٢٢٧) وقبض منجوتكين على منير وشهر به فى الطرقـات لعصيانه الخليفة العزيز (٢٢٨) .

وبذلك بدأ منجوتكين حكمه لدمشق وهو استمرار لسيطرة الموالى الاتراك عليها وظلت العلاقات ودية بين الخليفة العزيـز وبين منجوتكين حتى وفاة الخليفة . فيروى المقريزى أنه فى شهر صفر سنة ٣٨٢ هـ سير العزيز الى منجوتكين خمسين حملا مـن المال ، وأربعين حملا من الثياب ، وخزانة سلاح ، وخمسمائة فارس (٢٢٩) . وفى ربيع الثانى حمل طائر البريـد (٢٣٠) الى الخليفة العزيز خبر فتح منجوتكين لمدن حمص وحماه وشيزر ، فوضع الخليفة الطائر فى قفص وعليه ثوب دياج ، وطيف بالقفص فى شوارع القاهرة والفسطاط (٢٣١) . وفى جمادى الأولى مـن

نفس السنة قدم طائر آخر يحمل خبر حصار منجوتكين لحلب ؛ ومحاولة سعد الدولة صده عنها بواسطة بذل المال والخلع ، ولكنه رفض ، مما أدى إلى استنجاد سعد الدولة بالروم وبحاكم انطاكية ، فأنزل منجوتكين الهزيمة بهم جميعا ، وقد كلفه ذلك الكثير مما ادى الى نقص المؤن والسلاح ، فكتب بعض الناس بذلك الى الخليفة العزيز ، وطلب منجوتكين وبعض جنده من الخليفة العودة الى دمشق ، وقبل أن يصل رد الكتاب رحل منجوتكين عائدا الى دمشق (٢٣٢) . وعندما وصلت هذه الاخبار الى العزيز بدأ يستعد للخروج بنفسه الى الشام ، وأرسل الى ابن الجراح خمسين الف دينار والى منجوتكين مائة وخمسين الف دينار ، (سنة ٣٨٥ هـ) ، ثم خرج فى العاشر من رجب (٢٣٣) .

وحمل العزيز العتاد والأموال والذخائر حتى اذا نزل بلبيس مرض ومات فى رمضان سنة ٣٨٦ هـ .

وهكذا توفى العزيز تاركا النفوذ فى يد الموالى الاتراك ، واصبح المسيطر على الحكم فى مصر هو برجوان الخادم الذى اقر ولاة الشام وعلى رأسهم منجوتكين .

وبعد وفاة العزيز استفحل أمر ابن عمار فكتب برجوان الى منجوتكين يصف له اضطراب أحوال مصر ويطلب منه أن يقدم ليصلح أمورها كرد لجميل العزيز عليه (٢٣٥) وتحيز منجوتكين للترك المرتزقة الذين جلبهم العزيز الى مصر ليوازن بهم نفوذ الكتاميين وغيرهم من القبائل المغربية (٢٣٦) ولذلك تقدم بجيشه الى مصر .

ولما علم ابن عمار بذلك ، جمع رؤساء كتامة ، وصور منجوتكين بصورة الخارج على طاعة الدولة ، وأنه « جرى مجرى

الفتكين المعزى البويهى » (٢٣٧) واستقدم أرجوان وشكر العضدى واستمالهما اليه واستحلفهما على مساعدته ومعاضدته ، فاضطرا الى القسم له بذلك (٢٣٨) وأعدابن عمار جيشا لصد منجوتكين بقيادة أبى تميم سليمان بن فلاح ، ونجح فى الحاق الهزيمة بمنجوتكين فى أوائل سنة ٣٨٧ هـ عند عسقلان وجعل ابن فلاح لمن يأسره عشرة آلاف دينار ومائة (٢٣٩) ثوب فأسره ابن الجراح وحمله الى أبى تميم فسلمه اليه وفاز بالمكافأة ويذكر بعض المؤرخين أن منجوتكين توجه الى ابن فلاح طائعا ، فأكرمه ، وأرسله الى مصر ، فوصلها فى رجب مع الأسرى ورؤوس القتلى ، فأبقى ابن عمار عليه واصطنعه وأحسن اليه (٢٤٠) .

كان آخر الولاة من الموالى فى القرن الرابع الهجرى هو بشارة الاخشيدى الذى دخل دمشق فى رجب سنة ٣٨٨ هـ نائبا عن برجوان الخادم المسيطر على شئون الخليفة الحاكم بأمر الله . الا أن بشارة استخدم القسوة والعنف فى الخلاص من معارضيه مما أثار الاضطراب بين اهالى دمشق (٢٤١) وفى مستهل صفر سنة ٣٥٠ هـ أرسل برجوان القائد جيش بن صمصامة الى دمشق فاستدعى اليه بشارة وقرأ عليه « سجلا جاء من الخليفة بولايته بمفرده على دمشق وعزل بشارة » (٢٤٢) .

ثم طلب ابن الصمصامة من بشارة مغادرة المدينة فذكر للرسول انه ينتظر الجواب على كتب ارسلها الى الخليفة ، فطلب منه المسير الى داريا حتى يصله الجواب (٢٤٣) وفعلا رتب بشارة أموره على الرحيل فى الصباح التالى ، ولكن وصله كتاب من الخليفة الحاكم يطلب منه البقاء . وفى ربيع الأول سنة ٣٩٠ هـ وصلت الكتب الى بشارة بعزله عن دمشق وولايته لطبريه (٢٤٤) .

وفى مطلع القرن الخامس تولى حكم دمشق ساتكين التركى سنة ٤٠٦ هـ وظل فى الولاية حتى عزل سنة ٤٠٨ هـ (٢٤٥) .

كان ساتكين هذا ظالما غشوما ، فكتب الناس الى الخليفة الحاكم يشكونه اليه (٢٤٦) ولذلك أرسل الخليفة القائد ابن باروخ والياً الا أن ساتكين لم يعترف به وظل فى الولاية الى سنة ٤٠٨ هـ حتى وصل الأمير سديد الدولة أبو منصور فتولى الحكم بعده (٢٤٧).

ومن طريف ما يحكى عن الوالى ساتكين ، ومما يوضح ظلمه، أنه بنى جسر الحديد تحت قلعة دمشق ، ويوم الفراغ من بنائه طلب الا يمر أحد عليه . فلما أصبح جلس على الباب ينظر اليه وقد عزم على ان يكون أول من يركب ويعبر عليه واذ بفارس قد اقبل ومر على الجسر فأنكره وقال : من أين ؟ قال من مصر وناوله كتابا من الخليفة الحاكم بعزله (٢٤٨) . فقال بعض الشعراء :

عقد الجسر وقد	حل عراه بيديه
ما درى ان عليه	يعبر العزل اليه (٢٤٩)

وفى سنة ٤١٢ هـ تولى أمر دمشق سجتكين الملكى المعروف بشهاب الدولة ، فظل والياً عليها سنتين وأربعة أشهر ويومين (٢٥٠) فقد مات فى ذى القعده سنة ٤١٤ هـ (٢٥١) .

ومن اشهر الشخصيات التركية التى برزت فى الشام فى القرن الخامس الهجرى وكان لها تاثير كبير فى توجيه السياسة فى البلاد ، شخصية الدزبرى ، الذى تولى حكم دمشق وحلب بل حكم بلاد الشام بأسرها من سنة ٤١٩ هـ الى سنة ٤٣٣ هـ ، وقد اشرنا فى الفصل الخاص بدراستنا لموقف أهالى الشام من الخلافتين : الفاطمية والعباسية الى نشأته الأولى فى بلاد الترك ووصوله الى

بغداد وشراء القائد تزبر بن أوينم الديلمى له ، ثم أهدائه للحاكم بأمر الله واشتهاره باليقظة والذكاء . كما أشرنا الى تدرجـــه فى المناصب ، فبعد أن كان تابعا لوالى دمشق سديد الدولة ذى الكفايتين سنة ٤٠٦ هـ ، أصبح والياً على بعلبك ، ثم على قيسارية، ثم تولى حكم فلسطين سنة ٤١٤ هـ وأشرنا ايضا الى الدور الكبير الذى قام به فيها والذى أقلق به بنى الجراح . ثم أشرنا الى توجهه على راس جيش والياً على دمشق فى عهد الخليفة الظاهر فى ذى القعدة سنة ٤١٩ هـ (٢٥٢) . وكانت قبضة الفاطميين قد بدأت تضعف على سوريا فقام الدزبرى بحركتين مهمتين لتوطيد نفوذ الفاطميين مرة أخرى ، فكانت الأولى ضد صـــالح بن مرداس ـانتهت بقتله (٢٥٣) اما الثانية فكانت ضد بنى الجراح وانتهت بفرار حسن بن مفرج واحتمائه بالروم (٢٥٤) .

وهكذا كان للدزبرى اليد الطولى فى اعادة السكينة والأمـــن الى بلاد الشام ، ولذا طالت مدة حكمه حتى سنة ٤٣٣ هـ . ولكن حدثت أحداث جعلت نهايته مؤسفة ، فقد كان الوزير الجرجراى يحسده ويبغضه ، وحدث أن قدمت جماعة من الجند الى مصر لقضاء بعض حاجاتهم فحرضهم الجرجراى عـــلى الوثـــوب بالدزبرى وتحريض بقية الجند بدمشق (٢٥٥) .

وفى سنة ٤٣٣ هـ سار الدزبرى من دمشق الى حلب ودخلها فى آخر ربيع الثانى فقد بلغه وصول سجل من مصر الى دمشق من الخليفة قرىء على المنبر وجاء فيه : « أما بعد فانه قد علم الحاضر والبادى والموالف والمعادى حال أنوشتكين الدزبرى الخائن وانه كان مملوكا لدزبر بن أوينم الحاكمى وأهداه الى أمير المؤمنـــين حاكم بأمر الله فنقله الى المراتب الى ان انتهى أمره الى ما انتهى اليه ، فلما تغيرت نيته سلبه الله تعالى نعمته لقوله تعالى « ان الله

لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم » فشق ذلك عليه ورفض العودة الى دمشق بعد أن كان عازما على ذلك » (٢٥٦) .

فهل هرب الدزبرى حقا من دمشق كما ذكر ابن عساكر ؟ أو انه هو الذى قرر عدم العودة اليها والبقاء فى حلب ؟

ونحن نرجح أن الدزبرى بعد فساد العلاقات بينـه وبين الجرجرائى اضطر الى الهرب من دمشق مخافة الدسائس وقد اتجه الى حماة فعصاه اهلها ، فاتجه الى حلب على أن يعود الى دمشق حينما تسنح الظروف (٢٥٧) ولكن وصول سجل الخليفة اليه يصفه بالعاصى والناكر للجميل وانه : « مثل شاة عطشانة ولهانة ضائعة جائعة نزلت فى مرج أفيح غزير ماؤه كثير مرعـاه فشربت ماء وأكلت عشبا فرويت بعد ظمائها وشبعت بعد جوعها واستحسنت بعد قبحها ــ فلما تكامل حسنها ذبحت .. » كما اتهمه الخليفة أيضا باغتصاب الأموال فقال : « انتهى الى أمـير المؤمنين افتخارك بجمع الأموال واكتنازك لها » (٢٥٨) .

ويبدو ان الدزبرى بعد أن توطدت سلطته فى البلاد بدأ يستغل نفوذه مما عاد بالضرر على مصالح البلاد ، ولذا رد عـلى كتاب الخليفة اليه معتذرا له عما بدر منه ، وزعم أن كل انسان عرضة للخطأ (٢٥٩) ثم ذكر أن مسيره الى حلب لا ينجيه من مصيره المحتوم فقال : « وليس مسير العبد الى حلب ينجيه من سطوات مواليـه لقوله تعالى : (يدركم الموت ولو كنتم فى بروج مشيدة) (٢٦٠) ثم اعتذر للخليفة عن جمعه للأموال بتغلب غريزة حب السيطـرة عليه لانه من أبناء آدم فقال : « اما مارقى (٢٦١) الى الحضرة المطهرة عن العبد فى كثرة الأموال وجمعها فذلك طباع ولد آدم فى حب اللجين والعسجد » .

اتجه الدزبرى الى قلعة حلب حيث أصيب بحمى مات على أثرها فى جمادى الأولى سنة ٤٣٣ هـ (٢٦٢) .

ولكن اذا تجاوزنا عن أخطاء حكم الدزبرى نقول عنه أنه كان من الشخصيات القوية التى استطاعت بعدلها وصرامتها وحسن السيرة أن تقوم بشئون الولاية خير قيام ، وكان له مكانة خاصة لدى الخليفة الظاهر ثم لدى الخليفة المستنصر فيقول أبو المحاسن عنه : « كان خصيصا عند المستنصر يندبه فى المهمات » (٢٦٣) . امتد حكمه من دمشق الى حلب ، واستطاع أن يبسط نفوذه عليها حوالى أربع سنوات (٤٢٩ — ٤٣٣ هـ — ١٠٣٧ — ١٠٤١ م) فأوقف الزحف البيزنطى والنفوذ المرداسى الا أن موته سمح للمرداسيين أن يستوطنوها من جديد (٢٦٤) ، كما عادت الفوضى الى بلاد الشام (٢٦٥) .

ومن الذين تولوا حكم الشام أيضا فى عهد الخليفة المستنصر طارق الصقلبى الذى تولى فى رجب سنة ٤٤٠ هـ (٢٦٦) ولكن حكم طارق لم يدم طويلا فى دمشق بل استمر نحو سنة ثم تولى حكم حلب (٢٦٧) .

وفى سنة ٤٤١ هـ قدم الأمير رفق المستنصرى الى دمشق واليا عليها ، حتى جاءته الاوامر من مصر بالمسير الى حلب لأمر « اقتضته الآراء المستنصرية من صرفه عنها » اى أنه لم يحكم سوى أيام معدودة (٢٦٨) . كذلك تولى الأمير سكتكين المستنصرى ولاية دمشق فى ذى الحجة سنة ٤٥٢ هـ وارسل له الخليفة الخلع الكثيرة (٢٦٩) فظل فى ولايتها الى أن توفى فى ربيع الثانى سنة ٤٥٣ (٢٧٠) .

أما آخر الولاة الموالى الذين كان لهم دور بارز فى الحياة السياسية لبلاد الشام فى القرن الخامس الهجرى فهو ، بدر الجمالى أو بدر المستنصرى . فقد قام بتسيير دفة الأمور فى الشام بل فى مصر أيضا . فقد تولى أمر دمشق فى عهد المستنصر الفاطمى فى ربيع الآخر سنة ٤٥٥ هـ . وفى مطلع ولايته كانت احوال دمشق غاية فى السوء ، والأهالى فى حالة تذمر ، كما سبق ان رأينا ـ مما أدى الى احتكاكات بينه وبينهم اضطر بعدها الى مغادرة دمشق ، وهنا اختلفت الآراء حول انتهاء ولايته الأولى ، فالبعض يذكر انه اضطر الى الهرب من البلد فى منتصف رجب سنة ٤٥٦ هـ (٢٧١) فى حين يذكر مؤرخ آخر انه « انفصل بعد عام » (٢٧٢) من الولاية وقد يفهم من ذلك أنه قد أصدر أمر بعزله ، ولكننا نرى ان هذا لم يحدث، اذ أنه عندما غادر دمشق ندب لولايتها الأمير حصن الدولة حيدرة ابن منزو بن النعمان الكتامى (٢٧٣) فى رمضان سنة ٤٥٦ هـ ثم اقتضى أمر الخليفة المستنصر بصرفه عنها ، فوليها شهاب الدولة درى المستنصرى فى آخر ذى القعدة سنة ٤٥٦ هـ . الا ان هذا الوالى الاخير لم يستمر سوى فترة محدودة وصرف عن دمشق الى الرملة .

وفى جمادى الأولى سنة ٤٥٨ هـ أعيد بدر الأرمنى الى حكم دمشق ، بل حكم بلاد الشام كلها فقدم الى دمشق فى شعبان (٢٧٤) فظل مقيما بها الى أن ثارت الخلافات من جديد بينه وبين أهل دمشق وجندها ، ويبدو أنهم سئموا حكم الموالى التابعين للخلافة الفاطمية التى كانوا حانقين عليها أيضا ، واشتبك بدر مع الأهالى فى جمادى الأولى سنة ٤٦٠ هـ وغادرها فى رمضان سنة ٤٦٠ هـ (٢٧٥) ، وبذلك انتهت ولايته الثانية لدمشق .

كان بدر أرمنى الجنس وقد اشتراه جمال الدولة ابن عمار رباه ودفعه الى الامام (٢٧٦) وكان بدر شديد البطش ، عالى لهمة ، عظيم الهيبة (٢٧٧) ، مما ساعده على التدرج فى المناصب سرعة فتولى حكم دمشق مرتين كما مر بنا ، وفى المرة الثانية ثار عليه أهل دمشق وجنودها فغادرها واستقر بثغر عكا (٢٧٨) وكان نبدر الأرمنى مكانة عظيمة عند الخليفة المستنصر تتضح فى رسالة المستنصر بالله الى على بن محمد الصليحى باليمن (٢٧٩) .

وزادت ثقة الخليفة المستصر فى بدر الجمالى حتى أنه اعتمد عليه عندما ساءت أحوال مصر الاقتصادية فى آخر عهد المستنصر وقد وصف ابن الصيرفى هذه الشدة فقال : « فسدت الامور بالحضرة — بمصر — وتبعثرت طوائف العساكر وتخربت » . وأصبح الوزراء يقنعون بالاسم دون الأمر والنهى ، والرخاء قد أيس منه ، والصلاح لا يطمع فيه .. والطرقات قد انقطعت برا وبحرا الا بالخفارة الثقيلة والكلفة الكبيرة .. » (٢٨٠) وهذا النص الموجز هو فى الواقع صورة رقيقة وشاملة لأحوال مصر السيئة آخر عهد المستنصر . ولذا رأى الخليفة ، استدعاء بدر من عكا ، فقدم الى مصر فى ربيع الثانى سنة ٤٦٦ هـ (٢٨١) مصطحبا معه القوات السورية القوية وكان يطلق عليها اسم (الشرقيين) (٢٨٢) .

نجح بدر فى أن يصلح أحوال مصر ، ورتب الدواوين الحكومية وتوجه لحرب لواته واسترد ما كان بأيديهم من البلاد ثم فتح مدن الصعيد (٢٨٣) وفى ظل حكم بدر القوى العادل الخير ،

تمتع الفلاحون فى مصر بالأمان والرخاء مما لم يعرفوه منذ سنوات عديدة . ونتيجة تنظيم بدر الضرائب حوالى سنة ٤٨١ هـ سنة ١٠٩٠ م ارتفع الدخل المصرى السورى من المعدل العادى وهو مليونا دينار الى حوالى أكثر من ثلاثة ملايين (٢٨٤) دينار مما يدل على كفاءة بدر . وقد توفى بدر فى ذى الحجة سنة ٤٨٨ هـ (٢٨٥) .

وهكذا يتبين لنا دور الموالى ، وخاصة الاتراك ، فى الحياة السياسية فى بلاد الشام فى القرن الخامس الهجرى ، مما أضاف عاملا جديدا الى العوامل الأخرى التى ادت الى اضطراب الأحوال السياسية فى بلاد الشام فى القرن الخامس الهجرى .

٣ ـ العلاقات البيزنطية الشامية فى القرن الخامس حتى قدوم السلاجقة

اثرت الدولة البيزنطية فى تاريخ بلاد الشام تاثيرا واضحا عبر التاريخ ، ونحن فى هذا الفصل ندرس العلاقات بين الدولة البيزنطية وبلاد الشام فى القرن الخامس ، باعتبارها من ابرز العوامل التى اثرت فى الحياة السياسية فى بلاد الشام فى هذا القرن . واختلفت هذه العلاقات فى فترة النفوذ الفاطمى عنها فى فترة النفوذ السلجوقى فى بلاد الشام .

شهد مطلع القرن الخامس الهجرى هدنة عقدت بين الخليفة الفاطمى الحاكم بأمر الله وهو صاحب النفوذ الفعلى فى بلاد الشام فى ذلك الوقت ، وبين الامبراطور البيزنطى باسيل . فقد ذكر المؤرخ (فازيلبيف) أنه « فى مطلع القرن الحادى عشر الميلادى ١٠٠١ م عقدت معاهدة سلمية بين الامبراطور البيزنطى باسيل والخليفة الفاطمى الحاكم . كما ذكر انه لم يحدث خلال بقية حكم باسيل اصطدامات ذات شأن مع العرب فى المشرق ، وفى نفس الوقت حررت حلب نفسها من ولائها للامبراطورية البيزنطية(٢٨٦) .

وما ذكره (فازيلبيف) يوضح طبيعة العلاقات التى كانت قائمة بين بلاد الشام من ناحية والامبراطورية البيزنطية من

ناحية أخرى ، والتى اتخذت شكل صراع وصدام مستمر ، كما يوحى ايضا بأن حلب كانت شبه تابعة لبيزنطة فى القرن الرابع الهجرى . ولذلك فحتى نقف على طبيعة العلاقات بين الدولة البيزنطية وبلاد الشام فى القرن الخامس تجدر بنا العودة الى الخلف قليلا ، للتعرف على طبيعة تلك العلاقات فى أواخر القرن الرابع الهجرى ، فالفترتان متداخلتان ولا يمكن الفصل بينهما .

وقبل أن نستطرد فى ذكر تلك العلاقات ، لا بد لنا أن نقف على حقيقة مهمة وهى أن أهل الشام كانوا باستمرار مرابطين للجهاد فى سبيل الله (٢٨٧) ولقد كان للنفير للجهاد ترتيبات خاصة فصلها لنا ابن العديم (٢٨٨) .

مر بنا لمحة عن تلك العلاقات فى عهد سيف الدولة الحمدانى وبداية عهد ابنه سعد الدولة ، وقد رأينا كيف كانت تلك العلاقات فى مد وجزر مستمرين .

وفى سنة ٣٥٨ هـ استولى نقفور ملك الروم على طرابلس ، وأحرق كثيرا من أجزائها وقتل خلقا كثيرا ، ثم استولى على نحو ثمان عشرة مدينة من مدن الساحل الى جانب كثير من القرى ، واعتنق بعض أهالى تلك البلاد المسيحية (٢٨٩) ، مما يوضح مدى خطر الروم حينئذ ، كما حدث فى حمص نفس ما حدث فى طرابلس (٢٩٠) .

وفى بداية سنة ٣٥٩ هـ استولى الروم على انطاكية (٢٩١) ثم اتجه الروم نحو حلب وكان قد تغلب عليها قرعويه غلام سيف الدولة (٢٩٢) وانتهى الأمر بينهم الى عقد المعاهدة التى أصبحت حلب بمقتضاها تابعة لبيزنطة (٢٩٣) . ــ كما مر بنا ــ وقد حقق قرعويه للروم جميع مطالبهم وأطماعهم فعادوا الى بلادهم ومعهم رهائن من أهل حلب ، ولم يحرز الروم هذه الانتصارات الا نتيجة

وقوع الخلاف بين المسلمين (٢٩٤) وما لبث أن عـــاد المسلمون الى حلب (٢٩٥) .

وفى نفس السنة أى سنة ٣٥٩ هـ توفى نقفور امبراطور الروم الذى لم يكن ينتمى الى البيت المالك (٢٩٦) وكان لنقفـــور مكانة سامية بين الروم واستطاع ان يثير الرعب فى شـــمال العـــالم الاسلامى سنوات طويلة وأن يحرم الأهالى من غلات أراضيهـــم ومن الأمـــن والهدوء ايضا (٢٩٧) حتى أن المـــؤرخ اليونـــــانى (ليو الشماسى) الذى عاصر تلك الأحداث « يذهب الى انه لو لم يلق نقفور مصرعه لاستطاع أن يمد أطراف دولتهم الى الهند شرقا والى تخوم الأرض غربا » (٢٩٨) .

وبعد فتح الفاطميين للشام ، بدأ جعفر بن فلاح يعمل على توطيد نفوذهم باستعادة تلك المناطق الشمالية من قبضة الروم ، فابتدأ بأنطاكية فأرسل اليها (ربيع الأول سنة ٣٦٠ هـ) جيشـا بقيادة غلامه فتوح (٢٩٩) · وكان الشـــتاء قارســـا فقاسي الجنـد مشقة عظيمة من البرد ، حتى اذا بدأ الربيع ، وقاتلوا أهل انطاكية اشد قتال فلم يبلغوا منها مأربا (٣٠٠) نتيجة جهود دوقها ميخائيل بورجس ، الذى قام بترميم حصونها وجعلها صالحة للدفاع (٣٠١) وقد أدت جهوده هذه الى أن أسـر الروم أكثر من عشرين الف أسير من المسلمين (٣٠٢) ولما علم ابن فلاح بزحف القرامطة بعث الى غلامه فتوح يأمره بالرحيل عن انطاكية واللحاق به ، فوافاه فى أول رمضان سنة ٣٦١ هـ (٣٠٣) .

واستمرت العلاقات بين بيزنطة والشام على هـــذا المنوال حتى رمضان سنة ٣٦٢ هـ حين اغار قائد القوات البيزنطية فى الشرق واسمه (مليح) على أعالى الفـــرات ، ثم التقى بغـــلام أبى الهيجاء بن حمدان عند آمد ، ودارت حرب بين الجانبين انتهت بهزيمة مليح وأسره (٣٠٤) . ورغم أن هذا الدمستق لقى معاملة

طبية فى بغداد اثناء حبسه ، الا أنه مرض حتى سنة ٣٦٣ هـ وقضى نحبه .

وكان لهزيمة الدمستق هذه ، الى جانب ظهور القوة الفاطمية فى مصر والشام ، — وخاصة بعد هزيمة القرامطة ، أثره فى تفكير الامبراطور البيزنطى فى العمل على المحافظة على امبراطوريته من هذه الأخطار (٣٠٥) .

وكان الامبراطور الجديد الذى خلف نقفور فوقاس فى عرش القسطنطينية هو الامبراطور حنا شمشقيق (زمسكيس) (٣٠٦) وهو أول من فكر تفكيرا صليبيا فى استرداد بيت المقدس .

وكان لشهرة بيت المقدس بأنها مدينة مقدسة يقصدها الملايين من الحجاج المسيحيين ، واقامة عدد كبير من الحجاج الأتقياء فيها ، أثره فى تطلع المسيحيين من سائر أنحاء البلاد اليها ، وكانت بيت المقدس تخضع حينئذ للفاطميين ، ولذا رأى — الامبراطور زمسكيس المشهور بالتقوى أن يعمل لتخليص هذه المدينة المقدسة من الحكم الفاطمى . ويقال : ان هذه الأفكار لم تكن جديدة ، بل ان زمسكيس نهج فيها نهج سلفه الامبراطور نقفور فوكاس (٣٠٧) .

ولكن زمسكيس ظل يتحين الفرصة المناسبة لتحقيق هذا الأمل الكبير ، ثم بدأت محاولات تمهيدية قبل أن يخرج زمسكيس بتلك الحملة الكبيرة سنة ٣٦٤ هـ . وحدث فى ذى الحجة سنة ٣٦٣ هـ أن هلك رسول لملك الروم فبعث الخليفة المعز الجثمان فى تابوت الى بلدته ، ولكن السلام لم يستمر طويلا وتواترت الاخبار فى سنة ٣٦٣ هـ حول تقدم الروم الى انطاكية (٣٠٨) وبالفعل تم فى نفس السنة استيلاء الدوقس على انطاكية . وواجه الفاطميون الروم فتقدم ابو محمود ، والى دمشق الفاطمى ، سنة ٣٦٤ هـ

لقاء الدوقس ولكن لحقت الهزيمة به (٣٠٩) مما شجع زمسكيس على التوجه لقتال والى الخليفة المعز على طرابلس ، ولكنه هزم وفقد غنائمه وأسر كثير من رجاله (٣١٠) .

وكان لتغلب افتكين التركى على دمشق واعلانه العصيان على على الخلافة الفاطمية خير ممهد للامبراطور حنا زمسكيس ليحقق أطمـاعه الصليبية (٣١١) • ومن الطبيعى ألا تخفى اسـتعدادات زمسكيس على المسلمين ، ويتضح ذلك فى مظاهر السخط على الخليفة العباسي المطيع واتهامه بالضعف والعجز ، كما أن الغرب لم يجهل أمر تلك الإستعدادات اذ عمل البنادقة على تأييدها وتشجيعها ، وكان البنادقة موالين للامبراطور البيزنطى (٣١٢) .

وفى ربيع سنة ٣٦٤ هـ (سنة ٩٧٥ م) زحف حنا الشمشقيق على الشام ، فغادر أنطاكية مخترقا نهر العاص الى حمص (٣١٣) ، ثم الى بعلبك حيث هزم أهلهـا وسـلبهم أموالهم وأحرق القرى المجاورة (٣١٤) وأخيرا توجه الامبراطور الى دمشق وكان بها أفتكين ، فخرجت اليه جماعة من أهالى دمشق برئاسة ابن الزيات فخاطبوا الامبراطور فى الهدنة ، فطلب منهم مالا لينصرف عن بلدتهم (٣١٥) وأدرك أفتكين أنه عاجز عن قتال جيوش الروم ، ورأى أن يلجأ الى الحيلة والدهاء ، فالتقى بالامبراطور وأهدى اليه كل ما كان قد حمله معه من بغداد ، ثم أعلمه أن البلدة قد أخربها المغاربة وليس فيها غير حاملى السلاح ولا مال فيها ، فقال الامبراطور له : « ما جئنا لنأخذ مالا وانما جئنا لنأخذ الديار بأسيافنا ، وقد جئتنا بهدية ، وقد أجبناك الى ما طلبت ، وغرضنا فيما نأخذه من المال أن يقال بلد ملكناه فأخذنا هديته » (٣١٦) فرد أفتكين بأنه لم يستقر فى البلدة سوى أيام قليلة (٣١٧) وذكر أن من يمنعه عن أخذ المال هو ابن الماورد ، فقبض الامبراطور عليه ثم تم الاتفاق بين الجانبين على أن يجمع أفتكين المال ليعطيه الى الروم مقابل توقيع الهدنة ، وبالفعل

جمع أفتكين ثلاثين ألف دينار متبعا وسائل العنف (٣١٨) فأخذ الامبراطور جزءا منها وترك الباقي لأفتكين وعاهده وهادنه • فأبدى أهل دمشق اعجابهم بحسن سياسة أفتكين (٣١٩) •

اتجهت الجيوش البيزنطية من دمشق الى طبرية حيث اتخذ الزحف البيزنطي طابعا صليبيا واضحا ، ويبدو ذلك واضحا في الرسالة التي بعثها الامبراطور حنا الى ملك أرمينيا آشوت الثالث ، والتي حوت عبارات تثير العاطفة الدينية ، وتحدث عن زحف جنده نحو الأرض المقدسة التي شهدت مولد المسيح ، والتي دفن فيها ، مما يوضح الروح الصليبية التي اتصفت بها تلك الحملة (٣٢٠) • ثم اتجه زمسكيس الى الناصرة فعفا عنها احتراما واجلالا ، وتسلق جبل الطابور تيمنا وتضرعا ، وتقبل هنالك عرض أهالي القدس والرملة وعكا بالدخول في الطاعة ، وأرسل اليها قادة عسكريين يقيمون فيها (٣٢١) ولكن رغم ذلك لم تدخل جيوشه بيت المقدس •

ومن خطاب زمسكيس لآشوت الثالث ملك أرمينيا نفهم أنه قبل وصوله لأورشليم وجه حنا زمسكيس قواته نحو الشمال على طول الساحل (٣٢٢) • وقبل أن نتتبع خطواته على الساحل نحاول أن نبرز بعض عبارات الخطاب التي تحوى كثيرا من المبالغات ومنها :

« لو أن الأفريقيين الوثنيين ــ يقصد الفاطميين ــ كانوا غير مختبئين في القلاع الموجودة على ساحل البحر المتوسط ، لتيسر لنا بعون الله دخول أورشليم ، المدينة المقدسة ، ولصلينا في ذلك المكان المقدس » ... اليوم كل فينيقيا وفلسطين وسوريا أخليت من المسلمين واعترفت بالنفوذ البيزنطي الاغريقي » (٣٢٣) •

ولما كانت قوات الفاطميين قد التجأت الى مدن الساحل فقد رأى الامبراطور أنه من الحكمة العسكرية أن يتجه نحو الساحل قبل

التوغل فى الجنوب (٣٢٤) فسار الامبراطور على طريق الساحل ، فنزل على صيدا وخرج اليه أبو الفتح بن الشيخ ومعه شيوخ المدينة فتفاوضوا معه واتفقوا على أموال يؤدونها للامبراطور مقابل انصرافه عن مدينتهم (٣٢٥) ثم اتجه الروم الى بيروت وكان بها نصير الخادم نائبا عن الخليفة المعز ومعه سبعمائة رجل من المغاربة ، فلما رأوا كثرة جند الروم أدركوا أنه لا طاقة لهم بقتالهم ، فكتب الامبراطور اليهم : « انى لا أحب خراب بلدكم ولا أريد قتالكم وانما أريد أن تسلموا الى هذا الخادم ومن معه وأعين عليكم من قبلى من يدفع عنكم من يطمع فيكم » (٣٢٦) فوجد الخادم ومن معه فى هذا العرض نجاة لهم ونزل اليه الخادم هو ومن معه ، ونسلم الامبراطور البلدة وولى عليها حاكما يمثله (٣٢٧) ثم توجه الامبراطور الى جبيل فاعتصم أهلها فاستولى على الثغر عنوة وأعمل النهب والسبى (٣٢٨) وأخيرا تقدم الامبراطور الى طرابلس وكان بها ريان الخادم ومعه عدد كبير من المغاربة . فقاتلوه أشد قتال (٣٢٩) وبعد فترة قرر الامبراطور مغادرة طرابلس وذلك لمناعة موقعها اذ أنزلت حامية المدينة بمعاونة الأسطول الفاطمى الهزيمة بالجيوش البيزنطية فعبر حنا الشمشقيق عن غضبه باتلاف الضياع المحيطة بها وتدمير بساتين الكروم والزيتون (٣٣٠) .

وهكذا خضع معظم الساحل الفينيقى والسورى ، من الرملة حتى أطراف أنطاكية للامبراطور ، ثم استولى الامبراطور فى طريق عودته على حصن صهيون وحصن برزوية (٣٣١) .

وهنا اكتفى الامبراطور حنا بهذا القدر من الانتصارات وبدأ العودة الى عاصمته . وربما كان دافعه الى ذلك قلة امداداته والخوف من انقطاعها عنه لو اتجه الى بيت المقدس بجنده الذين أرهقتهم تلك الحروب المتواصلة ، كما أن طرابلس لم تخضع له بعد ، وقد تأتى اليها الامدادات الفاطمية فتزداد المقاومة ضد الامبراطور

وجنوده · ولذا قرر الامبراطور العودة الى بلاده وكان أقصى حد وصل اليه في بلاد الشام جنوبا هو مرج ابن عامر ، وفي أثناء عودته دس له السم فمرض مرضا شديدا فرحل الى أنطاكية (٣٣٢)·

وصل الامبراطور الى أنطاكية وطالب أهلها بتسليم المدينة اليه ، فلم يجيبوه الى ذلك ، فقطع ما كان في بساتينها من شجر التين ، ثم اضطره المرض الذى أصابه الى أن يستخلف البرجي البطريق على حصار أنطاكية ثم توجه الى القسطنطينية ، وتوفي الامبراطور بعد فتح البرجي لأنطاكية سنة ٣٦٥ هـ (٣٣٣) · واستقر الملك بعده لبسيل وقسطنطين ابني رومانوس فانفرد بسيل بتدبير المملكة لأنه أكبر سنا (٣٣٤) ·

وقبل أن ننتقل الى مرحلة أخرى من مراحل ذلك الصراع نود أن نقيم تلك الحملة الصليبية التى قام بها حنا زمسكيس ـ الشمشقيق ، فنتساءل : الى أى مدى حققت الحملة أغراضها ؟

قامت هذه الحملة وكان اتجاهها الأول والأخير هو السيطرة على بيت المقدس ، تلك المدينة المقدسة ، فأراد زمسكيس انتزاعها من المسلمين · ولكنه كما رأينا حاول أن يؤمن نفسه من جميع الجهات المحيطة بهذه المدينة باخضاع بعض المدن المهمة فى الشام ، والتخلص من المقاومة الفاطمية بها ، فنجح أحيانا وأخفق أحيانا أخرى ، فقد رأينا كيف أخضع بيروت وبعلبك وصيدا وجبلة ، سواء طوعا أو كرها ، الى جانب بعض الحصون وبعض المناطق الجنوبية ، فى حين ظلت مدينة مثل طرابلس صامدة مما كان يشعر الامبراطور بحرج موقفه وصعوبة التقدم الى بيت المقدس ، فقد أصبح الامبراطور يعمل على توطيد سلطانه في جميع مدن الشام قبل الزحف الى بيت المقدس والاستيلاء عليها ، حتى يضمن استقراره فيها ، ولكن المقاومة الفاطمية من جانب والمؤامرة التى دبرت ضده وانتهت بدس السم له من جانب آخر أدى الى اسراعه

بالعودة الى أنطاكية التى أصبحت القاعدة الرئيسية للقوات الحربية البيزنطيــة فى الشرق خــلال الجزء الأخــير من القرن العــاشر الميلادى (٣٣٥) .

وهكذا لم تنجح الحملة فى تحقيق هدفها الرئيسى ولم تضف — رغم نجاحها فى أول الأمر ، أى اضافة جديدة من مدن الشام (٣٣٦) ولكن الحملة فتحت أذهان المسيحيين الصليبيين لتحقيق هذا الغرض فيما بعد . وهذا ينفى جزئيا الفكرة السائدة طوال عصر الحروب الصليبية وهى أن الصليبيين الغربيين وحدهم هم أصحاب الفضل فى استرداد بيت المقدس من المسلمين ، وليس للبيزنطيين أى فضل ســـابق فى ذلك (٣٣٧) ولكننا نرجح أن الظروف نفسها خدمت الصليبيين بعد حوالى قرن وربع لتحقيق غرضها الصليبى مستفيدين من تلك الحملة الصـــليبية الأولى التى قام بها زمسكيس ، كما استفادوا أيضا من ضعف الخلافة الفاطمية التى كان لمجهوداتهـا القوية زمن الامبراطور حنا أثره الفعال فى وقف مسعاه وخاصة فى فتح ذلك الثغر الحصين ، طرابلس ، فاذا ما تبدلت الأحوال ودب الضعف فى أوصال الخلافة الفاطمية ، وبدأت المنافسات بينها وبين الأتراك السلاجقة فى الشام ، كان هذا من أكبر العوامل المشجعة على نجاح الحروب الصليبية فى تلك المرة ، أى فى نهاية القرن الخامس الهجرى .

وفى جمادى الأولى سنة ٣٧١ هـ اتجه برداس فوقاس دمستق الشرق (٣٣٨) وزحف نحو حلب فخرب جامعها وسبى أهلها ثم أحرق المدينة ، فهلك عدد كبير من أهلها ، ووصف ابن حوقل ما حل بالمدينة فقال : « قل من أهل البلد ما فى اعادته على وجهه ارماض لمن سمعه ووهن على الاسلام وأهله » (٣٣٩) . فترددت المراسلات بين أهل حلب والروم واستقر الأمر على أن يحمل سعد الدولة الى الروم كل سنة اربعمائة الف درهم فضة (٣٤٠) . ثم رحل الدمستق عن حلب .

ويبدو أن سعد الدولة حاول أن يوقف ارسال تلك الأموال الى الروم مما جعل برداس الدمستق يعيد الكرة على حلب مرة أخرى في منتصف ربيع الثاني سنة ٣٧٣ هـ « وقيل انه ضمن لباسيل وقسطنطين ملكي الروم الأخوين أن يفتح حلب وينقض سورها حجرا حجرا » (٣٤١) فالتقى سعد الدولة وجنده به فهزمه وسير جيشه خلفه غازيا حتى بلغت عساكره أنطاكية (٣٤٢) ٠

وفي سنة ٣٧٥ هـ (٩٨٥ م) حدث صدام جديد بين سعد الدولة أبي الفضايل والبيزنطيين (٣٤٣) واضطر سعد الدولة في نهـاية الصـدام الى طلب الأمان والموافقة على دفع الجزية مرة أخرى (٣٤٤) وفي نفس السنة سنة ٣٧٥ هـ خلع الملك بردس الفقـاس من الدمسـتقية وجعـل دوقس على المشرق وولايـة أنطاكية (٣٤٥) ٠ وفي سنة ٣٧٦ هـ جدد بردس الهدنة مع أبي الفضايل بن حمدان على أن يحمل الى الملك في كل سنة أربعمائة ألف درهم فضة (٣٤٦) ٠

ثم مرت بعض الأحداث بالامبراطور باسيل اضطرته الى طلبه مهـادنة الفاطميين (٣٤٧) ويبدو أن تفكير باسيل جاء في الوقت المناسب اذ أن الخليفة الفاطمي العزيز كان قد هيأ عدة سفن حربية لغزو الروم ، ثم وردت اشارة بأن رسل الروم وصلت بحرا الى ساحل القدس لتقدم الهدايا للعزيز ثم وصلوا الى مصر يطلبون الصلح فأجابهم العزيز اليه (٣٤٨) ٠

ولكن تلك الهدنة لم تستمر طويلا فقد كان التأثير البيزنطي واضحا في حلب حتى ذلك الوقت ٠ ولذلك سير الخليفة العزيز غلامه منجوتكين ـ كما رأينا ـ واليا على دمشق وطلب منه فتح حلب مما أدى الى اصطدامه بجيوش البيزنطيين الذين استنجد بهم سعد الدولة ، وكان يقودها الدوق البيزنطي ميشيل بورتزيه (٣٤٩) ولكن لحقت بهم الهزيمة ووقع القائد البيزنطي في الأسر ، وتمت

مطاردتهم حتى أنطاكية حيث قتل منهم عدد كبير (٣٥٠) . وبذلك بدأ الصراع الفاطمى الحمدانى يتحول الى صراع فاطمى بيزنطى بسبب استنجاد ولاة حلب الحمدانيين بالبيزنطيين . والراجح أن الذى شجع العزيز على انتهاج تلك السياسة هو انشغال الامبراطور البيزنطي بحروبه مع البلغار ، ثم رغبة العزيز فى توطيد نفوذه فى حلب غير منصت فى ذلك لنصيحة وزيره يعقوب بن كلس الذى قال له : « سالم الروم ماسالموك ، وأقنع من الحمدانية بالدعـوة والسكة » (٣٥١) .

بعد وفاة سعد الدولة سنة ٣٨١ هـ حاول الفاطميون الاستفادة من صغر سن ابنه سعيد الدولة للاستيلاء على حلب فاستنجد سعيد الدولة بالامبراطور باسـيل الثـانى فكتب اليـه « لتأت مسرعا يا باسيل ، ان الصوت الوحيد أو الاشاعة بمجيئك سوف تجبر المصريين على فك الحصار » (٣٥٢) .

وكان الاستنجاد فى وقت مناسب ، فتقدم باسيل بنفسه تلك المرة ، وكان قد فرغ من حرب البلغار ، ووصل فى ربيع الثانى سنة ٣٨٥ هـ فى سرعة مذهلة ، يقود قوات كثيفة (٣٥٣) وبلغ عدد الجند حوالى ٤٠٫٠٠٠ جندى ، وكان منجوتكين لا يزال محاصرا ابن حمدان منذ شعبان سـنة ٣٨٤ هـ حتى ربيـع الأول سـنة ٣٨٥ هـ (٣٥٤) . ويبدو أن منجوتكين لم يكن يتوقع أن يصـل امبراطور الروم بتلك القوات التى لا حصر لها مما جعله ينسحب الى دمشق فى سرعة » (٣٥٥) .

وبوصول الامبراطور باسيل الثانى الى حلب سارع أميرهـا الى تقديم فروض الولاء والطاعة له (٣٥٦) ، ثم تقدم باسيل فاستولى على شيزر وحمص ورفنية من الحاميات الفاطمية (٣٥٧) واتجه ملك الروم بعد ذلك الى طرابلس فلم يستطع فتحها بأية وسيلة (٣٥٨) .

أفاق الأمير الحمداني من الصدمة ، وأدرك الخليفة الفاطمي خطأه في استمرار النزاع بينهما مما أطمع فيهما أعداؤهما فقررا عقد الصلح بينهما سنة ٣٨٥ هـ ، ثم رأى الخليفة العزيز الخروج بنفسه لقتال الروم حتى اذا وصل الى بلبيس توفى فى رمضان سنة ٣٨٦ هـ . فكانت وفاته خاتمة لفصل حافل بالصراع البيزنطي الفاطمي فى بلاد الشام .

وبوفاة العزيز وبداية عهد الحاكم تعرضت الامبراطورية البيزنطية لهزيمتين احداهما عند صور بحرا (٣٥٩) ، فى حين استطاع يمين الخادم والى غزة وعسقلان أن يقاتل الروم عند فامية وقتل منهم خمسة آلاف (٣٦٠) وقتل قائد الروم نفسه (دميان دولاسيل) وكان ذلك سنة ٣٨٨ هـ (٣٦١) ثم سارت الجيوش الفاطمية الى مرعش فأحرقوا وهدموا بيوتها دون أن يلقوا مقاومة تذكر ، ثم اتجهوا الى أنطاكية فقاتلوا أهلها أياما ، ثم رحلوا عنها الى شيزر (٣٦٢) .

وعندما وصلت تلك الأخبار الى باسيل حزن حزنا شديدا ، وكان حينئذ مشغولا بحرب البلغار ، فحرص على أن يستتب الأمن والسلام فى الشام حتى يتفرغ لحربه مع البلغار ، اذ كان يخشى من تدخل الفاطميين فى البلاد البيزنطية (٣٦٣) ولذلك طلب عقد هدنة سنة ٣٨٨ هـ ، ولكن ما أحرزته الجيوش الفاطمية بالشام من انتصارات جعلت الحاكم يبعث باجابة غير مرضية ، مما جعل الامبراطور يصمم على الاتجاه بنفسه الى الشام مرة أخرى تاركا القيادة فى بلغاريا لنقفور أورانوس (٣٦٤) .

وفى سنة ٣٨٩ هـ وصل الامبراطور باسيل الى الشام فدخل انطاكية وبعد موقعة مع الفاطميين عند جسر الحديد (٣٦٥) ثم سار الى شيزر ففتحها بعد أن منح الأمان للمغاربة (٣٦٦) ومن هذا التاريخ

أصبحت شيزر تحت حماية بيزنطة من (٩٩٩ ـ ١٠٨١ م ـ ٣٨٩ ـ ٤٧٤ هـ) (٣٦٧) .

ولم يتخل باسيل فى حملته هذه عن سياسة التخريب والتدمير والعنف ، مثلما حدث فى حصن عرقة الذى أحرق ودمرت قلعته (٣٦٨) . وأخيرا اتجه باسيل الى طرسوس (٣٦٩) وحاصرها مدة بسيطة وبينما هو يستعد لمتابعة الحرب ضد الفاطميين علم بوفاة داود ملك الكرج ، الذى كان قد أوصى بملكه قبل وفاته لباسيل مما جعله يسارع في السير الى بلاد الكرج حيث أعلن أمراؤها ولاءهم له ، وضم دولة داود الى امبراطوريته (٣٧٠) ، مما أدى الى رجحان كفة باسيل . وعند عودته الى القسطنطينية (١٠٠٠ م ـ ٣٩١ هـ) وجد هناك سفارة بعثها الحاكم بأمر الله برئاسة أريسطس Orestes بطريرك بيت المقدس يطلب عقد هدنة لمدة عشر سنوات وذلك سنة ١٠٠١ م وبالفعل تم توقيع الهدنة فبدأ عهد جديد من السلام بين البيزنطيين والفاطميين .

ويوجز (فازيلييف) العلاقات البيزنطية الفاطمية فى عهد باسيل الثانى (٣٦٦ ـ ٤١٦ هـ) (٩٧٦ ـ ١٠٢٥ م) فيقول : « ان ممتلكات الامبراطورية فى سوريا كانت مهددة بشدة من خليفة مصر وأن مدينة حلب التابعة لبيزنطة احتلها جيش العدو (الفاطميين) عدة مرات وبظهور باسيل بنفسه فى سوريا فى أوقات غير متوقعة استطاع أن يحتفظ بنجاح مستمر ، بالتأثير البيزنطى على هذه المناطق ، ولكنه أخفق فى احراز أى نصر جديد .. » (٣٧٢) .

ونحن نتفق مع الرأى القائل بأن جهود باسيل الثانى فى الشام كانت خاتمة للحروب الصليبية التى قام بها البيزنطيون فى القرن العاشر الميلادى (الرابع الهجرى) وهى الحرب التى حالت دون

امتداد النفوذ الفاطمي بالشـــام الى ما وراء أنطاكية مع احتفاظ البيزنطيين بنوع غير واضح من السيادة على اقليم حلب (٣٧٣) ٠

ومن طريف ما يحكى أن باسيل ملك الروم حج الى القدس متنكرا سنة ٣٩٣ هـ أى بعد عقد الهدنة بسنة واحـدة ، وعرف الحاكم بأمر الله بذلك فأرسل اليه رجلا انتظره على باب كنيسة القيامة ومعه رقعة يعرفه أنه قد علم به وأنه قد وهبه نفسه ، فتعجب باسيل لمعرفة الحاكم بذلك ، ثم عاد الامبراطور الى بلاده ولم يعلم به سائر الناس (٣٧٤) ٠

استمرت الهدنة حتى سنة ٤٠٤ هـ حيث أرسل الحاكم فى تلك السنة هدية عظيمة الى امبراطور الروم مع رسول الامبراطور (٣٧٥) مما يدل على تبادل السفارات بينهما ٠ ويبدو أن سياسة التقاعس التى اتبعتهـــا الدولة البيزنطية فى القرن الحادى عشر الميلادى (الخامس الهجرى) أدت الى تمكين الفاطميين من فرض سيادتهم على حلب سنة ٤٠٦ هـ ـ ١٠١٥ م (٣٧٦) وبسيطرتهم عليها فى هذه السنة التجأ مرتضى الدولة الى الروم فى أنطاكية ، بعد أن عصاه فتح ، وكاتب الحاكم وأظهر طاعته وخطب باسمه ولقب بمبارك الدولة (٣٧٧) ٠

ثم ان الحاكم بأمر الله اختلف مع عزيز الدولة فاتك والى حلب ، مما جعل الأخـير يضرب السكة باسمه ويدعو لنفسه على المنبر ، فأرسل الحاكم الجيوش لقتاله سنة ٤١١ هـ ٠ فلما علم عزيز الدولة بذلك ، أرسل الى باسيل ملك الروم يستدعيه ليسلم حلب اليه ، فخرج باسيل فلما وصل الى مكان يعرف بمرج الديباج ، علم عزيز الدولة بوفاة الحاكم فأرسل الى باسيل يعلمه أنه قد أنقض ما كان بينهما من الشروط ، وأنه اذا ظهر بالشام كان هو وبنو كلاب ضده (٣٧٨) ٠

ظلت الأحوال هادئة نسبيا الى سنة ٤١٨ هـ ـ ١٠٢٧ م حين عقدت معاهدة بين الامبراطور الروماني قسطنطين الثامن والخليفة الظاهر (٣٧٩) · تقرر فيها الخطبة للظاهر ببلاد الروم وافتتاح الجامع في القسطنطينية وتزويده بالحصر والقناديل ومده بمؤذن ، وعند ذلك أذن الظاهر بفتح كنيسة القيامة التى بالقدس (٣٨٠) اى أن العلاقات بدأت تصطبغ بالصبغة الدينية ·

ولكن العلاقات سرعان ما عادت عدائية من جديد ففي سنة ١٠٢٨ م ـ ٤١٩ هـ جهز رومانس الثالث ملك القسطنطينية أسطولا وجهه الى والى أنطاكية لمهاجمة شواطىء سورية ، فأتلف المسلمون كثيرا من سفن هذا الأسطول وثارت الحمية وعاودتهم الشجاعة وعزموا على استرداد المدن التى كانوا قد فقدوها في عهود الأباطرة نيقفور وزمسكيس وباسيل ، وقصدوا تلك المدن فقتلوا حاميتها من الروم حتى وصلوا الى أنطاكية (٣٨١) ·

وهناك رأى يذهب الى أنه بعد معركة الاقحوانة ومقتل صالح ابن مرداس ، هرب ابن الجراح الى الأراضى البيزنطية واسترد الفاطميون بعض المدن مثل بعلبك وحمص وصيدا ورفنية (٣٨٢) وحصن بن عكار . واغتنم دوق (قطبان) انطاكية ، وهو ميخائيل المعروف (بالاسبنديل Spondyle) تلك الفرصة وعزم على الخروج لقتال أميرى حلب ، نصر وثمال وهما ابنا صالح بن مرداس ، دون أن يتلقى أمرا من الامبراطور رومانوس الثالث ، فهاجم حصن قيبار ، من أعمال حلب ، غير أنه تعرض في أكتوبر سنة ١٠٢٩ م سنة ٤٢٠ هـ الى هزيمة ساحقة . وعلى الرغم من عقد الصلح بين أمير حلب وقطبان أنطاكية ، فان الامبراطور البيزنطى قرر القيام بحملة لمهاجمة حلب سنة ١٠٣٠ م ـ ٤٢١ هـ (٣٨٣) .

يذكر ابن العديم أنه حدث خلاف بين نصر وثمال بحلب « فجمع أبو علوان ثمال بن صالح الأعراب وعزم على منازلة أخيه نصر ، فسير نصر الى ملك الروم أرمانوس يستدعيه الى حلب فقدم الى الشام (٣٨٤) . أما الأب لامانس فيذكر رأيا آخر يعلل به سبب خروج رومان الثالث الى الشام وهو « أن الحكم التعسفي السوري أوحى له بأن يتبع فكرة زمسكيس وباسيل الثاني » (٣٨٥) . وسواء صح هذا الرأي أم ذاك فالراجح أن رومانس الثالث خرج في سنة ٤٢١ هـ الى الشام في جيش ذكر أن عدده حوالى ثلاثمائة ألف جندي (٣٨٦) وصحب هذه الحملة ملك البلغار وملك الروس والألمان والخزر والأرمن والبلجيك والفرنج (٣٨٧) .

كان حسان بن الجراح عندما اتصل به ما عزم عليه ملك الروم من غزو الشام ، قد أنفذ اليه جماعة من أهله برسالة يقوى بها عزمه ويعرض عليه المساعدة ، والمشاركة في جيوشه بأهله وأصحابه كما أنفذ أيضا الى نصر وثمال ابني صالح بن مرداس مع آل جراح ابن عمهما مقلد بن كامل بن مرداس يبذلان مثل ذلك عن نفوسهما وعشيرتهما (٣٨٨) .

لم يزل الامبراطور رومانس الثالث متقدما حتى اقترب من حلب فعاني جيشه من قلة الماء ، وكان الزمان صيفا ، كما كان أصحابه مختلفين عليه ، فكان منهم من يحسده ومنهم من يكرهه (٣٨٩) فقرر الامبراطور العودة الى بلاده واعتذر بقوله : « لولا عطش عسكري لبلغت مرادي » (٣٩٠) . والراجح أن العطش واختلاف الرأي تضافرا على صد الامبراطور عن تحقيق رغبته .

وكان أمير حلب لما رأى أن سفارته الى ملك الروم أخفقت وأن الامبراطور قد اقترب من حلب ، خرج شبل الدولة نصر في

تسعمائة وثلاثة وعشرين فارسا ، فحين أشرف على الروم شعروا بالخوف ولحقت بهم الهزيمة في شعبان سنة ٤٢١ هـ (٣٩١) وهرب رومانوس • ولم يبق مع الملك الا القليل من الجند ، وقتل المسلمون من بطارقته وغيرهم عددا كبيرا وأسروا بعض أولاد الملوك (٣٩٢) أما البقية الباقية من الروم فقد فرت الى أنطاكية وغنم المسلمون غنائم عديدة (٣٩٣) ولذا ، فانه على الرغم من أنه فى ظل حكم الامبراطور رومان الثالث (١٠٢٨ ـ ١٠٣٤ م) كانت الشئون السورية قد بدأت تثار من جديد (٣٩٤) الا أن انتصار الأمير المرداسى شبل الدولة ، حقق استقلال حلب (٣٩٥) ولكن أحد القادة البيزنطيين ، وهو (جورج مانباكس Geores manapakes) حاكم سميساط ، نجح فى أن يحول دون امتداد نفوذ بنى مرداس الى انطاكية (٣٩٦) •

وفى سـنة ٤٢٢ هـ اسـتولى الروم على قلعـة أفاميـة بالشام (٣٩٧) وذلك ان الدزبرى لما تولى أمر الشام استردها من المتغلبين عليها عدا حلب التى بقيت بيد بنى مرداس ، ولقى حسان ابن الجراح واخوته الهزيمة أمام الدزبرى فما كان من حسان الا أن دخل فى طاعة ملك الروم وحمل علما رسم عليه صليب ، وتقدم على رأس جيش كبير الى أفامية وكانت تابعة للدزبرى فهزم أهلها وسبى كثيرا منهم فهدد الدزبرى الغزاة فخاف نصر بن صالح وتعهد لملك الروم بأداء خمسمائة ألف درهم سنويا (٣٩٩ •

وفى سـنة ١٠٣١ ـ ١٠٣٢ م (٤٢٤ ـ ٤٢٥ هـ) دارت مفاوضات بين الجانبين : البيزنطى والفاطمي لعقد الصلح واشترط الامبراطور لعقده أن يقبل الفاطميون ثلاثة شروط أساسية وهى أن يعمر الامبراطور كنيسة القيـامة ببيت المقدس ويجددها على نفقته ، كما يسمح للنصارى بتعمير جميع الكنائس الخراب فى الدولة الفاطمية ، وأن تتولى الحكومة البيزنطية اختيـار بطريرك بيت

المقدس (٤٠٠) وألا يتعرض الخليفة الظاهر لحلب ولا يقوم هو ولا أحد من أنصاره بقتالها أو بالتعرض لها بمكروه ، وأن يتركها تؤدى للامبراطور البيزنطى ما هو مقرر عليها من جزية سنوية . كما تتعهد الحكومة الفاطمية بألا تمد يد المساعدة لأمير صقلية أثناء نشوب القتال بينه وبين البيزنطيين فلا ينجده ولا يقويه (٤٠١)

وتعهد الامبراطور رومانس مقابل ذلك باطلاق الأسرى المسلمين المأسورين فى عهده خلال الحروب مقابل تجديد بناء كنيسة القيامة . كما طلب من الخليفة الظاهر أن يعيد حسان ابن الجراح الى الحكم على نحو ما كان عليه زمن الخليفة الحاكم بأمر الله واشترط عليه حسن الطاعة كما اتفقا على أن يتبادلا حصن شيزر بأفامية لقرب الأخير من بلاد الروم (٤٠٢) .

قبل الخيلفة الظاهر الشرطين الأول والثالث ولم يوافق على الشرط الخاص بحلب ، وأعلن أنها من ثغور المسلمين . كما لم ير قبول عودة حسان بن الجراح الى الحكم ولم يرغب فى أخذ شيزر مقابل أخذ افامية (٤٠٣) .

وما ان حلت سنة ٤٢٦ هـ حتى وصل الروم الى ولاية حلب فقاتلهم صاحبها شبل الدولة نصر بن صالح بن مرداس فهزمهم وتبعهم الى عزاز (٤٠٤) وظل الجو متوترا بين الجانبين الى بداية عهد الخليفة المستنصر بالله ، ففى سنة ٤٢٧ هـ ـ ١٠٣٦ م وقعت الهدنة بين الظاهر وبين ميخائيل ملك الروم لمدة عشر سنوات متوالية (٤٠٥) وفى سنة ٤٢٩ هـ هادن الخليفة المستنصر الفاطمى امبراطور الروم ميخائيل الرابع على أن يطلقا سراح خمسة آلاف أسير (٤٠٦) وشرط الروم عليه أن يعمر كنيسة القيامة فأرسل اليها الامبراطور من عمرها وأنفق عليها مالا جزيلا (٤٠٧) .

ولكن سرعان ما نقض ملك الروم الهدنة وأغار على مدينتى حلب وأفامية وهزم جند الدزبرى المقيم هناك ، فخرج اليه جنده

حلب فهزمهم على أرمناز (٤٠٨) وقيل : ان سبب ذلك أن ثمال ابن صالح وعمه المقلد كانا مسيطرين على الرقة فبعثا الى ملك الروم يمال وثياب فطلب منهما ابتياع الرقة كما ابتيعت الرها فضاق الدزبرى ذرعا وهدد ابن صالح فاعتذر له (٤٠٩) . هذا الى أن جماعة من بنى جعفر بن كلاب دخلوا ولاية فامية فعاثوا فيها فسادا، ونهبوا عدة قرى ، فخرج اليهم جمع من الروم فقاتلوهم وأوقعوا بهم الهزيمة ، وعلم صاحب حلب بذلك فأخرج من حلب من كان بها من تجار الفرنج وأرسل الى المتولى بأنطاكية يأمره باخراج من عنده من تجار المسلمين ، فأغلظ القول للرسول وأراد قتله ثم أطلق سراحه فأرسل متولى حلب الى الدزبرى ينبئه بالأمور (٤١٠) . فبعث الدزبرى اليهم جندا التقى بالروم فيما بين حماه وفامية فهزمهم المسلمون (٤١١) .

وفى سنة ٤٣٧ هـ انتقضت الهدنة التى عقدها الخليفة الظاهر لاعزاز دين الله مع ملك الروم ، وسعت الرسل فى تجديدها وكان انتقاضها فى الحقيقة منذ أربع سنوات مضت ، فلما كان الثامن من ذى الحجة وردت هدية ملك الروم من القسطنطينية الى الخليفة الفاطمى بالقاهرة فرد الهدية بهدية أخرى أكثر قيمة (٤١٢) .

وفى سنة ٤٤٠ هـ وصل رسول ملك القسطنطينية الى الخليفة المستنصر يطلب الصلح مع بنى مرداس فأجابه المستنصر الى ذلك (٤١٣) . كما أن الامبراطور البيزنطى مونوماك Monomaque حصل من الحكومة المصرية فى نفس السنة على اذن باعادة بناء كنيسة القيامة (٤١٤) .

أما حلب فكانت أكثر ارتباطا بالبيزنطيين ، ففى سنة ٤٤٣ هـ صير ثمال شيخ الدولة على بن أحمد بن الأيسر ، رسولا الى

القسطنطينية بالمال المقرر عليه في سنة وبهدية ، فشاهدوا من سداده وكمال مروءته ما أوجب اكرامه عن غيره من الرسل ورفعوا رتبته وكذلك رتبة كل من مقلد بن كامل وثمال الذى سيروا اليه بهدية عظيمة مقابل هديته (٤١٥) .

وعندما ظهر الغلاء وانتشر الوباء في مصر في فترة الشدة المستنصرية ، استعان المستنصر بالله بصاحب القسطنطينية سنة ٤٤٥ هـ ، ليحمل اليه غلات بلاده فبعث اليه أربعمائة أردب (٤١٦) ولكن بموت قسطنطين مونوماك في سنة ١٠٥٥ م ـ ٤٤٧ هـ أصبحت الأمور في يد تيودورا ، فعقدت محالفة حربية ودفاعية بين الدولتين أدت الى منع وصول الامدادات والمؤن ، كما أدت الى الاعتداءات على شمال سورية (٤١٧) فجهز المستنصر عسكرا بقيادة مكين الدولة بن ملهم ليزحف الى اللاذقية ، فخرج في جيش كثيف وحاصرها وأعلن الجهاد ضد الروم ، وحاصر ابن ملهم حصن قسطون بالقرب من فامية ، وضيق على أهله ونهب أنطاكية وسبى أهلها فبلغ ذلك امبراطورة القسطنطينية فبعثت ثمانين سفينة حربية فأسرت القائد العربي ومن معه من أعيان العرب (٤١٨) .

وما ان حلت سنة ٤٤٧ هـ حتى بعث الخليفة المستنصر من استولى على جميع ما كان في كنيسة القيامة ، وسبب ذلك أن القاضي أبا عبد الله القضاعي (٤١٩) كان قد خرج من مصر برسالة الى القسطنطينية ، فأذنت له الحكومة بالدخول حيث صلى بجامعها وخطب للخليفة القائم العباسي ، فأنبأ القضاعي المستنصر بذلك فغضب واستولى على نفائس كنيسة القيامة (٤٢٠) .

هدأت العلاقات بين الجانبين نوعا ما حتى سنة ٤٥٤ هـ حيث تقاتل صاحب حلب معز الدولة ثمال بن صالح الكلابي وملك الروم عند أرتاح ، من أعمال حلب ، وانتصر المسلمون وغنموا

وسبوا (٤٢١) . وهنا يختلف المؤرخون فى سبب هذا الاشتباك فيذكر البعض أن ذلك يرجع الى أنه فى المحرم سنة ٤٥٤ هـ عمر الروم حصن قسطون وحصن عين التمر ، فسار معز الدولة فى جمادى الأولى لغزوهم ، ففتح حصن ارتاح فراسلوه فى الصلح فبعث اليهم رسولا يقول « لا أجيب الى الصلح الا على أن يهدموا الحصنين ، وأن يكون ليلون للمسلمين ، ويحملوا عن حصن أرتاح مالا يرده عليهم ، فضمنوا ذلك . وفى شوال نزل الروم من يمين العقبة (٤٢٢) ، وأحرقوها ونهبوها فأدركهم بعض الأمراء العرب فظفروا بهم على كثرتهم وقلة المسلمين فقتلوا من الروم ألفا وخمسمائة (٤٢٣) فى حين يذكر البعض الآخر أن سبب ذلك أن الروم قد امتنعوا عن أداء ما تعهدوا به لثمال من أموال وثياب وتحف فى كل سنة ، فلما ابتعد ثمال عن حلب طلب ما تعهد به الروم ، فبعث الروم بجندهم الى الشام ، وجمع ثمال بنى كلب وغيرهم ، والتقوا عند ارتاح وجعل ثمال أخاه عطية على مقدمة الجيش واجتمعت اليه القبائل وبنو خفاجه ، فانتصروا على الروم وفتحوا أرتاح ، وتقدم ثمال الى أنطاكية وحاصرها ، فضاق بأهلها الحال فصالحوه وأعطوه مالا (٤٢٤) .

وفى سنة ٤٦٠ هـ فتحت ارتاح عنوة ونهب جميع ما فيها وما فى حصنها من الأموال والذرارى ، وكان فيها عدد كبير من النصارى (٤٢٥) . وفى سنة ٤٦١ هـ استولى امبراطور الروم على حصن منبج ، ثم تقدم الى عزاز ولكنه ما لبث ان رحل عنها نتيجة انتشار الوباء بين جنده ، فرجع خائبا (٤٢٦) . وفى أول شعبان سنة ٤١٦ هـ جمع قطبان أنطاكية المعروف بالبخت جموعا كثيرة وسار الى حصن أسفونا بتحريض من قوم من بنى ربيع أهل الجوزن ففتحوه ، وقتلوا كثيرا من أهله ، فلما علم الأمير عز الدولة محمود تقدم الى الحصن وقتل جميع رجاله (٤٢٧) على أن محمود شرعان

ما هادن الروم وانفقوا على أن يقترض منهم أربعة عشر ألف دينار وأن يجعل والده نصرا رهينة لدى الروم ، وتعهد بهدم حصن أسفونا فأخرج ثابت ابن عمه معز الدولة وشبل بن جامع ، وجمعا الناس من معرة النعمان وكفر طلب وأعمالهما وخربا حصن أسفونا (٤٢٨) فقال بعضهم :

وهدوا بأيديهم حصنهم وأعينهم حزنا تدمع
عجبت لسرعة بنيانه ولكن تخريبه أسرع (٤٢٩)

وفي سنة ٣٦٢ هـ توجه ملك الروم من القسطنطينية الى الشام في ثلاثمائة ألف مقاتل فنزل على منبج ، وأحرق القرى التى ما بين منبج الى أرض الروم . وقتل رجالهم وسبى نساءهم وأولادهم (٤٣٠) ولكن سرعان ما أعاد تعمير الثغر ورحل عنه (٤٣١) ، ثم التقى بمحمود بن صالح بن مرداس وابن حسان الطائي ومن اليهم من جموع العرب فهزمهم (٤٣٢) ثم عاد الى القسطنطينية لانتشار القحط وقلة الأقوات (٤٣٣) وهلاك الكثير من جنده (٤٣٤) .

وفي سنة ٤٦٣ هـ تقدم ألب أرسلان الى ديار بكر وافتتح عدة حصون ثم نزل على الفرات ، ولم يخرج اليه محمود صاحب حلب فأحنقه ذلك فزحف نحو حلب ، وخربت جنوده المدينة ونهبوها ثم تقدمت جنوده الى القريتين من أعمال حمص ، فشفع فيهم الخليفة العباسي القائم بأمر الله فقبل ألب أرسلان الشفاعة واصطلحا(٤٣٥) .

وبعد رحيل السلطان عن حلب سار محمود بن نصر بن صالح ومعه بنو كلاب ، فنزلوا بالقرب من بعلبك قاصدين دمشق ، وكان عمه عطية بن صالح قد استنجد بالروم ضد ابن أخيه محمود ، فخرج عطية مع البخت دوق أنطاكية وجند الروم فاشتركوا جميعا

فى مهاجمة معرة مصرين (٤٣٦) وأحرقوا وقتلوا ، وما ان وصلت تلك الأخبار الى محمود حتي عاد الى حلب ، واستنجد بقرلوا التركى ومن معه من الأمراء بفلسطين فأنجدوه الى أن تفرق عسكر الروم (٤٣٧) ٠

وفى سنة ٤٦٨ هـ تسلم نصر بن محمود صاحب حلب قلعة منبج من الروم (٤٣٨) سلمها الحافظ لها اليه بأمان بعد حصار طويل فأعطاه محمود اقطاعا ومالا ، وكانت مدة بقائها فى يد الروم نحو سبع سنوات (٤٣٩) ٠

وهكذا كانت بلاد الشام فى تلك الفترة مركز صراع عنيف بين البيزنطيين من ناحية والفاطميين والمرداسيين من ناحية أخرى ، مما جعل أهل الشام لا يتمتعون بحياة الاستقرار والهدوء ٠ وأصبحت الاضطرابات وعدم الاستقرار هى السمة الغالبة على تلك الفترة فى بلاد الشام ٠ فقد « كان الطموح فى تنظيم سوريا دائما الاغراء المميت لحكومة مصر منذ أيام الفراعنة القدماء ، كما كان فى أى فترة من فترات التبعية التاريخية » (٤٤٠) ٠

الصراع القبلى والطائفى والمذهبى

فى بلاد الشام قبل قدوم السلاجقة :

قام الصراع القبلى والطائفى والمذهبى بدور فعال فى اثارة القلاقل والاضطرابات فى بلاد الشام فى القرن الخامس الهجرى ، فأضاف بذلك عاملا آخر الى عوامل الانحلال السياسى الذى تفاعل مع غيره فمهد لقدوم الصليبيين الى بلاد الشام فى نهاية هذا القرن ٠

أما الصراع القبلى ، فقد كانت أبرز قبائل الشام فى ذلك الوقت التى قامت بالدور الرئيسى فى اثارة العصبية القبلية ، هى قبائل بنى طىء اليمنية فى الجنوب ، وبنى كلاب فى الشمال ، وبنى كلب القيسية فى الوسط (٤٤١) وقد مر بنا كيف عمل الطائيون فى جنوب بلاد الشام على اثارة القلاقل المستمرة فى وجه الخلافة الفاطمية التى امتد نفوذها الى بلادهم فى ذلك الحين ٠ وفى مطلع القرن الخامس الهجرى رأينا كيف اتخذ الطائيون من الدعوة بالخلافة لأمير مكة ستارا جديدا يخفون وراءه نزعات العصبية القبلية ، وقد قدم أمير مكة الى الشام وسلم عليه الأهالى بامرة المؤمنين (٤٤٢) ولكن سرعان ما انفصم تحالف الطائيين وأمير مكة لأن الخليفة الفاطمى الحاكم بأمر الله فطن الى حقيقة الأمر فاستمال الطائيين

اليه مما اضطر أمير مكة الى العودة الى بلاده وطلب العفو من الخليفة الحاكم (٤٤٣) . ويعلق (بالدوين) على نشاط قبيلة طيء المعادى بقوله : « كان أكثر رعايا الفاطميين من القبائل العربية في سوريا شغبا هي أقرب العشائر اليها وهي قبيلة طيء في فلسطين ووادى نهر الأردن » (٤٤٤) . وظلت عصبية بنى طيء كاملة بعد ذلك حتى عهد الخليفة الظاهر حين خرج معظم أهل الشام عن طاعته (٤٤٥) .

وفي بداية القرن الخامس الهجرى ظهرت قوة الكلابيين بزعامة صالح بن مرداس الذى حاول الاستيلاء على حلب ، ولكن مرتضى الدولة استطاع أن يأسره هو وألفا من أتباعه في سنة ٤٠٢ هـ ولكنه استطاع الفرار سنة ٤٠٥ هـ (٤٤٦) وفي سنة ٤١٥ هـ كانت الظروف مهياة كما رأينا لصالح بن مرداس ليبسط نفوذه على حلب نتيجة سوء سيرة الواليين الفاطميين ، ابن ثعبان وموصوف (٤٤٧) . وهكذا انتزع صالح عاصمة سورية الشمالية من يد الفاطميين (٤٤٨) .

وكان زعماء القبائل العربية (حسان أمير بنى طيء ، صالح ابن مرداس أمير بنى كلاب وسنان بن عليان أمير بنى كلب) قد عقدوا تحالفا فيما بينهم وبين الحاكم بأمر الله سنة ٤١٩ هـ - ١٠٢١ م واتفقوا على اقتسام الشام فيما بينهم (٤٤٩) . وفي سنة ٤١٥ هـ اجتمع هؤلاء الزعماء من جديد وجددوا ما كان قائما بينهم من تحالف في آخر عهد الحاكم بأمر الله ، وحاولوا الاتصال بالامبراطور باسيل ليساعدهم حربيا ولكنه لم يستجب لطلبهم (٤٥٠) .

وفي سنة ٤١٦ هـ حاصر سنان بن عليان ، زعيم الكلبيين ، مدينة دمشق فقاومه أهلها مقاومة عنيفة ، فضرب داريا وتوابعها . وفي سنة ٤١٩ مات سنان وبدأت بوادر انفصام التحالف ، فقد

توجه ابن أخيه رافع ابن أبى الليل الى الخليفة الظاهر ، فاصطنعه وجعله أميرا على الكلبيين (٤٥١) وجعله على راس جيش الى جانب الدزبرى القائد الفاطمى المتوجه للقضاء على هذا التحالف القبلى الذى يهدد النفوذ الفاطمى ، فاستنجد حسان الطائى بصالح الكلابى ولكن صالحا لقى حتفه فى الأقحوانة عند نهر الأردن فى جمادى الأولى سنة ٤٢٠ هـ (٤٥٢) وفر ولداه أبو كامل نصر وأبو علوان ثمال الى حلب واشتركا فى حكمها (٤٥٣) وقد فطن القائد الفاطمى الدزبرى الى أهمية القوى القبلية فاستخدم بعض القبـائل من الطائيين والكلبيين والكلابيين لمحاربة نصر بن صالح (٤٥٤) ونجح فى الحاق الهزيمة به .

وهكذا نجح الدزبرى فى مدة حكمه فى بلاد الشام أن يحطم العصبية القبلية ، ولكن بعد وفاته سنة ٤٣٣ هـ كثرت اغارات البدو على مدن الشام وفقدت البلاد أمنها (٤٥٥) .

وظهرت تحركات الكلابيين من جديد فى حلب سنة ٤٥٢ هـ عندما ساعدوا محمود بن نصر بن صالح فى الاستيلاء على حلب عنوة من مكين الدولة والى الفاطميين عليها (٤٥٦) . كذلك اشتبك الكلبيون مع قائد دمشق الأرمنى من قبل الفاطميين سنة ٤٥٧ هـ (٤٥٧) وأدى ذلك الى بسط نفوذهم فى السواد واستولوا على الغلات ، وأعملوا السلب والنهب فخربت بلاد الشام (٤٥٨) .

كما قام بعض المتغلبين بدور كبير فى اثارة القلاقل ضد النفوذ الفاطمى فى بلاد الشام وخاصة على الساحل، مثل القاضى عين الدولة ابن عقيل الذى كان متغلبا على صور ، فتقدم اليه أمير الجيوش بدر الجمالى من مصر فى جيش كبير سنة ٤٦٢ هـ فاستنجد ابن عقيل بالأمير التركى « فرلو » . وكان الأتراك قد بدأ ظهورهم فى

الشام فى ذلك الوقت فأنجده بستة آلاف جندى فحاصر بهم صيدا التابعة لأمير الجيوش ، فحاصر بدر الجمالى صور سنة كاملة وضيق على أهلها الحصار ، ولكنه لم يبلغ غرضه فرحل عنها (٤٥٩) .

وهكذا أدت الحركات الناجمة عن العصبية القبلية الى زيادة التفكك السياسى فى بلاد الشام ، والى انشغال الفاطميين باقرار النظام فى البلاد عن وضع نظم ادارية ثابتة . واذا كان المرداسيون الكلابيون أو بنو الجراح الطائيون قد نجحوا فى تحقيق أطماعهم القبلية فى فترات محدودة الا أنهم لم يحققوا أى نوع من الاستقلال وفى النهاية اندمجت القبائل الشامية بأجمعها تحت الحكم التركى السلجوقى الجديد .

والى جانب الصراع القبلى ، كان هناك الصراع الطائفى ، فلم يكن أهالى الشام جميعهم من المسلمين ، بل كان من بينهم أيضا المسيحيون واليهود . فكان كثير من أهالى بيت المقدس من النصارى واليهود (٤٦٠) . كما كان النصارى يمثلون جانبا كبيرا من أهالى مدينة حلب ، وكان بها ثمانى كنائس (٤٦١) .

ولقد نعم المسيحيون منذ تأسيس الدولة الاسلامية بالحرية الدينية والتسامح ، وكانت أبواب مناصب الدولة مفتوحة أمامهم كالمسلمين سواء بسواء ، وكانت الأديرة والكنائس المسيحية منتشرة فى كل مكان ، وكان يسمح للحجاج المسيحيين بأن يقدموا الى فلسطين من أقاصى البلاد فى حرية تامة . وفى مدينة بيت المقدس ، التى يقدسها المسلمون والمسيحيون على السواء ، أفرد حى خاص لسكنى البطريق وقساوسته ، وعندما امتد النفوذ الفاطمى الى فلسطين والشام كان ذلك فى صالح المسيحيين ، اذ أن الخلفاء الفاطميين الأوائل سجعوا التجارة المسيحية وشملوا المسيحيين

برعايتهم (٤٦٢) وخاصة فى عهد الخليفة العزيز بالله ، الذى كان متزوجا من زوجة نصرانية ، وكان لها أخوان أحدهما اسمه (أرميس) جعله الخليفة بطريقا على بيت المقدس ، والآخر (أرسانيس) جعله بطريقا على القاهرة ومصر (٤٦٣) .

واستوزر الخليفة العزيز عيسى بن نسطورس فى مصر ، كما أناب عنه فى بلاد الشام رجلا يهوديا هو منشا بن ابراهيم ، وتولى المسيحيون واليهود كثيرا من وظائف الدولة البارزة (٤٦٤) وحدث أن كتبت امرأة الى العزيز فى حاجة لها فقالت فى رسالتها : « بالذى أعز النصارى بعيسى بن نسطورس واليهود بمنشا وأذل المسلمين بك الا كشفت ظلامتي » (٤٦٥) . فعاد العزيز الى قصره حزينا واستشار قاضيه فقال له : « أنت أعرف بوجه الرأى » فقال العزيز : « لقد صدقت المرأة فى القصة ونبهت من الغفلة » . وقبض العزيز فى الحال على عيسى بن نسطورس وسائر الكتاب النصارى ، وكتب الى الشام بالقبض على منشا وأمر برد الدواوين والأعمال الى الكتاب المسلمين (٤٦٦) فحمل عيسى الى الخزانة ثلاثمائة ألف دينار واستشفع بابنة العزيز ، وكان أبوها يحبها ، فرده الى منصبه وشرط عليه ألا يستخدم نصرانيا ولا يهوديا (٤٦٧).

ساد التسامح معظم العصور الاسلامية ، ولم يلحق أهل الذمة أى اضطهاد الا فى فترات محدودة مثلما حدث فى عهد الخليفة الفاطمى الحاكم بأمر الله ، وهو الخليفة المعاصر لبداية القرن الخامس الهجرى فى بلاد الشام . وقد اشتهر هذا الخليفة بتناقض سياسته ، واضطهاده لكثير من رعاياه ، واصداره كثيرا من القوانين والأوامر الشاذة . وتنقسم مدة خلافته الى فترتين مميزتين ، فترة نعم فيها أهل الذمة بالحرية الدينية والتسامح التام ، اذ ولاهم الوظائف ، وقام ببناء دور العبادة . أما الفترة الثانية فقد أنزل

الحاكم سخطه واضطهاده على أهل الذمة فأمرهم بأن يرتدوا أزياء متميزة ، وهدم كنائسهم ومعابدهم • كمالحق اضطهاد الحاكم فى هذه الفترة بكثير من المسلمين ، ثم انتهى الأمر بهذا الخليفة الى ادعاء الألوهيــــة •

امتد اضطهاد الخليفة الحاكم لأهل الذمة الى نصارى الشام مما أدى الى ظهور الروح الصليبية (٤٦٨) . فقد أمر الحاكم سنة ٣٩٨ هـ بهدم كنيسة القيامة ببيت المقدس (٤٦٩) وأباح الحاكم للعامة ما فيها من الأموال والأمتعة (٤٧٠) وعلى الرغم من العلاقات السلمية التى كانت قائمة بين الامبراطور باسيل الثانى والخليفة الحاكم بأمر الله ، فان الحاكم استمر فى سياســـة اضـــطهاد المسيحيين مما أثار غضب الامبراطور (٤٧١) •

قام (ختكين) والى الرملة (فلسطين) بتنفيذ أمر الخليفة بهدم كنيسة القيامة ، وانتزع ما بها من الذخائر والتحف والآنية المقدســة ، وأزال كنيســة مارى قســطنطين التى كانت بداخلها ، وأصبحت الكنيسة العظمى أثرا بعد عين ، ولم يبق منها سوى أثر الصخرة التى شيد عليها القبر المقدس ، كما هدم الدير الملاصق لها وكان غاصا بالراهبات من مختلف الأمم النصرانية وانتزعت سائر أحبــاسها وأملاكها وأموالها ، وكان هدمها فى شهر صفر سنة ٤٠٠ هـ (١٠١٠ م) (٤٧٢) .

وقيــل ان سبب هدم الحاكم بأمر الله لكنيسة القيامة هو ما وصل الى سمعه من خرافات بعض جهال النصارى وأن هناك نارا تنزل من السماء فى عيد الفصح (٤٧٣) •

وبعد هدم كنيسة القيامة بأيام أنفذ الحاكم سجلات الى سائر المدن بأن تهدم البيع وأن يحمل ما فيها من أوانى الذهب والفضة الى قصره (٤٧٤) .

وتذكر الرواية الكنسية المعاصرة أن سبب هدم الكنائس عامة هو أن راهبا قبطيا يدعى يونس نقم على البطريرك زخارى لأنه لم يرسمه أسقفا فتقدم الى الخليفة الحاكم ووصف له ما يتمتع به رجال الدين النصارى من النفوذ والجاه ومظاهر السلطان والعظمة والثراء ، وأنهم يبيعون المناصب الكنسية وقال فى رقعته التى رفعها الى الحاكم : « أنت ملك الأرض ، لكن للنصارى ملك لا يعبأ بك لكثرة ما قد اكتنزه من الأموال الجزيلة لأنه ببيع الأسقفية بالمال » ٠ وعدد فيها كثيرا من مثالبهم (٤٧٥) ٠

وقد قبض الحاكم على زخارى وحبسه ثلاثة أشهر بين التهديد والوعيد حتى توسط البعض عند الحاكم فعفا عنه (٤٧٦) .

وفى سنة ٤٠٦ هـ أمر الخليفة الحاكم باحصاء المســـاجد المتهدمة فى مصر والشام وأن يقام فى كل قرية مسجد وأن تهدم جميع الكنايس وتحول أوقافها الى المساجد .

وفى سنة ٤١١ هـ قبيل اختفاء الحاكم بقليل ، صدرت عدة سجلات جديدة بالغاء القوانين المجحفة واطـــلاق الحرية الدينية للنصارى واليهود ورد ما أخذ من أحباس الكنائس والأديار ، ورد ما أخذ منها من الذخائر والتحف وسمح لكثير من النصارى الذين أكرهوا على الاسلام بالارتداد الى دينهم (٤٧٧) ٠ ثم صدر يومئذ الى النصارى سجل أمان شامل (٤٧٨) .

ومن هذه الســجلات سجل صــادر الى نيقيفور بطريرك بيت المقدس يؤذن له فيه باقامة الصلاة فى أطلال كنيسة القيامة . وقد

جاء في السجل : « بسم الله الرحمن الرحيم » ، أمر أمير المؤمنين بكتب هذا المنشور لنيقيفور بطريرك بيت المقدس ، بما رآه من اجابة رغبته في صيانه والذب عنه وعن أهل الذمة من نحلته وتمكينهم من صلواتهم .. واقامة ما يلزمه في حدود ديانته ، وحفظ المواضع الباقية في قبضته ، داخل البلد وخارجه والديارات وبيت لحم ولد ... والمنع من نقص المصلبات بها ، والاعتراض لاحباسها المطلقة لها ، ومن هدم جراراتها وسائر أبنيتها احسانا من أمير المؤمنين اليهـــم (٤٧٩) .

وبعد وفاة الخليفة الحاكم بأمر الله عادت سياسة التسامح مع أهل الذمة ، وفي سنة ١٠٢٣ م (حوالى سنة ٤١٤ هـ) أرسل البـــطريرك نيقفـــورس بطريرك بيت المقـــدس الى الامبراطور بالقسطنطينية يخبره بأن الكنائس ومحتوياتها قد أعيدت للنصارى ، وأن كنيسة القيامة وجميع كنائس مصر وسوريا قد أعيد بناؤها ، وأن المســـيحيين ينعمون بالتســـامح في جميع أرجـــاء الدولة الفاطمية (٤٨٠) .

وفي سنة ٤١٨ هـ عقدت هدنة بين امبراطـــور الروم وبين الخليفة الظاهر ، فأحييت الخطبة للظاهر ببلاد الروم ، وأعيد فتح الجامع في القسطنطينية ومده الامبراطور بالحصر والقناديل وأقام له مؤذنا ، وعند ذلك أذن الظاهر في فتح كنيسة القيامة فحمل اليها ملوك النصارى الأموال والنفائس (٤٨١) ، واحتفظ امبراطور الروم بحق اختيار بطريرك بيت المقدس (٤٨٢) وفي سنة ٤٢٨ هـ جددت كنيسة القدس على نفقة ميخائيل امبراطور الروم .

ساد الاضطراب الطائفي في عهد الخليفة الحاكم بأمر الله نتيجة هدم كنيسة القيامة التي يمجدها المســـيحيون ، ونتيجة

الاعتداء على الحجاج واضطهاد أهل الذمة مما أدى الى اثارة الروح الصليبية الغربية ضد مسلمي الشرق وحكامه في القرن الخامس الهجرى . واذا كان مسيحيو الشرق قد تناسوا هذه الفترة من الاضطهاد وأعادوا العلاقات الطيبة مع الخلافة الفاطمية الا أن مسيحيي الغرب لم ينسوا هذه الفترة .

واذا كان الصراع القبلي والطائفي قد أثرا في مجريات الحياة السياسية في بلاد الشام في القرن الخامس الهجرى فان الصراع المذهبي كان له أيضا نصيبه في اثارة القلاقل في البلاد . وأبرز مظاهر هذا الصراع هو انتشار المذهب الدرزى بالشام ، وهو مذهب شيعي متطرف .

وترجع جذور هذا الصراع الى النصف الثاني من القرن الرابع الهجرى حيث شهد بداية الصراع المذهبي في بلاد الشام بين المذهبين: السني والشيعي . وقد سبقت حلب دمشق في الأخذ بالأذان الشيعي وذلك سنة ٣٤٧ هـ ، حيث زيد في الأذان عبارة « حي على خير العمل محمد وعلى خير البشر » (٤٨٣) . وهكذا كانت النزعة المذهبية في حلب عند امتداد النفوذ الفاطمي ، نزعة شيعية ، وذلك على عكس مدينة دمشق التي بدأ فيها الأذان الشيعي في صفر سنة ٣٦٠ هـ بأمر من جعفر بن فلاح فقبله الناس على مضض (٤٨٤) . وفي سنة ٣٦١ هـ قامت فتنة بين المغاربة الشيعة والمشارقة السنيين بدمشق فأحرقوا دارا مجاورة لجامع دمشق ثم امتدت النار الى الجامع حيث احترق ودثرت محاسنه (٤٨٥) . وكان ذلك في ليلة النصف من شعبان فأسف الجميع لاحتراق هذا الجامع التاريخي (٤٨٦) .

وما ان حلت سنة ٤٤٢ هـ حتى تم الصلح بين أهل السنة والشيعة وصاروا جميعا يترحمون على الصحابة وصلوا جميعا في

مساجد السنة ، وخرجوا كلهم الى زيارة أضرحة آل البيت وأكرموا الأحياء منهم ، وتحابوا وتزاوروا وتصاهروا ، وكان هذا في الحقيقة حدثا جديدا ، لم نشهد مثله في بغداد أو سامراء وكربلاء والنجف (٤٨٧) .

وكان لانتشار المذهب الدرزى أثر واضح فى توسيع هوة الاضطرابات والقلاقل فى بلاد الشام . فبعد أن لفظه المجتمع المصرى انتقل الى بلاد الشام فانقسم الأهالى تجاهه بين مؤيد ومعارض ، وبذلك أصبح للصراع المذهبى دوره أيضا فى اثارة القلاقل بالبلاد .

ينسب المذهب الدرزى الى داعية فارسى من دعاة الباطنية هو محمد بن اسماعيل الدرزى (الخياط بالفارسية) (٤٨٨) ، وهو ينسب الى طيروز احدى بلاد فارس (٤٨٩) ، فقد حمل لواء الحركات الخارجة عن الاسلام ، بعض الفرس الذين اجتذبتهم الخلافة الفاطمية ببهائها ومشاريعها السرية ، والمعروف ان الشعب الفارسى كان يضطرم بغضا للاسلام والعروبة ، ولذا وقف جهوده قرونا طويلة لمناوأة الاسلام وتقويض أسسه وسلطانه السياسى ، فكافح المسلمون الدعاة السريين والملاحدة الذين عملوا باسم الاسلام على هدم مبادئه وتعاليمه (٤٩٠) .

اشتهر الخليفة الحاكم بأمر الله بالشذوذ (٤٩١) . وادعى الألوهية ، فكان قوم من الجهال اذا رأوه يقولون : « ياواحد ياأحد يامحيى يامميت » (٤٩٢) . والراجح أن الذى شجع الخليفة الحاكم على ادعاء الألوهية هو ذلك الداعى الفارسى محمد بن اسماعيل الملقب بالدرزى ، الذى وصل الى مصر سنة ٤٠٨ هـ وكان من الباطنية القائلين بالتناسخ ، فاجتمع بالحاكم وساعده على ادعاء الألوهية وصنف كتابا ذكر فيه أن روح آدم عليه السلام انتقلت الى

الحاكم ، فلما قرىء الكتاب بالجامع ثار الأهالى على الدرزى ووثب عليه أحد الأتراك فقتله (٤٩٣) واستمرت الفتن ثلاثة أيام قتل فيها جماعة من الدرزية وقبض على التركى قاتل الدرزى وقتل (٤٩٤) .

ثم ظهــر داعيــة آخــر هو حمزة بن أحمــد الذى تلقب بالهادى (٤٩٥) فجدد دعوة الدرزى فثار الناس من جديد ، وانكر الحاكم أمره خوفا من الرعية وبعث اليه فى السر مالا وأشار عليه بالذهاب الى الشام والدعوة بين أهالى الجبال حيث كان أهلها آكثر انقيادا ، وبالفعل خرج حمزة الى بلاد الشام وانزل بوادى بتم الله ابن ثعلبة ، غربى دمشق من أعمال بانياس ، فقرأ الكتاب على أهله واستمالهم الى الخليفة الحاكم وأغدق عليهم الأموال (٤٩٦) وساعده على نجاح دعوته فى تلك المناطق وجود عدد من الأمراء التنوخيين الذين كانوا قد قدموا من العراق الى الشام وكانوا من الطائفة الباطنية المهيئين لقبول المذهب الدرزى (٤٩٧) .

وكان الخليفة الحاكم يهتم بالهادى ويسأله عن أهل دعوته وعددهم . وقطع الحاكم ما جرى به رسمه من صلواته وخطبه فى الجوامع فى أيام الجمعة وفى شهر رمضان والعيدين وعطل الحج الى مكة عدة سنين وانقطع حمل الكسوة التى جرت العادة بتجهيزها الى الكعبة ، وظهر مذهب الدرزية ، واشتهر بين بعض أهالى وادى التيم وصور وصيدا وجبل بيروت (٤٩٨) .

ويعتقد الدروز أن الحاكم لم يمت بل انه اختفى كغيره من الأئمة مؤقتا من هذا العالم غير الجدير بمذهبه الطاهر وأنه سوف يعود الى هذه الدنيا عندما يكون العــالم مهيأ لعودته (٤٤٩) .

والدروز يسمون حلب تل الخمر ويكرهون أهلها لايقاعهم بالاسماعيلية حينما قدموا عليها أول مرة (٥٠٠) والراجح أن المذهب

الدرزي كان يجتذب أنصاره ويدعوهم في الخفاء حتى سنة ٤٢٣ هـ حين إتظاهر الدروز بمذهبهم وأحلوا نكاح المحارم وتفاقم أمرهم وتحصنوا في أماكن حصينة عند نهر العاصي وانضوى اليهم كثير من فلاحي حلب وطمعوا في الاستيلاء على البلاد . فخرج اليهم صاحب أنطاكية وحاصرهم في المغارات بمساعدة نصر بن صالح أمير حلب ، حتى التمسوا الأمان بعد اثنين وعشرين يوما ، فأمنوهم ثم قبضوا على دعاتهم وقتلوهم وكان ذلك في ربيع الأول سنة ٤٢٣ هـ (٥٠١) .

ولكن رغم الجهود التي بذلت للقضاء على هذا المذهب ورغم ما أحدثه من اضطراب في بلاد الشام فلا تزال تنتشر الطوائف الدرزية في شمال سورية حتى اليوم (٥٠٢) .

وهكذا لعب الصراع بألوانه المختلفة دورا ملحوظا في اثارة القلاقل في بلاد الشام في النصف الأول من القرن الخامس .

الهـــــوامش

(١) المسعودى : مروج الذهب ، جـ ٢ ، ص ٢٧١ (رفع رأسه وقال . الحمد لله الذى لم يبق ثأرى قبلك وقبل رهطك ، والحمد لله الذى أظفرنى بك وأظهرنى عليك ثم قال : ما أبالى متى طرقنى الموت ، قد قتلت بالحسن وبنى أبيه من بنى أمية مائتين ، وأحرقت شلو هشام بابن عمى زيد بن على ، وقتلت مروان بأخى ابراهيم »

(٢) مؤلف مجهول : العيون والحدائق فى أخبار الحقائق ، جـ ٢ ، ص ٢٠٦ ـ ٢٠٧ .

(٣) ذكر نفس المرجع السابق ، ص ٢٠٨ (أن عبد الله بن على لما أمر بقتل بنى أمية أمر بالبسط فبسطت على القتلى وأمر بالطعام فمد بين أيدى الناس ثم التفت الى الجماعة وقال والله الذى لا اله الا هو أننى منذ عقلت عقلى وعرفت كيفية قتل الحسين ابن على وقتل زيد بن على بن الحسين عليهم السـلام وقتل ابراهيم بن محمد بن أخى ما رقأت لى دمعة عليهم والآن فقد أخذنا بثأرهم وقد طابت لذلك نفسى .

(٤) كرد على : خطط الشام ، جـ ١ ، ص ١٧٦ حوران كورة واسعة من أعمـال دمشق وقصبتها بصرى (ياقوت : جـ ٧ ، ص ٣١٧ .

(٥) ابن العديم : زبدة الحلب ، جـ ١ ، ص ٥٩ .

(٦) كرد على : خطط الشام ، جـ ١ ، ص ١٨١ .

(٧) كرد على : خطط الشام ، جـ ١ ، ص ١٨٣ ، ابن خلدون ، تاريخه ، جـ ٣ ، ص ٢٣٤ ـ ٢٣٥ .

(٨) نفس المصدر ، ص ١٨٦ .

(٩) جمال سرور : تاريخ الحضارة الاسلامية فى الشرق ، ص ٢٦ .

(١٠) ابن مسكويه : تجارب الامم ، جـ ٦ ، ص ٥٢٦ حتى : تاريخ سورية ، جـ ٢ ، ص ١٦٦ .

ابن خلدون : تاريخه ، جـ ٣ ، ص ٢٧٠ .

(١١) كرد على : الخطط الشام ، جـ ٩ ، ص ١٩٣ .

(١٢) ابن مسكويه . تجارب الأمم ، ج ٦ ، ص ٥٥٢ ٠
(١٣) كرد علي : خطط الشام ج ١ ، ص ٢٠٧ ٠
(١٤) قساطلي : الروضة الغناء ، ص ٣٨ ـ ٣٩ ٠
(١٥) كرد علي : خطط الشام ، ج ١ ، ص ٢١٦ ٠
(١٦) سيده كاشف . مصر في عصر الاخشيديين ، ص ٣٥٣ ـ ٣٥٤ ٠
(١٧) ابن أيبك : كنز الدرر ، ج ٦ ، ص ١٢١ ٠

(١٨) فقد وصل النفوذ المصرى الى الشام ، منذ أيام الأسرتين : الأولى والثانية الفرعونيتين بدليل وجود آثار في مدينة ببلوس (جبيل) تدل على ذلك (زكى على . مصر في العصور القديمة ، ص ٢٧) وفي أيام الدولة الوسطى زادت الصلة التجارية والثقافية بين مصر وفلسطين والشاطىء الفينيقي وجزء كبير من سوريا (أحمد فخرى : مصر الفرعونية ، ص ١٨٥) وفي أيام الدولة الحديثة وضع أحمس اللبنة الأولى في بناء الامبراطورية المصرية وفي عهد تحوتمس الأول وصل النفوذ المصرى المباشر الى جنوب فلسطين والساحل الفينيقي (أحمد فخرى . مصر الفرعونية . ص ٢٢٣) وفي عهد تحوتمس الثاني وحتشبسوت أدى الخلاف بينهما الى قيام الثورات الشهيرة ووصل الى منحدرات لبنان الجنوبية (هنرى برستد ٠ تاريخ مصر من اقدم العصور ، ص ١٩٣) وكانت الممالك الأسيوية تحت ادارة وال مصرى يلقب بحاكم البلاد الشمالية (هنرى برستد : ص ٢١٣) ثم تجددت الثورات في عهد امنحتب الثاني وزادت في عهد امنحتب الرابع (اخناتون) رغم ارسال والي ببلوس الى فرعون كتابا يصف فيه حالة البلاد المحزنة الا أن اخناتون لم يرسل أى مساعدة فازدادت الثورة لهيبا ٠ وخسرت مصر مستعمراتها الأسيوية ثم تجدد النفوذ المصرى في سوريا على جنوب فلسطين في عهد سيتى الأول ورمسيس الثاني ٠ (هنرى برستد : تاريخ مصر ، ص ٢٢٠ ، ٢٢٣ . ٢٣٤ ، ٢٥٤ ٢٥٧ ، ٢٧٥ ، ٢٩٥ ، ٣٠٣ ٠

(١٩) O'Leary · A Short Hist . .. p. 246.

(٢٠) O'Leary : Ibid., p. 346.

(٢١) حسن ابراهيم : تاريخ الدولة الفاطمية ، ص ١٥٢ ٠
(٢٢) ابن عساكر ، التاريخ الكبير ، ج ٤ ، ص ١٤٨ ٠
(٢٣) بيبرس الدوادارى : زبدة الفكرة ، ج ٦ ، ص ٢١٢ (أ) ٠

(٢٤) ففى النصف الأول من القرن الرابع الهجرى ، العاشر الميلادى ، كانت الحرب بين الطرفين الا أنه تخللها هدنتان أحداهما سنة ٣٢٦ هـ والأخرى

سنة ٣٣٥ﻫ وتبادلت الاسرى فى كل منهما (الطباخ الحلبى : أعلام النبلاء ، جـ ١ ، ص ٢٥٧ ، (Hist. De Yahya., p. 12 ولم تمض سوى سنتين حتى انهزم سيف الدولة أمام الروم سنة ٣٣٧ ﻫ (بيبرس الدوادارى : زبدة الفكرة ، جـ ٦ ، ص ١٧٧ (أ) ، الذهبى : العبر ، جـ ٢ ، ص ٢٤٤) . وفى سنة ٣٣٩ ﻫ خرج لمحاربتهم فاستولى على الكثير من بلادهم وأخذ عددا كبيرا من السبى (ابن العديم : زبدة الحلب ، جـ ١ ، ص ١٢١) ولكنهم سرعان ما حاصروه وسدوا عليه المنافذ فهزموه وفر منهم بأعجوبة (ابن العميد : تاريخ المسلمين ، ص ٢٢٢) الا انه لم ييأس فخرج مرة أخرى للجهاد سنة ٣٤٢ ﻫ فرجع منصورا وقد أسر قسطنطين ابن الدمستق (ابن الشحنة : روض المناظر ، ص ٩٧ (و)) حتى أنه فى سنة ٣٤٤ ﻫ ورد على سيف الدولة يطلب الفرسان ورسول ملك الروم فى طلب الهدنة (ابن ظافر : الدول المنقطعة ، ص ٧ (ب)

الا أنه عاد فغزاهم سنة ٣٤٥ ﻫ ووصل الى ما لم يصل اليه المسلمون منذ ثلاثين سنة (الانطاكى) ، ص ٧٣ ، الذهبى : دول الاسلام ، ص ٥٧ (أ) وقد رد الروم على ذلك فى سنة ٣٤٧ ﻫ فهزموا سيف الدولة وأسروا عددا كبيرا من أصحابه (ابن العميد : ص ٢٣٠ ، الانطاكى : ص ٧٧) . أما فى سنة ٣٤٩ ﻫ فقد تكرر ما حدث سنة ٣٣٩ ﻫ فقد غزاهم سيف الدولة وانتصر عليهم فى البداية وفتح عددا من حصونهم (ابن مسكويه : تجارب الامم جـ ٦ ، ص ١٨٠) ولكنه عند عودته تقابل مع الروم عند درب مغارة الكحل فغلب منهم واسترجع الروم ما أخذه المسلمون (ابن العديم : زبدة الحلب ، جـ ١ ، ص ١٣٠) وفى سنة ٣٥١ ﻫ وصل الدمستق الى شمال الشام واستولى على عدد من مدنها وكان سيف الدولة فى قلة من عسكره عندما بوغت فى حلب (الغزى : نهر الذهب ، جـ ٣ ، ص ٦٠) فاستطاع الروم دخول البلد وذلك فى ذى القعدة سنة ٣٥١ ﻫ ثم فارقها الدمستق وعاد اليها سيف الدولة بعد ضياع أمواله . (ابن الجوزى : المنتظم ، جـ ٧ ، ص ٨ ، النويرى : نهاية الأرب ، جـ ٢٤ ق ١ ، ص ٤٧ ، وفى سنة ٣٥٤ ﻫ كانت هناك بادرة للروح الصليبية نفهمها من كلام نقفور عندما استولى على طرسوس وصعد على منبرها وقال لهم « يا معشر الروم اين انا فقالوا على منبر طرسوس فقال : لا بل انا على منبر بيت المقدس » (ابن العديم : بغية الطلب فى تاريخ حلب جـ ٢ ، ص ٢٨٠) الا أننا نلاحظ انه فى سنة ٣٥٥ ﻫ تم الفداء بين الروم وسيف الدولة الذى بذل فى ذلك كل أمواله (الغزى : نهر الذهب ، جـ ٣ ، ص ٦٤ ، ابن الشحنة . روض المناظر ، ص ٩٨ ظ) وفى سنة ٣٥٧ ﻫ خرج نقفور الى بلاد الشام وتحدث الناس انه يريد أن ينازل انطاكية وينفذ الى حلب أيضا

من يأخذها فأشار الحاجب قرغوية على سعد الدولة أن يخرج من حلب ولا يتحاصر فيها فخرج الى بالس (ابن العديم : زبدة الحلب ، ج ١ ، ص ١٥٩ - ١٦٠) وبالس هي احدى مدن كورة قلنسرين (المقدسي : احسن التقاسيم ، ص ١٥٤) .

(٢٥) فيذكر ابن أيبك الدواداري : كنز الدرر ، ج ٦ ، ص ١٢١ أنه لما قام بأمر الأخشيدية بعد وفاة كافور الأخشيدي ، أحمد بن علي بن الاخشيد ، كان بالرملة الحسن ابن عبد الله ابن طفج ، فطمع أن يسبق فيكون صاحب الدولة ، فسار الى مصر فاستقبله كبراء الدولة فأراد الجلوس ، فقالوا له ، ان ابن عمك أحمد قد عقد له الأمر وقد اجتمع عليه أهل الدولة . فطمع في مال يأخذه فقال لوزير عمه ، وهو يومئذ جعفر بن حنزابة ، وكان المتحدث في الوزارة ، لأحمد : أحمل الي مالا : فقال : ما عندي مال . فأمر به فجرى عليه مكروه وتوعده بالقتل فحقد في نفسه ثم أن الحسن بن عبد الله رجع الى الشام وهو يومئذ ملكها وضمر في نفسه أن يحشد جموعه ويعود لأخذ مصر . وخشي جعفر بن حنزابة منه ذلك وخاف على نفسه فكتب الى المعز ابن تميم بالقيروان ، يحثه على الحضور ليملكه البلاد . وكان مما كتبه الوزير « أن كنت تخشى انك لا تحضر بنفسك فابعث من تثق به يتسلم البلاد » .

(٢٦) ابن أيبك : كنز الدرر ، ج ٦ ، ص ١٢٢ .

(٢٧) فتحت الاسكندرية أبوابها بدون مقاومة ، ولما علم أهل الفسطاط خبر وصول جيوش الفاطميين الى الاسكندرية واستيلائهم عليها ، ندبوا الوزير جعفر ابن الفرات لمفاوضة جوهر في الصلح فأجابه جوهر الى ما طلب وكتب له عهدا بذلك (حسن ابراهيم : تاريخ الاسلام ، ج ٣ ، ص ١٤٨ .

(٢٨) Lammens : La Syrie ..., V. I., p. 144.

(٢٩) تولى القائد منير من رمضان سنة ٤٠٠ هـ الى أن قدم القائد مظفر أول ربيع الأول سنة ٤٠١ هـ . (ابن القلانسي) ص ٦٦) ظل القائد مظفر في الولاية ستة أشهر وتسعة أيام ثم تولى مكانه بدر العطار فأقام كوال شهرين وعشرة أيام (ابن القلانسي : ص ٦٦) وفي جمادى الثانية سنة ٤٠١ هـ تولى لؤلؤ الشيرازي أو البشراوي لمدة ستة أشهر فقط (سبط بن الجوزي . مرآة الزمان ، ج ١١ ، م ٢ ، مخطوط ، ص ٣٢٧ ، الذهبي : تاريخ الاسلام ، ج ٥ ، مخطوط ص ٢٤) الصفدي امراء دمشق في الاسلام ص ٧٣ ثم تولاها أبو المطاع ذو القرنين حوالي ستة أشهر من ١٠ ذي الحجة سنة ٤٠١ هـ الى السابع من جمادى الأولى سنة ٤٠٢ هـ (ابن القلانسي : ص ٦٩ الصفدي : امراء دمشق في الاسلام ، ص ٣٣) .

(٣٠) ابن القلانس : ص ٦٩ تولاها الى ذى الحجة سنة ٤٠٦ هـ وكانت ولايته ثلاث سنوات وثمانية أشهر وعشرين يوما) .

(٣١) سبط بن الجوزى : مرآة الزمان ، جـ ١١ ، م ٣ ، مخطوط ، ص ٢٨٦ ، العينى : عقد الجمان ، جـ ١٤ ، م ٤ ، ص ٦٦٥ .

(٣٢) أبو المحاسن : النجوم الزاهرة ، جـ ٤ ، ص ٢٤٢ .

(٣٣) عبد الله عنان : الحاكم بأمر الله ، ص ١٠٣ .

(٣٤) المقريزى : الخطط ، جـ ٢ ، ص ٢٨٩ . والدليل على أن عبد الرحيم ابن الياس لم يحكم دمشق حكما متصلا من سنة ٤٠٠ الى ٤٠٩ هـ وما بعد ذلك أن الصفدى : أمراء دمشق فى الاسلام ، ص ٨٨ يذكر أن أبو منصور سديد الدولة قدم دمشق لست وعشرين من ذى القعدة سنة ٤٠٨ هـ ، وعزل بولى العهد عبد الرحيم بن الياس .

(٣٥) O'Leary : A Short Hist., p. 189.

(٣٦) ابن القلانس : ذيل تاريخ دمشق ، ص ٦٩ ـ ٧٠ .

(٣٧) ابن القلانس : ذيل تاريخ دمشق ، ص ٧٠ .

(٣٨) نفس المصدر ، ص ٧١ .

(٣٩) ابن القلانس : ص ٧١ ، ابن خلدون : تاريخه ، جـ ٤ ، ص ٦٢ يسميه أقوش تكين .

(٤٠) يرجع ذلك الى مسقط رأسه فى بلاد الترك فقد ولد فى ختل ثم سبى منها وحمل الى كاشغر وهرب الى بخارى (ابن القلانس ، ص ٧١) ويلقبه ابن عساكر فى تاريخه الكبير جـ ٣ ، ص ١٥١ ، بأبو منصور الختنى نسبة الى ختن ـ وكذلك الصفدى : أمراء دمشق فى الاسلام ، ص ١٤ .

(٤١) اليه ينسب لقب التزبرى .

(٤٢) ابن القلانس : ص ٧١ ، الطباخ الحلبى : أعلام النبلاء ، جـ ١ ، ص ٣٣ .

(٤٣) ابن القلانس : ص ٧٢ . O'Leary : A Short Hist .... P. 191.

(٤٤) أبو المحاسن : النجوم الزاهرة ، جـ ٤ ، ص ٢٦٨ .

(٤٥) O'Leary : A Short Hist ..., P. 191.

(٤٦) O'Leary : A Short Hist ..., P. 191.

(٤٧) O'Leary : A Short Hist ..., P. 192.

(٤٨) الطباخ : الحلبى : أعلام النبلاء ، جـ ١ ، ص ٣٣١ .

(٤٩) أبو المحاسن : النجوم الزاهرة ، جـ ٥ ، ص ٣٤ ٠

(٥٠) ابن خلدون : العبر ، جـ ٤ ، ص ٦٢ ويذكر ابن عساكر أن الوزير الجرجرائي بلغــه عنه أنه قال قد خرف الوزير فكاتب الوزير أهل دمشق وأفسد الحال بينهم وبينه (ابن عساكر : اتاريخ الكبير ، جـ ٣ ، ص ١٥٢) ٠

(٥١) أبو المحاسن . النجوم الزاهرة ، جـ ٥ ، ص ٣٤ ٠

(٥٢) ابن القلانس : ذيل تاريخ دمشق ، ص ٧٩ ٠

(٥٣) الذهبي : تاريخ الاسلام ، ق ٣ م ١١ ، ص ٣٧٦ ، ابن القلانس : ص ٨٣ ٠

(٥٤) في رجب سنة ٤٤٠ هـ تولى القائد طارق الصقلبي (ابن ميسر : أخبار مصر ، جـ ٢ ، ص ٤) وفي المحرم سنة ٤٤١ هـ تولاها رفق المستنصرى فلم يحكم سوى أيام (الذهبي : تاريخ الاسلام ، ق ٣ م ١١ ، ص ٣٩٠) ٠

(٥٥) ابن ميسر . أخبار مصر . جـ ٢ ، ص ٥ ، سبط ابن الجوزى مرآة الزمان ، جـ ١٢ م ١ ، ص ١ (ب) ٠

(٥٦) ابن القلانس : ص ٨٦ ٠

(٥٧) ابن عساكر : التاريخ الكبير . جـ ٥ ، ص ٢١ . أبو المحاسن : النجوم الزاهرة ، جـ ٥ ، ص ٤٥ ٠

(٥٨) الأمير ناصر الدولة بن حمدان من رجب سنة ٤٥٠ هـ الى ربيع الأول سنة ٤٥٢ هـ (ابن القلانس ص ٨٦ وأبو المحاس : النجوم الزاهرة ، جـ ٥ ، ص ٦٣) وسبكتكين المستنصرى من ٤٥٢ هـ الى أوائل سنة ٤٥٣ هـ ثم تولاها ابن البجناكي الملقب بحسام الدولة من جمادى الأولى الى رمضان سنة ٤٥٣ هـ (ابن القلانس ، ص ٩١) ثم ناصر الدولة ابن حمدان لمدة شهرين فقـط من رمضان الى ذى القعدة سنة ٤٥٣ هـ (ابن عساكر التاريخ الكبير ، جـ ٥ ، ص ٢٩) وأخيرا حيدرة بن عصب الدولة الذى ظل في ولايتها الى ربيع الثـانى سنة ٤٥٥ هـ (ابن القلانس ، ص ٩١) ٠

(٥٩) الحصنى : منتخبات التواريخ ، جـ ١ ، ص ١٣٦ ٠

(٦٠) ابن الوردى : تتمة المختصر ، جـ ١ ، ص ٣٧ ، الدبس : تاريخ سورية جـ ٣ م ٥ ، ص ٤٦٢ ٠

(٦١) ابن القلانس : ص ٩٢ ، ابن الأثير : الكامل ، جـ ٨ ، ص ١٧٢ ٠

(٦٢) ابن ميسر : اخبار مصر ، ج ٢ ، ص ١٦ ٠

(٦٣) ابن القلانسى : ذيل تاريخ دمشق ، ص ٩٣ ٠

(٦٤) ابن القلانسى : ص ١٩٥ ٠

(٦٥) حسن ابراهيم : تاريخ الاسلام ، ج ٣ ، ص ٥٩ ٠

(٦٦) ابن العميد . تاريخ المسلمين ، ص ٢٥٦ ٠

(٦٧) الدبس : تاريخ سورية ، ج ٢ ، م ٥ ، ص ٤٠٦ ٠

(٦٨) O'Leary : A Short Hist. p. 137.

(٦٩) ابن كثير : البداية والنهاية ، ج ١١ ص ٢٧٠ ، أبو المحاسن ٠ النجوم الزاهرة ، ج ٤ ٠

(٧٠) الغزى : نهر الذهب ، ج ٣ ، ص ٥٧ ــ ٥٨ ، فى حين ينكر ابن العديم : زبدة الحلب ، ج ١ . ص ١٧٢ أن هذه الزيادة كانت اما سنة ٣٦٩ هـ او سنة ٣٥٨ هـ وظل الآذان في حلب يزاد فيه حى على خير العمل محمد وعلى خير البشر الى ايام نور الدين محمود زنكى وذلك فى سنة ٥٤٣ هـ حين أمر بازالة هذا الآذان ومنع سب الصحابة وقال من عاد اليه قاتلته (سبط بن الجوزى . مرآة الزمان ، ق ١ ، ج ٨ ، ص ١٩٩ ، ابن الفرات تاريخ الدول والملوك ، م ٤ ، مخطوط ص ٤٩٧ أ ، ب ، سبط بن العجمى الحلبى : كنوز الذهب ، مخطوط ، ص ٦٤ ، ٦٥ ٠

(٧١) ابن العديم : زبدة الحلب ، ج ٢ ، ص ١٦ ــ ١٧ ٠

(٧٢) العينى : عقد الجمان ، ج ١٤ م ٤ ، مخطوط ، ص ٥٧٦ ٠

(٧٣) نفس المصدر والصفحة ٠

(٧٤) سبط بن الجوزى · مرآة الزمان ، ج ١١ م ٢ ، مخطوط ، ص ٢٥١ ٠

(٧٥) ابن العديم : زبدة الحلب ، ج ١ ، ص ٢١٢ ٠

(٧٦) سبط بن الجوزى : مرآة الزمان ، ج ١١ ، م ٢ ، ص ٢٥٣ ٠

(٧٧) حاول صالح الاستيلاء على حلب سنة ٤٠٢ هـ ولكن قبض عليه هو وعدد كبير من اتباعه ثم افلت صالح من قيوده وقيد بها ابن لؤلؤ ثم أطلق سراحه وغادر حلب (العينى : عقد الجمان ، ج ١٤ ، م ٤ ، ص ٥٧٥ ــ ٥٧٦ ، الطباخ الحلبى : اعلام النبلاء ، ج ١ ، ص ٣١٥) ٠

(٧٨) مدينة حصينة من سواحل الشـام وكورة من كور حمص ويسميها بعضهم فامية بغير همزة قيل أن سلوقس بناها هى واللاذقية وسلوقية وحلب . ياقوت الحموى : معجم البلدان ، ق ٢٦ ، ص ٢٢٧) .

(٧٩) ابن العديم : زبدة الحلب ، جـ ١ ، ص ٢١٤ .

(٨٠) ابن العديم . زبدة الحلب ، جـ ١ ، ص ٢١٤ . عن نسخة بخـاتم الحاكم ، جاء فيها : « بسم الله الرحمن الرحيم . هذا من أمر الامام الحـاكم بأمر الله أمير المؤمنين لجميع أهل حلب وأعمالها . أنه لما انتهى الى أمير المؤمنين ما أنتم فيه من الظلمة المدلهمة ، وقبيح ظفر من يتولى أموركم فى المعـاملات وزيادتهم عليكم فى الخراج والجبايات ، اضعافا لكم ، وعدولا عن سنن الحق بكم ، أمر ـ زاد الله أمره علوا ونفـاذا ـ بأطلاق المؤن من دار كورة ونظائرها ، والصفح عن الواجب عليكم من مال الخراج لاستقبال سنة سبع وأربعمائة لتعلموا أن ضياء الدولة النبوية قد لمع وظهر ، وان جندس الظلام قد انجاب ودثر » .

(٨١) الباز العرينى : الدولة البيزنطية ، ص ٦٨٤ .

(٨٢) سبط بن الجوزى مرآة الزمان ، ج ١١ م ٢ ، ص ٣٥٤ .

(٨٣) المقريزى : اتعاظ الحنفا ، ميكروفيلم ، ص ٧٢ ا .

(٨٤) العينى : عقد الجمان ، جـ ١٤ ـ ٢ ، ص ٦١٣ .

(٨٥) O'Leary : A Short Hist , p. 194.

(٨٦) المقريزى : اتعاظ الحنفا ميكروفيلم ، ص ٧٢ ب .

(٨٧) ابن العديم : زبدة الحلب ، جـ ١ ، ص ٢١٩ .

(٨٨) المقريزى : اتعاظ الحنفا ، ميكروفيلم ، ص ٧٢ (ب) .

(٨٩) كان أول من بنى القلعة بحلب ميخائيل وقيل سلقوس الذى بنى مدينة حلب ، وقيل لما ملك كسرى حلب وبنى سورها بنى فى القلعة مواضع ولما فتح أبو عبيدة مدينة حلب كانت قلعتها مرممة الأسوار بسبب زلزلة كانت اصابتها قبل الفتوح فأخربت أسوار البلد وقلعتها ولم يكن ترميما محكما فنقض بعض ذلك وبناه . ولما استولى نقفور ملك الروم على حلب سنة ٣٥١ هـ امتنعت القلعة عليه ولم يكن لها حينئذ سور عامر لأنها كانت قد تهدمت (ابن شـداد : الأعلاق الخطيرة ، جـ ١ ، ق ١ ، ص ٢٣ ـ ٢٤) ولم يكن مقام الملوك حينئذ بها بل كانت لهم قصور بالمدينة يسكنونها . وبعد سنة ٣٥١ هـ اهتم الملوك بعمارتها وتحصينها وعصى فيها فتح القلعى على مولاه مرتضى الدولة لؤلؤ ـ كما رأينـا ـ ثم سلمها الى نواب الحاكم فعصى فيها عزيز الدولة فاتك على الحاكم ، ولما

قتل عزيز الدولة صار الظاهر وولده المستنصر يوليان واليا بالقلعة وأخر بالمدينة خوفا من أن يجرى ما جرى من عزيز الدولة فلما ملك بنو مرداس سكنوا فى القلعة (ابن الشحنة : الدر المنتخب فى تاريخ مملكة حلب ، ص ٥٥) . فى حين نجد أن مقر الحكم فى دمشق كان فى دير مروان الذى ظل دار امارة فى العهد العباسى والطولونى والفاطمى الى أن زالت سلطتهم عن دمشق (ابن طولون الصالحى : القلائد الجوهرية ، ق ١ ، ص ٩) .

(٩٠) ابن العديم · زبدة الحلب ، جـ ١ ، ص ٢٢١ ، ابن العميد : تاريخ المسلمين ، ص ٢٦١ .

(٩١) نفس المصدر ، ص ٢٢١ ــ ٢٢٢ ، ابن العميد : نفس المصدر والصفحة .

(٩٢) يسميه القلقشندى ابن شعبان (مآثر الأنافة ، جـ ١ ، ص ٣٤٤) ولكن الأرجح ابن ثعبان نسبة الى جده .

(٩٣) المقريزى : اتعاظ الحنفا ، ميكروفيلم ، ص ٧٥ (ب) .

(٩٤) ابن العديم : زبدة الحلب ، جـ ١ ، ص ٢٢٣ ، ابن الوردى : تتمة المختصر جـ ١ ، ص ٣٢٣ .

(٩٥) المقريزى : اتعاظ الحنفا ، ميكروفيلم ، ص ٧٥ (ب) .

(٩٦) ابن العميد : تاريخ المسلمين ، ص ٢٦١ .

(٩٧) المقريزى : اتعاظ الحنفا ، ميكروفيلم ، ص ٧٥ ب ، ابن العديم . زبدة الحلب ، جـ ١ ، ص ٢٢٨ .

(٩٨) المقريزى : نفس المصدر والصفحة .

(٩٩) ابن العديم : زبدة الحلب ، جـ ١ ، ص ٢٢٨ ــ ٢٢٩ .

(١٠٠) ابن العميد : تاريخ المسلمين ، ص ٢٦١ ــ ٢٦٢ ، ابن العماد : شذرات الذهب ، جـ ٣ ، ص ٢١٥ .

(١٠١) ابن العديم : زبدة الحلب ، جـ ١ ، ص ٢٣٠ ، المقريزى : اتعاظ الحنفا ، ميكروفيلم ، ص ٧١ ٩ .

(١٠٢) ابن القلانسى : ذيل تاريخ دمشق ، ص ٧١ .

(١٠٣) O'Leary · A Short Hist , p. 194.

(١٠٤) العينى : عقد الجمان ، جـ ١٤ ، م ٥ ، ص ٧٦١ ، المقريزى : اتعاظ

الحنفا ، ميكروفيلم ، ص ٨٢ (١) ، ابن العميد · تاريخ المسلمين ، ص ٢٦٢ ·

(١٠٥) الغزى : نهر الذهب ، ج ٣ ، ص ٧٠ ·

(١٠٦) الطباخ الحلبى : أعلام النبلاء ، ج ١ ، ٣٢٢ ، المقريزى : اتعاظ الحنفا ، ميكروفيلم ، ص ٨٢ (١) ·

(١٠٧) الطباخ الحلبى اعلام النبلاء ، ج ١ ، ص ٣٢٢ ·

(١٠٨) O'Leary : A Short Hist., p. 194.

(١٠٩) العينى عقد الجمان ، ج ١٤ ، م ٥ ، ص ٨٢٧ ـ ٨٢٨ ·

(١١٠) ابن العديم : زبدة الحلب ، ج ١ ، ص ٢٥٠ ·

(١١١) نفس المصدر ، ص ٢٥٠ ـ ٢٥١ ·

(١١٢) ابن العميد : تاريخ المسلمين ، ص ١٦٩ ·

(١١٣) العينى : عقد الجمان ، ص ٢٦٩ ·

(١١٤) ابن العديم : زبدة الحلب ، ج ١ ، ص ٢٥٦ ـ ٢٥٧ ·

(١١٥) ابن العديم : ص ٢٥٧ ، الطباخ الحلبى . اعلام النبلاء ، ج ١ ، ص ٣٣١ ·

(١١٦) ابن العديم . ص ٢٥٩ ·

(١١٧) الغزى : نهر الذهب ، ج ٣ ، ص ٧٠ ، أبو الفدا . المختصر فى أخبار البشر ، ج ٢ ، ص ١٤١ ·

(١١٨) ابن العديم : زبدة الحلب ، ج ١ ، ص ٢٦٢ ـ ٢٦٣ ·
Setton & Baldwin : A Hist., of Crusades, V. I., p. 91.

(١١٩) أرسل جيش سنة ٤٣٥ هـ ولكنه فشل فى مهمته · وفى سنة ٤٣٦ هـ طلب المستنصر من ثمال ارسال المال المقرر على حلب حتى يعترف به رسميا فرفض (بيشوف الجرمانى : تحف الانبياء ص ٤٢) وفى سنة ٤٣٧ ارسل جيشا الى حلب حاصر بن مرداس واستظهر عليه (أبو المحاسن النجوم الزاهرة ، ج ٥ ، ص ٤٠) وفى سنة ٤٤٠ هـ أرسل جيشا الى حلب بقيادة ابن حمدان والى دمشق ولكن عوامل الطبيعة تضافرت مع مجهودات ثمال فى صد بن حمدان فعاد الى دمشق (ابن ميسر : اخبار مصر ، ج ٢ ، ص ٣ ، العينى : عقد الجمان ، ج ١٥ م ١ ، ص ٥٨) ولكن فى نفس الوقت بعث ثمال يطلب العفو من المستنصر فاجيب الى ذلك (ابن ميسر : اخبار مصر ، ج ٢ ، ص ٣ ، ابن

العديم : زبدة الحلب ، جـ ١ ، ص ٢٦٤) ثم عاد ثمال الى عصيانه فارسل له جيش سنة ٤٤١ هـ فهزم وأسر قائده (الغزى : نهر الذهب ، جـ ٣ ، ص ٧١ ، بيشوف الجرماني : اعلام النبلاء ، جـ ١ ، ص ٣٣٤) .

(١٢٠) الطباخ الحلبي : أعلام النبلاء ، جـ ١ ، ص ٣٣٤ ويذكر ستانلي لين بول أنه أرسل للمستنصر ٤٠٠٠٠ دينار .

S. L. Poole : A Hist , P. 160.

(١٢١) بيشوف الجرماني ، تحف الأنباء ، ص ٤٢ .

O'Leary : A Short Hist , p. 195.

(١٢٢) يذكر المقريزي : اتعاظ الحنفا ، ميكروفيلم ، ص ٩٧ (ب) « أنه لما كانت وزارة الجرجراي غض طرفه عن ثمال ورأى أن موادعته أحسن من انفاق الأموال في محاربته فكتب بولايته وقرر عليه الحمل في كل سنة وتمادى في ذلك الى أيام وزارة اليازوري فلم يرض بهذا ورأى أن الحيلة أبلغ ، لأنه ان أراد صرفه لم يستطع ذلك وان نابذه التزم كلفا كثيرة فاستعمل السياسة والتدبير الخفي وندب لذلك رجلاً من أهل صور له بها رياسة وجاه فقال له عين الدولة على بن عياض قاضي صور فساس الامور وأحكم التدبير فيما قرره مع كاتب ثمال بن صالح وما وعده به حتى نزل من قلعة حلب وسلمها الى مكين الدولة الحسن بن على بن ملهم » .

(١٢٣) ابن العميد : تاريخ المسلمين ، ص ٢٧٢ .

(١٢٤) الذهبي : دول الاسلام ، ص ٦٩ ب ، المقريزي : اتعاظ الحنفا ، ميكروفيلم ، ص ٩٢ أ . في حين يذكر ابن العديم : زبدة الحلب ، جـ ١ ، ص ٢٧٤ أن مكين الدولة تسلمها في ذي القعدة سنة ٤٤٨ .

(١٢٥) ابن العديم : زبدة الحلب ، جـ ١ ، ص ٢٧٤ .

(١٢٦) ابن الشحنة : روض المناظر ، ص ١١١ (ظ) ابن العميد . تاريخ المسلمين ، ص ٢٧٤ . الذهبي : دول الاسلام ، ص ٧٠ .

(١٢٧) كرد على : خطط الشام ، جـ ١ ، ص ٢٥٤ .

(١٢٨) الغزى : نهر الذهب جـ ٣ ، ص ٧١ .

(١٢٩) ابن القلانسي : ذيل تاريخ دمشق ، ص ٩٠ .

(١٣٠) ابن العديم : زبدة الحلب ، جـ ١ ، ص ٢٧٦ .

(١٣١) الذهبي : دول الاسلام ، ص ٧٠ .

(١٣٢) ابن العديم : زبدة الحلب ، جـ ١ ، ص ٢٧٦ ـ ٢٧٧ ، ابن العميد : تاريخ المسلمين ، ص ٢٧٤ .

(١٣٣) ابن العديم : زبدة الحلب ، جـ ١ ، ص ٢٧٧ ٠

(١٣٤) ابن ميسر : أخبار مصر ، جـ ٢ ، ص ١١ ـ ١٢ ٠

(١٣٥) ابن القلانسى : ص ٩٠ ، الطباخ الحلبي : أعلا م النبلاء ، جـ ١ ، ص ٣٢٥ ٠

(١٣٦) ابن العديم : زبدة الحلب ، جـ ١ ، ص ٢٧٨ ٠

(١٣٧) ابن العديم . زبدة الحلب ، جـ ١ ، ص ٢٧٨ ٠

(١٣٨) نفس المصدر السابق ، ص ٢٧٨ ، ٢٧٩ ابن العميد : تاريخ المسلمين ، ص ٢٧٥ ٠

(١٣٩) نفس المصدر السابق ، ص ٢٧٩ ، وابن العميد نفس المصدر والصفحة ٠ ويؤيد هذا الرأى قول لامانس
Lammens : La Syrie, V. I, p. 153.
أن حكم المرداسيين كان يشعر بعدم الطمانينة من نفسه مهدد فى استقلاله من الخليفة الفاطمى ٠

(١٤٠) الطباخ الحلبى : أعلام النبلاء ، جـ ١ ، ص ٣٣٦ ، كرد على : خطط الشام ، جـ ١ ، ص ٢٥٤ ٠

(١٤١) ابن القلانسى : ذيل تاريخ دمشق ، ص ٩٢ ٠

(١٤٢) ابن العديم . زبدة الحلب ، جـ ١ ص ٢٩٧ ٠

(١٤٣) جمال سرور : النفوذ الفاطمى فى بلاد الشام والعراق ، ص ٦٠ ٠

(١٤٤) ابن العديم : زبدة الحلب ، جـ ٢ ، ص ١٦ ـ ١٧ ، ابن كثير : البداية والنهاية ، جـ ١٢ ، ص ١٠١ بل قيل أن الدافع لألب أرسلان على فتح الشام أن ناصر الدولة ابن حمدان الحاكم المتحكم فى الدولة المصرية أرسل يسأله أن يسير له عسكرا من قبله ليقيم الدعوة العباسية وتكون مصر له (كرد على : خطط الشام ، جـ ١ ، ص ٢٦٣) ٠

(١٤٥) ابن العديم : زبدة الحلب ، جـ ٢ ، ص ١٨ ٠

(١٤٦) ابن أيبك الدوادارى : كنز الدرر ، جـ ٦ ، ص ٣٨٨ـ٣٨٩ ٠

(١٤٧) ابن العديم ٠ زبدة الحلب ، جـ ٢ ، ص ١٨

(١٤٨) ابن أيبك : كنز الدرر ، جـ ٦ ، ص ٣٨٩ ٠

(١٤٩) ابن الأثير : الكامل : ج ٨ . ص ١٠٨ ، ابن أيبك ، ج ٦ ، ص ٣٨٩ .

(١٥٠) ابن القلانس : ذيل تاريخ دمشق . ص ٩٨ ابن العـديم ، زبدة الحلب ، ج ٢ ، ص ١٨ ولكن هناك من يرى أن ذلك حدث سنة ٤٦٣ هـ (ابن الأثير : الكامل : حـ ٨ ، ص ١٠٨ . الأصفهانى : تاريخ دولة آل سلجوق ، ص ٣٦ .
O'Gahlnila
Gronique Abregee dla - Agimi p. 389.

(١٥١) المقريزى : اتعاظ الحنفا ، ميكروفيلم من ١٠٥ (ب) .

(١٥٢) جمـال سرور : النفوذ الفـاطمى فى بلاد الشـــام والعـراق ، ص ٤٤ .

(١٥٣) جمال سرور : النفوذ الفاطمى فى بلاد الشـام والعراق ، ص ٤٥ .

(١٥٤) أبو شجاع : ذيل تجارب الأمم ، ص ٢٣٦ ، ابن شاكر الكتبى . عيون التواريخ ، ج ١٢ ، ص ٥٦ ولكنهما ينكران أن ذلك حدث سنة ٣٨١ هـ والراجح أنه فى سنة ٤٠١ هـ يؤيد هذا الرأى (المقريزى اتعاظ الحنفا ، طبعة سنة ١٩٤٨ ، ص ٣٠٨) ثم أن هذه الحركة حدثت فى عهد الحاكم وقد تولى سنة ٣٨٦ هـ .

(١٥٥) أبو شجاع : ذيل تجـارب الأمم ، ص ٢٣٦ ، ابن شاكر الكتبى ، ج ١٢ ، ص ٥٦ .

(١٥٦) أبو شجاع ذيل تجارب الامم ، ص ٢٣٨ .

(١٥٧) ابن شاكر : عيون التواريخ . ج ١٢ ، ص ٥٦ .

(١٥٨) جمال سرور : النفوذ الفاطمى فى بلاد الشام والعراق ، ص ٤٦ ، أبو شجاع : ص ٢٣٨ .

(١٥٩) كرد على : خطط الشام ، ج ١ ، ص ٢٤٦ .

(١٦٠) Bt, L. Poile, A Hiet ..., p. 159.

(١٦١) جمال سرور . النفوذ الفاطمى فى بلاد الشـام والعـراق ، ص ٤٦ كرد على خطط الشـام ، ج ١ ص ٢٤٦ .

(١٦٢) يذكر المقريزى : اتعـاظ الحنفا ، ميكروفيلم ، ص ٦٥ ب (أنه فى سنة ٤٠٣ هـ توفى عيسى بن نسطورس فتأسف الحاكم على فقده من غير قتل وقال ما أسفت على شيء قط أسفى على خلاص بن نسطورس من سيفى وكنت أود لو ضربت عنقه لأنه أفسد دولتى وخاننى ونافق على وكتب الى حسـان بن الجراح فى المداجاة على ... » .

(١٦٣) أبو شجاع : ذيل تجـارب الأمم ، ص ٢٣٨ ـ ٢٣٩ .

(١٦٤) أبو المحاسن : النجوم الزاهرة ، جـ ٤ ، ص ٢٤٨ ، السيوطي
تاريخ الخلفاء السلاطين ، ص ٦٦ ـ ٦٧ ٠

(١٦٥) المقريزي : اتعاظ الحنفا ، طبعة ١٩٤٨ ، ص ٢٧١ ـ ٢٧٢ ٠

(١٦٦) العيني : عقد الجمان ، جـ ١٤ ، م ٥ ، ص ٧٢٧ ٠

(١٦٧) المقريزي : اتعاظ الحنفا ، ميكروفيلم ، ص ٧٧ (أ) ٠

(١٦٨) نفس المصدر والصفحة ، كرد علي : خطط الشام ، جـ ١ ، ص ٢٤٩ ٠

(١٦٩) نفس المصدر ، ص ٧٧ (ب) وهنا ينكر كرد على أن ذلك التحالف كان سنة ٤٢١ هـ ولكن نحن نرجح الرأى الأول ٠

(١٧٠) المقريزي : اتعاظ الحنفا ، ميكروفيلم ، ص ٧٨ (ب) ٠

(١٧١) المقريزي : اتعاظ الحنفا ، ميكروفيلم ، ص ٨١ (أ) ٠

(١٧٢) ابن أيبك : كنز الدرر ، جـ ٦ ، ص ٣٢٤ ٠

(١٧٣) كرد علي : خطط الشام ، جـ ١ ص ٢٤٩ ٠

(١٧٤) ابن العديم : زبدة الحلب ، جـ ١ ، ص ٢٣١ ، أبو المحاسن : النجوم الزاهرة ، جـ ٤ ، ص ٢٥٢ ـ ٢٥٣ ، سبط بن الجوزي : مرآة الزمان ، جـ ١١ ، م ٣ ، مخطوط ، ص ٤٦٤ ٠

(١٧٥) ابن الاثير : الكامل : جـ ٨ ، ص ٣٢ ، ولكن ابن الصيرفي يذكر في الاشارة الي من نال الوزارة ص ٣٧ انه توفى ٤٣٥ هـ ولكننا نرجح رأى ابن الاثير ٠

(١٧٦) ابن الاثير : الكامل ، جـ ٨ ، ص ٣٢ ، ابن الشحنة : روض المناظر ، مخطوط ، ص ١٠٨ (و) ٠

(١٧٧) كرد علي : خطط الشام ، جـ ١ ، ص ٢٥٩ ينكر ابن خلدون أن للدول أعمارا طبيعية كالأشخاص لا تنتقص في الدول التي يحكمها الأفراد حكما استبداديا وسعادة الدولة لا تدوم كالأفراد اكثر من أربعة بطون ٠ الأول يفتح ويجمع ، والثاني ينظم ويرتب ، والثالث ينعم ويتمتع والرابع يفرق ويخرب ٠

(١٧٨) أبو المحاسن : النجوم الزاهرة ، جـ ٥ ، ص ٨٧ ، النويري : نهاية الأرب ، جـ ٢٤ ق ٢ ، ص ١٠٧ ، ابن الاثير : الكامل ، جـ ٨ ، ص ١١٠ وهو يذكر أن ذلك كان سنة ٤٦٤ هـ وسواء كان هذا الرأى أم ذاك فقد بدأت البلاد تدخل طورا جديدا في حياتها ٠

(١٧٩) كان أحمد بن طولون مؤسس الدولة الطولونية تركيا اذ كان أبوه أحد الاتراك الذين كان يرسلهم الولاة من بلاد ما وراء النهر الى الخلفاء العباسيين ضمن هداياهم (حسن ابراهيم ، تاريخ الاسلام ، جـ ٣ ، ص ١٣٦ ، كرد علي :

خطط الشام ، جـ ١ ، ص ٢٠٢) فى حين كان أبو بكر محمد بن طغج بن جف رجلا تركيا من أولاد ملوك فرغانة ، وكان كل ملك من ملوكها يلقب بالاخشيد ، كما يلقب ملك الفرس بكسرى ، وملك الروم بقيصر وملك الحبشة بالنجاشى (فيليب حتى : تاريخ سورية ، جـ ٢ ، ص ١٩٠ ، حسن ابراهيم ، تاريخ الاسلام ، جـ ٣ ، ص ١٣٥) .

(١٨٠) حسن ابراهيم : تاريخ الاسلام ، جـ ٣ ، ص ٤٢٥ .

(١٨١) المقريزى : اتعاظ الحنفا ، ص ٢١٨ .

(١٨٢) ابن شاكر : عيون التواريخ ، جـ ٩ ، مخطوط ، ص ٩١ .

(١٨٣) ابن الأثير : الكامل ، جـ ٧ ، ص ٦٣ .

(١٨٤) ابن شاكر : عيون التواريخ ، جـ ٩ ، مخطوط ، ص ١٠٩ .

(١٨٥) ابن كثير : البداية والنهاية ، جـ ١١ ، ص ٢٨١ ، ابن الأثير الكامل جـ ٧ ، ص ٦٣ .

(١٨٦) المقريزى : اتعاظ الحنفا ، ص ٢٩٤ .

(١٨٧) عبد الله عنان : الحاكم بأمر الله ، ص ٤٧ .

(١٨٨) أرسل العزيز لافتكين رسولا وقال له قل : يا افتكين انا العزيز وقد أزعجتنى عن سرير ملكى وأخرجتنى لمباشرة الحرب بنفسى وأنا مسامحك بجميع ذلك وصافح لك عنه فاترك ما أنت عليه ولذ بالعفو منى تلك عهد الله وميثاقه انى أؤمنك واصطفيك وأنوه باسمك واجعلك اسفهسلار عسكرى واهب لك الشام بأسره وأتركه فى يدك فمضى الرسول ثم أعاد اليه الفتكين الرسالة وخرج بحيث يراه الناس وترجل وقبل الأرض مرارا ومرغ خديه عليها معفرا وقال له . ل لامير المؤمنين لو تقدم هذا القول منك لسارعت اليه واطعت أمرك فاما الآن ليس الا ما ترى فرجع الرسول للعزيز بذلك فقال له : قل له يقرب منى بحيث يرانى وأراه فاذا استحققت أن يضرب فى وجهى بالسيف فليفعل - فمضى بذلك فقال له ، ما كنت الذى اشاهد طلعة أمير المؤمنين وانابذه بالحرب وقد خرج الأمر عن يدى .

(ابن القلانسى : ذيل تاريخ دمشق ، ص ١٨ ـ ١٩ ، ابن الأثير : الكامل ، جـ ٧ ، ص ٦٤ .

سبط بن الجوزى : مرآة الزمان ، جـ ١١ ، م ١ ، ص ٩٣ ، ٩٤ .

(١٨٩) ابن القلانسى : ص ١٩ ، ابن الأثير ، جـ ٧ ، ص ٦٤ .

(١٩٠) عندما حمل الفتكين للعزيز لم يشك فى انه سيقتله ولكنه عندما دخل حمل الى دست قد نصب له ليجلس عليه فرمى نفسه الى الأرض ورمى ما على

رأسه وعفر خديه على التراب وبكى بكاء شديدا سمع منه نشيجه وقال : ما استحققت الابقاء على فضلا عن العفو الكريم ولكن مولانا أبى الا ما يقتضيه أعراقه الشريف وامتنع من الجلوس فى الدست وقعد بين يديه وأتاه بعد ساعة أمين الدولة الحسن بن عمار وهو آجل كتابه وجوهر ومعهما عدة من الخدم على أيديهم الثياب فسلما عليه وأعلماه رضا العزيز عنه .. وقالا له : أمير المؤمنين يقسم عليك بحقه الا طرحت سوء الاستشعار وعدت الى حالة السكوت والانبساط فجدد الدعاء وتقبيل الأرض وشكر جوهر على ما ظهر منه في أمره (ابن القلانس : ذيل تاريخ دمشق ، ص ١٩ ـ ٢٠) .

(١٩١) St. L. Poole : A Hist. Of Egypt., V. I., p. 119-120.

(١٩٢) المقريزى : اتعاظ الحنفا ، ص ٢٤٤ .

(١٩٣) نفس المصدر والصفحة ، مصطفى غالب : تاريخ الدعوة الاسماعيلية ، ص ١٥٩ ، حسن ابراهيم ، تاريخ الدولة الفاطمية ، ص ١٦٣ .
St. L. Poole : A Hist ..., p. 159.

(١٩٤) ابن أيبك : كنز الدرر ، ج ٦ ، ص ١٨٩ .

(١٩٥) ابن العماد الحنبلى : شذرات الذهب ، ج ٣ ، ص ٦٣ .

(١٩٦) ابن القلانس : ذيل تاريخ دمشق ، ص ٢١ ، بن الأثير ، الكامل ، ج ٧ ، ص ٦٤ .

(١٩٧) ابن العميد : تاريخ المسلمين ، ص ٢٣٧ .

(١٩٨) O'Leary : A Short Hist ..., p. 119-120.,

(١٩٩) المقريزى : اتعـاظ الحنفا ، ص ٢٥٧ ، ابن خلدون العبر ، ج ٤ ، ص ٥٣ .

وهنا ينفرد ابن شاكر وابن كثير برأى آخر الراجح انه غير صحيح ويبدو أن ابن شاكر نقله عن ابن كثير وهو أن بلتكين التركى قدم من مصر فى يوم الخميس سابع عشر المحرم سنة ٣٧٦ هـ فاخذها من قسام .

(ابن شاكر : عيون التواريخ ، ج ٩ ، ص ١٧٦ ، ابن كثير : البداية والنهاية ، ج ١١ ، ص ٢٩٣) أما سبط ابن الجوزى فيعطينا رأيا ثالثا بعيدا كل البعد عن الصحة وهو أن بلتكين التركى قدم واليا على دمشق فى سنة ٣٧٧ هـ وكان عليها قسام الحارثى ويعود مرة أخرى ليذكر انه فى سنة ٣٧٨ هـ ولى العزيز بالله على دمشق منير الخادم وعزل عنها بكجور التركى وقيل انما اخرج منها بلتكين لانه كان قد عصى على خليفة مصر (سبط بن الجوزى : مراة الزمان ، ج ١١ م ١ ، ص ١٣٨ ـ ١٤٠) مما يظهر مدى اضطرابه وبذلك يكون راى المقريزى وابن خلدون هو الأرجح .

(٢٠٠) ابن القلانسى : ذيل تاريخ دمشق ، ص ٢٩ ، النويرى : نهاية الأرب ، جـ ٢٤ ق ٢ ، ص ٥١ بيبرس الدوادارى : زبدة الفكرة ، جـ ٦ ، ص ٢٥٦ (ب) .

(٢٠١) ابن القلانسى : ص ٢٧ ـ ٢٨ ، بيبرس الدوادارى : زبدة الفكرة ، جـ ٦ ، ص ٢٥٦ (أ) .

(٢٠٢) نفس المصدر ، ص ٢٨ ، ابن الأثير . الكامل ، جـ ٧ ، ص ١١٢ .

(٢٠٣) ابن القلانسى : ص ٢٨ .

(٢٠٤) بيبرس الدوادارى : زبدة الفكرة ، ص ٢٥٦ (ب) ، ابن القلانسى ص ٢٨ ، ابن الأثير : الكامل جـ ٧ . ص ١١٢ .

(٢٠٥) ابن الأثير الكامل ، جـ ٧ ، ص ١١٣ .

(٢٠٦) ابن أيبك . كنز الدرر ، جـ ٦ ، ص ٢١٠ .

(٢٠٧) ابن القلانسى : ص ٢٩ .

(٢٠٨) ابن أيبك : كنز الدرر . جـ ٦ ، ص ٢١١ ـ ٢١٢ ، أبو الفدا : المختصر جـ ٢ ، ص ١٢٣ .

(٢٠٩) ابن القلانسى : ذيل تاريخ دمشق ، ص ٢٩ .

(٢١٠) ابن أيبك : ص ٢١٢ .

(٢١١) ابن العديم : زبدة الحلب ، جـ ١ ، ص ١٧٧ .

(٢١٢) ابن أيبك ، ص ٢٢٠ .

(٢١٣) نفس المصدر ، ص ٢٢١ .

(٢١٤) الطباخ الحلبى : أعلام النبلاء ، جـ ١ ، ص ٣٠٠

(٢١٥) ابن أيبك : كنز الدرر ، جـ ٦ ، ص ٢٢٢ ، ابن القلانسى ، ذيل تاريخ دمشق ، ص ٣٠ .

(٢١٦) ابن خلدون : العبر ، جـ ٤ ، ص ٥٤ .

(٢١٧) ابن كثير : البداية والنهاية ، جـ ١١ ، ص ٢٨٦ .

(٢١٨) عبد الله عنان : الحاكم بأمر الله ، ص ٣٦ .

(٢١٩) ابن العديم : زبدة الحلب ، جـ ١ ، ص ١٧٨ ، المقريزى : اتعاظ الحنفا ، ص ٢٦٠ .

(٢٢٠) نعمان قساطلى : الروضة الغناء ، ص ٤٣ .

(٢٢١) منجوتكين من الأعلام التركية المؤلفة من كلمتين ، منجو (غدش)

وتكين (المغوار أو الشجاع أو الباسل) (ابن الصيرفى : الاشارة الى من نال الوزارة ، ص ٦٨) .

(٢٢٢) ابن ميسر : أخبار مصر ، ج ٢ ، ص ٤٨ ، المقريزى : اتعاظ الحنفا ، ص ٢٦٩ هنا يستطرد المؤرخان فى احصاء النعم والخلع التى خلعها العزيز على منجوتكين فيذكران أنه حمل اليه عشرة أحمال فيها مائة الف دينار ومائة قطعة من الثياب الملونة على أيدى خمسة وعشرين غلاما وعشر قباب بالغشية ومناطق مثقلة واهلة وفروش وخمسين بندا منها ثلاثة مثقل وعشر منجوقات وعشرة أفراس قيد ذلك كله بين يديه فاقام بمنية الأصبغ (مكان تدريب جيش بنجوتكين) شهرين ونصف شهر يخرج اليه العزيز لمشاهدة لعب الغلمان وينفذ اليه كل يوم جائزة وخلعا .

(٢٢٣) ابن ميسر ، أخبار مصر ، ج ٢ ، ص ٤٨ ـ ٤٩ .

(٢٢٤) المقريزى : اتعاظ الحنفا ، ص ٢٦٩ .

(٢٢٥) ابن القلانسى : ذيل تاريخ دمشق ، ص ٤٠ .

(٢٢٦) نفس المصدر والصفحة .

(٢٢٧) ابن أيبك : كنز الدرر ، ج ٦ ، ص ٢٣٢ .

(٢٢٨) المقريزى : اتعاظ الحنفا ، ص ٢٧٠ .

(٢٢٩) المقريزى : اتعاظ الحنفا ، ص ٢٧٤ .

(٢٣٠) كان الحمام الزاجل يستخدم فى البريد فى ذلك الوقت .

(٢٣١) المقريزى ، ص ٢٧٥ .

(٢٣٢) ابن القلانسى : ذيل تاريخ دمشق ، ص ٤٢ .

(٢٣٣) ابن ميسر : أخبار مصر : ، ج ٢ ، ص ٥٠ .

(٢٣٤) نفس المصدر والصفحة ، ابن القلانسى ، ص ٤٤ .

(٢٣٥) أبو شجاع : ذيل تجارب الأمم ، ص ٢٢٢ .

(٢٣٦) C'Deary é A Short Hist ..., . 125.

(٢٣٧) ابن القلانسى : ذيل تاريخ دمشق ، ص ٤٦ .

(٢٣٨) أبو شجاع : ذيل تجارب الأمم ، ص ٢٢٣ .

(٢٣٩) نفس المصدر والصفحة ، ابن القلانسى : ذيل تاريخ دمشق ، ص ٤٦ ، ٤٧ .

(٢٤٠) أبو شجاع : ص ٢٢٢ ·

(٢٤١) Lammens : La Syrie ..., p. 147.

(٢٤٢) ابن عساكر : التاريخ الكبير ، ص ٢٢٥ ·

(٢٤٣) نفس المصدر : ص ٢٢٦ ·

(٢٤٤) نفس المصدر والصفحة ·

(٢٤٥) وقد أجمع على هذا الرأى كل من ابن عساكر وابو المحاسن وسبط ابن الجوزى ·

(ابن عساكر · التاريخ الكبير ، ج ٦ ، ص ٢٢ ، أبو المحاسن : النجوم الزاهرة ، ج ٤ . ص ٢٣٩ ، سبط بن الجوزى : مرآة الزمان ، ج ١١ ، م ٢ ، ص ٣٦٨) فى حين ينفرد ابن القلانس برواية أخرى وهى أن « شهم الدولة شاتكين ولى دمشق فىالعاشر من صفر سنة ٤٠٧ هـ ثم وصل ابن زوجته القائد يوسف بن باروخ واليا على دمشق فى ذى القعدة سنة ٤٠٧ هـ الا أن شهم الدولة لم يرحل الى مصر الا فى الثامن من جمادى الثانية سنة ٤٠٨ هـ ابن القلانس) نيل تاريخ دمشق . ص ٦٩) ونحن نرجح أن ساتكين تولى فى آخر سنة ٤٠٦ هـ استنادا الى رأى ابن عساكر ، وربما يكون قد تأخر فى الحضور الى دمشق الى العاشر من صفر سنة ٤٠٧ هـ على رأى ابن القلانس ·

(٢٤٦) سبط بن الجوزى : مرآة الزمان ، ج ١١ ، م ٢ ، ص ٣٨٦ ، العينى : عقد الجمان ، ج ١٤ ، م ٤ ، ص ٦٦٥ ·

(٢٤٧) ابن عساكر : التاريخ الكبير ، ج ٦ ، ص ٤٢ ، ابن القلانس نيل تاريخ دمشق ، ص ٦٩ ·

(٢٤٨) أبو المحاسن النجوم الزاهرة ، ج ٤ . ص ٢٤٢ سبط بن الجوزى مرآة الزمان ، ج ١١ ، م ٣ . ص ٣٨٦ ـ ٣٨٧) ·

O'Leary : A Short Hist ..., p. 175.

(٢٤٩) أبو المحاسن : النجوم الزاهرة ، ج ٤ ، ص ٢٤٢ ، سبط بن الجوزى · مرآة الزمان ، ج ١١ ، م ٣ . ص ٣٨٧ ·

(٢٥٠) ابن عساكر · التاريخ الكبير ، ج ٦ . ص ٦٦ ، ابن القلانس ، ص ٧١ ·

(٢٥١) الذهبى : تاريخ الاسلام ، ق ١ ، م ١١ ، ص ١٤٧ وهو يسميه سختكين ·

(٢٥٢) أبو المحاسن : النجوم الزاهرة ، ج ٤ ، ص ٢٦٨ ، ابن القلانس ، ص ٧٣ ·

(٢٥٣) O'Leary : A Short Hist ..., p. 191.

(٢٥٤) O'Leary : Ibid., p. 192.

(٢٥٥) ابن خلدون . العبر ، جـ ٤ ، ص ٦٢ .

ذكر ابن عساكر أن الوزير الجرجائى بلغـه عنه أنه قال قد خرف الوزير فكاتب الوزير أهل دمشق وافسد الحال بينه وبينهم (ابن عساكر التاريخ الكبير . جـ ٢ ، ص ١٥٢) .

(٢٥٦) ابن العـديم . زبدة الحلب ، جـ ١ ، ص ٢٦٠ ، ابن القلانس ، ص ٧٦ .

(٢٥٧) العينى عقد الجمان ، جـ ١٥ ، م ١ ، ص ٢٠ .

(٢٥٨) ورد الكتاب بأكمله فى ذيل تاريخ دمشق لأبن القلانس ، ص ٧٦ ــ ٧٧ .

(٢٥٩) نص كتابه فى المصدر السابق ، ص ٧٧ ــ ٧٨ .

(٢٦٠) سورة النسـاء ، الآية ٧٨ .

(٢٦١) ما وصل .

(٢٦٢) ابو المحاسن : النجوم الزاهرة ، جـ ٥ ، ص ٣٤ ، الطباخ الحلبى . أعلام النبلاء ، جـ ١ ، ص ٢٣١ فى حين يذكر ابن القلانس أنه مات بعـد أن أصابه شلل فى يده ورجله اليمنى وذلك فى سنة ٤٣٦ هـ (ابن القلانس ، ص ٧٨) وسواء اكان هذا السبب أم ذاك فنحن نرجح أنه توفى سنة ٤٣٣ هـ لاجـماع المراجع على ذلك ويبدو أن ابن القلانس اخطأ فى ذكر السنة .

(٢٦٣) أبو المحاسن : النجوم الزاهرة ، جـ ٥ ، ص ٣٤ .

(٢٦٤) Lammens : La Syries ..., V. I., p. 153.

(٢٦٥) العينى : عقد الجمان : جـ ١٥ ، م ١ ، ص ٢١ .

(٢٦٦) ابن القلانس : ص ٨٤ ، ابن ميسر . أخبار مصر ، جـ ٢ ، ص ٤ .

(٢٦٧) ابو المحاسن : النجوم الزاهرة . جـ ٥ ، ص ٤٥ .

(٢٦٨) الذهبى : تاريخ الاسلام ، ق ٣ ، م ١١ ، مخطوط ، ص ٣٩٠ .

(٢٦٩) ابن القلانس ، ص ٩٠ .

(٢٧٠) ابن عساكر : تهذيب ابن عساكر ، جـ ٦ ، ص ٦٤ .

(٢٧١) ابن القلانس : ٩٢ ، ابن الأثير : الكامل ، جـ ٨ ، ص ١٧٢ .

(٢٧٢) ابن العماد الحنبلى : شذرات الذهب ، جـ ٣ ، ص ٢٨٣ .

(٢٧٣) ابن القلانس : ص ٩٢ ، ابن عساكر : التاريخ الكبير ، جـ ٥ ، ص ٢٢ .

(٢٧٤) ابن ميسر . أخبار مصر ، جـ ٢ ، ص ١٦ .

(٢٧٥) ابن القلانسي . ص ٩٣ ويذكر ابن الأثير في الكامل ، جـ ٨ ، ص ١٧٢ انه هرب للمرة الثانية سنة ٥٦٠ هـ ولكن يبدو أنه اخطأ في الأرقام والراجح أنها سنة ٤٦٠ هـ .

(٢٧٦) ابن خلكان . وفيات الاعيان ، جـ ٢، ص ١٦٠ .

St. L. Poole : A Hist., p. 150.

(٢٧٧) ابن الصيرفي : الاشارة الى من نال الوزارة ، ص ٥٥ .

(٢٧٨) نفس المصدر والصفحة .

(٢٧٩) عبد المنعم ماجد : السجلات المستنصرية ، ص ٦٢ ـ ٦٦ جاء في نصه : .. « أما بعد : فان السيد الأجل ، أمير الجيوش ، سيف الاسلام ، ناصر الاسلام ، كافل القضاة المسلمين وهادى دعاة المؤمنين ، عضد الله به الدين ، وأمتع بطول بقائه أمير المؤمنين .. الآية التي أطلع الله بها لأمير المؤمنين شمس الخلافة فشرقت ، والموهبة التي وهبها لدولته وللاسلام فظهرت وأشرقت .. هجر الكرى في الخدمة .. حتى أصبحت المملكة بلطف الله وأياليته محفوظة النظام ، مكبوتة الأضداد .. » .

(٢٨٠) ابن الصيرفي : الاشارة ، ص ٥٥

(٢٨١) نفس المصدر والصفحة : في حين يذكر ابن خلكان : وفيات الأعيان ، جـ ٢ ، ص ١٦٠ انه وصل القاهرة في اخر جمادى الأولى وقيل الآخرة سنة ٤٦٦ هـ ونحن نرجح رأى ابن الصيرفي فهو معاصر أكثر ومتخصص في دراسة الوزراء في مصر .

(٢٨٢) St. L. Poole : A Hist ..., p. 150.

(٢٨٣) ابن الصيرفي : الاشارة ، ص ٥٦ .

(٢٨٤) St. L. Poole : Op. Cit., p. 151.

(٢٨٥) ابن خلكان : وفيات الأعيان ، جـ ٢ ، ص ١٦٠ .

(٢٨٦) Vasiliev : History of The Byzantine Empire ..., p. 311.

(٢٨٧) ابن عساكر : التاريخ الكبير ، جـ ١ ، ص ٥٨ : قال أبو الدرداء « سيفتح على أمتي من بعدى الشام وشيكا ، فاذا فتحها واحتلها فأهل الشام مرابطون الى منتهى الجزيرة رجالهم ونساؤهم وصبيانهم وعبيدهم فمن احتل ساحلا من تلك السواحل فهو في جهاد ومن احتل بيت المقدس وما حولها فهو في رباط . وقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه لجلسائه يوما ، أى الناس أعظم اجرا فجعلوا يذكرون له الصوم والصلاة ويقولون فلان وفلان بعد أمير

المؤمنين ، فقال الا اخبركم باعظم الناس اجرا ممن ذكرتم ومن امير المؤمنين قالوا بلى ، قال . رويجل بالشام اخذ بلجام فرسه يكلأ من وراء بيضة المسلمين لا يدري اسبع يفترسه ام هامة تلدغه او عدو يغشاه فذلك اعظم اجرا ممن ذكرتم ومن أمير المؤمنين » .

(٢٨٨) ابن العديم : بغية الطلب في تاريخ حلب ، ج ١ ، مخطوط ص ٢٦٨ ـ ٢٧٢ . (وهي هنا خاصة بطرسوس) .

ففي وقت وقع النفير يركب المتولي للحسبة ورجالته بين يديه ينادونه باعلى أصواتهم يقولون النفير يا أصحاب الخيل والرجال ، النفير حملكم الله الى باب معين يعينونه لهم وتغلق ساير أبواب المدينة ، ولا تزال مغلقة حتى يعود السلطان من النفير ، فتفتح الأبواب المغلقة كلها ويطوف المحتسب ورجالته الشوارع كلها فاذا كان ذلك نهارا انضاف الى رجالته عدد كثير من الصبيان وساعدوهم على النداء بالنفير وحض الناس على المسير في اثر الأمير اين اخذ وكيف سار . ويتردد المحتسب في الاسواق اذا طال امر النفير ويبعث على اللحوق بمن سار مع الامير وبمن توجه الى النفير فلا يزال الامر على هذا حتى يعود السلطان الى دار الامارة ويخرج الى النفير قواد الرجالة معروفون متى عقد السلطان لقايد من الفرسان فبعثه للقاء من ورد من ذلك الوجه انضاف اليه قايدا من قواد الرجالة واتبعه من أجلاد الرجالة أهل القوة والنشاط حتى اذا نزلوا أول منزل اقبل شيخ شيوخ من الصلحاء معروفون بحفظ من هناك من الغلمان المرموقين بالصباحة والوطاة فتنضاف طبقة الى ذي معرفتهم وثقتهم وحصلوا تحت علمه . وكان الصبي اذا خرج من حد الطفولة واشتد عضده وقارب حد البلوغ أو بلغ وتجاوز البلوغ انضاف الى قايد من قواد الرجالة الذين ذكرت وصحبه في نفيره وغزوه وارتاد لنفسه الرفاق فاذا التحى وخرج عن حد المرد دخل في جمهور الناس حاذقا بما يحتاج اليه ماهرا بصيرا بالجهاد وتدبير أمره ناقدا يقظا .

(٢٨٩) ابن كثير البداية والنهاية ، ج ١١ ، ص ٢٦٨

(٢٩٠) بيبرس الدوادارى : زبدة الفكرة ، ج ٦ ، ص ٢٠٧ (ب) في حين يذكر ابن شاكر الكتبي : عيون التواريخ ، ج ٨ ، ص ٥٣٤ ـ ٥٣٥ ان ذلك حدث سنة ٣٥٩ هـ والأرجح انه حدث سنة ٣٥٨ هـ

(٢٩١) سبط بن العجمي الحلبي : كنوز الذهب ، مخطوط ، ص ٥٠ ، أبو المحاسن : النجوم الزاهرة ، ج ٤ ، ص ٥٥

(٢٩٢) سبط بن العجمي الحلبي : ص ٥٠ .

(٢٩٣) Vasiliev : Hist. Of The Byzantine ..., p. 309.

(٢٩٤) سبط بن الجوزى : مرآة الزمان ، ج ١١ ، م ١ ، ص ١١ .

(٢٩٥) أبو الفدا : المختصر ، ج ٢ ، ص ١١١ ، ابن الاثير . الكامل ، ج ٧ ، ص ٣٧ .

(٢٩٦) جاء فى كتاب مرآة الزمان لابن الجوزى ، ج ١١ ، م ١ ، ص ١٣) :
« قيل أنه كان ولد رجل سام من أهل طرسوس يعرف بابن الفقاس وكان نقفور رجلا شجاعا مدبرا سايسا لم ير مثله من عهد الاسكندر ذى القرنين وهو الذى فتح حلب ولم يفتحها أحد قبله نعظم فى عين الروم وجلت منزلته وارتفع قدره فوثب على الملك الذى كان فى زمانه فقتله وجلس مكانه وتزوج امرأته على كره منها وكان لها ولدان من المقتول وصرف نقفور همه الى البلدان الاسلامية حتى ملك العديد منها وطل أمره فى ارتفاع حتى فكر فى اخصاء ولدى زوجته ويهديهما للبيعه فلما علمت احتالت عليه حتى أدخلت اليه من قتله فى ليلة الميلاد وأجلس ابنها الأكبر مكانه وقيل أن الذى قتله هو الدمستق (وهو اسم لكل من يلى بلاد الروم شرق حلب بالقسطنطينية » .

(٢٩٧) Hist. de Yahya Ibn Sa'id D'antioche ..., p. 127-128.

لم يشك أحد فى أن نقفور الملك فتح جميع الشامات وديار ربيعة وديار بكر وذلك أنه كان قد بنى أمره على قصد سواد المدن والقرى فيغزوها ويحرقها ويسبى أهلها ومواشيها واذا بلغ وقت الحصاد يخرج وأحرق جميع الغلات وترك أهل المدن يموتون جوعا وكان لا يزال يفعل ذلك بهم سنة بعد سنة الى أن تدفعهم الضرورة الى تسليم المدن اليه فملك بذلك الثغور الشامية بأسرها والثغور الجزيرية وقتل من أهلها وسبى ما لا يحيط بعدده الا الله تعالى لكثرته حتى كانت غزواته قد صارت كالنزهة لأصحابه لأنه لم يكن يقصد بهم أحدا ولا يخرج بين أيديهم وكان يقصد حيث يشاء ويخرب كيف أراد من غير أن يلقاه أحد من المسلمين ولا غيرهم ولا يدفعه عما يريده دافع ولا مانع .

(٢٩٨) الباز العرينى : الدولة البيزنطية ، ص ٤٨٩ .

(٢٩٩) المقريزى : اتعاظ الحنفا ، ص ١٢٦ .

(٣٠٠) ابن أيبك : كنز الدرر ، ج ٦ ، ص ١٣٣ .

(٣٠١) أسد رستم : الروم ، ج ٢ ، ص ٤٨ .

(٣٠٢) ابن العماد : شذرات الذهب ، ج ٤ ، ص ٢٨ .

(٣٠٣) المقريزى : اتعاظ الحنفا ، ص ١٢٦ .

(٣٠٤) الباز العرينى : الدولة البيزنطية ، ص ٥٤٤ ـ ٥٤٥ .

(٣٠٥) نفس المصدر ، ص ٥٤٦ .

(٣٠٦) سعيد عاشور : الحركة الصليبية ، جـ ١ ، ص ٦٤ (ينتمى حنا زمسكيس الى أسرة أرمينية عريقة ، احترف الجندية منذ حداثة سنه كان ينشأ الذى يتصل به من جهة أمه .. صحب نقفور فى حملات عديدة .. وقد تمتع بمحبة الجند لما اشتهر به من البساطة والشجاعة . لما تولى العرش شغل الوظيفة التى كان يحتلها الامبراطور البيزنطى قبله وهى وظيفة قائد القوات البيزنطية فى الأناضول (الدمستق) فصار لزاما عليه أن يواصل ما قام به نقفور من فتوح (الباز العرينى : الدولة البيزنطية ، ص ٥١٦ ـ ٥١٧) ، وهنا يجب الا ننسى أن من العوامل التى أدت الى هجوم البيزنطيين على بلاد الشام فى ذلك العصر ، هو رغبتهم فى استعادة مستعمراتهم القديمة فى الشرق الأدنى ، والتى كانوا قد فقدوها فى القرن السابع الميلادى عندما قام العرب بحركة فتوحاتهم الكبرى ، وزادت هذه الرغبة نتيجة لما شعر به البيزنطيون من نمو قوتهم فى القرن العاشر الميلادى ، وكذلك على أثر الانتصارات الأولى التى أحرزوها أثناء تقدمهم فى الشرق (عمر كمال : مقدمات العدوان الصليبى على الشرق العربى ، ص ٩٦ ، ٩٧) .

(٣٠٧) الباز العرينى : الدولة البيزنطية ، ص ٥٤٦ عمر كمال : مقدمات العدوان الصليبى ، ص ٩٩ ـ ١٠٤ .

(٣٠٨) المقريزى : اتعاظ الحنفا ، ص ٢١٤ .

(٣٠٩) C. Cahen : La Chronique Abrégée d'al-Azimi ..

(٣١٠) المقريزى : اتعاظ الحنفا ، ص ٢٣٠ .

(٣١١) سعيد عاشور : الحركة الصليبية ، جـ ١ ، ص ٦٤ .

(٣١٢) الباز العرينى : الدولة البيزنطية ، ص ٥٤٧ .

(٣١٣) سعيد عاشور : الحركة الصليبية ، جـ ١ ، ص ٦٥ .

(٣١٤) المقريزى : اتعاظ الحنفا ، ص ٢٢١ (وهو يذكر أن المدافع عنها هو الفتكين التركى) ، ابن ايبك . كنز الدرر ، جـ ٦ ، ص ١٧٠ وهنا يذكر ميخائيل البعلبكى : تاريخ بعلبك ، ص ٢٣ أن دخول الشمشق بعلبك كان سنة ٣٦٣ هـ ولكن الأرجح انه كان سنة ٣٦٤ هـ .

(٣١٥) ابن القلانسى : ذيل تاريخ دمشق ، ص ١٣ .

(٣١٦) نفس المصدر والصفحة .

(٣١٧) نفس المصدر والصفحة ، ابن ايبك : ص ١٧٠ ·

(٣١٨) المقريزى : اتعاظ الحنفا ، ص ٢٢٢ فى حين يذكر البالمز العرينى . الدولة البيزنطية ، ص ٥٥٤ أنها ستون ألف دينـار كل عام ، أما ابن القلانس ، ص ١٣ فيذكر انها مائة ألف درهم ·

(٣١٩) ابن أيبك ، جـ ٦ ، ص ١٧٠ وهنا يذكر أسد رستم : الروم ، جـ ٢ ، ص ٤٨ أنه قبل بقـاء حامية مسيحية فى المدينة ·

نصت اتفاقية دمشق سنة ٩٧٥ م علي : طاعة أهل دمشق للامبراطور البيزنطى وتعهدهم بقدر معين من المال يدفعونه له سنويا . وفى مقابل ذلك تعهد لهم الامبراطور بالأمان على أنفسهم وأموالهم ، والدفاع عنهم ضد من يتهددهم من الأعداء ·

(عمر كمال مقدمات العدوان الصليبى ، ص ١٥٩) ·

(٣٢٠) سعيد عاشور : الحركة الصليبية ، جـ ١ ، ص ٦٥ ــ ٦٦) ·

(٣٢١) أسد رستم . الروم ، جـ ٢ ، ص ٤٨ ــ ٤٩ ·

(٣٢٢) Vasiliev : Hist. Of Byzantine Empire ..., p. 310.

(٣٢٣) Vasiliev : 0bid, p. 310.

(٣٢٤) اسد رستم : الروم ، جـ ٢ ، ص ٤٩ ·

(٣٢٥) ابن القلانس : ذيل تاريخ دمشق ، ص ١٤ ·

(٣٢٦) ابن أيبك : كنز الدرر ، جـ ٦ ، ص ١٧٠ ــ ١٧١ . المقريزى : اتعاظ الحنفا ، ص ٢٢٢ ·

(٣٢٧) نفس المصدر ، ص ١٧١ · نفس المصدر والصفحة ·

(٣٢٨) ابن القلانس : ذيل تاريخ دمشق ، ص ٦٤ ·

(٣٢٩) المقريزى اتعاظ الحنفا . ص ٢٢٢ · حتى قيل أنه اقام عليها حوالى أربعين يوما وبدأ فى بناء العرادات والمناجق (ابن القلانس : جـ ١٤ ، ابن العميد : تاريخ المسلمين ، ص ٢٣٣ ، ابن أيبك ، كنز الدرر ، جـ ٦ ، ص ١٧١) ·

(٣٣٠) سعيد عاشور : الحركة الصليبية ، جـ ١ ، ص ٦٦ ، عمر كمال : مقدمات العدوان الصليبى ، ص ١٦٧ ــ ١٦٨ ·

(٣٣١) الباز العرينى : الدولة البيزنطية ، ص ٥٥٥ ، عمر كمال : مقـدمات العدوان الصليبى ، ص ١٦٩ · « وقد شهد هذا العصر انتعاش الخطابة نتيجة لاشتداد الخطر البيزنطى · وهب المتحمسون ليعتلوا المنابر ويحثوا المسلمين على الجهاد

والدفاع عن « دار الاسلام » وكان من أبرز الشخصيات التي قامت بمجهود كبير في الدعوة للجهاد ، الخطيب والفقيه المعاصر ابن نباته » (عمر كمال : مقدمات العدوان الصليبي على الشرق العربي ، ص ٨٩) • وحصن صهيون حصن حصين من سواحل بحر الشـام من أعمال حمص ولكنه ليس بمشرف على البحر ، وهو قلعة حصينة فى طرف جبل (ياقوت الحموى معجم البلدان ، جـ ١٢ ص ٤٣٦) أما حصن برزويه : فهو قرب السواحل الشامية على جبل شاهق يضرب به المثل فى جميع بلاد الافرنج (ياقوت : جـ ٢ ، ص ٢٨٣) فيقول الناس كأنه فى حصن برزيه وهو يعرف بهذا الاسم أيضا (ابن العديم : بغيـة الطلب فى تاريخ حلب . المجلد ٢ ، ص ٤٠٤) •

(٢٣٢) سعيد عاشور : الحركة الصليبية ، جـ ١ ، ص ٥٦٦ ، أسد رستم ، الروم ، جـ ٢ ، ص ٤٩ وهنا يذكر سبب وضع السم له انه أثناء عودته الى العاصمة شاهد أراضى فسيحة جميلة خصبة ، فسأل عن مالكها فقيل له انها تخص رئيس الخصيان باسيليوس المقدم بين الوزراء . فاستعظم يوحنا هذا الأمر نظرا لاحتياج الدولة وشقاء رؤسائها فى سبيل الفتوحات وبلغ هذا باسيليوس نفسه فخاف ودس سما خفيفا للامبراطور فقتله فى مدة لا تبلغ السنة • أما عمر كمال . مقدمات العدوان الصليبى ، ص ١٧٠ فيذكر أن هناك بعض المؤرخين يرون أنه أصيب بحمى التيفود فى أواخر مدة حملته على الشام وأنه مات متأثرا بهذا المرض •

(٢٣٣) ابن القلانسى : ذيل تاريخ دمشق ، ص ١٠٤ ، ابن العميد ، تاريخ المسلمين ، ص ٢٣٣ •

(٢٣٤) ابن العميد : تاريخ المسلمين ، ص ٢٤٣ ـ ٢٤٤ •

(٢٣٥) Vasiliev : Op. Cit., p. 310.

(٢٣٦) سعيد عاشور : الحركة الصليبية ، جـ ١ ، ص ٦٦ ـ ٦٧ •

(٢٣٧) Vasiliev : Op. Cit., p. 310.

(٢٣٨) الباز العرينى : الدولة البيزنطية ، ص ٦١١ •

(٢٣٩) ابن حوقل : صورة الأرض ، ق ١ ، ص ١٧٧ •

(٢٤٠) ابن العديم : زبدة الحلب ، جـ ١ ، ص ١٧٤ • فى حين يذكر جروسيه أن سعد الدولة اضطر للاعتراف بأنه تابع لبزنطه بدفع ٢٠٠ر٠٠٠ درهم أو ٢٠ر٠٠٠ دينـار •

Grousset : L'Empire du Levant ..., 123.

(٣٤١) ابن العديم . زبدة الحلب : جـ ١ ، ص ١٧٤ .

(٣٤٢) نفس المصدر السابق ، ص ١٧٥ ويذكر أن هناك سببا آخر لرجوع الدمستق هو أنه رأى فى نومه المسيح وهو يقول له مهددا : « لا تحاول اخذ هذه المدينة » ، وفيها ذلك الساجد على الترس . واشار الى موضعه فى البرج الذى بين قنسرين وبرج الغنم فى المسجد المعروف بمشهد النور فلما أصبح ملك الروم سأل عنه فوجده ابن ابى نمير عبد الرازق بن عبد السلام العابد الحلبى وكان ذلك سببا لرحيله عن حلب .

(٣٤٣) Grousset : L'Empire du Levant ..., p. 123.

(٣٤٤) Grousset : Ibid. p. 123.

(٣٤٥) ابن العميد : تاريخ المسلمين ، ص ٢٤٩ والراجح أنه جعل دوقا على انطاكية وليس دوقس .

(٣٤٦) نفس المصدر والصفحة .

(٣٤٧) فبعد هزيمة الامبراطور باسيل فى بلاد البلغار بدأت الأرستقراطية البيزنطية تتشجع على الثورة فتجهز سكليروس لغزو آسيا وكان يدعى الملك لنفسه فى حين أن بارداس فوكاس لم يكن بأقل طموحا من سكليروس ولم ينس ما نزل به فى السنوات القليلة الماضية من الاذلال والمهانة بأن عزله عن دمستقية الشرق التى يتولى صاحبها القيادة العامة للجيوش البيزنطية فى الشرق . يضاف الى ذلك أن بارداس اتخذ عمه الامبراطور نقفور فوكاس مثله الأعلى ثم أعلن نفسه امبراطورا فى أغسطس سنة ٩٨٧ م ـ ٣٧٧ هـ . وهكذا أصبح هناك امبراطوران ، فى آسيا بارداس سكليروس وبارداس فوكاس ، وامبراطوران بالقسطنطينية (باسيل وقسطنطين) وخشى الأولان اذا تطاحنا أفاد من ذلك الآخران فتحالفا واتفقا ضد عدوهما المشترك . وعلى ذلك بدأ باسيل يستعين بالجند المرتزقة من الروس . ليوازن بذلك الانشقاق الداخلى فى امبراطوريته بينه وبين كبار القواد . وأدت هذه الظروف مجتمعة الى خوف باسيل من الدخول فى حرب مكشوفة مع الفاطميين فسعى لعقد هدنة مع الفاطميين سنة ٣٧٧ هـ (الباز العرينى الدولة البيزنطية ، ص ٦٠٧ ، ٦١٠ ، ٦١٢ ، سعيد عاشور : الحركة الصليبية ، جـ ١ ، ص ٦٨) .

(٣٤٨) الباز العرينى : الدولة البيزنطية ، ص ٦١١ .

(٣٤٩) Grousset : L'Empire du Levant ...., p. 123.

(٣٥٠) مصطفى غالب : تاريخ الدعوة الاسلامية ، ص ١٥٩ ٠

(٣٥١) ابن خلكان : وفيات الاعيان ، ج ٦ ، ص ٣١ ٠

(٣٥٢) Grousset : L'Empire ..., p. 124.

(٣٥٣) Grousset : L'Empirè ..., p. 124.

(٣٥٤) المقريزى : اتعاظ الحنفا ، ص ٢٨٦ ٠

(٣٥٥) نفس المصدر السابق والصفحة : كان ملك الروم قد أرسل رسولين الى ابن حمدان سرا فالتقى بهما رجال منجوتكين فسألاهما (من أين جئتما ؟) فظنهم الرسولان رجال ابن حمدان فأخبراهم خبر الروم ، ولما بلغ منجوتكين ذلك طرح النار فى خزائن السلاح وفى بيوت وحوانيت كان قد بناها عسكره فاحترقت ورحل عائدا الى دمشق ٠

(٣٥٦) Grousset : L'Empire ..., p. 124.

(٣٥٧) المصدر السابق والصفحة ، سعيد عاشور . الحركة الصليبية ، ج ١ ، ص ٦٨ ٠

(٣٥٨) المقريزى : اتعاظ الحنفا ، ص ٢٨٦ ٠

(٣٥٩) St. L. Poole : A Hist. Of Egypt, V. I ..., p. 159.

(٣٦٠) المقريزى : الخطط ، ج ٢ ، ص ٢٨٥ ، مصطفى غالب ، تاريخ الدعوة الاسماعيلية ، ص ١٦٥ وفاميه مدينة كبيرة وكورة من سواحل حمص ، ويقال لها أفامية أيضا (ياقوت ج ١٤ ، ص ٢٣٣) ٠

(٣٦١) Grousset : L'Empire ..., p. 124.

(٣٦٢) مرعش مدينة فى الثغور بين الشام وبلاد الروم (ياقوت ج ١٧ ، ص ١٠٧) ٠

وشيزر : قلعة تشتمل على كورة بالشام قرب المعرة فى وسطها نهر الأردن (ياقوت ج ١٢ ، ص ٣٨٣) ٠

المقريزى : اتعاظ الحنفا ، ميكروفيلم ، ص ٥٣ (ب) ٠

(٣٦٣) الباز العرينى : الدولة البيزنطية ، ص ٦٧٤ ٠

(٣٦٤) نفس المصدر والصفحة ٠

(٣٦٥) Grousset L'Empire ..., p. 125.

(٣٦٦) ابن العديم . زبدة الحلب ، جـ ١ ، ص ١٩٢ .

(٣٦٧) Grousset L'Empire ..., p. 125.

(٣٦٨) الباز العريني : الدولة البيزنطية ، ص ٦٧٦ .

حصن عرقة : بلدة في شرقي طرابلس ، وهي آخر عمل لدمشق ، وهي في سفح جبل وعلى جبلها قلعة لها (ياقوت جـ ١٣ ، ص ١٠٩) .

(٣٦٩) طرسوس : سميت بطرسوس بن الروم بن اليفز بن سام بن نوح . وهي مدينة بثغور الشام بين انطاكية وحلب وبلاد الروم (ياقوت : جـ ١٣ ، ص ٢٨) .

(٣٧٠) أسد رستم : الروم ، جـ ٤ ، ص ٥٧ .

(٣٧١) الباز العريني . الدولة البيزنطية ، ص ٦٧٧ .

(٣٧٢) Vasiliev : Hist, Of The Byzantine , p. 311.

(٣٧٣) سعيد عاشور : الحركة الصليبية ، جـ ١ ، ص ٦٩ وفي أواخر القرن العاشر الميلادى . الرابع الهجرى عقدت معاهدة تجارية بين القسطنطينية وبين حكام المسلمين في حلب ومن شروط هذه المعاهدة أن يكون للموظفين البيزنطيين في المدينة حق تحصيل ضريبة مقدارها ١٠٪ على كل الوارد من الحرير الخام والمخمل والأحجار الكريمة والحلى النفيسة على حين يحصل الحكام المحليون ضرائب على الملابس والكتان والماشية وسائر البضائع المستوردة من بلاد الامبراطورية البيزنطية . وهكذا غدت مدينة حلب أحد المنافذ الرئيسية لتجارة بيزنطة مع العالم العربى في الشرق . وبلغ من أهميتها أن استثناها الامبراطور باسيل الثانى من قرار تحريم الاتجار مع الخلافة الفاطمية في مصر ، وقت اضطهادات الخليفة الحاكم للمسيحية سنة ١٠١٥ م . (أرشيبالد ـ ر ـ لويس . ترجمة أحمد عبس : القوى البحرية والتجارية في حوض البحر المتوسط ، ص ٣٢٤ .

(٣٧٤) العينى : عقد الجمان ، جـ ١٤ م ٣ ، ص ٥١٧ . ولو أن هنالك نوعا من الشك في هذا التاريخ لأن الباز العريني : الدولة البيزنطية ، ص ٦٤١ يذكر أن باسيل ، بعد عقد الهدنة ، توجه لقتال البلغار ولبث ببلادهم أربع سنوات .

(٣٧٥) المقريزى : اتعاظ الحنفا ، ميكروفيلم ، ص ٦٧ (ب) .

(٣٧٦) سعيد عاشور : الحركة الصليبية ، جـ ١ ، ص ٦٩ .

(٢٧٧) الغزى : نهر الذهب ، جـ ٣ ، ص ٦٨ .

(٢٧٨) ابن العديم : زبدة الحلب ، جـ ١ ، ص ٢١٨ ـ ٢١٩ .

(٢٧٩) Hitti : Hist. Of The Arabs ..., p. 621.
St. L. Poole : A History Of Egypt., V. 1, p. 136.

(٢٨٠) المقريزى : اتعاظ الحنفا ، ميكروفيلم ص ٨١ (ب) كان الحاكم قد أمر بهدمها سنة ٣٩٨ هـ (ابن القلانسى : ذيل تاريخ دمشق ، ص ٦٦ ، وبالفعل تم هدمها فى صفر سنة ٤٠٠ هـ ـ ١٠٠١ م (عبد الله عنان : الحـاكم بأمر الله ، ص ٦٩) .

(٢٨١) الدبس : تاريخ سوريه ، جـ ٣ ، م ٥ ، ص ٤٥٦ ، أسد رستم : الروم ، جـ ٢ ، ص ٦٤ .

(٢٨٢) كورة ومدينة من أعمال حمص يقال لها رفنية تدمر . (ياقوت : جـ ٩ ، ص ٥٤) .

(٢٨٣) الباز العرينى : الدولة البيزنطية ، ص ٧٧٧ ـ ٧٧٨ .

(٢٨٤) ابن العديم : زبدة الحلب ، جـ ١ ، ص ٢٢٨ ـ ٢٢٩ وهنا ينكر الباز العرينى . الدولة البيزنطية ص ٧٧٨ أن هذه الحملة لم يكن لها سبب جوهرى سوى حرص الامبراطور على أن يذيع صيته ويشتهر اسمه باحراز النصر فى الشرق مثلما ذاع اسم نقفور وزمسكيس وباسيل ولذا حشد لهذه الحملة من العساكر ما لم يحشد من قبل .

(٢٨٥) Lammens : La Syrie ..., V. 1, p. 608.

(٢٨٦) ابن الاثير : الكامل ، جـ ٧ ، ص ٢٤٩ ، اليافعى : مرآة الجنان : جـ ٣ ، ص ٣٧ فى حين يذكر ابن العديم : زبدة الحلب . جـ ١ . ص ٢٣٩ أن عددهم كان ستمائة الف .

(٢٨٧) الغزى : نهر الذهب ، جـ ٣ ، ص ٧٠ .

(٢٨٨) كرد على : خطط الشام . جـ ١ ، ص ٢٥٠ .

(٢٨٩) ابن الأثير : الكامل ، جـ ٧ ، ص ٢٤٩ . ابن شاكر عيون التواريخ ، جـ ١٣ ، ص ٩٤ ، ب . وقد ذكر ابن الأثير أنه كان مع الملك ابن الدوقس وكان يريد هلاك الملك ليملك بعده فقال الملك الرأى أن نقيم حتى تجىء الأمطار وتكثر المياه فقبل ابن الدوقس هذا الرأى وأشار بالاسراع لتدبير كان قد دبره عليه ، فسار ففارقه ابن الدوقس وابن لؤلؤ فى عشرة آلاف فارس وسلكوا طريقا آخر ، فخلا بالملك بعض أصحابه وأعلمه أن ابن الدوقس وابن

لؤلؤ قد حالفا أربعين رجلا هو أحدهم على الفتك به فاستشعر من ذلك وضاق ورحل راجعا ولحقه ابن الدوقس وسأله عن السبب الذى أوجب عودته فقال لقد اجتمعت علينا العرب وقربوا منا وقبض فى الحال على ابن الدوقس وابن لؤلؤ وجماعة معهما فاضطرب الناس واختلفوا ورحل الملك وتبعهم العرب ·

(٣٩٠) ابن العديم : زبدة الحلب ، جـ ١ ، ص ٢٤١ ·

(٣٩١) نفس المصدر : ص ٢٤٢ ·

(٣٩٢) نفس المصدر والصفحة ، الطباخ الحلبى : أعلام النبلاء ، جـ ١ ، ص ٣٢٢ ـ ٣٢٣ ·

(٣٩٣) بيشوف الجرمانى : تحف الأنباء ، ص ٤١ ·

(٣٩٤) Grousset : L'Empire du Levant ..., p. 127.

(٣٩٥) المصدر السابق ، ص ٢٢ من المقدمة ·

(٣٩٦) سعيد عاشور : الحركة الصليبية ، جـ ١ ، ص ٧٠ ·

(٣٩٧) ابن الاثير : الكامل ، جـ ٧ ، ص ٣٥٦ فى حين ينفرد الدبس تاريخ سورية ، جـ ٣ ، م ٥ ، ص ٤٥٨ ·

ان ذلك حدث سنة ٤٢٣ هـ سنة ١٠٣٢ م ، والراجح أن هذا الرأي غير صحيح ·

(٣٩٨) المقريزى : اتعاظ الحنفا ، ميكروفيلم ، ص ٨٢ (أ) ابن الأثير الكامل ، جـ ٧ ، ص ٣٥٦ ·

(٣٩٩) المقريزى : المصدر السابق ، ص ٨٢ أ ، العينى : عقد الجمان ، جـ ١٤ ، م ٥ ، ص ٧٨٧ ·

(٤٠٠) الباز العرينى : الدولة البيزنطية ، ص ٧٨٥ ، أسد رستم ، الروم ، جـ ٢ ، ص ٦٥ ·

(٤٠١) الباز العرينى : ص ٧٨٥ ـ ٧٨٦ ·

(٤٠٢) الباز العرينى : الدولة البيزنطية ، ص ٧٨٦ ·

(٤٠٣) الباز العرينى : ص ٧٨٧ ·

(٤٠٤) سبط بن العجمي والحلبي : كنوز الذهب : ص ٥٠ ، ابن الوردى : تتمة المختصر ، جـ ١ ، ص ٣٤١ ·

(٤٠٥) المقريزى اتعاظ الحنفا ، ميكروفيلم ، ص ٨٢ ب والراجح أن المعاهدة

كما ذكر أسد رستم الروم ، ج ٢ ، ص ٦٥ عقدت بين ميخائيل وأرملة الظاهر الوصية على ابنها القاصر المستنصر .

(٤٠٦) ابن الشحنة : روض المناظر ، ص ١٠٧ (و) .

(٤٠٧) العينى : عقد الجمان ، ج ١٤ م ، ٥ ، ص ٨٤٨ ، جمال سرور : مصر فى عصر الدولة الفاطمية ، ص ١٦٩ .

(٤٠٨) المقريزى : اتعاظ الحنفا ، ميكروفيلم ، ص ٨٣ (أ) وارمناز بليدة قديمة من نواحى حلب . (ياقوت : ج ٢ ، ص ١٥٨) .

(٤٠٩) نفس المصدر والصفحة ، ابن الاثير : الكامل ، ج ٨ ، ص ٢٩ .

(٤١٠) ابن الاثير : الكامل ، ج ٨ ، ص ٢٩ ، الطباخ الحلبى ، ج ١ ، ص ٣٢٨ .

(٤١١) المقريزى : اتعاظ الحنفا ، ميكروفيلم ، ص ٨٣ أ وذكر ابن الاثير الكامل ج ٨ ، ص ٢٩ انه كان بين أسرى المسلمين ابن عم الملك بذلوا فى فدائه مالا جزيلا .

يذكر : جمال سرور : مصر فى عصر الدولة الفاطمية ، ص ١٦٩ أن الامبراطور قسطنطين التاسع أرسل الى الخليفة المستنصر الفاطمى هدية عظيمة فى سنة ٤٣٧ هـ واشتملت على ثلاثين قنطارا من الذهب الاحمر ، قيمة كل قنطار منها عشرة آلاف دينار عربية .

(٤١٢) المقريزى : اتعاظ الحنفا ، ميكروفيلم ، ص ٨٤ أ ، العينى . عقد الجمان ، ج ١٥ ، م ١ ، ص ٤٥ .

(٤١٣) العينى : عقد الجمان ، ج ١٥ ، م ١ ، ص ٦٢ .

(٤١٤) Grousset : L'Empire du Levant ..., p. 127.

(٤١٥) ابن العديم : زبدة الحلب ، ج ١ ، ص ٢٦٨ .

(٤١٦) العينى : عقد الجمان ، ج ١٥ ، م ١ ، ص ٩٨ .

(٤١٧) St. L. Poole : A Hist of Egypt ..., V. I., p. 143.

يذكر جمال سرور : مصر فى عصر الدولة الفاطمية ، ص ١٧٠ أن الامبراطورا تيودورا اشترطت لتقديم المساعدة الى الفاطميين أن يمدها المستنصر بالجند اذا ما اعتدى على دولتها أى معتد ، غير أن المستنصر رفض الموافقة على هذا

الشرط • ويرجح هذا الرأى أرشيبالد لويس • ترجمة أحمد عيسى : القوى البحرية والتجارية فى حوض البحر المتوسط ، ص ٣٦٦ فى أن السبب الأول لقيام الحرب بين الجانبين هو منع ارسال الحبوب الى مصر •

(٤١٨) كرد على : خطط الشـام ، ج ١ ، ص ٢٥٣ •

(٤١٩) يذكر عبد الله عنان : الحاكم بأمر الله ، ص ٢٣٣ « أن أبو عبد الله محمد بن سلامه بن جعفر القضاعى ، الفقيه المحدث والمؤرخ ، ولد بمصر فى أواخر القرن الرابع الهجرى وتوفى سنة ٤٥٤ هـ وكان من اقطاب الحديث والفقه الشافعى ، وتولى القضاء وغيره من مهام الدولة فى عهد المستنصر بالله ، وأوفده المستنصر الى تيودورا امبراطورة القسطنطينية سنة ٤٤٧ هـ » •

(٤٢٠) ابن ميسر : أخبار مصر ، ج ٢ ، ص ٧ •

يذكر جمال سرور : مصر فى عصر الدولة الفاطمية ، ص ١٧٠ ـ ١٧١ أنه فى الوقت الذى لم تحفل فيه الامبراطورة تيودورا بالقاضى عبد الله القضاعى ، بالغت فى الترحيب برسول السلطان طغرل بك السلجوقى الذى قدم اذ ذاك من العراق ومعه رسالة من السلطان يلتمس فيها أن يصلى رسوله فى جامع القسطنطينية ، فاذنت له بذلك ، فدخله وصلى فيه صلاة الجمعة واقام الخطبـة للخليفة القائم بأمر الله العباسى • ولا غرو فقد كان السلاجقة فى ذلك الوقت أشد خطرا على البيزنطيين من الفاطميين الذين اضمحل سلطانهم فى بلاد المغرب وأصبحوا يواجهون فى مصر الفتن والشدائد •

(٤٢١) ابن العماد شذرات الذهب ، ج ٣ ، ص ٢٩٢ ، اليافعى : مراة الجنان ، ج ٣ ، ص ٧٤ •

(٤٢٢) من قرى حلب المشهورة (ياقوت : ج ١٧ ، ص ١٠٧) •

(٤٢٣) ابن العديم : زبدة الحلب ، ج ١ ، ص ٢٨٦ ـ ٢٨٧ •

(٤٢٤) سبط بن الجوزى : مراة الزمان ، ج ١٢ م ١ ، ص ٨٢ أ ، ب (ولو انه يذكر أن ذلك حدث سنة ٤٥٥ هـ الا أن الراجح أنه كان سنة ٤٥٤ هـ) العينى عقد الجمان ، ج ١٥ م ١ ، ص ١٩٤ ـ ١٩٥ •

(٤٢٥) ابن العديم : زبدة الحلب ، ج ٢ ، ص ١٢ ـ ١٣ وارتاح اسم حصن منيع كان من العواصم من أعمال حلب : (ياقوت : ج ٢ ، ص ١٤٠) •

(٤٢٦) نفس المصدر ، ص ١٣ ـ ١٤ ، الغزى : نهر الذهب ، ج ٣ ،

ص ٧٢ • وعزاز بليدة فيها قلعة شمالى حلب : (ياقوت . ج ٣ ، ص ١١٨) •
(٤٢٧) (نفس المصدر ، ص ١٤ ـ ١٥) •
C. Cahen : La Chronique Abrégée d'al Azimi p. 359.
(٤٢٨) ابن العديم : زبدة الحلب ، ج ٢ ، ص ١٥ •
(٤٢٩) الغزى : نهر الذهب ، ج ٣ ، ص ٧٣ •
(٤٣٠) ابن كثير : البداية والنهاية ، ج ١٢ ، ص ٩٩ ، ابن الجوزى : المنتظم ، ج ٨ ، ص ٢٥٦ •
(٤٣١) ابن القلانسى : ذيل تاريخ دمشق ، ص ٩٨ •
(٤٣٢) الطباخ الحلبى : أعلام النبلاء ، ج ١ ، ص ٢٣٨ ، ابن خلدون العبر ، ج ٣ ، ص ٤٧٠ •
(٤٣٣) اليافعى : مرآة الجنان ، ج ٣ ، ص ٨٥ ، الطباخ الحلبى : أعلام النبلاء ، ج ١ ، ص ٢٣٨ •
(٤٣٤) ابن الجوزى : المنتظم ، ج ٨ ، ص ٢٥٦ •
(٤٣٥) أبو المحاسن : النجوم الزاهرة ، ج ٥ ، ص ٨٦ ـ ٨٧ •
(٤٣٦) وهى بليدة وكورة بنواحى حلب (ياقوت : ج ١٨ ، ص ١٥٥) •
(٤٣٧) ابن العديم : زبدة الحلب ، ج ٢ ، ص ٢١ •
(٤٣٨) الاصفهانى : تاريخ دولة آل سلجوق ، ص ٤٩ ، الذهبى : دول الاسلام ، مخطوط ، ص ٧٣ أ •
(٤٣٩) سبط بن الجوزى : مرآة الزمان ، ج ١٢ م ٢ ، ص ١٦٠ •
(٤٤٠) O'Leary : A Short Hist ..., p. 117.
(٤٤١) Setton & Baldwin : A Hist. Of Crusades, V. I, p. 87.
(٤٤٢) أبو شجاع : ذيل تجارب الأمم ، ص ٢٣٦ ، ابن شاكر الكتبى عيون التواريخ ، ج ١٢ ، ص ٥٦ •
(٤٤٣) جمال سرور : النفوذ الفاطمى فى بلاد الشام والعراق ، ص ٤٦
(٤٤٤) Setton & Baldwin : Op. Cit., p. 90.
(٤٤٥) مؤلف مجهول بدار الكتب المصرية رقم ٢٥٢٦ تاريخ تيمور ص ٣ (ب) •
(٤٤٦) O'Leary ; A Short Hist ..., p. 175.
(٤٤٧) المقريزى : اتعاظ الحنفا ، ميكروفيلم ، ص ٧٥ (ب) •

(٤٤٨) Hitti : Hist. Of Syria ..., p. 581.

(٤٤٩)كرد علي خطط الشام ، جـ ١ ، ص ٢٤٩ ٠

(٤٥٠) الباز العريني : الدولة البيزنطية ، ص ٦٨٨ ٠

(٤٥١) كرد علي . خطط الشام ، جـ ١ ، ص ٢٤٩ ٠

(٤٥٢) المقريزى : اتعاظ الحنفا ، ميكروفيلم ، ص ٨٢ (١) ابن العميد : تاريخ المسلمين ، ص ٢٦٢ ٠

(٤٥٣) نفس المصدر والصفحة ، الغزى : نهر الذهب ، جـ ٣ ، ص ٧٠ ٠

(٤٥٤) ابن العديم · زبدة الحلب ، جـ ١ ص ٢٥٠ ـ ٢٥١ ٠

(٤٥٥) نعمان قساطلي : الروضة الغناء ، ص ٤٣ ٠

(٤٥٦) الذهبي : دول الاسلام ، ص ٧٠ ، ابن العديم : زبدة الحلب ، جـ ١ ، ص ٢٧٦ ـ ٢٧٧ ٠

(٤٥٧) سبط بن الجوزى : مرآة الزمان ، جـ ١٢ م ١ ، مخطوط بدار الكتب رقم ٥٥١ تاريخ ص ١٠٢ أ ولكن الراجح أن ذلك حدث سنة ٤٥٨ هـ ضد بدر الأرمني لأنه تولى في شعبان سنة ٤٥٨ هـ (ابن ميسر : أخبار مصر ، جـ ٢ ، ص ١٦) ٠

(٤٥٨) سبط بن الجوزى . مرآة الزمان : جـ ١٢ م ١ ، مخطوط ، ص ١٠٢ أ ٠

(٤٥٩) العيني عقد الجمان ، جـ ١٥ م ٢ ، مخطوط بدار الكتب رقم ١٥٨٤ تاريخ ، ص ٢٥٩ ٠

الذهبي : دول الاسلام ، مخطوط بدار الكتب ، رقم ٢٩٩ ، تاريخ ص ٢٧١ ٠

C. Cahen : La Chronique Abrégée d'al Azimi ..., p. 359.

(٤٦٠) المقدسي أحسن التقاسيم ، ص ١٦٧ ٠

(٤٦١) Hitti : Hist. Of Syria .. , p. 581.

(٤٦٢) Ameer Ali : A Short Hist. Of The Saracens ..., pp. 321-322.

(٤٦٣) ابن العميد . تاريخ المسلمين ، ص ٢٤٧ ٠

(٤٦٤) ابن الجوزى . المنتظم ، جـ ٧ ، ص ١٩٠ ، ابن الشحنة : روض المناظر ، مخطوط ، ص ١٠٢ ظ ، ابن ظافر : أخبار الدول المنقطعة ، مخطوط بدار الكتب رقم ٨٩٠ تاريخ ، ص ٥٤ (ب) ٠

(٤٦٥) ابن الوردى : تتمة المختصر ، جـ ١ ، ص ٣١٣ ، ابن كثير : البداية والنهاية ، جـ ١١ ، ص ٣٢٠ .

(٤٦٦) أبو شجاع : ذيل تجارب الامم ، ص ١٨٦ .

(٤٦٧) سبط بن الجوزى : مراة الزمان ، جـ ١١ ، م ١ ، مخطوط ، ص ١٥٤ .

(٤٦٨) O'Leary : A Short Hist., p. 157, Hitti : Hist. Of The Arabs, p. 621.

(٤٦٩) بيبرس الدوادارى : زبدة الفكرة ، جـ ١ ، ص ٢٩١ أ فقد أمر الخليفة الحاكم بكتابة سجل الى والى بيت المقدس بأن تهدم القيامة ، فكتب الكاتب الى الوالى كتاب هذه نسخته : « خرج أمر الامامة اليك بهدم قمامة (وكان الحاكم يسميها بذلك) ، فأجعل سمايها أرضا وطولها عرضا » وكان كاتب السجل نصرانيا نسطوريا يعرف بابن شيرين فلما أنفذ السجل الذى كتبه صار المذكور مثل السكران الذى صحا من سكره ، وظل حزينا حتى مات (ساويرس بن المقفع : تاريخ بطاركة الكنيسة المصرية ، م ٢ جـ ٢ ، ص ١٢٨) .

(٤٧٠) ابن كثير : البداية والنهاية ، جـ ١١ ، ص ٣٣٩ .

(٤٧١) Basiliev : Hist Of The Byzantine Empire ..., p. 311.

(٤٧٢) عبد الله عنان : الحاكم بأمر الله ، ص ٦٩ .

(٤٧٣) O'Leary ; A Short Hist., p. 157.

(٤٧٤) ساويرس بن المقفع . تاريخ بطاركة الكنيسة المصرية م ٢ ، جـ ٢ ، ص ١٢٨ .

(٤٧٥) عبد الله عنان : الحاكم بأمر لله ، ص ٦٩ .
O'Leary : A Short Hist ..., p 158.

(٤٧٦) O'Leary : Ibid., p. 158-159.

يذكر عبد الله عنان : الحاكم بأمر الله ، ص ٧٢ أن واسطة التفاهم بين الحاكم وبين زخاريا يرجع الى راهب يدعى يمين كان قد اسلم ايام المحنة ، ثم عاد الى دينه ، واستأذن الحاكم فى عمارة دير الشهداء فى مصر ، وأن الحاكم كان يزوره فى الدير ويستمع الى رغائبه .

(٤٧٧) محمد عبد الله عنان : الحاكم بأمر الله ، ص ٧٢ ، ٧٣ . ويذكر (أوليرى) أن بعض المسيحيين واليهود ذهبوا الى الحاكم وقالوا له : يا التهنا ..

نحن نريد العودة الى ديانتنا السابقة . فاجابهم الحاكم بأن افعلوا ما يحلو لكم .
(O'Leary : A Short Hist., p. 179.

(٤٧٨) ذكر المصدر السابق السجل من ص ٧٣ : ٧٤ « بسم الله الرحمن الرحيم ، هذا كتاب من عبد الله ووليه المنصور ابن على الامام الحاكم بأمر الله أمير المؤمنين ابن الامام العزيز بالله أمير المؤمنين لجماعة النصارى بمصر ، عندما انهوا اليه الخوف الذى لحقهم ، والجزع الذى هالهم فاقلقهم واستذراءهم بظل الدولة وتحرمهم بحضور الحضرة بما رآه وأمر به من تكميل النعمة عليهم بتوخيه لهم ذمة الاسلام وشرعه من تصييرهم تحت كنفه بحيث تصفو لهم موارد الطمأنينة ، ... فانتم جميعا آمنون بأمان الله عز وجل ...) .

(٤٧٩) كرد على : خطط الشام ، ج ٦ ، ص ١١ .

(٤٨٠) Vasiliev : Hist. Of The Byzantine Empire ..., p, 311-312.

(٤٨١) المقريزى : اتعاظ الحنفا ، ميكروفيلم ، رقم ٦ تاريخ ، ص ٨١ (ب) .

وهنا يذكر بلدوين فى كتابه :
Settonaob aldwin : A Hist of Greaedes, V. I. p. 90.

أن بنى الجراح دخلوا فى مفاوضات مع الروم فى أنطاكية وفى سنة ١٠١١ م أى حوالى سنة ٤٠٢ هـ بدأ بنو الجراح فى اعادة بناء كنيسة القيامة المقدسة . والراجح أن هذا التاريخ غير صحيح لأن القيامة هدمت حوالى سنة ٤٠٠ هـ ثم أن الذى قام باعادة البناء هم الروم وليسوا بنى الجراح .

(٤٨٢) Vasiliev : Hist. Of The Byzantine Empire ..., p. 312.

(٤٨٣) الغزى : نهر الذهب ، ج ٣ ، ص ٥٧ .

(٤٨٤) ابن كثير : البداية والنهاية ، ج ١١ ، ص ٢٧٠ ، أبو المحاسن : النجوم الزاهرة ، ج ٤ ، ص ٥٨ .

(٤٨٥) ابن العبرى : تاريخ مختصر الدول ، ص ٣٢٢ ، ابن الشحنة ، وروض المناظر ، مخطوط ، ص ١١٢ ظ ، الذهبى : دول الاسلام ، مخطوط ، ص ٧١ (أ) .

(٤٨٦) الحصنى : منتخبات التواريخ ، ج ٢ ، ص ١٠٢٤ .

قيل سمع الشافعى ، رضى الله عنه يقول : عجائب الدنيا خمسة أشياء أحدها منارتكم هذه ، يعنى منارة ذى القرنين والثانى أصحاب الرقيم الذين هم بالروم اثنا عشر رجلا أو ثلاثة عشر رجلا ، والثالث مرآة ببلاد الأندلس معلقة على

باب مدينتها الكبيرة فاذا غاب الرجل من بلادهم علي مسيرة مائة فرسخ في مائه فرسخ واتى بعض أهله الى تلك المنارة فقعد تحتها ونظر فى المرآة يرى صاحبه من مسافة مائة فرسخ . والرابع مسجد دمشق وما يوصف من الانفـاق عليه . والخامس الرخام والفسيفساء فانه لا يدرى له موضع (ابن شداد : الاعلاق الخطيرة ، جـ ٢ . ص ٤٩ . ابن عساكر . تاريخ مدينة دمشق ، جـ ٢ ق ١ ، ص ١٦) . وقبل أربعـة أجبل مقدسة بين يدى الله تبـارك وتعالى . طورزيتا . وطور سينا ، وطور تينا ، وطور تيماثا . فطور زيتا بيت المقدس ، وطور سينا طور موسى ، وطور تينا مسجد دمشق . وطور تيمانا مكة (ابن عساكر : تاريخ مدينة دمشق ، جـ ٢ ، ق ١ . ص ١٦) وسئل سفيان الثورى وهـو فى ظل الكعبـة عن قوله فى الصلاة فى هذا البلد ؟ قال بمائة الف صلاة فقال ففي مسجد رسول الله (صلعم) قال بخمسين الف صلاة . قال ففى مسجد بيت المقدس قال بأربعين الف صلاة قال ففى مسجد دمشق قال بثلاثين الف صلاة (عز الدين الصيادى الروضة البهية فى فضائل دمشق المحمية . ص ١٤) .

ونكر أنه كان فى الجامع الأموى قبل حريقه طلسمات لسـائر الحشرات معلقة فى السقف وانه لم يوجد فى الجامع شيء من الحشرات قبل الحريق ، فلمـا احترقت الطلسمات وجدت (النعيمى الدارس فى تاريخ المدارس . جـ ٢ ص ٣٨٩ ـ ٣٩٠) .

(٤٨٧) الحصنى . منتخبات التواريخ لدمشق . جـ ٣ ، ص ٤٧٢ .

(٤٨٨) Hitti : Hist. Of Syria, ..., p. 580-584.

(٤٨٩) الغزى . نهر الذهب ، جـ ١ ، ص ٥١٤ .

(٤٩٠) عبد الله عنان . الحاكم بأمر الله . ص ٢٠١ .

(٤٩١) Lammens : La Styrie ..., p. 152.

(٤٩٢) القرماني : اخبار الدول وآثار الأول ، ص ١٥٢ .

O'Leary : A Short Hist. p. 179.

(٤٩٣) المقريزى : اتعاظ الحنفـا . ميكروفيلم ، ص ٦٩ (١) ، ابن العميد : تاريخ المسلمين ، ص ٢٦٤ فى حين يذكر القرماني : أخبار الدول . ص ١٩٢ ، أبو المحاسن : النجوم الزاهرة جـ ٤ ، ص ١٨٤ أن الخليفة الحاكم أرسل اليه سرا بأن يذهب الى الشام وينشر الدعوة فى الجبال حيث أن أهلها سريعو الانقياد . ولكن الراجح أن محمد بن اسماعيل قتل وأن الذى سير الى الشام هو حمزة الملقب بالهادى وقد ظهر بعده .

(٤٩٤) العينى : عقد الجمان ، جـ ١٤ م ٤ ، مخطوط ، ص ٦٦٣ .

(٤٩٥) وحمزة هذا مواطن فارسى من زوزان ينظر اليه الدروز على أنه مؤسس مذهبهم ويؤرخون سنواتهم منذ ظهور سنة ٤٠٨ هـ .
(O'Leary : A Short Hist., p. 178)
وقيل أن الدروز يكرمون حمزة ويكرهون الدرزى ويلعنونه (الدبس : تاريخ سورية ، جـ ٣ م ٥ . ص ٤١١) وهنا ينفرد بروكلمان بالقول بأنه بعد موت الحاكم حمل لواء المذهب الدرزى كل من محمد بن اسماعيل الدرزى . حمزة بن أحمد الهادى فى حين أن ذلك حدث أثناء حياته .
C. Brocklemann : Hist. Of. The Islamic People, p. 161.

(٤٩٦) أبو المحاسن : النجوم الزاهرة ، جـ ٤ ، ص ١٨٤ ، فى حين يذكر ابن كثير : البداية والنهاية جـ ١١ ، ص ٣١٩ أن أهل وادى التيم من الدرزية هم اتباع هستكر غلام الحاكم بأمر الله الذى بعثه اليهم يدعوهم الى الكفر المحض فأجابوه .

(٤٩٧) الدبس : تاريخ سوريه ، جـ ٣ . م ٥ ، ص ٤١١ .

(٤٩٨) ابن العميد · تاريخ المسلمين ، ص ٢٦٥ · وخلاصة المذهب الدرزى كما ذكرها الغزى : نهر الذهب ، جـ ١ ، ص ٢١٧ ، « انهم يؤمنون بوجود البارى ونبوة أنبيائه العظماء الذين منهم المسيح عليه السلام الا أنهم يعتقدون أن الألوهية حلت فى ناسوت الحاكم بأمر الله وأن الفرائض الاسلامية كالصوم والصلاة مفروضة عليهم تقية لا تدينا وهم يقرون بالحشر والنشر ومجازاة النفوس على اعمالها من قبيل ناسوت الحاكم ويؤمنون بالقرآن العظيم والتوراة والانجيل الا انهم يفسرون معانيها على مقاصدهم .

(٤٩٩) O'Leary : A Short Hist., p. 187.

(٥٠٠) الغزى نهر الذهب ، جـ ١ . ص ٥١٤ ـ ٥١٥ .

(٥٠١) ابن العديم : زبدة الحلب ، جـ ١ ، ص ٢٤٨ ـ ٢٤٩ فى حين يذكر ابن أيبك : كنز الدرر ، جـ ٦ ص ٣٣٤ أن ذلك حدث سنة ٤٢٤ هـ أما المقريزى اتعاظ الحنفا ، ميكروفيلم ، رقم ٦ تاريخ ص ٨٢ ب ، والراجح أن كلام ابن العديم هو الأصدق باعتباره متخصصا فى تاريخ حلب .

(٥٠٢) فيليب حتى . تاريخ سورية ، جـ ٢ ، ص ٢١٩ .

الباب الثاني

الحياة السياسية فى بلاد الشام في العصر السلجوقي

رأينا فى الباب الأول كيف تنوعت مظاهر الحياة السياسية فى بلاد الشام في النصف الأول من القرن الخامس الهجرى ، أى أثناء امتداد النفوذ الفاطمى اليهـا ، وكيف قامت تلك العناصر السياسية بدورها البارز فى اثارة القلاقل بالبلاد مما يجعلنا نتساءل : هل كان مصدر ذلك الاضطراب أن الفاطميين كانوا شيعة بينما كان أهل الشام سنيين ؟ وهل كان هذا هو سبب الصدام ؟ وهل أدى امتداد النفوذ السلجوقي السنى (١) الى بلاد الشام فى الستينات من القرن الخامس الهجرى الى هدوء الأحوال السياسية فى البلاد ؟ وسنجيب عن هذه التساؤلات حتى نرسم صورة متكاملة لأحوال بلاد الشام فى آخر القرن الخامس فى العهد السلجوقى الذى مهد لقدوم الحملات الصليبية الى الشرق الاسلامى .

بعد أن استتبت الأمور للسلطان السلجوقى ألب أرسلان فى خراسان والعراق وغيرها أخذ ينازع الخليفة المستنصر الفاطمى فى سورية (٢) ففى سنة ٤٦٠ هـ خطب تاج الملوك محمود بن نصر بن

مرداس بحلب للخليفة العباسي القائم بأمر الله وللسلطان الب أرسلان (٣) ويرجع سبب ذلك التحول - رغم ميل أهل حلب للتشيع - الى أن محمود بن نصر لما لمس ازدياد النفوذ السلجوقي جمع أهل البلد وحذرهم من تلك القوة الجديدة وأشار عليهم بالدخول في ولائها قبل فوات الأوان فاستجابوا له كارهين ذلك (٤) . فما كان من الخليفة العباسي الا أن بعث اليه بالخلع والهدايا والتحف (٥) . وفي نفس السنة تقدم السلطان السلجوقي الى حلب ، وطلب محمود أمير حلب من رسول السلطان أن يعود الى سيده ويخبره أنه على طاعته ، فأصر السلطان على مثول محمود بين يديه - وحاصر حلب في آخر جمادى الثانية سنة ٤٦٣ هـ ولم يتعرض جنده للأهالي ، واستمر حصار حلب شهرا (٦) فلما طال الحصار خشي محمود من تفاقم الأمور ، فخرج ليلا الى السلطان وتقدمت أمه الى السلطان تشفع لابنها ، فعفا السلطان عنه وسمح له بالاحتفاظ بمنصبه ونجت حلب مما كان يتهددها (٧) .

وفي نفس السنة توجه اتسز بن أوق الخوارزمي (الاقسيس) مقدم الأتراك الى جنوب بلاد الشام ففتح الرملة وبيت المقدس وناوش أهالي دمشق (٨) ولكن يبدو أن خضوع بيت المقدس النهائي للسلاجقة كان سنة ٤٦٥ هـ حيث ورد في كتب اتسز نبأ فتح بيت المقدس واقامة الخطبة للخليفة العباسي . وقيل : ان والي الفاطميين على بيت المقدس آنذاك كان تركيا فراسل اتسز قائلا : « أنا منكم وما أقمت على الامتناع الا وفاء لمن كنت خادما له .. فان أمنتني على نفسي ومالي سلمت اليك البلد ونزلت اليك وأقمت معك فأمنه وحلف له وأقطعه ضياعا اقترحها وفتح الباب ودخل ونودي في البلد بالأمان (٩) . وظل اتسز يقصد دمشق كل سنة عند نضج المحاصيل فيستولى عليها للانفاق منها على جيشه وللاضرار بمصالح دمشق الاقتصادية ، فعانى أهالي دمشق من الأزمات الاقتصادية والمجاعات

وخاصة في سنة ٤٦٨ هـ فلما علم اتسز بذلك توجه إلى دمشق في شوال وحاصرها فسلمت اليه بالأمان وخطب بها في آخر ذي القعدة للمقتدي بأمر الله العباسي (١٠) . وأبطل اتسز الأذان الشيعي فأبدى الناس سرورهم في أرجاء الشام المختلفة فقد كانوا يعتبرون حكم الفاطميين حكما ظالما غاشما (١١) .

نظر الملك اتسز بن أوق في أمور دمشق وأحوالها بما يعود بصلاح أعمالها وأطلق لفلاحي المرج والغوطة الحرية في زراعة الغلات والزمهم بالعمل المستمر فصلحت الأحوال ورخصت الأسعار وطابت النفوس وأيقن الناس بزوال الأزمات الاقتصادية (١٢) .

كان اتسز بن أوق الخوارزمي (أو الاقسيس) ، يلقب بالملك المعظم وهو أول من استعاد بلاد الشام من أيدي الفاطميين وأول من تولى الملك بحلب والشام من السلاجقة (١٣) وقد نشر العدل واظهر السنة ، وهو أيضا أول من أسس القلعة بدمشق ، ولم يكن فيها قبل ذلك معقل يحتمي المسلمون به من العدو (١٤) . وبذلك شهدت دمشق في هذا العهد عودة هيبة الحكم وأصبح في دمشق جيش من الأتراك ومن أهلها يدافع عنها . وضرب فيها دينار خاص نقش عليه اسم الخليفة العباسي والسلطان السلجوقي ووالي دمشق ، وكان هذا حدثا جديدا (١٥) .

وهكذا انقضى عهد الفاطميين بالشام أوكاد ـ حيث بقيت لهم بعض المعاقل ـ وقد حفلت فترة نفوذهم بالحروب والفتن ، ولم يخفق عامهم على بلاد الشام كلها طوال تلك الفترة بل كان اذا خضعت مدن الساحل ثارت المدن الداخلية واذا أطاع الجنوب نشز الشمال ، وهكذا اضطربت أحوال البلاد في ادارتها وسياستها حتى أقبلت من الشرق قوة عظيمة لا قبل بدفعها وهي قوة الدولة السلجوقية

التركمانية ، التي جـــاءت لتقضى على نفوذ الدولة الفاطمية فى الشـــام (١٦) .

ويرى البعض أن الدافع للسلطان ألب أرسلان على فتح بلاد الشام هو أن ناصر الدولة ابن حمدان ، وكان له نفوذ كبير فى مصر ، كان قد أرسل الى ألب أرسلان يطلب منه ارسال جيش لاقامة الدعوة العباسية مقابل أن تكون مصر له (١٧) . وكان الأتراك السلاجقة قد سيطروا على القسم الشرقى من الخلافة العباسية ثم استولوا على بغداد نفسها سنة ٤٤٧ هـ (١٨) حيث اعترف الخليفة العباسى القائم بنفوذ طغرل بك السلجوقى وخطب له بجوامع بغداد ، وقبض طغرل بك على الملك الرحيم ، آخر سـلاطين بنى بويه ، وحبسه وبذلك حل السلاجقة محل بنى بويه فى الســـيطرة على الخلافة العباسية . وكان من الطبيعى أن يزحف السلاجقة على بلاد الشام وما يليها غربا .

ويبدو أن اتسز السلجوقى طمع فى امتلاك مصر بعد استقرار نفوذه فى دمشق ، وكان قد أساء السيرة بين أهالى دمشق وخيب ظنهم فيه ، وبذلك لم يؤمن ظهره اذا فكر فى الزحف الى مصر . فعندما دخل اتسز دمشق أنزل جنده فى دور الدمشقيين ، واعتقل من بعض وجوههم جماعة حتى افتدوا أنفسهم بمال أدوه له ، ورحل جماعة منهم عن دمشق الى طرابس (١٩) .

وحينما اقترب اتسز (٢٠) من حدود مصر فى سنة ٤٦٩ هـ خرج اليه أمير الجيوش بدر بجيش كبير فهزم اتسز ووضع السيف فى عساكره قتلا وأسرا ونهبا فما كان منه الا أن فر الى الرملة ثم الى دمشق ففرح الناس لما أصابه (٢١) ولما خاف اتسز من ظفر

المصريين به ، الى جانب عدم اطمئنانه الى جانب الدمشقيين ، أرسل الى تتش بن ألب ارسلان يستنجد به فقدم الأخير الى دمشق سنة ٤٧١ هـ واستولى عليها ثم قتل اتسز في ربيع الأول من السنة (٢٢) واتخذ دمشق مقرا له وأسس فيها دولة سلاجقة الشام (٢٣) وعدل بين الأهالي وازال جور اتسز (٢٤) .

أما حلب فقد خضعت لنفوذ الترك بعد مقتل نصر بن محمود ابن مرداس في مستهل شوال سنة ٤٦٨ هـ ، وكان قد أفرط في شرب الخمر يوما ثم خرج لقتال الترك ، الذين كانت لهم اليد الطولى في تولية أبيه ، فضربه أحدهم بسهم فقتله (٢٥) وبعد أن استقر نفوذ تتش بن ألب أرسلان في دمشق قصد حلب سنة ٤٧٢ هـ فحاصرها أربعة أشهر ونصف شهر (٢٦) ثم رحل عنها فدخلها شرف الدولة مسلم بن قريش صاحب الموصل (٢٧) الذى تعهد لملكشاه السلجوقي أن يحمل اليه كل سنة ثلاثمائة ألف دينار وكان سابق بن محمود وأخوه وثاب قد التجآ الى قلعة حلب فعرض مسلم ابن قريش عليهما الأمان واستولى بذلك على القلعة وانتهى نفوذ بني مرداس في حلب (٢٨) .

ولما سيطر شرف الدولة على حلب أحسن الى أهلها ، وأصلح أحوالها ، وقام بنقل الغلات الى حلب فانخفضت الأسعار بعد أن سادها فترة الغلاء الشديد (٢٩) وكان شرف الدولة عادلا كثير العطاء فأحبه الناس (٣٠) ورضى أهل حلب عن الحكومة الجديدة واستقرت الأحوال والأمن ، ويرجع حب الحلبيين لشرف الدولة مسلم الى أن تتش بن ألب أرسلان كان قد حاصر مدينتهم عدة مرات فكان شرف الدولة يمدهم بالغلات والامدادات (٣١) .

كان سليمان بن قتلمش السلجوقي يحكم قونيه وأقصر وملاطيه، وقد أشار عليه السلطان ملكشاه بالاستيلاء على أنطاكية فتم ذلك سنة ٤٧٧ هـ (٣٢) . ولما كانت أنطاكية تابعة لحلب فقد أرسل مسلم بن قريش الى سليمان يطلب المال الذى كان يحمله صاحب أنطاكيـة الرومي اليه في كل سـنة فأبى ، وأخيرا تنازع الطرفان فانهزم مسلم وأتباعه من العرب وقتل فى المعركة وبذلك انتقل النفوذ السياسى فى الشام من أيدى العرب الى الترك ، وأصبح النفوذ منذ ذلك الحين للأمراء التركمان والأتراك والشراكسـة والأكراد (٣٣) .

وبعد مصرع مسلم بن قريش أرسل مقدم حلب الى سليمان ابن قتلمش فى تسـليم حلب اليه وفى نفس الوقت وعد تتش بتسليمها اليه أيضا . وبالفعل توجه الاثنان الى حلب فاقتتلا وقتل سليمان سنة ٤٧٩ هـ وبعث رأسه الى مقدم حلب ، وسيطر تتش على حلب وشفع الأمير أرتق بن اكسك ، من أمراء تتش ، فى ابن الحثيثى . وامتنع بالقلعة سـالم بن مالك بن بدران بن المقلد فحاصره تتش ، وكان ابن الحثيثى قد كاتب السـلطان ملكشـاه واستدعاه للسـيطرة على حلب فتقدم اليها من أصفهان ونجح السلطان فى السيطرة على حلب وعاد تتش الى دمشق وأعلن سالم ابن مالك الطاعة وتنازل عن القلعة فى مقابل استيلائه على قلعة جعفر فاقطعها السلطان له واستمرت خاضعة لنفوذ ملكشاه وأولاده حتى ملكها نور الدين الشهيد (٣٤) .

وللتعرف على طبيعة الحياة السياسية فى بلاد الشـام فى النصف الثانى من القرن الخامس الهجرى أو بمعنى أدق فى فترة النفوذ السلجوقي حتى قدوم الحملات الصليبية الى بلاد الشام يجب علينا دراسة بعض الموضوعات بشيء من التفصيل وهذه النقاط هى :

١ ـ علاقة السلاجقة بالفاطميين أو بتعبير آخر محاولات الفاطميين لاستعادة نفوذهم فى بلاد الشام .

٢ ـ علاقة السلاجقة بالبيزنطيين .

٣ ـ علاقة السلاجقة بالقوى السياسية الموجودة فى بلاد الشام مثل بنى منقذ وبنى عمار وحكام حلب .

٤ ـ انقسام السلاجقة والصراع بين القوى السلجوقية .

٥ ـ أثر انتشار المذهب الاسماعيلى فى الحياة السياسية فى تلك الفترة .

أولا : العلاقات بين السلاجقة والفاطميين :

كان السلاجقة المسيطرون على بلاد الشام على يقين من أن الفاطميين لن يسكتوا على زوال معظم ممتلكاتهم فى بلاد الشام بعد أن انتزعها الأتراك منهم ، ولذا تكررت محاولات الفاطميين لاستعادة نفوذهم وأملاكهم المسلوبة . ولم يكتف اتسز قاهر دمشق وجنوب بلاد الشام بذلك النصر بل سارع فى سنة ٤٦٩ هـ الى جمع جيش كبير قاصدا مصر نفسها ليحطم الفاطميين فى عقر دارهم ، ولكن تكتل المصريين بقيادة أمير الجيوش بدر الجمالى أدى الى هزيمة اتسز هزيمة منكرة ورجوعه مهزوما الى دمشق (٣٥) ويبدو أن النصر الذى أحرزه بدر الجمالى على اتسز على أبواب مصر شجعه على ارسال حملة لاسترداد دمشق ، وندب أمير الجيوش لهذا الغرض نصير الدولة الجيوشى وذلك سنة ٤٧٠ هـ ، فحاصرها أياما ثم رجع الى مصر (٣٦) .

ولم يلبث الفاطميون ان عادوا لمهاجمة دمشق من جديد ، فقد أرسل بدر الجمالى جيشا كبيرا سنة ٤٧١ (٣٧) هـ حاصر دمشق واستولى على أعمالها وأعمال فلسطين وظل محاصرا لها فترة طامعا في فتحها (٣٨) . فما كان من اتسز الا أن استنجد بتاج الدولة تتش الذى كان مقيما بحلب ، وكان أخوه السلطان ملكشاه قد أقطعه الشام وما يفتحه فى تلك النواحى سنة ٤٧٠ هـ ، فقدم الى حلب وحاصرها فعانى أهلهـــا من المجـــاعة وكان معه جمع كثير من التركمان (٣٩) . وأقبل تتش في جمع كبير لنجدة اتسز ضـــد المصريين ، فلما فطن القائد المصرى الى ذلك رحل عن دمشق راجعا الى مصر (٤٠) فلما وصل تتش الى دمشق خرج اتسز للقائه .

وما ان استتبت أقدام تتش فى دمشق حتى جمع جيشا كبيرا سنة ٤٧٥ هـ واتجه الى أنطاكية وما جاورها ، فلما سمع شرف الدولة مسلم بن قريش صاحب حلب بذلك خاف وجمع العرب من عقيل كما جمع الأكراد وغيرهم وراسل الخليفة الفاطمى بمصر يطلب منه الامدادات حتى يحاصر دمشق فوعده الخليفة بتحقيق طلبه . وتشجع شرف الدولة بهذا الوعد وسار الى دمشق فعاد تتش الى دمشق في أول المحرم سنة ٤٧٦ هـ فى حين قدم شرف الدولة اليها فى آخر المحرم (٤١) .

أدت بعض العوامل الشخصية الى احجام مصر عن ارسال أى مساعدة الى شرف الدولة ، فقد خاف أمير الجيوش من ميل العرب اليه فتثاقل عن مساعدته (٤٢) . لذلك عندما التقى جيش شرف الدولة بجيش تتش انهزم العرب اتباع شرف الدولة ، وأشرف هو على الأسر ، ولذلك صمم على العودة الى بلاده ، وشجعه على ذلك انه سمع بعصيان أهل حران عليه (٤٣) .

وفي صفر سنة ٤٧٦ هـ سـلم والى قلعة بعلبك من قبل المستنصر الفاطمى القلعة الى تاج الدولة تتش (٤٤) وفى سنة ٤٧٨ هـ قاد أمير الجيوش بدر جيشا الى بلاد الشام (٤٥) فوصل الى دمشق في ربيع الأول (٤٦) وكان بها تاج الدولة تتش ، فحاصرها ولكنه لم يستطع فتحها فعاد الى مصر دون أن يحقق أى نتيجة (٤٧) .

ولم ينقطع أمل الفاطميين في السيطرة على بلاد الشام بعد أن قطعت الخطبة لهم فى أهم مدنها وخاصة فى مدن الساحل ، وفى سنة ٤٨٢ هـ أعد بدر الجمالى أمير الجيوش جيشـا بقيادة نصير الدولة الجيوشى (٤٨) وجهه الى سواحل الشام فحاصر مدينة صور ، وكان قد تغلب عليها القاضى عين الدولة بن أبى عقيل وخلفه أولاده بعد وفاته فحاصرهم الجيش المصرى ، فلم يكن لهم من القوة حتى يصمدوا فسلموا المدينة للجيش . ثم زحف الجيش الى مدينة صيدا فاستولى عليها ثم على عكا وجبيل (٤٩) وأصلح الفاطميون أحوال هذه البلاد ثم عاد الجيش الى مصر بعد أن ولى أمير الجيوش على هذه المدن المفتوحة الأمراء والعمال (٥٠) .

ويبدو أن الترك عادوا فاستولوا على بعض تلك الثغور مرة أخرى بدليل أن « ابن ايبك » و « كاهين » يذكران استرداد صور وصيدا وبيروت سنة ٤٨٣ هـ من الأتراك (٥١) .

وكان لتتش بهذه الثغور التى أخذها المصريون أموال وذخائر ، فطلب من آق سنقر صاحب حلب ، وبوزان صاحب الرها مساعدته فبعثا له عسكرا (٥٢) . وهناك رواية أخرى تذهب الى أن السلطان السلجوقى كان ببغداد سنة ٣٨٥ هـ فقدم عليه أخوه تاج الدولة تتش من دمشق وآق سنقر من حلب وبوزان من الرها فأمر السلطان

أميرى حلب والرها أن يسيرا مع عسـاكرهما فى خدمة أخيه تاج الدولة حتى يستولى على ما للخليفة المسـتنصر الفاطمى بسـاحل الشام من البلاد ، بل ذهب بأطماعه الى أبعد من ذلك ، فقد أمرهم أيضا بالمسير مع أخيه الى مصر لفتحها (٥٣) . فتقدم الجميع الى الشـام وحاصروا حمص (٥٤) وكان بها ابن ملاعب الذى خطب للخليفة المستنصر الفاطمى . فلما ضيقوا عليه تنازل لهم عن المدينة ثم سار تتش ومعه ابن ملاعب وولداه الى قلعة عرقه فملكها عنوة ، ثم استولى على حصن فامية (٥٥) .

وفى سنة ٤٨٦ هـ أعلن والى صور منير الدولة العصيان (٥٦) وكان أهل صور قد انكروا عصيانه وكرهوا معارضته لسلطانه أمير الجيوش بدر (٥٧) فسير أمير الجيوش الى ثغر صور جيشا كبيرا فلما اشتد القتال نادى الأهالى بشعار المستنصر بالله وأمير الجيوش وهجم الجيش المصرى على البلدة وأعمل فيها النهب ، وأسر كثيرا من أهلها ، كما أسر منير الدولة وخواصه وأجناده وحملوا الى مصر فى الرابع عشر من جمادى الثانية ، فضربت أعناقهم وفرض على أهل صور غرامة قدرها ستون ألف دينار (٥٨) .

وفى شـعبان سنة ٤٨٩ هـ استولى الجيش الفـاطمى على القدس من ايل غازى وسقمان ابنى أرتق (٥٩) فقد سار الأفضل ابن أمير الجيوش بجيش من مصر الى القدس فحاصرها ونصب عليها المجانيق وقاتلهم أربعين يوما وراسل أهلها ، فطلبوا منه الأمان فأمنهم وخرج سكمان الى الرُها ومضى أخوه يلغازى الى بغداد ، وهما أول ملوك الارتقية ظهورا (٦٠) .

كان رقاق السلجوقى يسيطر على دمشق ، بينما أخوه رضوان يحكم فى حلب وفى سنة ٤٩٠ هـ خرج الملك رضوان صاحب حلب وياغى سيان صاحب أنطاكية الى ناحية شيزر وعزما على الاتجاه الى دمشق لفتحها ، فوقع الخلاف بين مقدمى العسكر فرجع ملك حلب (٦١) وفى نفس السنة وصلت هدية مصر الى الملك رضوان صاحب حلب (٦٢) . ثم ورد كتاب المستعلى بالله الخليفة الفاطمى يعرض عليه الدخول فى طاعته واقامة الدعوة له ، كما ورد كتاب آخر من الأفضل يتضمن مثل هذا الطلب فأجابهما رضوان الى طلبهما وامر بأن يدعى على المنبر للمستعلى ثم للأفضل ثم له (٦٣) . فقام الخطيب أبو تراب حيدره بن أبى اسامة بتنفيذ ذلك فى يوم الجمعة السابع عشر من رمضان سنة ٤٩٠ هـ (٦٤) .

وكان الدافع لرضوان الى ذلك أنه أراد أن يستعين بالجيش المصرى للاستيلاء على دمشق من أخيه دقاق (٦٥) ولكن حدث أن وصل الأمير سكمان ابن أرتق وياغى سبان صاحب انطاكية الى حلب وانكرا على الملك الدخول فى طاعة الفاطميين ، وأشارا عليه بالعدول عن ذلك ، فاستجاب لطلبهما بعد أن خطب للمستعلى أربع جمع (٦٦) .

وفى سنة ٤٩٠ هـ أيضا أعلن والى صور المعروف بالكتيلة عصيانه للخليفة الفاطمى ولذلك أرسل اليه أمير الجيوش الأفضل جيشا فى شهر ربيع الأول ، ففتح صور عنوة وقتل كثيرا من أهلها واستولى على أموالهم كما أسر الكتيلة وحمل الى مصر حيث قتل بها (٦٧) .

وهكذا ظلت الدولتان : السلجوقية والفاطمية فى نزاع وصدام مستمرين فاذا ما شعرت دولة منهم بضعف الدولة الأخرى كانت

تغير على بلادها وظلوا على هذا النحو من العـــداء حتى باغتهم الصليبيون وهم منهكو القوى وبلادهم في فوضى شاملة وجيوشهم قد سئمت الحرب وزهدت في القتال والدفاع (٦٨) .

حتى اذا حلت سنة ٤٩٠ هـ بدأ ظهور بوادر الزحف الصليبى على بلاد الشام ولم يلبث الصليبيون أن حلوا محل الأتراك السلاجقة في هذه البلاد . وبعد هذه الدراسة للعلاقات السلجوقية الفاطمية ، نلاحظ أنها كانت في شد وجذب مستمرين ، مما أضاف عاملا جديدا الى عوامل التفكك والانحلال الســـياسى في بلاد الشام فى القرن الخامس الهجرى مما مهد للزحف الصليبى .

ثانيا : العلاقات السلجوقية البيزنطية :

في الوقت الذى سيطر فيه السلاجقة على بلاد الشام كانت هناك جماعة شديدة الارتباط بالسلاجقة تقوم بالهجوم على الأراضى البيزنطية ، وهم التركمان ، وقد اشـــتهروا بالبســـالة والميل للمغامرة . ومما ساعد هؤلاء التركمان على السيطرة على آسيا الصـــغرى (٦٩) كراهيـــة كثير من عنـــاصر ســـكانها للدولة البيزنطية (٧٠) الى جانب الفتن المتكررة بالقسطنطينية ، والنزاع بين القادة البيزنطيين وعجز الحاميات البيزنطية فى أطراف البلاد عن السيطرة على الطرق المؤدية الى داخل آسيا الصغرى (٧١) . بالاضافة الى الاضطرابات الاقتصادية بسبب خضوع الدولة لنفوذ التجار الايطاليين الغربيين الذين احتكروا تجارتها (٧٢) .

وحوالى سنة ٤٦٣ هـ أو سنة ١٠٧١ م كانت هناك موقعة فاصلة بين التركمان والبيزنطيين هى موقعة مانزيكرت **manzikart** أو ملاذكرد **Malazgart** من أعمـــال الخـــلاط فى مدخل آسيا

الصغرى (٧٣) فقد نجحت القوات السلجوقية في بلاد الشام في تأمين الجيش السلجوقي الرئيسي الزاحف الى بلاد الروم وتمهيد سبيله (٧٤) . فأيقن الامبراطور رومانوس ديوجين أن السلاجقة يهدفون الى القضـــاء على الدولة البيزنطية وحصـــارها من الشرق والجنوب ، فهرع بجيش كبير الى ملاذكرد (٧٥) في حين تذكر رواية أخرى أن أحد الأمراء البيزنطيين قاد جيشا لمهاجمة الأتراك ، ولكنه وقع في الأسر ، وتفاوض القائد التركي الذي أسره معه لتدبير مؤامرة ضد ألب أرسلان ، ولكن السلطان كشف المؤامرة وتقدم الى منزيكيرت واستولى عليها (٧٦) . ونحن نرجح الرواية الأولى .

التقى الامبراطور البيزنطي رومانوس بالسلطان السلجوقي ألب أرسلان ، فهدد الامبراطور السلطان بكثرة رجاله (٧٧) وهدده وخوفه من القتال ، ولكن السلطان لم يحفل بتهديده ، وتصدى له في شجاعة وثبات وايمان كبير بالله ، فحلت الهزيمة الســـاحقة بالقوات البيزنطية ، ووقع الامبراطور أسيرا في يد ألب أرسلان (٧٨) وهنا حاول الامبراطور أن يستدر عطف السلطان عليه وطلب منه أن يعفو عنه في مقابل دفع جزية سنوية ، فوافق السلطان على ذلك وأطلق سراحه وخلع عليه وأعاده الى بلده سالما (٧٩) بعد أن عقدت معاهدة بين الطرفين مدتها خمسون عاما تتعهد فيها الروم بدفع الجزية للسلاجقة (٨٠) .

وتعتبر معركة (ملاذكرد) من المعارك الفاصلة في التاريخ ويسميها بعض المؤرخين باسم الملحمة الكبرى ، وتعد أكبر نكسة في تاريخ الامبراطورية البيزنطية وأصبحت الأراضي البيزنطية تحت رحمة السلاجقة وبذلك يكون السلاجقة قد تابعوا الكفاح الذي قام به العرب المسلمون ضد الروم (٨١) . وقد كان من أبرز نتائج هذه المعركة أن انفتح الطريق أمام السلاجقة ليتقدموا الى قلب آسيا

الصغرى وابتدأ منذ هذا التاريخ تدهور الامبراطورية البيزنطية وتوقف انتشار الحضارة اليونانية والآداب المسيحية السائدة فى هذه المنطقة ، وحلت الحضارة الاسلامية محلها (٨٢) . كما تعتبر موقعة ملاذكرد أكبر كارثة حلت بالامبراطورية البيزنطية حتى نهاية القرن الحادى عشر الميلادى . فقد جاءت دليلا على نهاية دور الدولة البيزنطية فى حماية المسيحية فى الشرق الاسلامى وفى حراسة الباب الشرقى لأوربا من غزو الآسيويين ، وبذلك صار على الغرب الأوربى أن يقوم بدوره فى هذا المضمار بدلا من اعتماده حتى ذلك الوقت على الامبراطورية البيزنطية . ولذلك يعتبر بعض المؤرخين أن الدعوة الى الحرب الصليبية فى مؤتمر كلير مونت سنة ٤٨٨ هـ سنة ١٠٩٥ م كانت رد فعل للكارثة التى حلت بالدولة البيزنطية سنة ٤٦٣ هـ سنة ١٠٧١ م (٨٣) .

كذلك نتج عن معركة مانزيكرت أن استقر التركمان بالأراضى البيزنطية ، والتمس سكان أرمينية وقبادوقيا ، حماية التركمان بعد أن أدركوا عجز البيزنطيين عن الدفاع عنهم . وقد شجع التنازع على العرش فى بيزنطة ، والنضال بين الطبقة الارستقراطية الحربية والطبقة الارستقراطية المدنية ، والاستعانة بالجنـــد المرتزقة ، التركمان على التوغل فى داخل آسيا الصغرى ، فبلغوا فى زحفهم بحر مرمرة والبوسفور وبحر ايجه واتخذوا من (نيقية) قاعدة لهم ، واستقلوا على الدولة السلجوقية (٨٤) . فقد اتجه قطلمش ابن عم طغر لبك ، مع طائفة من التركمان الى الجبال الواقعة جنوب بحر قزوين اذ اعتبر نفسه أحق بالملك منه ، ولأن أباه كان أرشد أفراد الأسرة السلجوقية . وقام أبناء قطلمش بالثورة على ألب أرسلان ، ولحقوا بالتركمان فى الأناضول كى يقيموا لهم امارة مستقلة يناوئون بها البيزنطيين وأبناء عمومتهم فى العراق . فاستقر سليمان بن قطلمش فى نيقية ، وأضـــاف اليها قيليقية وملطية

وبذلك سيطر سليمان على أطراف الجزيرة والشام واتصل بالفاطميين لمناهضة السلاجقة (٨٥) .

وفي سنة ٤٦٨ هـ حاصر سليمان بن قطلمش حلب وطمع فيها وعلم أن السلطان متقدم نحو الشام فرحل عنها ، وفي طريق العودة التقى بتتش الـذى ألحق بـه الهزيمـة فمضى ابن قطلمش الى انطاكية (٨٦) .

وفي سنة ٤٧٥ هـ استولى ابن قطلمش على حصني انطرطوس وطرسوس من الروم وبعث الى ابن عمار قاضي طرابلس وصاحبها يطلب منه قاضيا وخطيبا لكل مدينة (٨٧) · وفي نفس السنة توجه ملك الروم الى أنطاكية فتقدم اليها شرف الدولة مسلم بن قريش صاحب حلم للقائه · وكان سبب توجه ملك الروم الى أنطاكية أنه طلب من واليها ما نصت الهدنة عليه من أموال ، وتبلغ ثلاثين ألف دينار في كل سنة ، فلم يحمل اليه شيئا فكاتب بعض أهالي أنطاكية شرف الدولة وعرضوا عليه تسليم البلدة اليه · ولما كان شرف الدولة يثق في أحد كتابه النصارى فقد ترك عنده الكتب التي بعثها أهل أنطاكية اليه ، فلما تحقق الكاتب من فتح أنطاكية هرب اليها ودفع بالكتب الى الفردوس فقبض على أهالي أنطاكية العصاة ، وكانوا حوالى ثلاثمائة ، فقتلهم ، وكاشف شرف الدولة بالأمر ، ثم وشى به عند السلطان واتهمه بانه يراسل الخليفة الفاطمي ويبعث اليه بالخلع والأموال ، واستقر الأمر على أن يحمل الفردوس مال الهدنة الى السلطان ، ونفى مسلم بن قريش اتصاله بخليفة مصر (٨٨) .

وفي سنة ٤٧٧ هـ سار سليمان بن قطلمش السلجوقي صاحب قونيه واقصرا وأعمالها من بلاد الروم الى الشام فاستولى على مدينة أنطاكية وكانت بيد النصارى منذ مائة وعشرين سنة (٨٩) . وكان

سبب قدوم سليمان اليها أن صاحبها الفلاردوس (أو الفردوس) كان قد رحل عنهـــا الى بلاد الروم تاركا بها ابنه مع نائب عنه يدبران أمرها .

ولما كان الفردوس هذا مكروها من أهلها ومن جنده وابنه أيضا ، فقد اتفق الابن مع النائب على تسليم المدينة الى سليمان ابن قطلمش وكتبوا اليه يستدعونه ، فسار اليهم بجيوشه (٩٠) ، وزعم أن الفلاردوس استدعاه (٩١) . وعندما وصلوا الى المدينة تسلق بعضهم أسوارها ونجحوا فى دخول المدينة فى العاشر من شهر شعبان دون أن يشعر بهم الأهالى ، وظن أهل أنطاكية أن القادمين هم عسكر الفلاردوس فقاتلوهم وهزموهم ، ثم علموا أن القادمين هم الأتراك فهرب البعض الى القلعة وقفز البعض الآخر من فوق الأسوار للنجاة بأنفسهم (٩٢) . واستولى سليمان على كنيسة كيسان وعلى كل ما بها من المتاع والأوانى الذهبية والفضية وودائع أهل البلد وتقدر قيمتها بمبالغ طائلة ، ثم حول الكنيسة الى مسجد ونادى بالأمان في المدينة ، وأمن أهلها على أموالهم وأرواحهم ومنع الترك من اقتحام بيوت النصارى ونهاهم عن سبى بناتهم حتى ولو قصدوا من وراء ذلك الزواج بهن ، ولم يسمح لهم بنقل شيء ما من أنطاكية، كما أمرهم ببيع كل ما امتدت اليه أيديهم وأن يقنعوا فيه بالثمن الزهيد ، مما أرضى أهالى المدينة ، وسلم الوالى القلعة اليه ، وفضله الأهالى على (فيلاردوس) الذى لم يكن له نصيب من المسيحية ســـوى اسمه فقط (٩٣) . وبعد فتح سليمان لأنطاكية كتب الى الســلطان ملكشـــاه يبشره بفتحها ، فأظهر ملكشـــاه سروره وهنأ النـــاس (٩٤) .

ولما استولى سليمان بن قطلمش على مدينه انطاكيه ارسل اليه شرف الدولة مسلم بن قريش يطلب منه ما كان يحمله اليه الفردوس من المال ويحذره من معصية السلطان فأجابه : « أما طاعة السلطان فهي شعاري ودثاري والخطبة له والسكة في بلادي وقد كاتبته بما فتح الله على يدي بسعادته من هذا البلد وأعمال الكفار وأما المال الذي كان يحمله صاحب أنطاكية قبلي فهو كان كافرا وكان يحمل جزية رأسه وأصحابه وأنا بحمد الله مؤمن ولا أحمل شيئا » (٩٥) . فما كان من شرف الدولة الا أن أقدم على نهب أنطاكية فانتقم سليمان منه بنهب حلب فلما شكا له أهل حلب ما قام به عسكره من انتهاب قال : « أنا كنت أشد كراهية لما يجرى ولكن صاحبكم أحوجني الى ما فعلت ولم تجر عادتي بنهب مال مسلم ولا أخذ ما حرمته الشريعة وأمر أصحابه باعادة ما أخذوه منهم فأعادوه » (٩٦) . وفي الرابع والعشرين من صفر سنة ٤٧٨ هـ اقتتل سليمان ومسلم فانهزم الأخير في نفس اليوم وقتل مع أربعمائة غلام من أحداث حلب (٩٧) . فلما قتل مسلم قصد بنو عقيل أخاه ابراهيم بن قريش وكان مسجونا ، فأطلقوا سراحه وولوه عليهم ، وكان قد أمضى في الحبس سنين طويلة (٩٨) . ثم ان سليمان ابن قطلمش قصد حلب فحاصرها في مستهل ربيع الأول سنة ٤٧٨ هـ وظل يحاصرها شهرا فلم يبلغ منها شيئا فرجع عنها (٩٩) .

ويبدو أن سليمان بن قطلمش كان قد بسط بعد ذلك سلطانه على حلب فترة قصيرة بدليل أن ابن كثير يذكر انه في سنة ٤٩٧ هـ حدثت وقعة بين تتش صاحب دمشق وبين سليمان صاحب حلب وأنطاكية ، فانهزم أصحاب سليمان ولقي هو حتفه . فسار السلطان ملكشاه من أصبهان الى حلب فاستولى عليها ، ثم استناب السلطان على حلب قسيم الدولة آقسنقر التركي وهو جد نور الدين

الشهيد (١٠٠) . كما أقر حكم تتش على بلاد الشام وحكم أبناء سليمان بن قطلمش على بلاد الروم (١٠١) .

واستمرت العلاقات بين الشام وبيزنطة هادئة حوالى عشر سنوات ، وفى سنة ٤٨٩ هـ تواترت الأخبار بخروج امبراطور الروم من بلاده قاصدا بلاد الشام (١٠٢) .

ثالثا : العلاقات السياسية بين السلاجقة والقوى السياسية فى بلاد الشام قبل قدوم الصليبيين :

وقفنا فى الفصل السابق على صورة متكاملة للعلاقات السلجوقية الفاطمية فى بلاد الشام بعد استيلاء السلاجقة على هذه البلاد ، وكان الفاطميون يمثلون قوة سياسية فى الشام فى تلك الفترة . ورغم التطاحن المستمر بين الجانبين : التركي والمغربى فلم يستطع أحدهما التفوق على العنصر الآخر تماما . فبالرغم من سيطرة السلاجقة على معظم بلاد الشام فان الفاطميين ظلت لهم السيادة على معظم بلاد الساحل الشامى ، اذ أنه عند قدوم الصليبيين الى البلاد كان الفاطميون مسيطرين على عدد من الموانى مثل عكا وصور وصيدا وعسقلان (١٠٣) . هذا الى جانب بيت المقدس التى سبق أن ذكرنا أنهم استردوها من السلاجقة فى سنة ٤٨٩ هـ (١٠٤) .

والى جانب العنصر الفاطمى المغربى كان هناك العنصر العربى الذى بدأت قوته فى الظهور أثناء امتداد النفوذ الفاطمى على بلاد الشام ، ويمثل هذا العنصر بنو عمار بطرابلس وبنو منقذ بشيزر .

فاذا كان الفاطميون قد استغلوا تفوقهم البحرى على السلاجقة وظلوا على ساحل الشام ، فقد خسروا طرابلس حوالى منتصف القرن

الحادى عشر الميلادى (الخامس الهجرى) عندما استقل بها أحد أتباعهم وهو القاضى الشيعى ابن عمار أبو طالب (١٠٥) . وفى رجب سنة ٤٦٤ هـ توفى القاضى أبو طالب قاضى طرابلس فخلفه ابن أخيه جلال الملك أبو الحسن بن عمار واتبع سياسة حكم رشيدة (١٠٦) . ورغم محاولات بدر الجمالى أمير الجيوش لاسترداد طرابلس منه فانه عجز عن أخذها (١٠٧) .

وفى سنة ٤٧٣ هـ استولى جلال الملك بن عمار على حصن جبلة (١٠٨) . وكانت العلاقات ودية بين السلاجقة وبنى عمار فى السبعينات من القرن الخامس الهجرى بدليل أنه فى سنة ٤٧٦ هـ عزم تتش صاحب دمشق على مصاهرة أمير الجيوش بدر الجمالى وزير مصر ، فأشار ابن عمار قاضى طرابلس وصاحبها على تتش بالا يفعل فعدل عن ذلك (١٠٩) . وفى سنة ٤٧٧ هـ خرج تتش ابن ألب أرسلان من دمشق الى انطرطوس فحاصرها وانتزعها من ابن عمار صاحب طرابلس مقابل مبلغ من المال (١١٠) . ولكن سرعان ما ساءت العلاقات فى الثمانينات من نفس القرن ففى سنة ٤٨٤ هـ حاصر تتش طرابلس ، وانضم اليه آق سنقر صاحب حلب ، وبوزان صاحب الرها ، ونصبوا المجانيق ، فاحتج ابن عمار صاحبها عليهم وأطلعهم على منشور السلطان ملشكاه باقراره على طرابلس ، فلم يقبل منه تتش ذلك ، وانسحب آق سنقر ، ثم وقع خلاف بين تتش وأتباعه وانسحبوا جميعا عن طرابلس (١١١) .

وقد أشرنا فى معرض حديثنا عن بنى عمار الى خلف بن ملاعب ، وهو من الشخصيات العربية التى اشتهرت بمغامراتها قبيل الحروب الصليبية ، اذ استطاع أن يقيم لنفسه امارة فى حمص بمساعدة أمير حلب مسلم بن قريش العقيلى كى يتخذ مسلم من امارة حمص حائلا يرد عنه هجوم أمير دمشق ، ولكن ابن ملاعب

لم يلبث أن تخلى عن حمص وعن أفامية تحت ضغط السلاجقة (١١٢) ففى سنة ٤٨٥ هـ أمر السلطان ملكشاه آق سنقر وبوزان بمساعدة أخيه تتش فى استخلاص ما بايدى الخليفة الفاطمي من مدن (١١٣) . ولما كان ابن ملاعب قد خطب للخليفة المستنصر فقد اتجه الجميع الى حمص واستولوا عليها وأسروا ابن ملاعب وولديه ثم تقدم تتش الى عرقة وأفاميه فاستولى عليهما أيضا (١١٤) .

أما بنو عنقذ فقد كانوا قادة عربا يقيمون بشيزر على نهر العاصى ، وكانوا يمزجون الحياة الأدبية بحياة الصيد (١١٥) . وفى سنة ٤٦٨ هـ بدا سديد الملك أبو الحسن على بن مقلد بن نصر بن منقذ بعمارة حصن الجسر ، وموضع الحصن اليوم تل خالد وهو غربى شيزر على مسافة قريبة منها (١١٦) . وكان سديد الملك هذا شجاعا مقداما قوى النفس وهو أول من انتزع قلعة من بنى منقذ (١١٧) .

وفى رجب سنة ٤٧٤ هـ استولى سديد الملك على حصن شيزر من الأسقف الذى كان مسيطرا عليه (١١٨) . وكان فى شيزر وال للروم (١١٩) يدعى (دمترى) فلما ضاق بالهجوم على الحصن ، راسل سديد الملك فى تسليم الحصن مقابل بعض المال وأن تظل للأسقف أملاكه التى تحت يديه (١٢٠) . وبعد استيلاء سديد الملك على الحصن شرع فى عمارته وتحصينه واتخذه قاعدة له (١٢١) . ويعتبر سديد الملك هو مؤسس الدولة المنقذية بشيزر (١٢٢) ولم يزل هو وأبناؤه مسيطرين على الحصن حتى كان الزلزال الكبير الذى حدث فى شيزر فى الثالث من رجب سنة ٥٥٢ هـ فهدمت القلعة ومات معظم بنى منقذ تحت الأنقاض وظلت القلعة متهدمة حتى عمرها نور الدين زنكى (١٢٣) .

وعندما كان السلطان ملكشاه بحلب سنة ٤٧٩ هـ قدم عليه نصر بن علي بن منقذ صاحب شيزر وطلب منه الأمان فأمنه ، ودخل نصر في طاعته ، وقد كان من قبل نائبا عن الفاطميين ، وسلم للسلطان ملكشاه فامية واللاذقية وكفر طاب وشيزر ولكن السلطان أقره على نيابة شيزر فقط (١٢٤) وحدث صدام بين حكام شيزر وحكام المدن المجاورة ، فقد حدث في سنة ٤٨١ هـ أن جمع آق سنقر صاحب حلب عساكره وتقدم الى قلعة شيزر وكان نصر ابن منقذ لايزال بها فضيق عليه ونهب البلد فاضطر ابن منقذ الى مصالحته ، فانسحب آق سنقر (١٢٥) .

والى جانب مراكز الثقل هذه التي أشرنا اليها كان هناك مركز مهم يقف ندا لدمشق ، وهو حلب ، وقد توالى على حكمها قبل قدوم الصليبيين حكام من العرب والأتراك ، وأبرز هؤلاء واليان أحدهما عربي من بني عقيل هو مسلم بن قريش ، والآخر تركي ولاه السلطان ملكشاه وهو قسيم الدولة آق سنقر . ومن الغريب أن الاثنين ماتا مقتولين بيد السلاطين السلاجقة .

ففي سنة ٤٧٢ هـ تولى شئون حلب شرف الدولة مسلم بن قريش العقيلي صاحب الموصل وكان سبب توليته ضيق أهالي حلب بحصار تاج الدولة تتش بن ألب أرسلان لمدينتهم ، فكاتبوا شرف الدولة يعرضون عليه تسليم حلب اليه ، اعترافا بجميله اذ كان يمدهم بالغلال خلال الحصار (١٢٦) .

وكانت علاقات مسلم بتتش غير طيبة ، ولذلك كانت الاحتكاكات دائما بينهما ، ففي سنة ٤٧٥ هـ سار مسلم بن قريش الى دمشق فحاصرها ولكنه اضطر الى الانسحاب لاخفاق الحصار (١٢٧) . وتكرر الحصار في السنة التالية سنة ٤٧٦ هـ دون جدوى (١٢٨) .

حتى اذا مرت ثلاث سنوات زاد خوف تتش فزحف بجيوشه الى حلب لحصارها ، وهنا أدرك السلطان ملكشاه سوء أحوال حلب ، كما فطن الى تغلب نزعة السيطرة عند أخيه . فسار الى حلب سنة ٤٧٩ هـ مما أرهب اخاه تتش فانسحب الى دمشق (١٢٩) .

ولم يلبث السلطان ملكشاه أن ولى الأمير قسيم الدولة آق سنقر على حلب سنة ٤٨٠ هـ (١٣٠) . وقد أحسن السيرة فيها وبسط العدل بين أهلها ، وتتبع المفسدين فأبادهم (١٣١) . ولذلك ازدهرت حلب في عهده ، ونشطت الحركة التجارية وقدم اليها كثير من التجار من كل مكان (١٣٢) .

وفي ربيع الثاني سنة ٤٨٧ هـ توجه تاج الدولة من دمشق الى حلب فلما علم قسيم الدولة بذلك شرع في الاستعداد لمواجهته . وقدم اليه بوزان صاحب الرها وكربوقا صاحب الموصل ويوسف صاحب الرحبة في عساكرهم لمساعدته ضد تاج الدولة (١٣٣) . وقد كانوا يخافون من تسلطه عليهم جميعا اذا قضى على قسيم الدولة . والتقى الفريقان فلحقت الهزيمة بقسيم الدولة وحلفائه ، ثم لقي حتفه على يد تاج الدولة (١٣٤) . ودخل تتش حلب ونودي فيها بشعاره (١٣٥) .

من هذا العرض السريع نرى أن العناصر غير السلجوقية لم تمكن السلاجقة من بسط سلطانهم المطلق على بلاد الشام بل كانت أحيانا تصطدم بها لتوسيع نطاق نفوذها على حساب السلاجقة غير قانعة ببسط نفوذها على بعض أجزاء البلاد ؛ مما أدى الى عدم استقرار أحوال البلاد .

رابعا : انقسام السلاجقة والصراع بين القوى السلجوقية :

رأينا فى الفصـــول السابقة كيف أدى صـــدام السلاجقة بالفاطميين وبالبيزنطيين وبالقوى السياسية الموجـودة فى بـــلاد الشام ، الى اثارة القلاقل والاضطرابات فى بلاد الشام زمن الحكم السلجوقى لها • ولم يقتصر اضطراب الأمور على هذا النحو فحسب ، بل ان انقسام السلاجقة فيما بينهم ، واختلاف كلمتهم ، ونشوب العداء بينهم ، قد أضاف عاملا جديدا الى عوامل التفكك السياسى الأخرى فى بلاد الشام فى تلك الفترة الحرجة •

وقبل أن نتناول علاقات سلاجقة الشام ببعضهم يجدر بنا أن نلقى نظرة سريعة على العلاقات السلجوقية عامة ، ومتى بدأ الضعف والتفكك يدب فى جسد الدولة السلجوقية وكيف امتد ذلك الخلاف الى بلاد الشام •

نشـــأت الدولة السلجوقية قوية فتية موحدة فاســـتطاع سلاطينها أن يبسطوا نفوذهم على أجزاء واسعة من الأقاليم المجاورة في آسيا ، ولكن بتوالى السنوات بدأت الدولة تدخل دور الهرم وخاصـــة بعد عصر السلطان الكبير ملكشـــاه • ولاقت الدولة السلجوقية نفس المصير الذى لاقته دولة شارلمان ، بعد وفاة هذا الملك العظيم ، فيرى المؤرخ (جيزو Guizot أن أسباب سقوط امبراطورية شارلمان ، هى نفس أسباب سقوط امبراطورية ملكشاه ،

فالدولة تمر بنفس أدوار حياة الانسان وحينما تكون الدولة في شبابها تستطيع أن تدير جهاز الحكم وتتغلب على جميع المشاكل ، وخاصة اذا كانت الدولة قد بلغت اتساعا كبيرا (١٣٦) .

أدت وفاة السلطان ملكشاه ومقتل وزيره العظيم نظام الملك الى حرمان السلاجقة من شخصيتين كان لهما من الحنكة السياسية والخبرة والعسكرية ما دعم قوة الدولة السلجوقية وذلل الصعوبات التي واجهتها • وبوفاة ملكشاه أخذ الضعف يدب في كيان الدولة السلجوقية ويوهنها الانقسام والتنازع على السلطنة (١٣٧) • فقد خلف ملكشاه أربعة أولاد صغار أكبرهم بركيا روق وكان في الثانية عشرة من عمره ثم يليه محمد فسنجر فمحمود ، ولم يكن الأمراء الأربعة أشقاء ، كما كان لكل منهم حاشية تلتف حوله وتوغر صدره على أخوته ولذلك وقع الصدام بين الاخوة جميعا وخاصة بين بركياروق ومحمد ، فقد كان بركياروق يعتبر نفسه أحق بالسلطنة من أخيه فنشب لذلك نزاع عنيف كانت له نتائج خطيرة أدت بمرور الزمن الى أحداث تصدع كبير في صفوف السلاجقة (١٣٨) :

والى جانب النزاع على السلطنة كان هناك نزاع آخر على صعيد الامراء ، فمنذ أن بدأ نظام الاتابكيات (١٣٩) . بدأ عامل التنافس والطمع يلعب دوره في تفتيت واضعاف الامارات التى يتكون منها العالم السلجوقى (١٤٠) •

ولم تقتصر الاحتكاكات بين بركياروق واخوته بل تعدتها الى أعمامه أيضا فقد اصطدم بعمه تتش الذى كان واليا على دمشق

والذى أعلن أنه أحق بالسلطنة من بركياروق. وساعدم على ذلك الخلافات القائمة بين بركياروق واخوته، فتقدم الى حلب وبسط سلطانه عليها، ولم تلبث أن دانت له أنطاكية والرها وحران ونصيبين بالولاء، ولم تنجح محاولات استنجاد أمراء هذه المناطق بالسلطان بركياروق (١٤١) . وتمكن تتش من فتح الموصل وديار بكر وآذربيجان وبدأ يفكر فى التوجه الى بغداد للاتصال بالخليفة العباسى للاعتراف به سلطانا على السلاجقة : وهنا شعر بركياروق بالخطر الذى يتهدده من ناحية عمه تتش فتوجه الى آذربيجان لدفع خطر عمه عن البلاد فلما تقارب الجيشان انضم عدد من أمراء جيش تتش الى بركياروق . فأيقن تتش أنه لا طـاقة له بهم فعاد الى الشام (١٤٢) . ولكن تتش عاد لحرب ابن أخيه من جديد وكان فى هذه المرة أقوى من سابقتها ، ولكنه رغم ذلك خسر المعركة مع بركياروق قرب الرى سنة ٤٨٨ هـ وقتل فى نفس المعركة فى السابع عشر من صفر بيد ابن أخيه (١٤٣) .

وأصبح سلاجقة الشام لا يقلون انقساما وتنازعا عن غيرهم من السلاجقة فى ايران والعراق ، بعد مقتل تتش ، فلم تكن لهم زعامة موحدة وذلك نتيجة التنافس الذى ثار بين ابنيه رضـوان ودقاق (١٤٤) وهنا سنلاحظ أن مفاسد نظام الاتابكيات قد ظهر جليا فى غمرة هذا الصراع .

فعندما خرج تتش لقتال بركياروق ترك بحلب أبا القاسم الحسن بن على الخوارزمى نائبا عنه (١٤٥) . فى حين ترك بدمشق الأمير ساوتكين الخادم (١٤٦) وفى نفس الوقت أخذ ولاية العهد لابنه رضوان وكتب اليه يأمره بان يتجه الى العراق ولكن عندما اقترب رضوان من بلدة هيت (١٤٧) بلغه مقتل أبيه فعاد الى حلب واستولى عليها ولحقه أتابكة وزوج أمه جناح الدولة الحسن بن أيتكين

الذى استطاع بجهوده أن يجعل الخطبة على المنابر باسمه ، لا باسم أبيه ، بعد أن ظلت الخطبة لأبيه شهرا بعد مقتله · وأحسن جناح الدولة تدبير مملكة حلب ولكنه بدأ يصطدم بياغى سيان حاكم أنطاكية (١٤٨) · أما أبو نصر شمس الملوك رقاق أبن تتش (١٤٩) فقد شهد مع أبيه الموقعة التى قتل فيها فلما قتل أبوه أخذه غلام لأبيه اسمه أبتكين الحلبى ، وسار به الى حلب وأقام عند أخيه الملك رضوان (١٥٠) · وهناك راسله نائب أبيه بمشق الأمير ساوتكين الخادم يدعوه سرا للسيطرة على دمشق ، وبالفعل سار اليها وولاه ساوتكين مكان أبيه (١٥١) · وهنا بدأ ياغى سيان يراسل دقاق ويحرضه على الانفراد بالحكم ، وفى نفس الوقت أيضا وصل الأمير طغتكين اتابك دقاق وزوج أمه فتقرب إليه وولاه على البلاد وتخلص من ساوتكين بقتله (١٥٢) · وذلك فى سنة ٤٨٩ هـ (١٥٣) ·

وبدأ الصراع يشتد بين الأخوين رضوان ودقاق واستعان الطرفان بالقادة الترك والتركمان ، فاستعان دقاق بياغى سيان حاكم انطاكية وايلغازى حاكم بيت المقدس ، فى حين استعان رضوان بالأمير سكمان الارتقى وبقبيلة بنى كلاب أيضا (١٥٤) · وحاول رضوان أن يستولى على دمشق فقدم اليها وحاصرها ولكنه رجع عنها دون أن يحقق أى نصر (١٥٥) ·

واستمر الصراع بين الجانبين فترة طويلة مما أنهك قوى السلاجقة ، ثم انحلت عرى هاتين القوتين بالنزاع الذى قام بين دقاق وايلغازى (١٥٦) · ثم بالنزاع الذى وقع بين جناح الدولة ورضوان فقد ترك جناح الدولة حلب الى حمص فاستولى عليها سنة ٤٨٩ هـ (١٥٧) · ثم ان ياغى سيان ترك دقاق وأصبح اتابكا لأخيه (١٥٨) ·

وفي سنة ٤٩٠ هـ وبينما كان الأربيون يدقون أبواب بلاد الشام كان الاخوان السلجوقيان وصاحبا الأمر في البلاد يتصارعان ، فقد تقاتل الاثنان بقنسرين فانهزم دقاق ونهب جيشه (١٥٩) وأخيرا تم الصلح بينهما على أن يخطب لرضوان بدمشق وأنطاكية قبل الخطبة لدقاق (١٦٠) .

وهكذا كانت الصلات بين السلاجقة في بلاد الشام لا تبشر بالخير أو بالقدرة على الصمود أمام العدو الصليبى الزاحف من الغرب ولم يحاول الاخوان السلجوقيان أن يصفيا ، ولو مؤقتا ، تلك الخلافات والأطماع الشخصـــية ولم يقدرا خطورة الطوفان الصليبى .

بل ان سوء التدبير والتقدير حدا برضوان أمير حلب الى أنه لم ينجد باغى سيان ، أول من اصطدم بالصليبيين ، وذلك بسبب موقفه العدائي منه غير مقدر أنه بذلك يقترب من حافة الهلاك (١٦١) . فلو كانت الأقدار تخبيء للمسلمين حاكما مثل ألب أرســـلان أو ملكشاه حينما اندفع الصليبيون الى بلاد الشام لما نال الصليبيون النجاح الذى حازوه فى الحملة الصيبية الأولى . اذ كان الجيش الصليبى ينقصه التدريب ويفتقد الى مجالس الحرب المنظمة القادرة الى جانب الشقاق بين القواد الصليبيين بالاضافة الى ذلك الحشد الكبير من النساء والأطفال والمسنين والعجزة ، ولا شك أن موقف الصليبيين كان ســـيصبح حرجا لو التقوا بقــائد باســـل مثل ملكشاه (١٦٢) .

وهكذا عندما وصل الصليبيون الى بلاد الشام كانت البلاد على شفا الهاوية بسبب انقسام السلاجقة ، حكام الشام ، فيما بينهم من ناحية وصراع مع القوى المحيطة بهم من ناحية أخرى .

خامسا : اثر انتشار المذهب الباطني في بلاد الشام :

ان كان السلاجقة قد احتفظوا بجزء يسير من طاقتهم بعد كل ألوان الصراع التي أشرنا اليها في الفصول السابقة فقد استنفذوا هذا الجزء أيضـــا في صراعهم المذهبي المرير ضـــد الاسماعيلية الباطنية ، وقد استمر هذا الصراع على أشده بعد قدوم الصليبيين الى بلاد الشام ، ولذلك توزعت جهود سلاطين السلاجقة في بلاد الشام بين مناهضة الصليبيين ومقاومة الباطنية ٠

يعرف ابن الأثير الاسماعيلية بأنهم الذين كانوا يسمون قديما بالقرامطة (١٦٣) في حين يذكر (بندلي جوزى) أن القرامطة يشكلون فرعا كبيرا من الاسماعيلية (١٦٤) ومهما كان الرأى فهم من غلاة الشيعة المتطرفين ، ولذلك كان من المحتم أن يصطدموا بالسلاجقة وهم من أهل السنة ٠

سمى الاسماعيلية أنفسهم أصـحاب الدعوة الهادية ، ومن الناس من يسميهم الباطنية ومنهم من يسميهم الملاحدة ، وجوهر معتقدهم التناسخ (١٦٥) .

انتشرت الاسماعيلية انتشارا واسعا وكان الذين بالشام منهم يعرفون بالحشيشية ، ومن كا نبالموت يقال لهم الباطنية والملاحدة ومن كان بخراسان يقال لهم التعليمية (١٦٦) ٠

كانت أول قلعة ملكها الباطنية هى ألموت سنة ٤٨٣ هـ وقد ملكها الحسن بن الصباح (١٦٧) ٠ وكان يمارس نشاطا خطرا ، لذلك أرسل اليه السلطان ملكشاه يهدده وينهاه ، ولكن الرسول أدرك تفانى أتباع الحسن فى طاعته ، ولذلك امتنع السلطان بعد ذلك عن مراسـلته (١٦٨) ٠ ولكن الباطنية لم يمتنعوا عن ايذاء

السلاجقة حتى أنهم قتلوا نظام الملك وزير ملكشاه المحنك · وبوفاة السـلطان العظيم ملكشـاه اشـتدت شـوكة الباطنية وقويت أطماعهم (١٦٩) · مستغلين فرصة انقسام وتنازع السلاجقة بعد وفاة ملكشاه ، فوصلت دعوتهم الى أصفهان احدى عواصم الدولة السلجوقية (١٧٠) وبالرغم من أن السلطان بركياروق أصدر أوامره فيسـنة ٤٩٤ هـ بقتل جماعة الباطنية (١٧١) فان نفوذهم اتسع بشكل ملحوظ ، اذ امتد نشـاط الاسماعيلية الى بـلاد الشـام وسيطروا على عدة قلاع بين حمص وحماه (١٧٢) ومن العجيب أن يعتنق أحد سلاطين السلاجقة بالشام ، وهو رضوان بن تتش ، مذهب الباطنية ويؤيده · فقد استطاع الحكيم المنجم الباطنى استمالة رضوان فظهر هذا المذهب فى حلب فى عهده (١٧٣) وتعصب رضوان للباطنية وصار لهم بحلب نفوذ كبير ، وصارت لهم دار للدعوة فى حلب ورغم محاولات الملوك المعاصرين لرضوان لابعاده عن هؤلاء الباطنيـة ، فانه لم يعبـأ بمحاولاتهم ولم يتخل عن أتبـاعه الجدد (١٧٤) · والواقع أن رضوان ساعد الباطنية حتى يتخذ منهم أداة قوية لتنفيذ بعض مآربه السياسية وللتخلص من خصومه · ففى سنة ٤٩٦ هـ أرسل الحكيم المنجم الباطنى ثلاثة أعجام من الباطنية فاغتالوا جناح الدولة بحمص ، وكان ذلك بتحريض من رضوان (١٧٥) وقد مر بنا أن جناح الدولة هذا كان أتابكا لرضوان ثم اختلف معه وخرج من حلب الى حمص فاستولى عليها وظل على موقفه العدائى من رضوان حتى قتل بيد الباطنية · وما ان قتل جناح الدولة حتى انزعج أهل حمص وهرب معظم سكانها من الأتراك الى دمشق ، وراسل الباقون الملك شمس الملوك بدمشق يلتمسون منه انفاذ من يتسلم المدينة ويحميها قبل أن يصل الخبر الى الفرنج فيستولون عليهـا فسار اليها شمس الملوك وأتابكه ظهير الدين وتسلماها (١٧٦) ·

وبوفاة المنجم الباطني قام بأمر الدعوة بعده رفيقه أبو طاهر الصائغ العجمي (١٧٧) الذى أرسل بدوره جماعة من الباطنية من أهل سرمين (١٧٨) لاغتيال خلف بن ملاعب حاكم أفامية والاستيلاء على هذه المدينة ونادوا بشعار الملك رضوان وذلك في السادس والعشرين من جمادى الأولى سنة ٤٩٩ هـ (١٧٩) وظل حصن أفامية بيد الباطنية حتى أخذه الفرنج منهم سنة ٥٠٠ هـ (١٨٠) .

هكذا أثر انتشار المذهب الاسماعيلي الباطني تأثيرا واضحا في أحوال الدولة السلجوقية السياسية ، كما أثر على نفوذها في بلاد الشام ، وبذلك أصبح سلاجقة الشام قبل قدوم الصليبيين ، بل وخلال السنوات الأولى من الغزو الصليبي ، منهوكي القوى مشتتي الجهود بين القضاء على هدين الخطرين الجسيمين ، الصليبي والباطني .

الهـــــوامش

(١) يذكر ابن عساكر ضمن النصوص المأخوذة عنه بواسطة صلاح الدين المنجد فى كتاب ولاة دمشق فى العهد السلجوقى ص ٣ : « أن المقصود بالعهد السلجوقى فى دمشق ، الحقبة التى تبدأ بزوال السلطان الفاطمى وخروج جند المصريين من دمشق بدخول مقدم الغز اتسزين أوق اليها سنة ٤٦٨ هـ · وتنتهى بخروج آخر البوريين منها ودخول نور الدين محمود بن زنكى اليهـا سنة ٥٤٩ هـ وتأسيسه الدولة النورية فيها · ولكننا هنا نقصر تناولنا للعصر السلجوقى على تلك الفترة الصغيرة التى سبقت قدوم الصليبيين الى الشام ·

(٢) الدبس : تاريخ سورية ، جـ ٣ ، م ٥ ، ص ٤٦٥ ·

(٣) يتفق بعض المؤرخين ان ذلك حدث سنة ٤٦٣ هـ ومنهم :
C. Cahen : La Chronique Abrégée d'al Azibi ..., p. 359.
النويرى : نهاية الأرب ، جـ ٢٤ ، ق ٢ ، مخطوط ، ص ١٠٦ ، ابن الأثير : الكامل ، جـ ٨ ، ص ١٠٨ · فى حين يذكر البعض الآخر أنه تم سنة ٤٦٢ هـ ومنهم ابن كثير : البداية والنهاية ، جـ ١٢ ، ص ١٠١ ·

ابن العديم . زيدة الحلب ، جـ ٢ ، ص ١٦ ، ابن أيبك : كنز الدرر ، جـ ٦ ، ص ٣٨٨ ـ ٣٨٩ ·

وسواء كان هذا الرأى أم ذاك ففى سنة ٤٦٣ هـ كان النفوذ الفاطمى الشيعى قد انحسر عن حلب ·

(٤) النويرى : نهاية الأرب ، جـ ٢٤ ق ٢ ، مخطوط ، ص ١٠٦ ، ابن الأثير : الكامل ، جـ ٨ ، ص ١٠٨ ·

(٥) ابن كثير · البداية والنهاية ، جـ ١٢ ، ص ١٠١ ·

(٦) ابن العديم : زبدة الحلب ، جـ ٢ ، ص ٢١ ·

(٧) الاصفهاني : تاريخ دولة آل سلجوق ، ص ٣٧ ·

(٨) أبو المحاسن . النجوم الزاهرة ، جـ ٥ ، ص ٨٧ ·

(٩) سبط بن الجوزى : مرآة الزمان ، جـ ١٢ ، م ٢ ، ص ١٤٦ أ ، ب ·

(١٠) بن الاثير : الكامل ، جـ ٨ ، ص ١٢٢ ، ابن عساكر : التاريخ الكبير ، جـ ٢ ، ص ٢٣١ ٠

(١١) الذهبى : دول الاسلام ، مخطوط ، ص ٧٣ (ب) ٠

(١٢) ابن القلانسى : ذيل تاريخ دمشق ، ص ١٠٩ . ولو أن الصفدى يتناقض مع ابن القلانسى فى هذا الرأى وذلك فى أرجوزته فى كتاب أمراء دمشق فى الاسلام ، ص ١٤٥ ٠

حيث يقول . بعد ذا استولى عليها اتسز وكان فى أموره يستوفز

تكررت منه لها المحاصرة وقد تخطاها الى المصادره

وغلت الاقوات والاسعار وكان فى هذا عليه العار

وللتوفيق بين الروايتين نذكر أن اتسز أحسن السيرة فى البداية ثم أساءها ٠

(١٣) القرمانى : أخبار الدول ، ص ٢٧٧ ٠

(١٤) ابن كثير : البداية والنهاية ، جـ ١٢ ، ص ١١٣ ٠ وهى تسمى بالأسد الرابض وتعتبر من أشهر أبنية دمشق ومنشآتها العسكرية على الاطلاق (ياسين الحموى : دمشق فى العصر الأيوبى ، ص ٥٨) ويذكر ابن كثير فى المصدر السابق ، ص ١١٤ أن أول من بناها هو أتسز الخوارزمى بناها بدمشق بعد انتزاعها من الفاطميين فبدأ فى عمارتها سنة ٤٦٩ هـ وقد ارتفع بعض أبرجتها فلم يتكامل حتى انتزع ملك البلد منه الملك المظفر تاج الملوك تتشى ابن الب ارسلان السلجوقى فاكملها واحسن عمارتها ٠ فى حين يذكر بن شداد : الأعلاق الخطيرة ، جـ ٢ ، ص ٣٧ ـ ٣٨) ، تقى الدين الحصنى : منتخبات التواريخ لدمشق ، جـ ٣ ، ص ١٠٩٢) انه بعد قيام الفتن بين اهالى دمشق وبين بدر الجمالى واليها من قبل المستنصر احترقت دار الامارة ولم يبق بدمشق دار للامارة الى أن ملكها تاج الدولة تتش سنة ٤٧١ هـ فبنى بها قلعة لطيفة جعلها دار امارة وسكنها ٠ وللتوفيق بين الروايتين نذكر أن قلعة دمشق بدأت فى أيام اتسز وزادت عمارتها أيام تتش كما زادت فى عهد غيره من الملوك الذين حكموا دمشق بعد ذلك ٠ وكان بهذه القلعة مقام السلطان ومرافق الحكومة كلها من مدنية وعسكرية ومخازن السلاح وبيت المال ودار صك النقود ، والسجن ،

وفيها مسجدها وحماماتها ومدافن الملوك وقاعاتهم وأشهرها قاعة الفضة . وكان القلعة مدينة مستقلة بذاتها عن دمشق (ياسين الحموى : دمشق فى العصر الأيوبى ، ص ٥٨ ـ ٥٩) .

(١٥) نصوص من ابن عساكر : ولاة دمشق فى العهد السلجوقى : تحقيق صلاح الدين المنجد ، ص ١٢ .

(١٦) كرد على : خطط الشام ، جـ ١ ، ص ٢٦١ .

(١٧) نفس المصدر ، ص ٢٦٣ .

(١٨) الدبس : تاريخ سورية ، جـ ٢ ، م ٥ ، ص ٥٠١ .

(١٩) ابن عساكر : التاريخ الكبير ، جـ ٢ ، ص ٢٣١ . وهنا يسميه أبو الفضايل الحموى فى تاريخه تلخيص الكشف والبيان فى حوادث الزمان والمعروف بتاريخ المنصورى ، ص ١٥٦ ، (الأفشين) .

(٢٠ ، ٢١) ابن القلانسى : نيل تاريخ دمشق ، ص ١٠٩ ـ ١١٢ .

(٢٢) ابن عساكر : التاريخ الكبير ، جـ ٢ ، ص ٢٣١ فى حين تنكر رواية اخرى فى نفس المصدر والصفحة أنه قتل فى ربيع الآخر سنة ٤٧١ هـ بعد أن حكم دمشق ثلاث سنوات وستة أشهر وأياما . ويذكر ابن كثير : البداية والنهاية ، جـ ٢ ، ص ١١٩ أن سبب قتل اتسز انه عندما وصل تتش الى دمشق لم يركب اليه اتسز لتلقيه فأمر بقتله لساعته .

(٢٣) عبد النعيم حسنين . سلاجقة ايران والعراق ، ص ٦٦ .

(٢٤) ابن الشحنة : روض المناظر ، مخطوط ، ص ١١٤ ظ .

(٢٥) الطباخ الحلبى : أعلام النبلاء ، جـ ١ ، ص ٣٤٣ ـ ٣٤٤ .

(٢٦) كرد على : خطط الشام ، جـ ١ ، ص ٢٦٦ فى حين يذكر ابن خلدون فى تاريخه جـ ٤ ، ص ٧٧٥ أنه حاصرها أياما ، ويبدو أنه قصد هنا احدى مرات الحصار لأنه كان . يتردد عليها كثيرا .

(٢٧) فى حين يذكر أبو الفضايل الحموى : تلخيص الكشف والبيان ، ص ١٥٦ ، ان مسلم أخذ حلب سنة ٤٧٣ هـ .

(٢٨) كرد على : خطط الشام ، جـ ١ ، ص ٢٦٦ ، ابن خلدون ، تاريخه ، جـ ٤ ، ص ٧٧٥ .

(٢٩) ابن العديم . زبدة الحلب ، جـ ٢ ، ص ٧٣ ٠

(٣٠) نفس المصدر : ص ٧٤ ، ٧٥ ومن دلائل ذلك انه لما فتح حلب مدحه ابن حبوس بقصيدة كان لها أثر كبير فى نفس مسلم وأشار عليه وزيره بمجازاة ابن حبوس بجائزة كبيرة ٠ فاقطعه الموصل ولكن الشاعر مات قبل أن يصل اليها سنة ٤٧٣ هـ ، وترك مالا جزيلا فقيل لشرف الدولة ٠ « هذا لا وارث له الا بيت المال ، فقال : « والله لا يدخل خزانتى مال قد جمعه من صلات الملوك فانظروا له قرابة » فسألوا عن ذلك فوجدوا له من ذوى الأرحام بنت أخ فأعطاها المال كله ٠

(٣١) كرد على : خطط الشام ، جـ ١ ، ص ٢٦٦ ٠

(٣٢) كرد على : خطط الشام ، جـ ١ ، ص ٢٦٧ ٠ ويذكر ابن الشحنة : الدر المنتخب فى تاريخ مملكة حلب ، ص ٣٢ أنه فى سنة ٤٧٧ هـ ظهر طلسم الأتراك فى دير الملك بانطاكية فلم تمض مدة قصيرة حتى استولى عليها ابن قتلمش ٠

(٣٣) كرد على ، خطط الشام ، جـ ١ . ص ٢٦٧ ٠

(٣٤) ابن خلدون : تاريخه ، جـ ٤ . ص ٢٧٥ ـ ٢٧٦ ، سعيد عاشور ٠ الحركة الصليبية ، جـ ١ ، ص ١٠٦ ـ ١٠٧ ٠

(٣٥) ابن القلانس : ذيل تاريخ دمشق ، ص ١٠٩ ـ ١١٢ ٠

(٣٦) ابن القلانس : ذيل تاريخ دمشق ، جـ ١٢ ، ابن ميسر : أخبار مصر ، جـ ٢ ، ص ٢٦ ٠

المقريزى : اتعاظ الحنفا ، ميكروفيلم ، ص ١٠٨ ب ٠

(٣٧) ابن ميسر : أخبار مصر ، جـ ٢ ، ص ٢٦ . أبو الفدا ٠ المختصر ، جـ ٤ ، ص ١٩٣ ، ابن الأثير : الكامل ، جـ ٨ ، ص ١٢٦ . ابن القلانس : ص ١١٢ ٠

(٣٨) ابن القلانس : ص ١١٢ ، كرد على ٠ خطط الشام ، جـ ١ ، ص ٢٦٥ ٠

(٣٩) ابن الأثير : الكامل ، جـ ٨ ، ص ١٢٦ ، ابن خلدون ، تاريخه ، جـ ٣ ، ص ٤٧٤ ٠

(٤٠) Grousset : Histoire des Croisades, V. I., p. 45 (Preface).

ابن ميسر : أخبار مصر ، جـ ٢ ، ص ٢٦ فى حين يذكر ابن القلانس ، ص ١١٢ ، كرد على : خطط الشام جـ ١ ، ص ٢٦٥ ـ والراجح أنه أخذ عن

ابن القلانس ـ أن القائد المصرى قصد ناحية الساحل وكان ثغر صور وطرابلس فى أيدى قضاتهما قد تغلبا عليهما ولا طاعة عندهما لأمير الجيوش بل يصانعان الأتراك ٠

(٤١) ابن الأثير : الكامل ، جـ ٨ ، ص ١٣٢ ، الطباخ الحلبى : أعلام النبلاء ، جـ ١ ، ص ٣٤٦ ٠

(٤٢) ابن العديم : زبدة الحلب ، جـ ٢ ، ص ٨١ ٠

(٤٣) ابن الأثير : الكامل ، جـ ٨ ، ص ١٣٢ ، الطباخ الحلبى : أعلام النبلاء ، جـ ١ ، ص ٣٤٦ ٠

(٤٤) أبو المحاسن : النجوم الزاهرة ، جـ ٥ ، ص ١١٦ ٠

(٤٥) أبو الفدا : المختصر ، جـ ٤ ، ص ١٩٦ ، العينى : عقد الجمان ، جـ ١٥ م ٢ ، ص ٣٨٠ ٠

(٤٦) C. Cahen : La Chronique Abrégée d'al Azimi ..., p. 366.

(٤٧) الحصنى : منتخبات التواريخ ، جـ ١ ، ص ١٣٦ ، قساطلى : الروضة الغناء ، ص ٤٤ ٠

(٤٨) أبو المحاسن : النجوم الزاهرة ، جـ ٥ ، ص ١٢٨ ، سبط بن الجوزى : مرآة الزمان ، جـ ١٢ ، م ٢ ، ص ٢٠١ (١) ٠

(٤٩) أبو المحاسن : النجوم الزاهرة ، جـ ٥ ، ص ١٢٨ ، ابن القلانس : ذيل تاريخ دمشق ، ص ١٢٠ (١) فى حين يذكر عمر البرغوثى : تاريخ فلسطين ، ص ١٧٢ أنهم لم يفتحوا سوى عكا أما صور فلم تفتح الا سنة ٤٨٦ هـ ٠ أما أحمد الزين : تاريخ صيدا ، ص ٥٤ ـ ٥٥ فقـد ذكر أن فتح تلك الثغور تم فى سنة ٤٨١ هـ والراجح أنها سنة ٤٨٢ هـ ٠

(٥٠) ابن الأثير : الكامل ، جـ ٨ ، ص ١٥٠ ٠

(٥١) ابن أيبك : كنز الدرر ، جـ ٦ ، ص ٤٣٥ ٠

C. Cahen : Op. Cit., p. 367-368.

(٥٢) سبط بن الجوزى : مرآة الزمان ، جـ ١٢ ، م٢ ، ص ٢٠١ أ ٠

(٥٣) ابن الأثير : الكامل ، جـ ٨ ، ص ١٦٠ ، أبو الفدا : المختصر ، جـ ٢ ، ص ٢٠٢ ٠

(٥٤) يذكر أبو المحاسن : النجوم الزاهرة ، جـ ٥ ، ص ١٣٠ أنها بعلبك

وليست حمص وان ذلك كان سنة ٤٨٣ هـ ويتفق معه سبط بن الجوزى : مراة الزمان ، جـ ١٢ م ٢ ، ص ٢٠٢ (١) •

(٥٥) ابن الاثير : الكامل ، جـ ٨ ، ص ١٦٠ •

(٥٦) C. Cahen : Op. Cit., p. 369.

(٥٧) نكر ابن ميسر : أخبار مصر ، جـ ٢ ، ص ٢٩ انهم فعلوا ذلك خوفا من أمير الجيوش •

أمير الجيوش •

(٥٨) ابن القلانس : ص ١٢٤ ـ ١٢٥ • ابن ميسر : أخبار مصر ، جـ ٢ ، ص ٢٩ ، كرد على : خطط الشام ، جـ ١ ، ص ٢٦٩ •

(٥٩) ابن الوردى : تتمة المختصر ، جـ ٢ ، ص ٩ ، ابن الشحنة : روض المناظر ، ص ١١٧ •

(٦٠) أبو المحاسن : النجوم الزاهرة ، جـ ٥ ، ص ١٥٨ سبط بن الجوزى : مراة الزمان ، جـ ١٢ م ٣ ، ص ٢٢٧ ١ •

(٦١) كرد على : خطط الشام ، جـ ١ ، ص ٢٧٣ •

(٦٢) ابن العديم : زبدة الحلب ، جـ ٢ ، ص ١٢٧ •
C. Cahen : Op. Cit., p. 372.

(٦٣) ابن القلانس : نيل تاريخ دمشق ، ص ١٣٣ •

(٦٤) ابن العديم : زبدة الحلب ، جـ ٢ ، ص ١٢٨ • فى حين ينفرد كل من أبو المحاسن : النجوم الزاهرة ، جـ ٥ ، ص ١٥٨ ، سبط بن الجوزى : مراة الزمان ، جـ ١٢ م ، ٣ ، ص ٢٢٧ ١ •
بالقول بان الخطاب ورد سنة ٤٨٩ هـ ونحن نرجح راى ابن العديم لاتفاق المؤرخين عليه •

(٦٥) ابن ميسر : أخبار مصر ، جـ ٢ ، ص ٣٨ ابن القلانس : ص ١٣٣ • ويذكر ابن الأثير : الكامل جـ ٨ ، ص ١٨٤ أن سبب خطبة رضوان للمستعلى : انه كان عند الأمير جناح الدولة وهو زوج أمه فرأى من رضوان تغيرا فسار الى حمص وهى له فلما راى باغيسيان بعده عن رضوان صالحه وقدم اليه بحلب ونزل ظاهرها وكان لرضوان منجم يقال له الحكيم أسعد وكان يميل اليه فقدمه بعمل مسير جناح الدولة فحسن له مذاهب العلويين المصريين واتته رسل

المصريين يدعونه الى طاعتهم ويبذلون له المال وانفاذ العساكر اليه ليملك دمشق فخطب لهم بشيزر وجميع الأعمال سوى انطاكية وحلب والمعرة أربع جمع ٠

(٦٦) ابن ميسر : أخبار مصر ، ، ج ٢ ، ص ٣٨ ، ابن القلانس . ص ١٣٣ ٠

(٦٧) ابن ميسر · نفس الصفحة . ابن القلانس ، ص ١٣٣ ، ١٣٤ ابن الاثير . الكامل ، ج ٨ ، ص ١٨٢ ـ ١٨٣ فى حين يذكر بعض المؤرخين الآخرين أن ذلك تم سنة ٤٨٩ هـ ومنهم أبو المحاسن . النجوم الزاهرة ، ج ٥ ، ص ١٥٨ ، ابن الوردى · تتمة المختصر ، ج ٢ ، ص ٩ ٠

ابن الشحنة . روض المناظر ، ص ١١٧ ، وسبط بن الجوزى : مرآة الزمان ، ج ١٢ م ٣ ، ص ٢٢٧ أ ٠

(٦٨) عمر البرغوتى وخليل طوطح : تاريخ فلسطين ، ص ١٧٢ ٠

(٦٩) كانت آسيا الصغرى عند الفتح السلجوقى لها تسمى بلاد الروم (عبد النعيم حسنين : سلاجقة ايران والعراق ، ص ٥٧) ٠

(٧٠) خدابخش : ترجمة على حسنى الخربوطلى : الحضارة الاسلامية ، ص ٧٦ ٠

(٧١) العرينى : الشرق الأوسط والحروب الصليبية ، ج ١ ، ص ٥ ٠

(٧٢) أرشيبالد ـ ر ـ لويس · ترجمة أحمد عبس : القوى البحرية والتجارية فى حوض البحر المتوسط ، ص ٣٦٩ ٠

(٧٣) حسين أمين : تاريخ العراق فى العصر السلجوقى ، ص ٢٥١ وهى تقع شمالى بحيرة فان وكانت من البقايا الأخيرة التى تبقت للدولة البيزنطية فى ارمينيا (سعيد عاشور : الحركة الصليبية ، ج ١ ، ص ٨٧) ٠

(٧٤) عبد النعيم حسنين : سلاجقة ايران والعراق ، ص ٥٦ ـ ٥٧ ٠

(٧٥) حسين أمين : تاريخ العراق فى العصر السلجوقى ، ص ٢٥١ ٠

(٧٦) خوادابخش : ترجمة على حسن الخربوطلى : الحضارة الاسلامية ، ص ٧٣ : ٧٤ ٠

(٧٧) يذكر حسين أمين : تاريخ العراق فى العصر السلجوقى ، ص ٧٤ أن الامبراطور كان معه حوالى ٢٠٠ الف مقاتل وكان السلاجقة ١٥ الفا فى حين يذكر أبو الهيجاء فى تاريخه حوادث سنة ٤٦٣ هـ أن الروم كانوا ٢٠٠ الف فى

حين كان السلاجقة ١٠ آلاف فقط وسواء كان هذا الرقم أم ذاك فهناك فرق كبير في العدد) لذلك نرى أن السلطان لم يلبث أن أيقن أنه من الصعب على جيشه أن يقاتل جيشا ضخما كجيش الروم ، وأدرك أن الصلح قد يكون خيرا له ، وفضل أن يرجىء غزو بلاد الروم الى فرصة أخرى بعد أن يستكمل استعداداته ، فأرسل رسولا الى رومانوس يدعوه الى الصلح غير ان هذا الامبراطور اشاح بوجهه فى غطرسة وكبرياء ، ولم يستمع الى رسول السلاجقة فقد اغتر بجيشه الضخم ، فرد الرسول قائلا ان الصلح لن يتم الا فى الرى عاصمة السلاجقة • فاتضح لألب أرسلان هدف الروم الحقيقى فأعلن بين جنوده أن الاسلام فى خطر ، وأنه لا سبيل الى انقاذه الا بالقضاء على هذه العصبة الفاجرة التى تريد الكيد له ، ودعاهم الى الاستماتة فى القتال ، وبذلك طبع ألب أرسلان الحرب بطابع دينى ، وجعلها جهادا فى سبيل الله (عبد النعيم حسنين . سلاجقة ايران والعراق ، ص ٥٦ ـ ٥٧) •

(٧٨) أبو المحاسن : النجوم الزاهرة ، جـ ٥ ، ص ٨٦ العرينى : الشرق الاوسط والحروب الصليبية ، جـ ١ ، ص ٥ ، الحسينى : أخبار الدولة السلجوقية ، ص ٥٠ ـ ٥٢ وهو يذكر « عندما تقابل عسكر السلطان الب أرسلان وعساكر الروم سير الملك رسولا الى السلطان وقال له اننى قد اتيتك ومعى من العساكر مالا قبل لك به فان أنت دخلت فى طاعتى فأنا أدفع لك من البلاد ما يكفيك وتأمن سطوتى وبأسى وان أنت لم تفعل ذلك فان معى من العساكر ثلاثمائة الف فارس وراجل ومعى أربعة عشر الف عجلة عليها خزائن الأموال والسلاح وليس يقف بين يدى أحد من عساكر المسلمين ولا يغلق بوجهى مدينة من مدائنهم ولا قلعة من قلاعهم • فلما سمع السلطان هذه الرسالة أخذته عزة الاسلام وتحركت فى صدره نخوة الملك فقال للرسول : قل لصاحبك انك أنت ما قصدتنى ولكن الله سبحانه حملك الى وجعلك وعساكرك طعمة للمسلمين فأنت أسيرى وعبدى وعساكرك بعضهم قتلاى وبعضهم أسراى وخزائنك كلها ملكى ومالى فاثبت للمقارعة •

فلما تقابل الجيشان هبت اعصار أعمت عيون المسلمين وكاد عسكر السلطان ينهزم فنزل السلطان من الفرس وسجد لله وقال اللهم توكلت عليك وتقربت بهذا الجهاد اليك وعفرت وجهى بين يديك ، فان كنت تعلم من ضميرى خلاف ما اقوله بلسانى فاهلكنى ومن معى ، وكان يردد هذا التضرع ويبكى حتى انعكست مهاب الرياح وأعمت عيون الكفار فانهزموا وأسر الامبراطور » •

(٧٩) الحسينى : أخبار الدوله السلجوقية ، ص ٥٢ ـ ٥٣ فانه لما أحضر الملك أملم سدة السلطان قال ملك الروم للترجمان قل للسلطان يردنى الى دار ملكى قبل أن تجتمع الروم الى ملك آخر يجاهرنا بالمكافحة والمحاربة ويدرس كتاب العدوان ويبرز صفحة العصيان وأنا أطوع لك من عبيدك ولك على كل سنة أن أؤدى على سبيل الجزية الف الف دينار ، فاجابه السلطان الى سؤاله بعد ما عرضه النخاسون على معرض البيع فى الأسواق ثم أعتقه السلطان وخلع عليه وعلى من بقى معه من الأسارى وعاد الملك الى دار ملكه ووفى بما عاهد ·

(٨٠) عبد النعيم حسنين : سلاجقة ايران والعراق ، ص ٥٨ ·

(٨١) حسين أمين : تاريخ العراق فى العصر السلجوقى ، ص ٢٥١

(٨٢) نفس المصدر ، ص ٢٥٢ ·

(٨٣) سعيد عاشور : الحركة الصليبية ، جـ ١ ، ص ٨٨ ·

(٨٤) العرينى : الشرق الأوسط والحروب الصليبية ، ص ٨

(٨٥) Setton and Baldwin : A Hist. Of Crusades, V. 1, p. 150.

العرينى . الشرق الأوسط والحروب الصليبية ، جـ ١ ، ص ٨ ، حتى تاريخ سورية جـ ٢ ، ص ٢٠٥ ، فى حين يتفق عبد النعيم حسنين ، سلاجقة ايران والعراق ، ص ٦٦ مع خدابخش الحضارة الاسلامية ص ٧٥ فى أن السلطان ملكشاه هو الذى عين سليمان بن قطلمش على آسيا الصغرى فاصبح بذلك المؤسس الحقيقى لدولة سلاجقة الروم ·

(٨٦) سبط بن الجوزى · مرآة الزمان ، جـ ١٢ ، م ٢ ، مخطوط ، ص ١٨٩ ب ·

(٨٧) ابو المحاسن النجوم الزاهرة ، جـ ٥ ، ص ١١٥ يذكر أنه فتح انطرطوس ، سبط بن الجوزى : مرآة الزمان ، جـ ١٢ م ٢ ، مخطوط ، ص ١٧٧ ب يذكر انه فتح طرسوس والراجح انه فتح البلدين · ويؤكد ذلك كلام كل من أبو الهيجاء فى تاريخه : ميكروفيلم رقم ٩٤٥ تاريخ فى حوادث سنة ٤٧٥ هـ أبو الفضايل الحموى فى التاريخ المنصورى ، ص ١٥٧ ·

(٨٨) ابن القلانس : ذيل تاريخ دمشق ، ص ١١٥ كان جواب مسلم عندما عاتبه نظام الملك وزير السلطان السلجوقى : « ان كانت الكتب منى الى

صاحب مصر توجه العتب على وان كانت منه الى فاحفظوا صاحبا لكم يرغب فيه صاحب مصر لا تخرجوه عن أيديكم وارغبوا فيه كما رغب فيه غيركم » .

(٨٩) اليافعى : مرآة الجنان ، جـ ٣ ، ص ١٢٠ ، ابن الشحنة . روض المناظر ، مخطوط ، ص ١١٥ ظ كانت بيد النصارى منذ سنة ٣٥٨ هـ .

(٩٠) ابن الاثير : الكامل : حـ ٨ ، ص ١٣٦ . .

(٩١) ابن العديم : زبدة الحلب ، جـ ٢ ص ٨٦ .

(٩٢) نفس المصدر ، ص ٨٦ ـ ٨٧ ، ابن الاثير . الكامل . جـ ٨ ، ص ١٣٦ .

(٩٣) أ ـ س ـ ترتون : ترجمة حسن حبشى أهل الذمة فى الاسـلام ، ص ١٦٥ ـ ١٦٦ .

(٩٤) الذهبى : دول الاسلام ، مخطوط ، ص ٧٤ أ . ابن الآثير . الكامل ، جـ ٨ ، ص ١٣٦ .

(٩٥) ابن الأثير : الكامل ، جـ ٨ ، ص ١٣٧ . أبو الفدا . المختصر فى أخبار البشر ، جـ ٢ ، ص ١٩٥ .

(٩٦) ابن الأثير : نفس الصفحة .

(٩٧) نفس المصدر والصفحـة ، أبو الفـدا . المخـتصر ، جـ ٢ ، ص ١٩٥ ـ ١٩٦ .

(٩٨) نفس المصدر والصفحة ، ابن الوردى : تتمة المختصر ، جـ ١ ، ص ٣٨٣ .

(٩٩) ببن الأثير : الكامل ، جـ ٨ . ص ١٣٧ .

(١٠٠) ابن كثير : البداية والنهاية ، جـ ١٢ ، ص ١٣٠ .

(١٠١) عبد النعيم حسنين : سلاجقة ايران والعراق ، ص ٦٧ .

(١٠٢) أبو المحاسن : النجوم الزاهرة ، جـ ٥ . ص ١٥٩ .

(١٠٣) Hitti : Syria, A Short Hist., p. 170.

(١٠٤) أبو المحاسن : النجوم الزاهرة ، جـ ٥ ، ص ١٥٨ ، سبط بن الجوزى : مرآة الزمان ، جـ ١٢ م ٣ ، مخطوط ، ص ٢٢٧ أ ، ابن الشحنة : روض المناظر ، مخطوط ، ص ١١٧ .

(١٠٥) سعيد عاشور : الحركة الصليبية ، حـ ١ ، ص ١١٧ .

(١٠٦) ابن الأثير : الكامل ، جـ ٨ ، ص ١١١ .

(١٠٧) أبو المحاسن : النجوم الزاهرة ، جـ ٥ ، ص ١١١ ·

(١٠٨) أبو المحاسن : النجوم الزاهرة ، جـ ٥ ، ص ١١١ ·

(١٠٩) أبو المحاسن : النجوم الزاهرة ، جـ ٥ ، ص ١١٦ ·

(١١٠) سبط بن الجوزى : مرآة الزمان ، جـ ١٢ ، م ٢ . مخطوط ، ص ١٨٣ أ ·

(١١١) أبو المحاسن : النجوم الزاهرة ، جـ ٥ ، ص ١٣٢ · قيل : ان تتش قال لآق سنقر عندما توقف عن قتال بن عمار : « أنت تبع لى ، فكيف تخالفنى » فقال : « أنا تبع لك الا فى عصيان السلطان » · فغضب تاج الدولة وعاد الى دمشق ومضى آق سنقر الى حلب ، وبوزان الى الرها ·

(١١٢) العرينى : الشرق الأوسط والحروب الصليبية ، جـ ١ ، ص ١٦ ·

(١١٣) أبو الفدا : المختصر ، جـ ٢ ، ص ٢٠٢ ·

(١١٤) أبو الفدا · المختصر ، جـ ٢ ، ص ٢٠٢ ، ابن الوردى · تتمة المختصر ، جـ ٢ ، ص ٥ ·

(١١٥)

Setton and Baldwin : A Hist. Of Crusades, V. I, p. 166.

(١١٦) أبو الفدا : المختصر ، جـ ٣ ، ص ٣١ ·

(١١٧) ابن أيبك : كنز الدرر ، جـ ٦ ، الدرة المضية ، ص ٤٢١ ·

(١١٨) تاريخ ابو الهيجاء ، ميكروفيلم ، رقم ٩٤٥ تاريخ ، حوادث سنة ٤٧٤ هـ ، ابن القلانس : ذيل تاريخ دمشق ، ص ١١٣ فى حين ينفرد أبو الفضايل الحموى فى التاريخ المنصورى ، ص ١٥٦ بالقول بأن ذلك حدث سنة ٤٧١ هـ والأرجح الرأى الأول فأبو الفدا نقله عن أسامة بن منقذ نفسه ·

(١١٩) يذكر ابو المحاسن : النجوم الزاهرة ، جـ ٥ ، ص ١١٣ أنه انتزعه من الفرنج وهو يقصد هنا النصارى · ويؤيد ذلك رأى الذهبى : دول الاسلام ، مخطوط ، ص ٧٤ (أ) ·

(١٢٠) أبو الفدا : المختصر ، جـ ٣ ، ص ٣١ ·

(١٢١) ابن القلانس ، ذيل تاريخ دمشق ، ص ١١٣ ·

(١٢٢) أسامة بن منقذ : الاعتبار : حرره فيليب حتى . ص ح من المقدمة ·

(١٢٣) ابن ايبك : كنز الدرر ، جـ ٦ ، ص ٤٢٢ ٠

(١٢٤) بيشوف الجرمانى : تحف الأنباء فى تاريخ حلب الشهباء ، ص ٤٦ ٠

(١٢٥) ابن الوردى : تتمة المختصر ، جـ ٢ ، ص ٣ ، حسين أمين . تاريخ العراق فى العصر السلجوقى ، ص ١٨) ٠

(١٢٦) ابن الاثير : الكامل ، ص ١٢٧ ٠

(١٢٧) أبو المحاسن : النجوم الزاهرة ، جـ ٥ ، ص ١١٥ ٠

(١٢٨) أبو الفضايل الحموى : التاريخ المنصورى ، ص ١٥٧ ٠

(١٢٩) اليافعي : مرآة الجنان ، جـ ٢ ، ص ١٣١ وكان السلطان ملكشاه من اعظم الناس هيبة واكثر الملوك عدلا ففى سنة ٤٧٩ هـ دفع المكوس فى جميع بلاده (ابن العديم ، زبدة الحلب جـ ٢ ، ص ٢ ٠

(١٣٠) ابن القلانس : ذيل تاريخ دمشق ، ص ١١٩ ، تاريخ ابو الهيجاء ميكروفيلم رقم ٩٤٥ تاريخ حوادث سنة ٤٨٠ هـ فى حين يذكر ابو الفضايل الحموى : التاريخ المنصورى ، ص ١٥٧ انه تولاها سنة ٤٧٨ هـ والأرجح الرأيان الأولان لأنه تولى من قبل السلطان ملكشاه الذى لم يحضر لحلب الا سنة ٤٧٩ هـ ٠

(١٣١) ابن القلانس : ذيل تاريخ دمشق ، ص ١١٩ ، اشترط على الناس أنه اذا اعتدى على أحد بالسلب والنهب أن يغرم أهل القرية جميعا ما أخذ من مال وغيره فكانت السيارة اذا بلغوا قرية من بلاده القوا رحالهم وناموا وقام أهل القرية يحرسونهم فأمنت الطرق وتحدث الركبان بحسن سيرته (الطباخ الحلبي : أعلام النبلاء ، جـ ١ ، ص ٣٦٧) ٠

(١٣٢) ابن العديم . زبدة الحلب ، جـ ٢ ، ص ١٠٤ ـ ١٠٥ أستأصل آق سنقر أرباب الفساد الى حد بلغ به أن نادى فى قرى حلب وضياعها الا يغلق أحد بابه وأن يتركوا الاتهم التى للحرث فى البقاع فى الليل والنهار ٠ فخرج متصيدا فمر على فلاح وقد فرغ من عمله ، وأخذ آلة الحرث معه الى منزله ، فانفرد من عسكره وقال له : « الم تسمع مناداة قسيم الدولة بالا يرفع أحد من أهل القرى شيئا من آلة الحرث ؟ فقال : « بلى والله ـ حفظ الله قسيم الدولة ٠ والله لقد امنا فى ايامه من كل ذاعر ومفسد ، وما رفعت هذا خوفا عليها ممن يأخذها ، وانما ههنا دويبة يقال لها ابن آوى اذا تركنا

هذه العدة ههنا جاءت واكلت هذه الجلود التي عليها . « فلما عاد قسيم الدولة أمر الصيادين وبثهم في اقطار حلب لصيد بنات آوى .

(١٣٣) ابن القلانس : ذيل تاريخ دمشق ، ص ١٢٦ .

(١٣٤) نفس المصدر والصفحة الذهبي : دول الاسلام ، مخطوط ، ص ٧٦ ب .

(١٣٥) نفس المصدر والصفحة ، اليافعي : مرآة الجنان ، ج ٣ ، ص ١٤٢ .

(١٣٦) خوادبخش : الحضارة الاسلامية ، ترجمة علي حسني الخربوطلي ، ص ٧٧ .

(١٣٧) حسين أمين : تاريخ العراق في العصر السلجوقي ، ص ٧٩ .

((١٣٨) حسين أمين : تاريخ العراق في العصر السلجوقي ، ص ١١٦ .

(١٣٩) من مظاهر الحكم السلجوقي في العالم الاسلامي ظهور نظام الاتابكية وهو في الحقيقة نتيجة للسياسة التي اتبعها السلاجقة في النظام الاقطاعي ، وقد انتشرت الاقطاعيات في العالم السلجوقي خاصة بعد وفاة السلطان ملكشاه سنة ٤٨٥ هـ سنة ١٠١٢ م . والاتابكية هي امارة يقطعها السلطان السلجوقي لأحد خواصه المقربين . ومن الاتابكية المهمة ، « أتابكية دمشق » . ومؤسسها « طغتكين مملوك السلطان تتش بن الب أرسلان (حسين أمين : تاريخ العراق في العصر السلجوقي ، ص ٢٠٩ ـ ٢١١) والاتابك هو مربي أولاد الملك أو قائد الجيوش ، ويعتبر مسئولا عن تربية الأمير حربيا وتلقينه أصول ادارة الاقاليم . وبفضل ما كان للاتابك من سلطة أبوية على الأمير السلجوقي غدا له من السلطان والنفوذ ما جعله أكثر من مجرد قائد يضاف الى ذلك ما درج عليه الاتابكة من أن يتزوج الواحد منهم والدة الأمير السلجوقي ويتزوج الأمير من ابنة الأتابك (محمد كرد علي : خصد الشام ، ج ١ ، ص ٢٧١ ، العريني : الشرق الأوسط والحروب الصليبية ، ج ١ ، ص ٢٠) .

(١٤٠) حسين أمين : تاريخ العراق في العصر السلجوقي ، ص ١١٨ .

(١٤١) الحسيني : أخبار الدولة السلجوقية ، ص ٧٥ ـ ٧٦ .

(١٤٢) عبد النعيم حسنين : سلاجقة ايران والعراق ، ص ٨٧ ـ ٨٨ .

(١٤٣) ابن الشحنة : روض المناظر ، مخطوط ، ص ١١٧ ، ونصوص من ابن عساكر : تحقيق صلاح المنجد ، ولاة دمشق في العهد السلجوقي .

Setton & Baldwin : A Hist. Of Crusades, V. I, p. 176.

(١٤٤) عبد النعيم حسنين : سلاجقة ايران والعراق ، ص ١٠٢ ، حسن حبشي . الحرب الصليبية الأولى ، ص ٢٨ .

(١٤٥) ابن الاثير الكامل ، جـ ٨ ، ص ١٧٦ .

(١٤٦) نفس المصدر والصفحة فى حين يذكر أبو الهيجاء فى تاريخه . ميكروفيلم ، رقم ٩٤٥ تاريخ حوادث سنة ٤٨٧ هـ أن اسمه سوركين .

(١٤٧) ابن الاثير . الكامل ، جـ ٨ ، ص ١٧٦ وهنا يذكر الصفدى : أمراء دمشق فى الاسلام ، ص ٣٣ . انه كان بدمشق ولكن الأرجح رأى ابن الأثير .

وهيت سميت كذلك لأنها فى هوة من الأرض . وهى بلدة على الفرات من نواحى بغداد فوق الأنبار (ياقوت . جـ ٢٠ : ص ٤٢٠) .

(١٤٨) ابن الأثير . الكامل ، جـ ٨ ، ص ١٧٦ فى حين يذكر أبو الفضايل المنصورى فى تاريخه . ص ١٥٨ أن رضوان ملك حلب سنة ٤٨٧ هـ وهذا غير صحيح لأن أباه توفى سنة ٤٨٨ هـ .

(١٤٩) الصفدى . أمراء دمشق فى الاسلام . ص ٣٢ .

(١٥٠) ابن الأثير : الكامل ، جـ ٨ ، ص ١٧٦ .

(١٥١) هنا يعلق الصفدى : امراء دمشق فى الاسلام ، ص ١٤٥ فى أرجوزته على ذلك بقوله :

وآلا أمرها الى دقاق   بباطن فى الأمر واتفـاق

(١٥٢) ابن الأثير : الكامل ، جـ ٨ ، ص ١٧٦ . نصوص من ابن عساكر : ولاة دمشق فى العهد السلجوقى ، ص ١٩ .

(١٥٣) ابن أيبك : كنز الدرر ، جـ ٦ ، الدرة المضية ، ص ٤٤٨ .

(١٥٤) العرينى : الشرق الأوسط والحروب الصليبية ، جـ ١ ، ص ٤١ .

(١٥٥) نصوص من ابن عساكر : ولاة دمشق فى العهد السلجوقى ، ص ١٩ ، سعيد عاشور : الحركة الصليبية ، جـ ١ ، ص ١٨٩ .

(١٥٦) العرينى : الشرق الأوسط والحروب الصليبية ، جـ ١ ، ص ٤٢ .

(١٥٧) تاريخ أبو الهيجاء : ميكروفيلم ، رقم ٩٤٥ تاريخ حوادث سنة ٤٨٩ هـ .

(١٥٨) العريني : المصدر السابق ، ص ٤٢ ·

(١٥٩) اليافعي · مرآة الجنان ، جـ ٢ ، ص ١٥٢ ، الذهبي · دول الاسلام ، مخطوط ، ص ٧٧ ب ·

(١٦٠) ابن الاثير : الكامل . جـ ٨ ، ص ١٨٤ وهو يذكر أيضا أن هذا ربما حدث سنة ٤٨٩ هـ فى حين يذكر جمال سرور : مصر فى عصر الدولة الفاطمية ، ص ١٢٨ ان ذلك حدث سنة ٤٨٩ هـ ·

(١٦١) سعيد عاشور : الحركة الصليبية ، جـ ١ ، ص ١٨٩ ·

(١٦٢) خودابخش . الحضارة الاسلامية ، ترجمة على حسنى الخربوطلى ، ص ٧٨ ـ ٧٩ ·

(١٦٣) ابن الاثير . الكامل ، جـ ٨ ، ص ٢٠٠ ·

(١٦٤) بندلى جوزى : تاريخ الحركات الفكرية فى الاسلام ، جـ ١ ، ص ١٠٠ · ويذكر المجدوع فى فهرسه الكتب والرسائل ، ص ٣ ، ٤ أن الاسماعيلية اليوم على ثلاثة اقسام :

١ ـ من يتمسك بالظاهر من الدين وأن كانت مليئة بالتأويل والباطن ، وهم المستعلية البهره ·

٢ ـ من يعمل بالظاهر تارة ويهمله تارة أخرى ، وهم النزارية الاغاخانية ·

٣ ـ من لا يعترف بالظاهر أبدا ، ويقولون بنسخ الشرائع ولا يعترفون الا بالتوحيد ويسمون بالموحدين الدروز ·

(١٦٥) ابن الشحنة : الدر المنتخب فى تاريخ مملكة حلب ، ص ٢٦٤ ـ ٢٦٥ ·

(١٦٦) ابن ميسر : أخبار مصر ، جـ ٢ ، ص ٦٨ ·

(١٦٧) ابن كثير : البداية والنهاية ، جـ ١٢ ، ص ١٥٩ ·

(١٦٨) ابن كثير : ص ١٤٩ ـ ١٦٠ قال ان السلطان بعث اليه بفتاوى العلماء فلما قرأ الكتاب بحضرة الرسول قال لمن حوله من الشباب انى أريد أن أرسل رسولا منكم الى مولاه فاشرأبت وجوه الحاضرين ثم قال لشاب منهم : اقتل نفسك ، فاخرج سكينا فضرب بها غلصمته فسقط ميتا وقال لآخر منهم : الق بنفسك من هذا الموضع ، فرمى نفسه من رأس القلعة الى أسفل خندقها فتقطع ثم قال لرسول السلطان : هذا الجواب ·

(١٦٩) ابن الأثير : الكامل ، جـ٨ ، ص ٢٠٠ ٠

(١٧٠) حسين أمين : تاريخ العراق فى العصر السلجوقى ، ص ٩٨ ٠

(١٧١) ابن الأثير : الكامل ، جـ ٨ ، ص ٢٠٠ ٠ أبو المحاسن : النجوم الزاهمة ، جـ ٥ ، ص ١٦٦ قال انهم كانوا اكثر من ثلاثمائة ٠

(١٧٢) ابن الشحنة : الدرر المنتخب ، ص ٢٦٥ ٠

(١٧٣) ابن القلانسى : ذيل تاريخ دمشق ، ص ١٤٢ ، أبو المحاسن . النجوم ، الزاهرة ، جـ ٥ ، ص ١٦٩ ٠

(١٧٤) ابن العديم : زبدة الحلب ، جـ ٢ ، ص ١٤٥ ٠

(١٧٥) ابن العديم : زبدة الحلب ، جـ ٢ ، ص ١٤٦ ، الطباخ الحلبى : اعلام النبلاء ، جـ ١ ، ص ٣٩٠ ٠ فى حين ينكر أبو المحاسن : النجوم الزاهرة ، جـ ٥ ، ص ١٦٨ ،الذهبى دول الاسلام مخطوط ، ص ٧٩ ب أن جناح الدولة قتل سنة ٤٩٥ هـ والأرجح الرأيان الأولان باعتبارهما متخصصين اكثر فى تاريخ حلب وتوابعها ٠

(١٧٦) ابن القلانسى : ذيل تاريخ دمشق ، ص ١٤٢ ٠

(١٧٧) ابن العديم : زبدة الحلب ، جـ ٢ ، ص ١٤٦ ، ابن القلانسى : ص ١٤٩ ٠

(١٧٨) بلدة مشهورة من أعمال حلب ، قيل سميت بسرمين بن اليفز بن سام ابن نوح وأهلها اليوم اسماعيلية (ياقوت : جـ ١٠ ، ص ٢١٥) ٠

(١٧٩) ابن القلانسى : ذيل تاريخ دمشق ، ص ١٤٩ ـ ١٥٠ ٠ ابن ميسر : أخبار مصر ، جـ ٢ ، ص ٤١ ٠

أبو المحاسن : النجوم الزاهرة ، جـ ٥ ، ص ١٩٢ ، فى حين ينفرد ابن العديم : زبدة الحلب ، جـ ٢ ، ص ١٥١ ـ ١٥٢ بالقول بأن ذلك حدث سنة ٤٩٨ هـ ٠

(١٨٠) ابن القلانسى . ص ١٥٠ ، الذهبى : دول الاسلام ، مخطوط ، ص ٨٠ أ ٠

الباب الثالث

قدوم الحملات الصليبية الى بلاد الشام

تدهورت أحوال الشام السياسية بصورة أطمعت الأوربيين ممثلين في الصليبيين ، ولم تكن الحروب الصليبية في معناها الواسع الا حلقة في سلسلة الصراع الدائم بين الشرق والغرب ، واصطبغت ـ مظهريا ـ بصبغة دينية . وان قال البعض أنها استجابة لنداء البابوية في روما ، لتأسيس مملكة صليبية ثم تعزيزها وتوسيعها ، حتى تصبح نقطة ارتكاز للصليبيين يتوسعون منها على حساب البلدان المجاورة (١) . أى أنها في النهاية حركة استعمارية (٢) ، بكل ما يحمله هذا الاصطلاح من معنى .

وكان لهذه الحروب مقدمات سبقتها بحوالى مائة عام تقريبا ، أى منذ أوائل النصف الثانى من القرن العاشر الميلادى على يد الامبراطور (نقفور فوكاس) (٩٦٣ ـ ٩٦٩ م) ثم على يد خلفه (حنا تزيمسكس) من بعده (٩٦٩ ـ ٩٧٦ م) وهما من أباطرة الأسرة المقدونية (٣) . على أن هذه المقدمات قد تجيز عند البعض تسمية حروب هذين الامبراطورين بالصليبية (٤) .

ويرى جماعة من المؤرخين أن محاولة الاستنجاد من جانب البيزنطيين بالغرب المسيحى في القرن الخامس الهجرى وجدت

استجابة طيبة لديه لأنه كان يتوق في تلك الفترة الى وسيلة يحقق بها كثيرا من أطماعه وآماله العريضة · وعلى ذلك ، فتوقيت الاستغاثة جاء في الوقت المناسب فبلاد الشام كانت مشتتة الأهواء ، منهارة بسبب المنازعات الداخلية ، فلما جاءت الدعوة بانتزاعها من أيدى المسلمين ظهرت غرائز حب السيطرة والتملك المستترة وراء الدين ، ولذا أسرعوا الى تلبية ذلك النداء · وعلى ذلك فالمدخل الطبيعى لموضوع الحروب الصليبية لا يأتى من ناحية الغرب فقط كما ذكر بعض المؤرخين (٥) ، وانما ينبغى لدراسة الموضوع دراسة متكاملة أن تدرس الظروف الشرقية الى جانب الظروف الغربية ·

دوافع الحروب الصليبية :

أولا : الدافع الاجتماعي

انتشر النظام الاقطاعى فى أوروبا زمن الحروب الصليبية بشكل واضح ، ذلك النظام الذى ترجع أصوله الأولى الى عصر الميروفنجيين فى القرن السادس الميلادى ، ثم بدأت تتضح معالمه أكثر بمرور الزمن ، ولن نتناول بالتفصيل نشأة هذا النظام وماهيته وخصائصه ولكننا سنلقى عليه ضوءا يسمح لنا باستخلاص العلاقة بينه وبين الحروب الصليبية التى نتكلم عنها ·

كان للسادة الاقطاعيين حقوق على أفصالهم لقاء حمايتهم اياهم ، أصبحت بمثابة التزامات يجب عليهم تأديتها فى حدود ما قضى به العرف الاقطاعى ، فظهر منها ما هو حربى وما هو اجتماعى وما هو مالى الى غير ذلك من أنواع التكاليف ، ومن الطبيعى أن يكون التعاون فى ميدان الحرب هو المحور الأساسى للعلاقات الاقطاعية بين السيد وأفصاله ، لأن المهمة الأولى للسيد الاقطاعى كانت حماية أفصاله

واراضيهم ، في حين كان الواجب الأول على هؤلاء الأفصال هو الخدمة في جيش سيدهم (٦) ٠

بالاضافة الى هذه الواجبات الحربية وجدت واجبات أخرى اجتماعية (٧) الى جانب عبء ثقيل من الالتزامات المادية ، تتمثل في ضريبة الحلوان التي كانت تدفع كلما تولى على الاقطاع وريث جديد . ثم ضريبة المعونة وهي أموال يقدمها الفصــل لسيده في مناسبات خاصة ، كفدية السيد الاقطاعي وزواج كبرى بناته وتدشين أكبر أبنائه فارسا ٠ واذا أزمع السيد الاقطاعي القيام بمشروع باهظ النفقات مثل الشروع في حملة صليبية أو بناء حصن جديد فانه لابد من أن يعتمد في هذه الأحوال على معونة أفصاله (٨) ٠

انتشرت الحروب الطاحنة بين كبار الاقطاعيين في أوربا وخاصة في فرنسا ، وكان للكنيسة دور كبير ابان القرنين الحادى عشر والثانى عشر الميلاديين في تطور النظام الاقطاعي وخاصة من ناحية الحد من هذه الحروب المدمرة (٩) ٠

كانت الحروب الصليبية ثورة في نظم السلام ومحاولة لارساء سلام متين الدعائم وهدنة دائمة (١٠) فقد تفرغ الفرسان للهدف المسيحي الجديد ، وبالفعل نجحت الكنيسة وعلى رأسها البابا أربان الثاني في الوصول الى ذلك الغرض ٠

من هنا بدت الحروب الصليبية كنتيجة غير متوقعة لمجهودات السلام في القرن الحادى عشر الميلادى ٠ ويعتبر روسيه Rousset الحروب الصليبية « حربا ضد الحرب » ويفسر لنا ذلك بقوله انها قامت لتضع نهاية للحروب الاقطاعية ، فهي حرب جديدة يعتبرها في الحقيقة سلاما بالنسبة لأوربا (١١) ٠

وبذلك آمن رجال الكنيسة بأن هدفا واحدا هو الذى يجب أن يستأثر بجهود أمراء أوربا وفرسانها ، ولم يكن هذا الهدف سوى الحرب الصليبية ضـــد المسلمين فى الأندلس ثم فى بلاد الشام (١٢) .

بهذا يمكننا أن نذكر أن الحروب الصليبية كانت عبارة عن ثورة سياسية واجتماعية ، ومنذ ذلك الوقت والحروب الاقطاعية ينظر اليهـا وكأنهـا حروب اجرامية ، وكحروب غير مخلصـة للمسيحية (١٣) .

اشترك فى الحروب الصليبية عدد كبير من الفرسان والأقنان وعبيد الأرض وعامة الشعب . أما عن الفرسان ، فقد كان من نتائج النظام الاقطاعى ، أن تكونت قوة حربية منهم ، وحرص السادة على ازدياد مواردهم ، بما أبدوه من الاهتمام باصلاح الأراضى وانشاء المدن ، ووجدوا فى اشتراكهم فى حرب ضد الشرق الاســلامى فرصة لاضافة أملاك جديدة الى اقطاعاتهم ، أو تملك من تعوزهم الاقطاعات أراضى ، يتخذون منها اقطاعات تكفل لهم المعيشة (١٤) .

ومن الدوافع التى دفعت الفرسان أيضا الى الاشتراك فى تلك الحروب وخاصة فى شمال فرنسا ـ حيث انتشر نظام الملكية للابن الأكبر ـ فكلما ازداد الســيد الاقطاعى عزوفا عن توزيع أملاكه وما يتبعها من الوظائف بين أبنائه ، كان لزاما على أبنائه الصغار ، أن يسعوا للحصول على أرزاقهم فى كل مكان ، فاشتد الميل للمغامرة بين فرسان فرنسا . فلما تهيأت الفرصة لربط الواجب المسيحى بامتــلاك الأراضى كان ذلك من العوامل التى تغريهم بالســـفر والمغامرة (١٥) . ولكن هذا لا يمنع أن البعض اشترك بدافع دينى خالص ، بعد أن تشبع بتلك الروح الصليبية ، التى لم يثرهـــا

رجال الدين وحدهم ، بل كان للنقاد والمفكرين من القسس والقادة والتجار والمغنيين دور كبير في اثارتها (١٦) ·

أما الأقنان والعبيد وعامة الشعب ، فكان اشتراكهم في تلك الحروب يعود عليهم بفائدتين : أولاهما تحريرهم من عبودية الاقطاع وثانيهما خلاص نفوسهم من الأدران العالقة بها حسبما وعدتهم البابوية ، فالعامة كانت في الدرك الأسفل من الفقر ، وكانت تلاقى الأمرين من الضرائب والسخرة والظلم فضلا عن اصابة أوربا بعديد من المجاعات (١٧) ·

ثانيا : الدافع الاقتصادى :

كذلك اشترك عدد كبير من تجار المدن الايطالية والفرنسية والاسبانية فى الحروب الصليبية بغرض استغلالى بحت من أجل السيطرة على الطرق التجارية للسلع الشرقية التى أصبحت مصدر ثراء عظيم للمشتغلين بها · لذلك قامت أساطيلهم بدور فعال في الاستيلاء على المراكز الرئيسية فى الشام ، فساعد الجنوية الفرنج فى الاستيلاء على أنطاكية سنة ٤٩٠ هـ ـ ١٠٩٧ م (١٨) ، وأسهم البنادقة بعد ذلك بعامين فى استيلاء اللاتين على بيت المقدس ، وكان هدف هذه الجاليات الأول والاخير هو الربح والكسب المادى ولم يكن يعنيها الباعث الدينى الا بالقدر الذى يحقق مصالحها · ويكفى أن نعرف أن شعار البنادقة الذين عرفوا به وقتذاك كان « لنكن أولا بنادقة ، ثم لنكن بعد ذلك مسيحيين » (١٩) ·

ثالثا : الدافع الدينى :

اعتبر الدافع الدينى هو الدافع الأساسى لهذه الحروب لتخليص وانقاذ قبر المسيح وانقاذ الأراضى المقدسة من قبضة المسلمين (٢٠) · · ·

وكان لمسألة الحج الى بيت المقدس أثرها الواضح في اثارة الغرب المسيحي ودفعه للاشتراك في تلك الحروب المقدسة (٢١) • وقام الحج الى بيت المقدس بدور كبير في حياة مسيحيي الغرب منذ أزمان بعيدة ولم يقف بعد المسافة بين الأقطار وبين بيت المقدس حائلا دون القيام به ، بل كلما زادت الشقة بعدا أمام الحاج ، وكلما زاد الطريق مشقة زادت النفس اطمئنانا الى غفران الخطايا ومحو الآثام ، ولم يتوقف الحج عند فترة معينة من التاريخ بل استمر متواصلا طيلة العصـــور المختلفة ، واشتدت حركته عقب تشييد كنيسة القيـامة «٢٢) • وفي أواخر القرن العاشر الميلادى اعتقد المسيحيون ان العصر الألفي قد أزف وان المسيح سيظهر للمؤمنين وبهذا الاعتقاد شرعت الجموع الغفيرة تتدفق على الأرض المقدسة من العالم اللاتيني (٢٣) • عندئذ لم تقف رغبة الحجاج عند الزيارة فحسب بل أراد بعضهم البقاء بفلسطين حتى يوافيه الأجل واستولت على الناس صوفية عميقة (٢٤) •

ب - وقد مر بنا كيف شهدت بداية القرن الخامس الهجرى في عهد الخليفة الفاطمي الحاكم بأمر الله اضطهادا شديدا للمسيحيين ، وهدما لكنائسهم وعلى رأسها كنيسة القيامة نفسها • ولكن بوفاة الحاكم بأمر الله عادت الأحوال طبيعية كما كانت من قبل وأعيد بناء كنيسة القيامة (٢٥) • ولم يكن ذلك التشدد ضد المسيحيين من طبيعة الاسلام التي تدعو للتسامح والمعايشة الدينية •

وكان الحج نادرا ما يحاط بالمخاطرة بالحياة ، فيما عدا تقلبات الجو في جبال الأناضول • فقد كان الطريق مؤمنا بالعساكر ، ومزودا بالطعام والماء • وكان الحجاج يلقون حسن الاستقبال من سلطات بيت المقدس الأرثوذكسية المحلية ، وان كان هناك بعض الصـــعوبات في بعض الأوقات ، فعندما بدأ النورمان بمهـــاجمة

الممتلكات البيزنطية فى جنوب ايطاليا ، عومل الحجاج النورمان بفتور شديد من الموظفين الامبراطوريين (٢٦) .

ولم تقتصر سـوء المعاملة للمسيحيين الغربيين على الجانب الاسـلامى فقط ، بل نعدنه الى الجانب البيزنطي . فقد تعرض الحجاج بايعاز من الامبراطور البيزنطي ، للحرمان من الدخول الى القبر المقدس . فقد طلب الامبراطور باسـيل الثانى (٩٧٦ ـ ١٠٢٥ م) من موظفيه فرض ضريبة على الحجاج وخيولهم . وتابعت الامبراطورة (ثيودورا) (١٠٥٤ ـ ١٠٥٦ م) سياسة أبيها ، ولذلك طلب البابا (فكتوز الثانى) من الامبراطورة ان تلغي هذا الأمر ، وتقدم اليها بشكوى من الضرائب التى تجبى عند القبر المقدس بحجة الافادة منها فى تجديد كنيسة القيامة (٢٧) .

بدأ الحجاج يلاقون تلك المضايقات فى الوقت الذى زاد فيه تعلقهم بالحج وساد بينهم الاعتقاد بأن اكتمال الغفران لا يتم الا بعد تكرار الحج الى الأراضى المقدسـة (٢٨) . ولكن ماذا كان موقف الأتراك السلاجقة من الحجاج بعد استيلائهم على بعض بلاد الشام وفلسطين ؟ .

لم يتعرض حكام بيت المقدس الأول ـ أتسز (٢٩) وأرتق ـ للحجاج ، فقد كان الحج موردا مهما من موارد الدخل . ولكن بزوال النفوذ الفاطمى عن فلسطين بدأت تظهر عدة امارات صغيرة فتفانى كل أمير فى تحصيل الرسوم من الحجاج (٣٠) .

وعندما توفى أرتق سـنة ٤٨٤ هـ ـ ١٠٩١ م خالف أولاده سياسته الحكيمة ، اذ أبعدوا عددا من القسس من بيت المقدس ، خوفا من أن يساعد المسيحيون الفاطميين فى استرجاع نفوذهم على بيت المقدس . وحدث هذا فى وقت غير مناسب شهد الحماس الدينى

المتدفق عند الحجاج كما أن دعاة الحروب الصليبية في أواخر القرن الحادى عشر الميلادى قد دأبوا على الدعاية لحركاتهم في غرب أوربا عن طريق المناداة بسوء أوضاع المسيحيين في آسيا الصغرى تحت حكم السلاجقة (٣١) ٠

ولكن مهما بلغت تلك المضايقات فلن تصل الى حد مبالغات النصارى زوار بيت المقدس الذين أخذوا يهولون الأمر في أوربا ويصفون المسلمين بالتعصب واضطهاد المسيحيين وانتهاك حرمة أماكنهم المقدسة (٣٢) وخير مثال على ذلك ما قام به بطرس الناسك بعد أدائه فريضة الحج في بيت المقدس من التوجه الى روما ليستعين بالبابا (أربان الثانى) الذى أذن له بدعوة النصارى الى انقاذ الأماكن المقدسة ، فصار يجوب مدن ايطاليا وفرنسا ، ويلقى الخطب النارية ممزوجة بالبكاء والعويل فأثرت فصاحته التمثيلية الخيالية في قلوب الجموع ، وعده الناس نبيا (٣٣) ٠ والحقيقة أن الحرية التى مكنت بطرس الناسك من الذهاب الى بيت المقدس ، ورجوعه سالما الى وطنه بدون أذى ، كل ذلك يخفف من تلك الادعاءات التى أخذ يروجها في مدن أوربا ، وبخاصة في فرنسا ، لاثارة الحروب الصليبية (٣٤) ٠

والحقيقة أن الظروف السياسية المضطربة في بلاد الشام في القرن الخامس الهجرى هى المسئولة عن المتاعب التى لاقاها المسيحيون حجاج بيت المقدس ٠ ولقد كانت هذه المضايقات منفذا لدعاة الحرب الأوربيين ليحشدوا الجيوش ويتوجهوا بها الى الشرق لتحقيق مطامعهم الأخرى المستترة وراء الدين ٠

استنجاد الامبراطور الكسيوس كومنين (١٠٨١ ـ ١١١٨ م) بالبابا أربان الثانى ضد السلاجقة :

لم يكن هذا الاستنجاد فى الحقيقة الأول من نوعه بل سبقه استنجاد الامبراطور (ميخائيل السابع) بالبابا (جريجورى السابع) عقب موقعة (مانزيكرت) السالفة الذكر (٣٥) • فالمعروف أن شن الحرب على الترك كان من الأغراض التى تنطوى عليها الدعوة البيزنطية ، فالأناضول يعتبر أكثر أهمية من بيت المقدس عند الدولة البيزنطية (٣٦) • ولذلك لما أصبحت عاصمة البيزنطيين مهددة من قبل السلاجقة كان لزاما على الامبراطور أن يستنجد بالغرب فى مقابل اتحاد الكنيستين الشرقية والغربية • وقد أرسل البابا جريجورى السابع الى الامبراطور ميخائيل السابع ردا مرضيا ، بدافع العاطفة المسيحية من جهة ، وبدافع سياسى من جهة أخرى • فما يحشده من جيش سوف يقضى على الانشقاق بين الكنيستين ويزيد من نفوذ البابوية فى الشرق مثلما زاد فى الغرب • غير أن الحرب التى نشبت بين جريجورى السابع والامبراطور (هنرى الرابع) منعته من المضى فى مشروعه (٣٧) •

ولما خلف الامبراطور (الكسيوس كومنين) الامبراطور ميخائيل السابع « بعث برسلة الى البابا أربان الثانى والى كبار رجال الاقطاع (سنة ٤٨٧ هـ ـ ١٠٩٤ م) يدعوهم لارسال المساعدات لنجدة اخوانهم فى الشرق وحماية القسطنطينية ضد الخطر السلجوقى » (٣٨) •

ولقد كان (الكسيوس) يرغب فى أن يبعث له الغرب ببعض الجند المرتزقة • ولكن البابا أربان لم يشأ أن يجعل نفسه فى خدمة الدولة البيزنطية ، بل أراد أن تتولى البابوية تقديم المساعدة للمسيحيين فى الشرق • وهذا التغيير فى الفكرة يؤدى الى أن يحشد العالم المسيحى اللاتينى جيشا ضخما ، لا أن يبعث بجنود مرتزقة تخضع لأهواء الأمراء • وأثار هذا الاختلاف فى التفكير من المتاعب منذ البداية ما أساء العلاقات بين البيزنطيين والصليبيين •

والثابت تاريخيا أن المسئول الأول عن قيام الحركة الصليبية هو البابا أربان الثاني ، فهو الذى أنذر بقيام تلك الحروب (٣٩) ، يؤيده في دعواه الجهاز الكنسي في الغرب « وينسب اليه جميع المؤرخين اللاتين المعاصرين له ، الدور الرئيسى فى تحقيق هذه الفكرة » (٤٠) . فالمعروف أن البابا أربان الثانى ، هو أول من بشر للحرب الصليبية في مجمع كلير مونت الذى انعقد في ٢٧ نوفمبر سنة ١٠٩٥ م (٤١) (٣٨٨ هـ) ومن أهم القرارات التى صدرت في هذا المؤتمر والتى تتعلق بالحروب الصليبية ، القرار الذى يتعلق بهدنة الله ـ السابق الاشارة اليها ـ والذى يعتبر اقرارا من البابا لحركة السلام ، هذا السلام الذى سوف يجعل الناس يقبلون على الاشتراك في الحملة الصليبية ، التى تنقلهم الى جهات بعيدة فترة طويلة من الزمن . أما القرار الثانى فهو الوعد بغفران الذنوب لكل من ينهض لاستخلاص كنيسة الله فى بيت المقدس (٤٢) . فقد أخبر البابا أربان الناس ، انه حث على الحرب لتخليص الكنائس الشرقية « ومدينة المسيح المقدسة التى أصبحت مشهورة بفضل معاناة المسيح وبعثه » . كما أخبرهم ان الذهاب للصلاة فى القبر المقدس يعد من أفضل الرحلات المقدسة للمسيحيين (٤٣) . وهنا يذكر (روسيه Rousset أن الحروب الصليبية هى نتيجة خلق انسان ونتيجة ارادة حرة ، فقد استطاع أربان الثانى أن يبتدع مشروعا جديدا يناسب الاستعدادات الداخلية لمجتمعه (٤٤) . وبذلك افتتح البابا أربان الثانى فى هذا المؤتمر ، عصر التوسع الصليبى ضد العالم العربى الاسلامى » (٤٥) .

وهكذا تدفق المسيحيون من كل صوب للاشتراك فى الحملة الصليبية الأولى التى اصطبغت بصبغة دينية واضحة ، الا وهى الحج الى بيت المقدس وتخليصه من أيدى المسلمين .

وعلى ذلك فقد جاء توقيت بدء الحروب الصليبية مناسبا جدا ، ففي الوقت الذى تطلع فيه الأوربيون الى مد أطماعهم الى بلاد جديدة يستنجد بهم البيزنطيون ضـــد أعدائهم الألداء السلاجقة ، الذين أصـــبحوا بسبب منازعاتهم الداخلية والخارجية مشتتى الأهواء متفرقى الكلمة ، لذلك سارع الأوربيون بالتوجه الى بلاد الشام فى حملة كبيرة مستترين وراء هدف دينى مقدس ، وهو تخليص الأرض المقدسة من المسلمين ، وهذه الحملة هى التى تعرف فى التاريخ باسم الحملة الصليبية الأولى ، لأنها كانت بداية لسلسلة من الحملات التى وجهها الغرب ضد الشرق ، وعند سماع خطبة البابا صـــاح الجميع « هذه ارادة الله » (٤٦) ووضعوا شارة الصليب ، ومن ثم كانت الحركة التى عرفت باسم (الحركة الصليبية) (٤٧) ٠

الحملة الصليبية الأولى على بلاد الشـــام :

شهدت التسعينات من القرن الخامس الهجرى (الحادى عشر الميلادى) بداية الزحف الصليبى على بلاد الشام وتوطيد نفوذه فى بعض المنــاطق ثم تكوين بعض الامارات اللاتينيــة المهمة في بلاد الشــام ٠

ولما كانت هذه السنوات العشر هى القاعدة الأولى لسلسلة الحروب الصليبيــة بعــد ذلك ، فلذا رأينــا أن نبحثها بشيء من التفصيل ، فنتناول بالدراسة ، سيطرة الحملة الصليبية الأولى على بعض بلدان الشام المهمة ، وموقف القوى المحلية فى بلاد الشام من الزحف الصليبى ، وموقف الخلافة الاسلامية بفروعها الثلاثة من الصليبيين ، وموقف كل من البيزنطيين والقبارصة من الجملة ٠

استيلاء الصليبيين على بلاد الشـام :

كانت بداية خروج الصليبيين من بلاد الروم الى بلاد الشام فى سنة ٤٩٠ هـ سنة ١٠٩٧ م وكانوا فى أعداد ضخمة مما أقلق أهالى الشام (٤٨) وعندما سمع الأمير ياغى سبان حاكم أنطاكيـة بوصولهم الى بلاد الشـام وعرف أن بلده أنطاكية سـتكون هدفا لضرباتهم الأولى أرسل ابنه شمس الملوك الى الملك دقاق بدمشق والى جناح الدولة بحمص والى سائر البلاد الاسلامية يستنجد بهم ضد الفرنج (٤٩) فنزل الفرنج أولا على بغراس ، وأغاروا على أعمال أنطاكية واستنجد بهم نصـارى أرتاح لسـوء سيرة باغى سيان فيهم (٥٠) . ثم وصل الفرنج الى البارة بقيادة ريموند وقتل جميع من وجدوهـم بها من المسلمين والمسـلمات غير مفرقين بين صغير وكبير ، ولما تم له امتلاكها أرجعها الى النصرانية (٥١) . كذلك استولوا على جبل السماق وأفامية وكفر طاب ثم عادوا وشددوا الحصـار على أنطاكيـة وقتلوا كثيرا من النـاس وسبوا النسـاء والصبيان (٥٢) ، ونتج عن شدة الحصار أن « أكل الناس الخيل والفطس والحمير والقطاط من شدة الجوع » (٥٣) واستمر حصار الفرنج لأنطاكية حوالى تسعة أشهر (٥٤) . فهلك أكثر أهلها .

وظهرت فى ذلك الوقت شجاعة أميرها ياغى سيان (٥٥) . وبعد حصار طويل لأنطاكية استطاع الفرنج أن يتفقوا مع أحـد الحراس (٥٦) على بعض الأبراج، واغدقوا عليه الأموال والاقطاعات ففتح لهم أحد الأبواب فدخلوا البـلدة فى جمادى الأولى سـنة ٤٩١ هـ ١٠٩٨ م (٥٧) . فأسرع ياغى سيان الى الفرار بعد استيلاء الفرنج على المدينة « ولو ثبت ساعة لهلكوا » (٥٨) وسرعان ما ندم على فراره ، وسقط عن فرسه مغشيا عليه فمر به رجل حطاب أرمنى فقتله وحمل رأسه الى الفرنج (٥٩) . وبعد استيلاء الفرنج على

أنطاكيـة ، أعملوا فيها القتـل والأسر وسـبوا كثيرا من الرجال والنسـاء والأطفـال (٦٠) فى حين يذكر لنا (صاحب الجستا) ما يناقض ذلك فقد بين لنا « أن جزءا من الأهالى أعتنق المسيحية وسمح له بالبقـاء فيها فى حين أذن لمن لم يعتنقهـا بالخروج سالمين » (٦١) • ولكننا نشك فى خروج هذا الجزء من الأهالى دون أن يلحقهم أذى •

أقام الفرنـج بأنطاكيـة ثلاثـة عشر يوما فى فرح وسرور لاستيلائهم على المدينة ، فأولوا الولائم وصرفوا أوقاتهم فى الملذات • ثم تبادر الى أسماعهم قدوم نجدة اسلامية بقيادة كربوغا أمير الموصل ومعه دقاق بن تتش وطغتكين اتابك وجناح الدولة صاحب حمص وأرسلان تاش صاحب سنجار وسقمان بن أرتق وغيرهم من الأمراء المسلمين وجمعوا من كان هنـاك من الترك والعرب وتقـدموا الى أنطاكية وحاصروهـا •

هنا حاول الفرنجه أن يتفاهموا مع كربوغا فاستخدموا معه أولا أسـلوب اللين وأرسلوا له كتابا نقله لنا (الجستا) (٦٢) يطلبون منه العودة بكل ما يملك دون التعرض له • فما كان منه الا أن رد عليهم بكتاب شديد اللهجة يدعوهم فيه الى التترك وسرعة مغادرة البلاد فى مقابل عدم التعرض لهم ولا لشىء من ممتلكاتهم ، وهددهم ان أبوا بملاقاة الموت على يديه أو نقلهم كأسرى الى خراسان حيث يصبحون عبيدا الى الأبد (٦٣) •

وهنا حدثت رواية الحربة المقدسة ، حيث أخبر أحد الرهبان الفرنج ، أن الحربة التى طعن بها السيد المسيح مدفونة فى كنيسة القيسـان بأنطاكيـة وأنهم اذا وجدوهـا فسـوف ينتصرون على المسلمين • وأمرهم بالصوم ثلاثة أيام وفى اليوم الرابع دخلوا الى

الكنيسة وحفروا فى أجزاء مختلفة منها فوجدوا الحربة . وفى اليوم الخامس خرجوا الى باب أنطاكية فى جماعات صغيرة فأشار المسلمون على كربوغا بمحاربتهم متفرقين ، فرفض وطلب منهم أن ينتظروا حتى يخرجوا جميعا ثم يهاجمهم . فلما اجتمع الفرنج هاجمهم المسلمون فانهزموا بسبب اهانة كربوغا لهم والاستهانة برأيهم (٦٤) .

وبعد هزيمة المسلمين فى أنطاكية تقدم الفرنج الى معرة النعمان فاستولوا عليها بعد عناء كبير ، بمساعدة الأرمن والنصارى الذين تحت طاعتهم (٦٥) . ثم دخلوا البلدة وقتلوا كثيرا من الأهالى (٦٦) يزيد عددهم على مائة ألف انسان ، وسبوا الكثير ، وأقاموا بالمعرة أربعين يوما ثم تقدموا الى عرقة فلم ينجحوا فى فتحها . وراسلهم صاحب شيزر وعقد معهم صلحا ، ثم تقدموا الى حمص وحاصروها فصالحهم صاحبها جناح الدولة (٦٧) ، كما صالحهم أمير حماه وطرابلس (٦٨) . ثم استولى الفرنج على ميناء طرطوسة - بين طرابلس واللاذقية - وكان حاكمها تابعا لأمير طرابلس فهرب هو ورجاله فى الليل عن طريق البحر . وباستيلاء الصليبيين على ميناء طرطوسه فتح الطريق البحرى الى أنطاكية وقبرص وأوربا (٦٩) .

وفى جمادى الأولى سنة ٤٩٢ هـ سنة ١٠٩٩ م استولى الفرنج على الرملة (٧٠) . بعد أن هربت حاميتها الصغيرة التى كانت بعيدة عن مساعدة الأسطول المصرى ، وقد حطم أهالى الرملة قبل خروجهم منها كنيسة « سان جورج » (٧١) .

وفى شعبان من نفس السنة استولى الفرنج على بيت المقدس الذى كان هدفهم الأساسى . والمعروف أن القدس - كما سبق أن ذكرنا - كانت لتاج الدولة تتش فأقطعه للأمير سقمان بن أرتق

التركماني ، فلما ظفر الفرنج بالأتراك في الشمال ولمس الفاطميون ضعف الأتراك ، لم يسرعوا لنجدة أشقائهم المسلمين بل فضلوا أن يبحثوا عن كسب جديد متناسين أن في ذلك خطرا كبيرا عليهم جميعا • فزحف جيش فاطمى الى بيت المقدس بقيادة الأفضل ابن بدر الجمالى فحاصروا المدينة وكان بها الأمير سقمان وايلغازى أبنا أرتق ، واستمر حصار بيت المقدس أكثر من أربعين يوما وأخيرا استولوا على المدينة في شعبان سنة ٤٨٩ هـ - ١٠٩٦ م وولى القاطميون نائبا عنهم هو افتخار الدولة ، فأقام بالمدينة الى أن قدمها الفرنج (٧٢) •

في رجب سنة ٤٩٢ هـ - ١٠٩٩ م توجه الفرنج الى بيت المقدس (٧٣) ، بعد أن استولوا على معظم بلاد الشام ولم يبق من المدن المهمة غير دمشق (٧٤) • فحاصرها الفرنج حوالى أربعين يوما ، وقد استبسل حاكمها وحاميتها في الدفاع عنها (٧٥) ، هذا الى جانب ما قاساه الفرنج من قلة في المؤن والمياه الى جانب حرارة الجو (٧٦) • وتنازع الأمراء فيما بينهم ورجوع بعضهم الى أوربا (٧٧) . ولم تلبث الأخبار أن وردت الى الفرنج بوصول ست سفن مسيحية الى ميناء يافا حاملة المؤن والذخيرة والملابس وغير ذلك مما رفع من روحهم المعنوية (٧٨) • فأقاموا برجين مطلين على سور المدينة أحدهما بباب صهيون والآخر بباب العمود وهو برج الزاوية ، فأحرق المسلمون البرج الأول وقتلوا من فيه • أما الآخر فقد وصله الفرنج بالسور مما أدى الى تحكمهم في المدينة فرموها بالمجانيق والسهام ، فانهزم المسلمون وهرب الناس الى قبة الصخرة والمسجد الأقصى واجتمعوا بها ظنا منهم أن الفرنج سيحترمون حرمة هذه الأماكن المقدسة ، لكنهم هجموا على المسلمين وقتلوا الشيوخ والعجائز وسبوا النساء ونهبوا الأماكن المقدسة (٧٩) • وهكذا تم

استيلاء الفرنج على بيت المقدس فى الثالث والعشرين من شعبان سنة ٤٩٢ هـ ١٥ مايو ١٠٩٩ م (٨٠) ·

وبعد أن تم استيلاء الصليبيين على بيت المقدس قرر الأهالى مغادرة المدينة ، اذ انعقد مجلس مشورة الصليبيين ، أو ديوان المشورة العسكرى ، وقرر ابادة باقى المسلمين واليهود وخوارج النصارى (٨١) · وعندما حاول المسلمون الباقون (٨٢) الخروج بعد أن أخذوا لأنفسهم الأمان على أن يدفعوا فدية كبيرة ، فوجئوا بمعاودة الصليبين الفتك بهم فاضطروا الى أن يلقوا بأنفسهم من أعلى الأبراج والمنازل · أما الذين لم يستطيعوا الفرار فقد أحرق البعض منهم وهم أحياء ووضع بعضهم فوق أكداس الجثث حيث شرع الصليبيون يمثلون بهم أشنع تمثيل (٨٣) ·

وقد كشف المغيرون الصليبيون عن تعصبهم وحقدهم على الاسلام والعروبة فى موقفهم من بيوت الله ، عندما حولوا قبة الصخرة الى كنيسة لاتينية سموها « معبد السيد » كما استخدموا المسجد الأقصى لمصالحهم ، وأطلقوا عليه اسم « معبد سليمان » وقسموه الى ثلاثة أقسام ، فجعلوا القسم الأول كنيسة والثانى مسكنا للفرسان والقسم الأخير مستودعا لذخائرهم ، ثم اتخذوا بعد ذلك السراديب التى تحت المسجد اسطبلا لحيواناتهم (٨٤) ·

ويعلق مكسيموس مونروند » على أعمال الصليبيين الوحشية فيقول : « ان أعمالهم هذه هدمت شريعة الحكم والوداعة فى تعاليم الانجيل المقدس ، فلقد شابهوا الأمم الغربية الأولين الذين كانوا بلا ديانة حقيقية · لقد كنا نتمنى أن نغسل بدموعنا هذا الدم الذى أغرق به الصليبيون أراضى المدينة المقدسة التى ما سفك بها المسيح دمه الا لأجل خلاص العالم » (٨٥) ·

أما وليم الصورى فقد وصم الصليبيين بأنهم « من السفهاء الفاسدين والملاحدة الفاسقين » ثم قال : « تلك هى رذائلهم الوحشية التى لو أراد كاتب أن يصفها لخرج من طور المؤرخ ليدخل فى طور القادح الهاجى » (٨٦) .

وبعد تكوين مملكة بيت المقدس وتتويج بلدوين الأول عليها، وضع خطة استهدفت ضم جميع موانى شاطىء فلسطين المواجه لمملكته ، وذلك لتأمين طريق الحجاج من ناحية ولتنشيط التجارة مع الغرب من ناحية أخرى ، مما يوفر للمملكة الصليبية كثيرا من أسباب القوة (٨٧) . لذلك نجد الصليبيين يستولون فى سنة ٤٩٤ هـ ـ (١١٠١ م) على عدة مدن مطلة على البحر المتوسط ، استولوا على معظمها بالسيف ، مثل حيفا (٨٨) ، وقيسارية (٨٩) ، وسروج (٩٠) ، وجبلة (٩١) ، وبعضها بالأمان مثل أرسوف (٩٢) بينما استعصى عليهم فتح عكا التى قتل امامها (جود فروا دى بوايون) صاحب بيت المقدس (٩٣) وكانت هذه المدن تابعة للخلافة الفاطمية فى مصر ، سواء فعليا أو اسميا ، وسوف نتناول موقف الفاطميين من الصليبيين فى الفصل القادم .

وفى سنة ٤٩٥ هـ ـ (١١٠٢ م) توجه صاحب أنطاكية الى حمص فحاصرها فبذل له أهلها مالا كثيرا ، فرحل عنهم ، وتسلم البلد السلطان دقاق السلجوقى (٩٤) .

وفى نفس السنة حاصر صنجيل الفرنجى طرابلس ، وأعانه أهل الجبل وأهل السواد على حصارها ، وأكثرهم من النصارى ، فقاتل أهلها أشد قتال ، فقتل من الفرنج ثلاثمائة ثم هادنهم صنجيل على مال وخيل ، ورحل عنهم الى مدينة انطرسوس ، وهى من أعمال طرابلس ، ففتحها وقتل من بها من المسلمين ثم توجه الى حصن الطوبان ، وهو قرب رفنية ، فانتصر عليه أهل الحصن وأسروا فارسا

من أكابر فرسانه ، فبذل صنجيل في فدائه عشرة آلاف دينار وألف أسير ، فلم يجبه مقدم الحصن الى ذلك (٩٥) .

وفي سنة ٤٩٥ هـ (١١٠٢ م) أيضا توجه الفرنج الى بيروت وعكا فلم يستطيعوا فتحهما (٩٦) ولكنهم فتحوا جبيل بالأمان (٩٧) . ثم أعادوا تشديد الحصار على عكا فسقطت في أيديهم وقتل من بها من المسلمين (٩٨) .

وفي العام التالي سنة ٤٩٦ هـ (١١٠٣ م) فتح الفرنج حصن سرفوت بالأمان وحاولوا الاستيلاء على كفرلاتا (٩٩) ، فهزمهم بنو عليم فعادوا الى سرفوت (١٠٠) . وفي رجب سنة ٤٩٧هـ (١١٠٤م) وصل عدد من السفن من بلاد الفرنج الى ميناء اللاذقية ، وكانت تزخر بأعداد كبيرة من التجار والجنود والحجاج ، فاستعان بهم صنجيل الفرنجي في محاصرة طرابلس برا وبحرا ، ولكنه لم يستطع فتحها (١٠١) . وتحول بمن معه من الجند الى ثغر جبيل فقاتلوه قتالا شديدا . فلما رأى أهله عجزهم عن صد الفرنج أخذوا منهم أمانا وسلموا البلدة اليهم . ولكن الفرنج غدروا بالأهالي وصادروا ممتلكاتهم وأنزلوا بهم العقوبات (١٠٢) .

أراد بلدوين ، ملك بيت المقدس ، أن يسهل اتصال مملكته بأوربا ، لذلك عزم على الاستيلاء على مدينة عكا ، وتم الاتفاق بينه وبين بعض الجنود الجنويين على حصارها ، على أن يكون للجنويين ثلث الغنائم ، فحاصرها بجيشه برا وبجيش الجنويين بحرا وذلك سنة ٤٩٧ هـ (١١٤٠ م) (١٠٣) . وكان والى عكا من قبل الفاطميين اسمه (بنا) ويعرف بزهر الدولة الجيوشي نسبة الى أمير الجيوش الأفضل ، فقاتلهم أشد قتال ولكنه عجز عن الدفاع عن البلدة (١٠٤) . فما كان منه الا أن طلب الأمان لنفسه وللمسلمين

الذين بها فلم يجيبوه (١٠٥) • واستولوا على البلدة بالسيف ، ونكلوا بأهلها (١٠٦) ، وبذلك تم استيلاء الفرنج على عكا فى شعبان (١٠٧) أو رمضان (١٠٨) سنة ٤٩٧ هـ (١١٠٤ م) • حدث كل ذلك والحكام المسلمون اذ ذاك مشتغلون بقتال بعضهم بعضا (١٠٩) • وبعد أنَ استولى الصليبيون على عكا بدأوا فى تعمير مدن الساحل (١١٠) •

وفى شعبان سنة ٤٩٨ هـ (١١٠٥ م) استولى الفرنج على حصن أرتاح وكان به نائب الملك رضوان صاحب حلب (١١١) • وفى العام التالى سنة ٤٩٩ هـ ـ (١١٠٦ م) استولوا على سرمين (١١٢) • كما استولوا على حصن أفامية ، بعد أن استغاث بهم أحد أبناء ابن ملاعب واليها السابق الذى قتله الباطنية (١١٣) • وفى هذه السنة أيضا سنة ٤٩٩ هـ (١١٠٦ م) هدم ابن عمار حصن صنجيل ، الذى كان قد بناه بالقرب من طرابلس ليستطيع الاستيلاء عليها • فخرج القاضى ابن عمار صاحب طرابلس الى الحصن وهاجمه على حين غرة وقتل من فيه وانتهبه ، وغنم كثيرا من المال والسلاح والمتاع ، ثم هدم الحصن وعاد الى طرابلس • فلما رأى صنجيل ما حدث بالحصن حزن ومات كمدا (١١٤) •

والواقع أننا نتفق مع المؤرخ (جب Bibb) فى رأيه الذى يذكر فيه أن تعقيد الوضع السياسى فى سوريا فى نهاية القرن الحادى عشر الميلادى وخلال السنوات الأولى من القرن الثانى عشر، هذا التعقيد الذى كان مطبوعا بطابع الفوضى ، كان العامل الأول المهم فى تاريخ الحروب الصليبية • ليس فقط لانه جعل مهمة الغزاة أقل مهابة مما لو كانوا قاموا بها من بضع سنوات سابقة ولكنها ساعدت مساعدة جدية فى الحصول على مساعدات الأمراء السوريين لتأسيس الامارات الصليبية (١١٥) •

وخلاصة القول أن الفرنج استطاعوا أن يبسطوا نفوذهم في التسعينات من القرن الخامس الهجري ، (الحادى عشر الميلادى) على معظم بلاد الشام ، وذلك راجع في الحقيقة الى التطاحن بين القوى الاسلامية داخل بلاد الشام وخارجها فى ذلك الحين ، كما يرجع الى مساعدة بعض العناصر للصليبيين ، ولذلك سنفرد الفصل القادم لدراسة موقف العناصر المختلفة فى بلاد الشام من الصليبيين وأثر ذلك في تيسير سيطرتهم على البلاد ٠

موقف القوى المختلفة من الغزو الصليبى لبلاد الشام :

رأينا فى الفصل السابق كيف نجح الصليبيون فى وقت قصير فى أن يبسطوا نفوذهم على جزء كبير من بلاد الشام ٠ ولمعرفة عوامل سيطرتهم على البلاد في سهولة وفى وقت وجيز ، سنبحث بعض النقاط منها ٠

أولا : موقف البيزنطيين والقبارصة باعتبارهما أقرب القوى غير الاسلامية من بلاد الشام ٠

ثانيا : موقف العناصر الموجودة فى بلاد الشام سواء أكانوا من المسيحيين أو اليهود أو أمراء المدن المسلمين أو السلاجقة ٠

ثالثا : موقف دول الخلافة الاسلامية الثلاث ، (الخلافة العباسية فى العراق ، والخلافة الفاطمية فى مصر والخلافة الأموية في الأندلس) من الغزو الصليبى لبلاد الشام ٠

أما عن موقف البيزنطيين من الغزو الصليبى فقد رأينا فيما سبق كيف أدى الضغط السلجوقى على البيزنطيين الى استنجاد

الامبراطور الكسيوس كومنين بالبابا أربان الثانى ، فوجد الأخير في ذلك فرصة لتوحيد الكنيستين الشرقية والغربية تحت زعامة البابا في روما ·

ولكن رغم أن قيام الحملات الصليبية الى الشرق كان أثر ذلك الاستنجاد السابق الاشارة اليه ، فان البيزنطيين لم يكونوا يهدفون الى غزو أورشليم وتخليص كنيسة القيامة بقدر ما هدفوا الى استرداد الأملاك التى اقتطعها من دولتهم الأتراك السلاجقة وخصوصا أمارة أنطاكية (١١٦) · بل أن قدوم الصليبيين بتلك الحملات المنظمة زاد فى العداء بين الشرق البيزنطي والغرب اللاتينى · فعندما ظهرت الحملة الصليبية الأولى أمام أسوار القسطنطينية ١٠٩٦ م انزعج الامبراطور الكسيوس الذى لم يطلب من الغرب أية مساعدة الا قوات مرتزقة (١١٧) . وكان بين قادة الحملة الصليبية الأولى بوهيموند النورمانى عدو الامبراطور القديم، مما أدى الى تخوف الامبراطور منه ، ولكن بعد فترة تم الاتفاق بينهما (١١٨) · وكان مسلك الصليبيين يتميز بالفظاظة والجشع ، وفي الوقت نفسه كان الامبراطور أضعف من أن يتخلص منهم ، لذا حاول استعمال الشدة والدبلوماسية فى آن واحد أن يستفيد منهم (١١٩) · فعندما وصل الصليبيون الى القسطنطينية وأرادوا أن يعبروا منها الى بلاد المسلمين منعهم الامبراطور قائلا : « لا أمكنكم من العبور الى بلاد الاسلام حتى تحلفوا لى أنكم تسلمون الى أنطاكية » (١٢٠) ·

وفى مايو سنة ١٠٩٧ م (٤٩٠ هـ) عقدت اتفاقية بالقسطنطينية بين الكسيوس وزعماء الفرنج ، نصت على شروط خاصة تعهد بها الطرفان · فقد تعهد الصليبيون بأن يعيدوا الى حظيرة الامبراطورية الأراضى والأقاليم التى كانت تابعة لها فيما مضى ، وذلك بعد تخليصها من قبضة السلاجقة ، كما تعهدوا بأن

يقسموا للامبراطور يمين التبعية والاخلاص ، وأن يصبحوا أتباعا له وجندا مرتزقة فى خدمته • أما الكسيوس فقد تعهد فى مقابل ذلك بمساعدة الصليبيين والمحافظة على سلامتهم خلال مرورهم عبر أراضي دولتهم • كما وعدهم بأن ييسر لهم الحصول على الامدادات والمؤن وأن يضع تحت تصرف زعماء الفرنج ، فرقة من الجيش البيزنطى (١٢١) وبالفعل كان الامبراطور البيزنطى غاية فى الكرم الظاهرى فأمد الصليبيين بالامدادات الكافية، وأمدهم بآلات ومعدات الحصار الى جانب مدهم بالمهندسين البيزنطيين (١٢٢) •

وتنفيذا للمعاهدة سلم الصليبيون نيقية للامبراطور بعد فتحها (١٢٣) • وقد تمكن الامبراطور الكسيوس بعد تسلمه نيقية من اعادة غزو جزء كبير من سواحل آسيا الصغرى ، مثل أزميروافسوس وغيرها (١٢٤) •

وبالرغم من أن الامبراطور البيزنطى أمد الصليبيين بالكثير من آلات ومعدات الحصار وهم محاصرون لأنطاكية (١٢٥) • فانه بعد استيلائهم عليها سنة ١٠٩٨ م (٤٩١ هـ) أعطيت (لبوهيموند النورمانى) بالرغم من وعودهم السابقة للامبراطور ، فأسس فيها بوهيموند احدى الامارات الصليبية الأربع (١٢٦) • وفى نفس الوقت رفضوا انتظار الامبراطور ليشترك معهم فى تقدمهم الى أورشليم مما أدى الى اشتداد الخلاف بين الطرفين (١٢٧) .

وقد استمر ذلك الخلاف فيما بعد فى عهد خلفاء الامبراطور الكسيوس ، أثناء القرن الثانى عشر الميلادى ، الذين حاولوا فرض السيادة البيزنطية على مختلف الامارات اللاتينية فى بلاد الشام • وكان لهذه السياسة التى اتبعها البيزنطيون آثارها على تاريخ الصليبيين ومركزهم فى الشرق (١٢٨) •

أما موقف جزيرة قبرص من الغزو الصليبي ، فلم تكن هذه الجزيرة خلال الفترات التى حكمها العرب فيها مقطوعة الصلة تماما عن الدولة البيزنطية ، بل ظلت علاقاتها بالقسطنطينية متصلة . ولكن النفوذ البيزنطي كما هو الحال مع النفوذ الاسلامي ، كان متفاوتا متغيرا تبعا للظروف ، وبقيت قبرص فى الغالب مناصفة بين العرب والبيزنطيين (١٢٩) .

ولقد برز دور قبرص أثناء الحروب الصليبية ، فقد كانت أولا مركزا للصراع الذى قام بين الامبراطور الكسيوس وبوهيموند النورماني الذى استولى على أنطاكية ولم يردها للإمبراطور وفقا للمعاهدة المعقودة بين الطرفين . فقد جعلها الامبراطور قاعدة لقواته التى أعدها لمحاربة بوهيموند ، وكان حاكم قبرص من قبل الامبراطور رجلا قوى المراس اسمه فيلوكاليس ، فقام ذلك الحاكم من قبرص على رأس قوة لدفع بوهيموند عن اللاذقية ـ سنة ١٠٩٩م (٤٩٢ هـ) ومازال به حتى أرجعه الى إمارته بأنطاكية (١٣٠) .

كذلك كانت قبرص مركز تموين للمحاربين من الصليبيين بعد أن تعرضوا لمجاعة كبرى ، فالمعروف ان (سان سيمون ـ St. Simon أو سمعان) بطريرك بيت المقدس ، لجأ الى قبرص بعد أن اضطربت مدينة بيت المقدس بعد وفاة أرتق . وعلى الرغم من أن هذا البطريرك لم يقر تقاليد كنيسة روما ، فانه قبل أن يتعاون معها من أجل مصلحة المسيحية عامة ، فلما علم بما تعرض له الجيش الصليبي من المجاعة ، بعث من قبرص بكل ما يزيد على حاجتها من المؤن والنبيذ (١٣١) . كذلك كانت قبرص أحد الملاجىء لمن لم يستطيعوا الحصول على المؤن من صغار الصليبيين (١٣٢) كما تاجرت قبرص مع الصليبيين بالشام تجارة رابحة ، أثناء الحملة الصليبية

الأولى ، لذلك أصابها بعض ما أصاب السواحل الصليبية بالشام من هجمات المسلمين لتعطيل تلك التجارة التى اعتمدت عليها أرواح الصليبيين (١٣٣) ٠

وبعد أن درسنا موقف كل من البيزنطيين والقبارصة من الغزو الصليبى ، ندرس موقف العناصر المختلفة التى كانت تعيش فى بلاد الشام ٠

وكان المسيحيون يشكلون عنصرا مهما من العناصر السكانية في بلاد الشام ، وكانوا ينقسمون في بلاد الشام الى عناصر مختلفة فمنهم المسيحيون السوريون ، والأرمن واليونان (١٣٤) ٠

أما المسيحيون السوريون فقد قاموا بدور ملحوظ بالنسبة للحملة الصليبية الأولى ٠ واذا كان المسيحيون الغربيون يشعرون بالكراهية والحقد نحو المسيحيين الشرقيين (الارثوذكس) فان ذلك لم يمنع الطرفين من التآلف ، وخاصة العناصر غير المتطرفة ، لتنفيذ هدفهما المشترك وهو انتزاع بيت المقدس من المسلمين ولتوضيح موقف مسيحيى الشام من الحملة الصليبية الأولى نذكر أنه كان لمساعدة مسيحيي أرتاح أثر كبير فى استيلاء الفرنج عليها سنة ٤٩٠ هـ (١٠٩٧ م) حيث قام سكان البلد المسيحيون بذبح الحامية الموجودة فى ارتاح (١٣٥) ٠

وقد سبق أن ذكرنا أنه عندما اقترب الصليبيون من أنطاكية، أخرج ياغى سيان حاكمها جماعة النصارى من البلد ووعدهم بأن يعيدهم اليها بعد أن تنتهى الحرب بينه وبين الصليبيين ، وعلى أن يتولى هو حماية نسائهم وأطفالهم حتى يتم ذلك (١٣٦) ٠ وقد كان فى وجود النصارى خارج أسوار أنطاكية ، فرصة مناسبة استغلها الفرنج ، فلم يجد بوهيموند صعوبة فى التماس الأصدقاء فى داخل

المدينة، ذلك انه انضم الى المعسكر الصليبى عدد كبير من المسيحيين من سكان أنطاكيــة الذين دأبوا على الاتصــال بأقاربهم فى داخل المدينة ، من خلال باب القديس جورج فى الغرب ، فتيسر للصليبيين الوقوف على ما يحدث داخل أنطاكية (١٣٧) ٠ وقد قاسى الصليبيون من المجاعة التى لحقت بهم أثنــاء حصار أنطاكية ، حتى انه كان يموت شخص من بين كل سبعة أشخاص ٠ ولذلك سارع النصارى والأرمن بتقديم كل ما استطاعوا جمعه الى المعسكر الصليبى (١٣٨)٠ ومما يبين موقف المسيحيين بأنطاكية من الصليبيين أيضا انه عند بداية الاشتباكات بين الصليبيين والأتراك بأنطاكية فى ٦ مارس ١٠٩٨م (٤٩١ هـ) » برزت نساء المدينة المسيحيات على شرفات الأسوار يرقبن سوء منقلب الترك وهن فرحات سرا (١٣٩) ٠

وكان للنصارى أيضا دور ملحوظ فى استيلاء الفرنج على معرة النعمان سنة ٤٩١ هـ (١٤٠) ١٠٩٨ م وعندما اشتد الجوع والعطش بالصليبيين المحاصرين لبيت المقدس سنة ٤٩٢ هـ ــ ١٠٩٩ م قام النصارى بدور المرشدين الى مناطق الغابات والينابيع (١٤١) كما أنهم ساعدوا صنجيل الفرنجى فى حصار طرابلس سنة ٤٩٥ هـ (١١٠٢ م) (١٤٢) ٠

ولكن ذلك لا يعنى أن علاقة الصـــليبيين كانت طيبة بكل المسيحيين فى بلاد الشام ، فمثلا نجد أن النصارى اليعاقبة حرموا من الحج الى بيت المقدس لان الصليبيين كانوا يبغضونهم ويعتقدون أنهم كافرون (١٤٣) ٠

أما الأرمن فيتضح موقفهم عندما وصل الصليبيون الى منطقة أرمينية فى جبال طوروس فقد مد اليهم سكانها من الأرمن المسيحيين يد المساعدة وأحسنوا استقبالهم ومعاملتهم ، وزودوهم بكل ما كانوا

يحتاجون اليه من مؤن وأقوات ولولا ذلك لأخفق الفرنج في مواصلة الزحف ، ولألحق بهم السلاجقة هزيمة منكرة، ولكن هذه المساعدات التي تلقوها من الأرمن هيأت لهم الجو لمواصلة العدوان المسلح والتوغل في الشرق العربي (١٤٤) ٠

وقد كان للأرمن ـ سواء داخل بلاد الشام (١٤٥) أو في بلادهم الأصلية دور بارز أيضا أثناء انتشار المجاعة بين الفرنج المحاصرين لأنطاكيــة فقد وصلت بعض المؤن من الرهبـان الأرمن المقيمين في بعض جبـال أرمينيـا ، وكذلك من الأرمن الموجودين داخل بلاد الشام (١٤٦) ٠

والواقع أن النصوص التي نقلها الينا الجستا تبين أن الأرمن كانوا مترددين في البداية في الوقوف الى جانب الترك أو الصليبيين أثناء حصار أنطاكية وغلب على موقفهم طابع المصلحة الذاتية ، وفي النهاية عندما تم النصر للصليبيين انضموا الى جانبهم في الفتك بكل من صادفهم من الترك (١٤٧) ٠

وهنا أيضـا يبرز الدور الذي قام به فيروز الأرمني ، أحد الضباط الأرمن المقربين الى باغي سيان حاكم أنطاكية في تسليم المدينة للصليبيين ، والمعروف أن الاستيلاء على مدينة أنطاكية وقلعتها الحصينة كان الخطوة الأولى لاستيلاء الفرنج على بيت المقدس (١٤٨) ٠ كان فيروز أرمينيا ثم تحول الى الاسلام ، وكان موضع ثقة باغي سيان ، فصار من كبار رجاله ، حتى عهد اليه بحفظ برج ضـخم يقع قرب باب القديس جورج وعلى الرغم من تظاهره بالولاء لسيده كان شديد الحقد والبغضاء له ، لأن باغي سيان عاقبه لأنه يختزن القمح ، ولاستمرار علاقته مع أتباع ملته السابقة (١٤٩) ٠ فحمله الحنق على باغي سيان أن يتصل ببوهيموند واتفق معه هو وبعض

أتباعه من الأرمن أن ييسروا له الاستيلاء على المدينة فى مقابل الحصول على بعض المال والاقطاعات (١٥٠) • وهنا يذكر رنسيمان أن فيروز كان مترددا فى تنفيذ الاتفاق الذى تم بينه وبين بوهيموند حتى الليلة السابقة للاستيلاء على أنطاكية مباشرة ، حين اكتشف أن زوجته تورطت مع أحد زملاء ياغى سيان الأتراك • حتى أنه يطلق على هذه الزوجة الخائنة اسم (حواء الهجوم) (١٥١) •

ثم برز حقد الأرمن على ياغى سيان واضحا عندما مر به أحدهم وهو مغشى عليه بعد أن تذكر خطأه بترك المدينة فقتله وأخذ رأسه الى الفرنج (١٥٢) • ثم اشترك الأرمن اليونان مع الصليبيين فى قتل كل الأتراك الموجودين بأنطاكية بعد استيلائهم عليها وكان من بينهم ابن فيروز نفسه (١٥٣) • كما ساهم الأرمن بدور فعال فى استيلاء الفرنج على معرة النعمان سنة ٤٩١ هـ (١٠٩٨) (١٥٤) •

أما عن موقف اليونان ، فيبدو أن هذا العنصر المسيحى قد آثر عدم مساعدة أحد الطرفين المتقاتلين من الفرنج والأتراك على السواء حتى يتم لهم معرفة النتيجة فينضموا الى الكفة الراجحة • لذلك لما سقطت أنطاكية فى يد الصليبيين اشترك اليونان فى قتل الأهالى الأتراك (١٥٥) •

أما اليهود فى بلاد الشام فكانوا يفضلون الحكم الاسلامى على الحكم المسيحى ولذلك ساندوا الحكام المسلمين ضد الصليبيين •

بل ان موقف اليهود كان موقفا معاديا لمشروع الحروب الصليبية ، ففى ديسمبر سنة ١٠٩٥ م كتب اليهود فى شمال فرنسا الى اخوانهم فى ألمانيا يحذرونهم من أن الحركة الصليبية ستعود بالضرر على اليهود ، وبالتالى فقد أخذ اليهود ــ عن طريق خلاياهم وجالياتهم المنبثة فى مختلف أجزاء الغرب الأوربى ــ يعرقلون جهود

الصليبيين · وكان ان انتشرت اشاعات مؤداها أن (جود فرى دى بوايون) الذى كان يعد عدته للمشاركة فى الحرب الصليبية ، قد أقسم على أن ينتقم للمسيح بقتل جميع اليهود · وعندما انتشرت هذه الشـائعة ، لجأ يهود مينز وكولونيـا فى حوض الراين الى أسلوبهم الرخيص الذى لا يعرفون غيره حتى اليوم ، فجمعوا الأموال وقدموهـا لجود فرى بوايون على سـبيل الرشوة ليعـدل عن نواياه (١٥٦) ·

وكان افتخار الدولة قد سمح لهم بالبقاء داخل مدينة بيت المقدس وأخرج النصارى منها عند مجيء الصليبيين (١٥٧) ، لذلك وقع على اليهود نفس ما وقع على المسلمين من تنكيل ، بدليل أنه بعد استيلاء الصليبيين على بيت المقدس انعقد ديوان المشورة العسكرى وقرر ابادة كل مسلم ويهودى بقى فى المدينة · ولما التجأ اليهود الى معبدهم الموجود داخل المدينة لم يراع الصليبيون ذلك وأحرقوا المعبد بمن فيه (١٥٨) ·

ومما يبين كراهية اليهود للصليبيين أيضا ، أن حيفا كانت تابعة للدولة الفاطمية حتى سنة ٤٩٣ هـ (١١٠٠ م) ، وكان معظم سكانها من اليهود الذين كرهوا المسيحيين كراهية شديدة ، ومن ثم أبدوا مقاومة عنيفة ، لكن الصليبيين شددوا الحصار عليها حتى سقطت فى أيديهم فى أغسطس سنة ١١٠٠ م (١٥٩) ·

والواقـع أنه اذا كانت الحركة الصليبيـة قد أيقظت فى المسـيحيين روح الانتقام من أعدائهم ، فلماذا يختص المسيحيون المسلمين بذلك العـداء ويتركون اليهود ؟ أليس اليهود هـم الذين صلبوا المسيح عليه السلام ؟ ألم يكن اليهود هم الذين حاولوا سحق المسيحية وهى فى المهد ؟ أليسوا هـم الذين اضطهدوا المسيحيين الأوائل وشردوهم وحرضوا عليهم الحكام الرومان ليعملوا فيهم قتلا وتذبيحا ؟ (١٦٠) ·

وبعد أن درسنا موقف المسيحيين واليهود من سكان بلاد الشام من الغزو الصليبي نذكر موقف أمراء المدن المسلمين وأول هؤلاء الأمراء المسلمين هو ، ياغي سيان حاكم أنطاكية ، وقد مر بنا كيف استبسل في الدفاع عن المدينة حتى قامت الخيانة بدورها في سقوط المدينة في يد الصليبيين • وكان ياغي سيان قد أرسل ابنه شمس الملوك بطلب النجدة من دقاق أمير دمشق وجناح الدولة أمير حمص • كما أرسل الى كربوغا أتابك الموصل والى كل من الخليفة العباسي والسلطان السلجوقي ببغداد • وبالفعل أرسلت له بعض النجدات ، ولكن بعد مدة ، ممثلة في قوات دقاق بن تتش وجناح الدولة وأرسلان تاش صاحب سنجار وسليمان ابن أرتق وغيرهم(١٦١) • هذا الى جانب القوات التي أرسلها أمير حماه(١٦٢) • ولكن أهم تلك النجدات هي التي قادها الأمير كربوغا أتابك الموصل الذي كان دائما يتمنى أن يسيطر على حلب . فاذا ما استولى على أنطاكية أصبح من السهل عليه السيطرة على حلب (١٦٣) •

وقد تسببت قوات كربوغا في بادىء الأمر في تضييق الخناق على قوات الفرنج « حتى أكلوا دوابهم وورق الشجر » (١٦٤) • ولكن لولا حدوث بعض الظروف التي أدت الى تفكيك قوات كربوغا لكتب له النصر على الفرنج • ذلك انه طلب المساعدة من رضوان أيضا ، وهنا ساورت دقاق الشكوك ، لما يكنه من العداء لأخيه ، وفي نفس الوقت هاجم الفاطميون جنوب فلسطين ، ولذلك عاد دقاق لمحاربتهم • ولكن كراهيــة جناح الدولة للأراتقــة المشتركين مع كربوغا جعل من الصعب التعاون معه • هذا الى جانب وقوع الصدام بين العرب والترك في معسكر كربوغا ، واستعمال كربوغا العنف ضدهم مما جعلهم يكرهونه ويتفرقون عنه (١٦٥) . فاذا ما أضيف الى ذلك كله الاستهانة بهؤلاء الأمراء والاعراض عن آرائهم اتضحت

لنا أسباب هزيمة كربوغا ، وأتاحة الفرصة للفرنج ليسيطروا على أنطاكية (١٦٦) ٠

ولما كان أمراء المدن الشامية متفككى الكلمة في ذالك الوقت ، وكل منهم يحاول فقط أن يحتفظ بامارتـه دون النظر الى الهدف العام وهو الوقوف في وجه العدو الغاشم ، ولما كان كل واحد منهم لا يستطيع بمفرده أن يقف فى وجـه الصليبيين ، لذلك نجد أن معظمهم أخذ الأمان له ولسكان امارته فى مقابل بعض المساعدات للصليبيين ٠

فمثلا نجـد أمير شيزر يصـالحهم على أسـاس تقديم بعض المرشدين والامدادات الرخيصـة الثمن فى مقـابل عدم التعرض لأراضيه أثناء مرورهم فيها (١٦٧) ٠ أما أمير حماه فبالرغم من أنه أرسل قواته الى الشمال مع كربوغا أثناء حصار أنطاكية ، فانه عندما تقدم الصليبيون نحوه تصالح معهم (١٦٨) ٠ أما أمير حمص ، جناح الدولة بن ملاعب فقد شارك فى حصار أنطاكية ولكن عندما شدد الفرنج الحصار عليه صالحهم (١٦٩) ٠ الا أنه لم يلبث أن أنجد أهالى حصن الأكراد عندما حاصرهم الصليبيون سنة ٤٩٥ هـ (١١٠٢ م) لولا أن وثب به أحد الباطنية فقتله (١٧٠) ٠

أما جلال الملك أبو الحسن بن عمار أمير طرابلس فنجد أنه حاول بكل ما لديه من قوة أن يدفـع الفرنج عنـه ٠ وقد شددوا الحصـــار على طرابلس أكثر من مرة كان أولها سـنة ٤٩٥ هـ (١١٠٢ م) ٠ وقد ذكرنا أن المسيحيين المحليين قد ساعدوا الفرنج فى هذا الحصار فلم تكن لديه فرصة للدفاع فاضطر فى هذه المرة الى أن يصالحهم على مال يحمله اليهم (١٧١) ٠ ثم عادوا فحاصروا المدينة مرة أخرى سنة ٤٩٧ هـ (١١٠٥ م) فصالحهم ابن عمار على

أن يكون لهم ظاهر المدينة وأن يكون له داخلها (١٧٢) . ولم يلبث أن تجدد حصارهم لها سنة ٤٩٨هـ - (١١٠٦م) واستمر حصارهم لها هذه المرة مدة ثلاث سنوات تقريبا ، فاضطر ابن عمار الطلب المعونة من الخليفة العباسي والسلطان السلجوقي ، ولكن أثناء وجوده في بغداد اضطر الأهالي الى تسليم طرابلس الى الفاطميين كي يقوموا بالدفاع عنها ضد الصليبيين ، وعندما عاد الى بلاده ، دون أي نجدة ، وجدها قد أصبحت تابعة للفاطميين (١٧٣) .

كذلك صالح حاكما بيروت وعكا الصليبيين عندما وصلوا الى بلادهم أول مرة . فمثلا عندما مروا ببيروت أصاب الأهالي الرعب من هدم الحدائق والبساتين الغنية التي تحيط بالمدينة . فأسرعوا بتقديم الهبات للغزاة وسمحوا لهم بالمرور بأمان خلال أراضيهم على شرط ألا يمسوا أشجار الفواكه والعنب بأي ضرر . وفي عكا قام حاكمها بمثل ما قام به زميله في بيروت ، فأقام حماية للحقول المحيطة بالمدينة عن طريق تقديم العطايا والامدادات الوافرة (١٧٤) . ووعدهم بتسليم عكا بعد استيلائهم على بيت المقدس (١٧٥) .

وقد استبسل بعض أمراء المدن في الدفاع عن ممتلكاتهم ، مثل افتخار الدولة حاكم مدينة القدس ، الذي أظهر شجاعة متناهية في الدفاع عن البلد (١٧٦) . حتى كاد الصليبيون يموتون جوعا أمام أسوارها لولا وصول الامدادات والذخائر عن طريق البحر الى ميناء يافا ، فاضطر الى الهرب الى عسقلان ، لتسرعه في مهاجمة الفرنج قبل وصول النجدة اليه من مصر (١٧٧) .

هذا ولا ننسى الموقف المشرف الذي وقفه أبو محمد عبيد الله ابن منصور المعروف بابن صليحة ، قاضي مدينة جبلة وحاكمها - الذي كانت مدينته تابعة لجلال الملك بن عمار حاكم طرابلس ثم استقل بها عنه مما أغضب جلال الملك - فلما اقترب الصليبيون

منه بدأ يستخدم الدهاء أولا فى صدهـم ، فأشـاع أن السلطان بركيارق قد توجه الى الشام فرحل الفرنج عنه ، فلما تحققوا من كذب هذه الاشاعة ، عادوا لحصاره ، فأظهر أن المصريين قد توجهوا لحربهم ، فرحلوا ثانيا ثم عادوا ، فرأى استخدام العنف ضدهم ، فاتفق مع النصارى الذين بالبلدة على أن يراسلوا الفرنج ويعدوهم بتسليم أحد أبراج البلدة اليهم • وبالفعل تم الاتفاق بينهم على ذلك فما كان منه الاأن قتـل الفرنج المهاجمين للبرج جميعا ، وكانوا حوالى ثلاثمائة رجل (١٧٨) ، واشتد القتال بين الطرفين ، فلما علم أنهم لن يكفوا عن قتاله ، بعث الى طغتكين أتابك ، صاحب دمشق ، ليسلم اليه المدينة ويتجه هو الى بغداد وبالفعل رحل الى دمشق ومنها الى بغداد ولكن للأسف نقل بعض الناس فى بغداد للسلطان السلجوقى مدى ثراء ابن صليحة مما جعـل السلطان يسلبه كل ما يملك ، ويرجح أن يكون هذا السلطان هو بركيارق أو أخاه غياث الدين محمود (١٧٩) .

ومما يدل على مدى تفكك جبهة أمراء المدن فى بلاد الشام فى ذلك الوقت أن ابن صليحة عندما سافر الى دمشق ، أرسل ابن عمار الى الملك دقاق وقال له (سلم الى ابن صليحة عريانا وخذ ماله أجمع وأنا أعطيك ثلاثمائة ألف دينار فلم يفعل) (١٨٠) .

أما عن موقف السلاجقة فقد كانوا عند قدوم الصليبيين الى الشرق الاسلامى فى غاية التفكك ، ولم يحاولوا أن يتناسوا تلك الضغائن القديمة التى سادت بينهم ، حتى ينجحوا فى التخلص من عدوهـم الداهـم أولا ثم يعملوا بعد ذلك على ازالة تلك الحواجز الموجودة بينهم • وقد مر بنا كيف كانت ممتلكات السلاجقة مترامية الأطراف سواء فى فارس أو العراق أو الشام أو بلاد آسيا الصغرى•

كان أول من تلقى ضربات الصليبيين من السلاجقة هم الفرع الموجود فى آسيا الصغرى بقيادة قلج أرسلان (١٨١) ابن سليمان ابن قتلمش · فعندما نزل الصليبيون الى بلاده استعان بالملك دقاق صاحب دمشق وبجناح الدولة صاحب حمص (١٨٢) · ولكن لم تصله أى نجدات منهم فاستخدم التركمان فقط فى قتالهم (١٨٣)· فهزمه الفرنج فى رجب سنة ٤٩٠ هـ (١٠٩٧ م) وانتزعوا قونية منـه (١٨٤) ·

أما فرع السلاجقة الموجود فى بلاد الشام فقد كان على رأسه رضوان ودقاق ابنا تتشر بن ألب أرسلان · وقد سبق أن رأينا كيف كان التطاحن بينهما على أشده حتى سنة ٤٩٠ هـ (١٠٩٧ م) وهى السنة التى وصل الفرنج فيها الى بلاد الشام · وبعد أن بدأ الفرنج يشددون الحصار على أنطاكية استنجد ياغى سيان ، كما مر بنا ، بالملك دقاق فبعث له ببعض النجدات ولكن حينما حاول الاستعانة برضوان أيضا بدأ الشك يساور دقاق فانسحب بقواته نحو الجنوب (١٨٥) · مما يبين لنا مقدار ما وصل اليه السلاجقة بالشام من تفكك ومن سوء تقدير للخطر الداهم · فاذا أضفنا الى ذلك كله ما ذكره المؤرخ (جب) و (ستون وبالدوين) Setton Baldwin « من انه لم يكن لدى أمراء سوريا عند وصول الصليبيين سوى قلة من العبيد تتولى الحرب ، وأن هؤلاء العبيد هم كل ما استطاع هؤلاء الأمراء شراءه من حصيلة ممتلكاتهم الضئيلة » (١٨٦) ، وعلى ذلك لم يكونوا مزودين بالدافع القومى للدفاع عن البلاد ضد الصليبيين ·

واذا كان هذا هو موقف الأميرين السلجوقيين الكبيرين عندما قدم الصليبيون الى بلاد الشام ، فان البلاد لم تحرم من بعض المجهودات الفردية وخاصة مجهودات بعض الأتابكة مثل (كمشتكين

ابن الدانشمند طايلو) أتابك دمشق الذى قاتل حوالى ثلاثمائة ألف من الفرنج فى ذى القعدة سنة ٤٩٣ هـ (١١٠٠ م) وهزمهم وقتل منهم الكثير ، ولم ينج منهم سوى ثلاثة آلاف ثم تتبع الفارين الى ملطية وفتح المدينة وأسر ملكها (١٨٧) ٠

وفى سنة ٤٩٤ هـ (١١٠١ م) قتل الملك جود فروا دى بوايون ملك بيت المقدس أثناء حصاره لمدينة عكا فسار أخوه بلدوين الى بيت المقدس فى خمسمائة فارس ، فلما علم الملك دقاق بذلك سار اليه مع الأمير جناح الدولة فالتقيا به وهزماه (١٨٨) ٠ كما استطاع طغتكين أتابك فى سنة ٤٩٩ هـ (١١٠٦ م) أن يهزم الفرنج (١٨٩) ٠

أما بالنسبة للفرع العراقى والفارسى من السلاجقة فقد عاصر قدوم الصليبيين الى بلاد الشام فترة نزاع شديد بين السلطانين السلجوقيين بركيارق ومحمد ابنى السلطان ملكشاه ٠ ولم يبذل هؤلاء السلاطين السلاجقة أدنى جهد لدفع الخطر الصليبى الا فى سنة ٤٩١ هـ (١٠٩٨ م) عندما طلب ياغى سيان النجدة أثناء حصار الفرنج لأنطاكية ، فقد كتب السلطان بركيارق (١٩٠) الى العساكر يأمرهم بالخروج مع عميد الدولة للجهاد (١٩١) ٠

أما عن الفترة الممتدة من سنة ٤٩٢ هـ حتى سنة ٤٩٧ هـ (١٠٩٩ - ١١٠٤ م) فقد شهدت التطاحن المستمر بين بركيارق ومحمد وتبادل الخطبة بينهما فى بغداد ٠

ففى سنة ٤٩٢ هـ (١٠٩٩ م) خطب للسلطان محمد ببغداد ولقب غياث الدنيا والدين (١٩٢) ٠

وفى سنة ٤٩٣ هـ (١١٠٠ م) دخل السلطان بركبارق بغداد وأعيدت له الخطبة بدلا من أخيه محمد فبعث اليه الخليفة العباسى بهدية ثمينة (١٩٣ ، ١٩٤) ٠ ثم لم يلبث الخلاف أن قام من جديد فى نفس السنة بين الأخوين فانهزم بركيارق وأعيدت الخطبة لأخيه محمد ببغداد (١٩٥ ، ١٩٦) ٠

وفى جمادى الآخرة سنة ٤٩٤ هـ (١١٠١ م) التقى الاخوان من جديد فانهزم السلطان محمد ولكن عندما دخل بركبارق بغداد أساء السيرة فى أهلها ، ثم لم يلبث أن مرض فلحقه أخوه محمد ، فشكا اليه الخليفة العباسى من سوء سيرة أخيه وخطب له بالديوان فلم يكن من بركبارق الا أن رحل الى واسط (١٩٧ ، ١٩٨) ٠

وفى سنة ٤٩٥ هـ (١١٠٢ م) تقاتل السلطان بركبارق والسلطان محمد وجرت بينهما حروب كثيرة انهزم فيهما محمد (١٩٩ ، ٢٠٠) ٠ وتجددت الحروب من جديد بين الأخوين سنة ٤٩٦ هـ (١١٠٣ م) (٢٠١ ، ٢٠٢) ٠

ولم يلبث هؤلاء السلاطين أن تذكروا ــ وكأن الغزو الصليبى كان أقل أهمية من تنازعهم على الحكم ــ أنه يجب عليهم أن يضعوا خلافاتهم جانبا ويوحدوا كلمتهم لأن العدو قد طمع فى الأطراف لذلك بدأوا التشاور لعقد الصلح ٠ فأرسل السلطان بركبارق رسولين الى أخيه لتقرير قواعد الصلح « ورغباه فى الصلح وفضيلته، وما شمل البلاد من الخراب ، وطمع عدو الاسلام فى أطراف الأرض » فأجابه الى الصلح واستقر الأمر بينهما فى ربيع الثانى سنة ٤٩٧ هـ (١١٠٤ م) (٢٠٣ ، ٢٠٤) .

وهكذا نجد أن سلاجقة العراق وفارس بدأوا يتنبهون للخطر الصليبى بعد مضى حوالى سبع سنوات على ظهوره فى بلاد الشام ،

وبعد أن نجح الصليبيون فى أن يسيطروا على معظم مدنها • فلو أن الفروع السلجوقية جميعها تناست ما كان بينها من خلافات ووحدت صفوفها ضـد هذا العدو المشترك ، لربما تغير سير تلك الحملات الصليبية منذ البداية •

ومن هذا العرض لموقف عناصر السكان فى بلاد الشام من الصليبيين ، نلاحظ أن بعض هذه العناصر وقفت موقفا ايجابيـا فسـاعدت الصليبيين أو حاربتهم ، وبعضـها الآخر وقف موقفا سلبيا فصالحتهم لاتقاء شرهم أو لم تحاربهم حتى رجحت كفتهم فانضمت الى جانبهم •

وهكذا كان لتفكك تلك العناصر وعدم وقوفها صفا واحدا فى وجه الصليبيين أثر كبير فى نجاحهم فى السيطرة على البلاد •

ثم ننتقل الى موقف الدول الاسلامية الثلاث الكبرى من الغزو الصليبى لبلاد الشام ، أى الدولة العباسية فى العراق ، والدولة الأموية فى الأندلس ، والدولة الفاطمية فى مصر • ولما كانت الدولة الفاطمية لها بعض النفوذ المباشر أو غير المباشر فى بعض مدن بلاد الشـام عند قدوم الصليبيين ، فسوف نتنـاول موقفها بشىء من التفصيل ، بعد تناول موقف الدولتين الأخريين ، العباسية والأموية •

والمعروف أنه بدخول طغرلبـك السلجوقى بغـداد سنة ٤٤٧ هـ (١٠٥٥) ، أصـبح السـلاجقة هم أصحاب الكلمة العليا فى بغداد فى حين لم يعد للخلفـاء العباسيين سوى السلطنة الاسمية فقط • وعلى ذلك فتناولنـا لموقف الدولة العباسـية من الزحف الصليبى على بلاد الشام ، بل والشرق الاسلامى كله ، ما هو فى الحقية الا اعادة لموقف سلاجقة العراق • ولقد كان هؤلاء السلاطين

كما سبق أن ذكرنا مشغولين بالصراع حول السلطة والنفوذ وخاصة السلطان بركيارق والسلطان محمد ابني ملكشاه السلجوقي . في حين كان الخليفة العباسي ، أبو العباس أحمد المستظهر بالله ، الذي تولى الخلافة بعد وفاة والده المقتدي بأمر الله سنة ٤٨٧ هـ (٢٠٦) (١٠٩٤ م) ضعيف النفوذ .

وقد سبق أن ذكرنا انه عندما حاصر الصليبيون أنطاكية أرسل حاكمها يستنجد بالخليفة العباسي ، ضمن من استنجد بهم في ذلك الوقت ، ولكن للأسف لم تصله منه أي نجدة . ثم أشيع بعد ذلك ، أثناء توجه الصليبيين الى عرقة أن هناك نجدة بقيادة الخليفة العباسي نفسه ، ولكن الاشاعة كانت غير حقيقية (٢٠٧) .

وبعد استيلاء الصليبيين على بيت المقدس ثار العالم الاسلامي ، وخرج بعض أهالي دمشق مع قاضيها زين الدين أبي سعد الهروي ، الى بغداد ، وارتفع بكاء الناس ، وندب الخليفة الفقهاء (٢٠٨) ، للخروج الى بلاد الشام ولكن للأسف بعد مسيرهم مسافة قصيرة تفرقوا ولم يصل مع قاضي دمشق أحد (٢٠٩) .

وللمؤرخ (جوستاف لوبون) رأى في هذا الموضوع فهو يذكر أن المسلمين تناسوا جميع عوامل الانقسام ، وأغضى خليفة القاهرة (الفاطمي) عن منافسته لخليفة بغداد (العباسي) فتبادلا السفراء للتوصل الى حل ينقذهم من هذه المصيبة » (٢١٠) .

والحقيقة أن هذا الرأى لا يتفق كثيرا مع الواقع ، فالسفارات لم تحقق أية نتيجة ايجابية بل ضاع القدس الشريف من أيدي المسلمين وضاعت بلاد الشام بأكملها أيضا .

وللتعرف على موقف الدولة الأموية بالأندلس بشيء من الدقة

يجدر بنا أن نعطى لمحة سريعة عن وضع الأندلس السياسى قبيل قيام الحروب الصليبية ٠

ففى سنة ٤٢٢ هـ سقطت الخلافة الأموية فى الأندلس ودخلت البلاد فى فترة جديدة عرفت بعصر ملوك الطوائف امتدت من ٤٢٢ هـ الى ٤٨٤ هـ (١٠٣١ م - ١٠٩٢ م) وتسمية هذا العصر كفيلة للدلالة على ما وصلت اليه الدولة من تخاذل وتفرق واضطراب وتناحر (٢١١) ٠ حتى أنه حكم فى النصف الأول من القرن الخامس الهجرى (الحادى عشر الميلادى) نحو عشرين أسرة مستقلة فى عشرين مدينة أو مقاطعة ويسمى هؤلاء بملوك الطوائف ومن أشهرهم بنو عباد باشبيلية وبنو حمود الأدارسة بمالقة والجزيرة ، وبنو ذيرى بغرناطة وبنو هود بسرقسطة ، وكان أقواهم بنى ذى النون الذين ملكوا طليطلة وحكموا بلنسبه ومرسية والمرية (٢١٢) ٠

وكان هؤلاء الملوك يدفعون الاتاوات لملك أسبانيا المسيحى الذى استطاع أن ينتزع من أيديهم كثيرا من المدن والمقاطعات لذلك استنجد ملوك الطوائف بيوسف بن تاشفين أمير المرابطين بمراكش واستجاب ابن تاشفين بدا . من الحماس الدينى ومن الأطماع السياسية أيضا (٢١٣) ٠

وفى سنة ٤٧٩ هـ (١٠٨٦ م) وقعت بين ملوك الطوائف بقيادة ابن عياد أمير أشبيلية وحلفائهم المرابطين بقيادة ابن تاشفين من جهة وبين الأسبان المسيحيين وعلى رأسهم الملك الفونسو السادس من جهة أخرى موقعة الزلاقة التى انتصر فيها المسلمون على المسيحيين واستطاعوا أن يستردوا بلنسية وفكوا حصار سرقسطة (٢١٤) ٠

وفى سنة ٤٨٣ هـ (١٠٩٠ م) استنجد ملوك الطوائف مرة

أخرى بالمرابطين ، ضد المسيحيين · وبالفعل جاء المرابطون لنجدتهم ولكنهم فى هذه المرة قرروا انتزاع البـــلاد من يـد هؤلاء الملوك الضعفاء المتنازعين فيما بينهم رغم وجود العدو فى الشمال · ولم تحل سنة ٤٩٥ هـ (١١٠٢ م) الا وكانت الأندلس تابعـة لمملكة المرابطين بافريقية (٢١٥) ·

وهكذا حينما قـامت الدعوة للحروب الصـليبية فى مؤتمر كليرمونت سنة ١٠٩٥ م بل وخلال القرن الحادى عشر الميلادى ، كانت الحرب على أشدها بين المسيحيين والمسلمين فى شبه جزيرة أيبيريا (٢١٦) ·

وأصـبح ميزان القوى متأرجحا بين الفريقين دون أن يتمكن أحدهما من احراز نصر حاسم على الآخر · ولهذه الأسباب لم تكن اسبانيا فى حالة تسـمح لها بالاشـتراك الفعلى فى حروب خارج أراضيها (٢١٧) ، سواء من جانب المسلمين أو المسيحيين ·

لم يكن المسيحيون الأسبان هم الذين قرروا عدم الاشتراك فى تلك الحروب لأن المسلمين يهددونهم فى عقر دارهم ولأنه ــ فى رأى البابا ــ يكفى النصارى الأسبان فخرا أن يقاتلوا المسلمين فى الغرب (٢١٨) ·

فقد كانت أسبانيا مسرحا لحرب صليبية غربية أو بمعنى آخر حركة استرداد قام بها المسيحيون الغربيون ضد مسلمى أسبانيا · وقد اشتركت هذه الحروب الغربية مع مثيلاتها فى الشرق فى بعض الصـفات الصليبية وليس جميعها « فهى حرب تحرير للأراضى المسيحية القديمة ، قادتها البابوية وأيدتها ، وهى أيضا شروع فى

روح دينية ، وضـــع المحاربون فيهـا أنفســـهم تحت حمـاية الله ... » (٢١٩) .

وحينما اســتولى الصـليبيون على بيت المقدس ، أعلن البابا (باسكال الثانى) الحرب الصليبية فى أسبانيا ضد المسلمين . لذلك بدأ الأسبان المسيحيون يشهرون الحرب الصليبية فى أسبانيا ذاتها وحاصروا سرقسطة لمدة قصيرة سنة ٤٩٤ هـ (١١٠١ م) ولكن الفرصة لم تكن سانحة لتحقيق هذا المشروع لأن المرابطين استعادوا بلنسية بعد ذلك بقليل ، ومن ثم اضـــطر النصـــارى الى فك الحصار (٢٢٠) .

وهكذا لم يكن مسلمو أسبانيا فى حالة تسمح لهم بأن يرسلوا أى نجدة ضـــد الصليبيين فى الشرق ذلك لأنهم كانوا مشغولين بالصراع ضد مسيحيي أسبانيا ، هذا الى جانب النزاع فيما بينهم ونزاعهم مع المرابطين أيضا .

واذا أردنا دراسة موقف الدولة الفاطمية من الغزو الصليبى لبلاد الشام ، نقول : ان الدولة الفاطمية لم تكن تمثل دولة اسلامية كبرى فحسب ، بل كانت تمثل أيضا احدى دول الخلافة الثلاث فى العالم العربى ، وهى بالنسبة لبلاد الشام دولة الخلافة الوحيدة التى ظل لها بعض النفوذ سواء المباشر أو غير المباشر على بعض مدن بلاد الشام وخاصة المدن الساحلية .

فالى أى مدى كان موقف هذه الدولة من الزحف الصليبى على بلاد الشام ، وهل كان هذا الموقف ايجابيا أو سلبيا ؟ واذا كانت هذه الدولة قد قامت ببعض المجهودات ضد الصليبيين ، فهل كان ذلك بدافع المصلحة العامة أو الخاصة ؟ والى أى مدى أثرت أحوال

الدولة الفاطمية الداخلية فى هذا الموقف ؟ وسنلقى الضوء على هذه القضايا بأجمعها حتى يتسنى لنا أن نقف على حقيقة موقف هذه الدولة الاسلامية الكبرى من غزو الصليبيين .

أما عن أحوال الدولة الفاطمية الداخلية قبيل قدوم الصليبيين الى بلاد الشام ، فنذكر أن عهد الخليفة المستنصر بالله الفاطمى (٤٢٧ ـ ٤٨٧ هـ) كان آخر العهود التى تمتعت البلاد فى أولها على الأقل بالرخاء والطمأنينة • فلم تلبث مصر أن حلت بها المجاعات والأوبئة التى اصطلح المؤرخون على تسميتها بعصر الشدة العظمى وهى أطول وأخطر مجاعة عرفتها مصر فى العصور الوسطى الاسلامية ، اذ استمرت ثمانى سنوات (٤٤٦ ـ ٤٥٤ هـ) وامتدت المجاعة الى معظم الأمم الاسلامية من مصر الى سمرقند • وقد اضطر الناس فى هذه المجاعة الى أكل الميتة (٢٢١) وقيل انه كان يموت بمصر وقراها كل يوم ألف انسان (٢٢٢) •

وقد اقترنت هذه المجاعة بالاضطرابات الداخلية فى مصر وليس أدل على ذلك من أنه تولى الوزارة أربعون وزيرا خلال تسع سنوات (من ٤٥٠ ـ ٤٥٩ هـ) • ثم عادت المجاعة من جديد من ٤٥٩ ـ ٤٦٤ هـ ، فازدادت الأحوال الداخلية فسادا واضطرابا • لذلك استعان الخليفة المستنصر ـ كما مر بنا ـ ببدر الجمالى والى عكا سنة ٤٦٦ هـ ، فاستطاع أن يضع حدا لهذه الفوضى وأن يصلح أحوال البلاد الاقتصادية (٢٢٣) •

وبعد وفاة الخليفة المستنصر ، خلفه ابنه المستعلى فى ذى الحجة سنة ٤٧٨ هـ ، وهنا بدأت اضطرابات سياسية داخلية من نوع جديد • نتيجة عهد المستنصر بولاية العهد بعده لابنه نزار ، وأخذه البيعة له أثناء مرضه ، ولكن وزير الأفضل بن بدر الجمالى ظل يماطل فى اتمام البيعة حتى توفى المستنصر فولى ابنه المستعلى بدلا

من نزار . فلما رأى نزار أن الخلافة قد ضـــاعت منه سار الى الاسكندرية حيث تلقاه واليها أفتكين التركى بالترحاب وأخذ له البيعة من أهالى الاسكندرية ، فما كان من الأفضل الا أن قاد جيشا وقاتل نزار وأتباعه . فاضطروا الى طلب الأمان ، فأمنهم ثم تخلص من نزار ووالى الاسكندرية (٢٢٤) .

وفي أثناء تلك الفتنة الداخلية سيطر الأفضل بن بدر الجمالى على شئون الحكم بالبلاد واستبد بالسلطة دون الخليفة المستعلى ، ومن ثم دخلت مصر فى عهد نفوذ الوزراء . المعروف باسم « عصر الوزراء العظام » (٢٢٥) .

وبينما كانت مصر تعـــانى من جراء تلك الظروف الداخلية الحرجة ظهر الخطر الصليبى فى الأفق ، على الأبواب الشمالية لبلاد الشام . وكان منطق العقل يحتم على ولاة الأمور فى مصر فى ذلك الوقت أن ينظروا الى هذا العدو على أنه خطر يهدد العالم الاسلامى بأكمله ، كما أن سيطرة الصليبيين على بلاد الشام ، يمهد لهم لغزو مصر ، ولذا كان على حكام مصر أن يقدروا هذا الخطر تقديرا حقيقيا حتى ولو لم يكن لهم أى نفوذ فى بلاد الشام يدفعون عنه المعتدين .

ولكن الخليفة المستعلى كانت له حينئذ السلطة الاسمية اذ كان ضعيف الشخصية ، بينما كان الأفضل بن بدر الجمالى صـــاحب السلطة الفعلية والمتغلب على أمور البلاد . وقد وقف كل منهما فى البداية من الزحف الصليبى موقفا سلبيا مطبوعا بطابع المصلحة الخاصة .

وكان الأتراك السلاجقة هم أصـــحاب النفوذ الفعلى فى بلاد الشام بعد أن أخرجوا الفاطميين من معظم البلاد الشامية ، ولذلك لم يتخذ الفاطميون من العدو الصليبى موقفا ايجابيا ولم يحاولوا

استعادة حقوقهم التى سلبها منهم السلاجقة ، وكان هذا الموقف السلبى يضر بالمصلحة الاسلامية العامة ، ثم بعد ذلك المصلحة الفاطمية الخاصة .

وخلاصة القول أن روح الانتقام من العدو السلجوقى السنى ، كانت قد وضعت غشاوة قاتمة على عيون ولاة الأمر الفاطميين فى مصر فى ذلك الوقت ، وليس أدل على ذلك من ارسال تلك السفارة المصرية الأفضلية للاتفاق مع الصليبيين ضد السلاجقة (٢٢٦) .

وهنا نجد أنفسنا أمام رأيين : أحدهما يذهب الى أن الفاطميين هم الذين أرسلوا الى الصليبيين يدعونهم الى الخروج الى بلاد الشام ليملكوها (٢٢٧) . والآخر يذكر أنه لما عاناه الامبراطور البيزنطى الكسيوس من عداوة الترك ، وما ترتب عليها من أضرار ، نصح الصليبيين أثناء مقامهم بالقسطنطينية بأن يحاولوا الاتصال بالفاطميين فى مصر والاتفاق معهم ، لما بين الفاطميين والسلاجقة من عداء (٢٢٨) .

وسواء صح هذا الرأى أم ذاك فان المصادر التاريخية تشير الى أنه فى صفر سنة ٤٩٢ هـ (١٠٩٨ م) توجهت سفارة أرسلها الأفضل وزير المستعلى بالله الى الرؤساء الفرنج أثناء حصار أنطاكية ، على أساس أن يقتسم الجانبان بلاد الشام فيما بينهما ، فيكون للصليبيين شمال الشام بما فيه أنطاكية ، وللفاطميين الجنوب بما فيه بيت المقدس (٢٢٩) . ولا شك أن الأفضل عندما فكر فى هذه الشروط اعتبر أن الصليبيين ليسوا الا مأجورين للامبراطور البيزنطى ، ولما كانت أملاك الدولة البيزنطية أيام صحوتها فى القرن العاشر لم تتعد فى بلاد الشام مدينة أنطاكية ، فقد ظن الأفضل أن أولئك الصليبيين انما أتوا فى نهاية القرن الحادى عشر ليفعلوا

فى بلاد الشام مثلما فعل نقفور فوقاس وحنا شمشقيق فى نهاية القرن العاشر (٢٣٠) · ثم أن التحالف مع الصليبيين والسماح لهم بالاستقرار فى شمال الشام يحقق التوازن مع طموح السلاجقة (٢٣١) ·

وصلت تلك السفارة الفاطمية الى أنطاكية ، وقدم الرؤساء الفرنجة للسفراء المصريين دليلا داميا على الصداقة الجديدة ، هو ثلاثمائة رأس تركى ، فكان لذلك وقع حسن لدى السفراء الفاطميين (٢٣٢) · ولما كان الصليبيون قد قاموا بالحروب الصليبية لانقاذ الأماكن المقدسة لم يكونوا يستطيعون ترك فلسطين فى أيدى الفاطميين ، الا أنهم لم يحاولوا تثبيط عزيمة سفراء الوزير الأفضل ، بل استقبلوهم بحفاوة بالغة وان كانوا لم يرتبطوا معهم بشىء ، ثم أرسلوا معهم سفارة الى القاهرة ردا على سفارة الوزير الأفضل ولمراقبة تطور الأحداث فى مصر عن قرب (٢٣٣) · وأدرك الصليبيون مغزى هذه السفارة الفاطمية التى تثبت ذلك الانحلال الشديد والفرقة السائدة فى العالم الاسلامى (٢٣٤) ·

وبعد استيلاء الصليبيين على أنطاكية تشجع الوزير الأفضل وقام بحملة استرد فيها بيت المقدس من يد الأراتقة فى شعبان ٤٩٢ هـ (يوليو سنة ١٠٩٨ م) (٢٣٥) · وفى الحقيقة ان هذه الخطوة التى قام بها الأفضل أفادت الصليبيين كثيرا لأنها سببت ارتباكا للأتراك السلاجقة فى أشد الأوقات حرجا (٢٣٦) ·

وبعد استيلاء الأفضل على فلسطين ، أرسل سفارة فاطمية أخرى فى رفقة السفراء الفرنج · فقد أدرك أن الصليبيين بعيدون كل البعد عن أى رغبة لمساعدة الفاطميين على استرداد فلسطين ، وأن هدفهم هو الاستيلاء على بيت المقدس (٢٣٧) · فعرض عليهم أن

يسهل لهم الحج على شرط أن يعدلوا عن هدفهم ، فيسمح لهم بزيارة الأماكن المقدسة بفلسطين وتكون لهم الحرية الكاملة فى ممارسة شعائرهم الدينية ، على الا تزيد اقامتهم بها أكثر من شهر واحد ، والا يدخلوها مسلحين (٢٣٨) ٠

وهنا لاحظ الصليبيون اختلاف لهجة هؤلاء السفراء عن السفراء الأول الذين كانوا قد عرضوا ارتباطا حقيقيا ضد السلاجقة ٠ ولكن خلال هذه الفترة كان السلاجقة قد خرجوا من المعركة اذ استولى الصليبيون على أنطاكية كما استولى الفاطميون على بيت المقدس ، وبذلك بدأ متحالفو الأمس يقفون وجها لوجه ولم يوافق الصليبيون على عرض الحج السلمي الذى عرضه الفاطميون (٢٣٩) ٠

وبذلك أصبح موقف الفاطميين من عوامل نجاح الحملة الصليبية الأولى ، لأن موقفهم من هذه الحملة وتقاعسهم عن انجاد السلاجقة ، بل وانتهازهم الفرصة لاحتلال بيت المقدس زمن حصار الصليبيين لأنطاكية ، ثم تقهقرهم السريع ــ كما سنرى ــ حينما هاجمتهم القوات الصليبية ، كل ذلك يجعل الفاطميين يتحملون القسط الأكبر من مسئولية نجاح الصليبيين الأول (٢٤٠) ٠

وعندما أخفق أسلوب المفاوضات بين الفاطميين والسلاجقة صمم الفاطميون على الالتجاء الى الحرب للدفاع عن ممتلكاتهم فى بلاد الشام ٠ أى أن الفاطميين لم يلجأوا الى العنف مع الصليبيين الا عندما بدأ الصليبيون يستولون على الممتلكات الفاطمية فى بلاد الشام ٠ فمثلا عندما حاصر الصليبيون بيت المقدس ، وهو هدفهم الأول ، أرسل حاكم المدينة الفاطمى يطلب النجدة من خليفة مصر ٠ بل ان مسلمى الشام وبغداد علقوا آمالهم الكبيرة على مجهودات الجيوش الفاطمية آنذاك (٢٤١) ٠ والواقع أن الوزير الفاطمى الأفضل ، لم يكف عن الاستعداد لمقاتلة الصليبيين منذ أن سمع

بزحفهم على بيت المقدس (٢٤٢) . وبالفعل عندما سمع بحصارهم لبيت المقدس خرج من مصر فى عشرين ألف مقاتل ، ولكنه للأسف وصل الى القدس بعد يوم من استيلاء الصليبيين عليها ، فخرجوا لملاقاته بجيوشهم فولى هاربا الى عسقلان . فوصلها فى الرابع عشر من رمضان سنة (٤٩٢ هـ ـ ١٠٩٩ م) (٢٤٣) . وأصبح واضحا لديه أنه من غير المحتمل أن يتوقع أية صورة من صور التحالف مع هؤلاء القادمين الجدد (٢٤٤) . وأرسل اليهم يوبخهم على ما فعلوه فلم يعبأوا برسوله (٢٤٥) . ولقد نقل لنا صاحب الجستا صورة معبرة تنم عن مدى الحسرة والحزن لدى الأفضل لضياع بيت المقدس قبل وصوله فى خطاب مفصل تركه لنا ضمن مادة الجستا (٢٤٦) .

ويبدو أن الوزير الأفضل لم يكن رجل حرب مثلما هو رجل سياسة ، فقد أضاع وقتا طويلا فى انتظار الأسطول الفاطمى فى البحر المتوسط كى يهاجم الفرنج (٢٤٧) . فلما علم الفرنج بحقيقة موقفه فضلوا مباغتته قبل أن يصله أى مدد ، وبالفعل فاجأ الفرنج جند الأفضل قبل أن يستعدوا لهذا الهجوم فحلت بهم هزيمة ساحقة (٢٤٨) .

وبلغ مجموع قتلى الفاطميين فى هذه الموقعة حوالى عشرة آلاف جندى (٢٤٩) . وفر الأفضل بعد الموقعة عائدا الى مصر عن طريق البحر (٢٥٠) . ولما خشى أهالى عسقلان أن يحل بهم ما حل بأهالى بيت المقدس بدأوا يطلبون الأمان على أن يدفعوا للصليبيين بعض الأموال ، وفى النهاية قبل الصليبيون وفرضوا على الأهالى ضريبة تبلغ عشرين ألف دينار وشرعوا بالفعل فى جبايتها ، ولكن اختلاف آراء رؤسائهم جعلهم يرحلون عن عسقلان دون أن يجبوا شيئا (٢٥١) .

والواقع أن الحاق الصليبيين الهزيمة بالفاطميين فى عسقلان قضى على هيبة الفاطميين بفلسطين ، فقد أصبحت يد الصليبيين طليقة في فلسطين منذ انتصارهم فى عسقلان كما صارت طليقة أيضا في شمال الشام عقب انتصارهم على كربوغا بأنطاكية (٢٥٢) . لذلك فعدما عاد الصليبيون الى بيت المقدس دخلوها دخول الظافرين في احتفال دينى كبير (٢٥٣) .

وضع الصليبيون بعد انتصارهم فى عسقلان خطة لاستخلاص موانى الساحل من أيدى الفاطميين (٢٥٤) . وكان أول هذه الموانى هى « أرسوف » فقد تحرش الصليبيون ببعض أهالى أرسوف عندما خرجوا لمزاولة نشـــاطهم السلمى فى مزارعهم ســـنة ٤٩٣ هـ (١١٠٠ م) . ولما كانت أرسوف تابعة للدولة الفاطمية ، فقد أرسل الأهالى سفارة عاجلة الى الوزير الأفضل لطلب النجدة ، فما كان منــه الا أن أرســـل اليهم بحامية صـــغيرة مكونة من ثلاثمائة جندى (٢٥٥) .

بدأ أهالى أرسوف يتشجعون عند وصول تلك النجدة اليهم ، ولكنهم وقعوا فى كمين نصبه لهم الصليبيون (٢٥٦) . وهنا تأكد الأهالى من عدم جدوى الحماية الفاطمية ، وأنه لكى يستطيعوا زراعة أراضيهم لابد وأن يحتموا بالفرنج . وأخيرا انتهى الأمر بأن حمل أهالى أرسوف مفاتيح البلدة والقلاع وذهبوا للتفاوض مع جودفرى دى بوابون ، للدخول فى تبعيته فى مقابل دفع ضريبة مالية (٢٥٧) .

وبعد عام من الاستيلاء على أرسوف أى (٤٩٤ هـ ـ ١١٠١ م) تقدم جيش الفرنجة يســاعده أسطول جنوة وحاصروا ميناء قيسارية حتى سقط فى أيديهم . وفي ذلك الوقت بدأ الوزير الفاطمى الأفضل يفكر فى الثأر لنكبة عسقلان ، التى حدثت قبل ذلك بسنتين ، فأرسل حملة بقيادة المملوك سعد الدولة القواس (٢٥٩) . فنزلت

الحملة أولا فى عسقلان . فلما سمع الفرنج بأخبارها عقدوا مجلسا للحرب وقرروا سرعة مباغتة الفاطميين ، رغم قلة عدد الفرنج بقيادة بلدوين ، بالنسبة للحملة المصرية ، ولكن رغم ذلك استطاعوا انزال الهزيمة بالجيش الفاطمى عند الرملة ، وقتل سعد الدولة فى المعركة (٢٦٠) وهنا يختلف المؤرخون المسلمون عن المسيحيين فى نتيجة هذه المعركة ـ موقعة الرملة الأولى ـ فبينما يجمع المؤرخون المسلمون (٢٦١) ، على انتصار المصريين فى المعركة يجمع المؤرخون المسيحيون (٢٦٢) على هزيمتهم فيها • والراجح أن المصريين هزموا فيهـا •

وفى سنة ٤٩٥ هـ (١١٠٢ م) سير الأفضل جيشا مكونا من عشرين ألف جندى بقيادة ابنه شرف المعالى ، وتقدم فى نفس الوقت ، الأسطول الفاطمى فى البحر • فالتقى جيش شرف المعالى بالجيش الذى كان يقوده سعد الدولة القواس فى العام السابق • وكان الفرنج لا يزالون فى نشوة انتضارهم على جيش سعد الدولة ، وظنوا أن شرف المعالى يقود جيشا صغيرا ، ولذا خرج بلدوين لملاقاتهم فى عدد قليل من الفرسان ودارت بينهم موقعة الرملة الثانية ، فانهزم فيها الفرنج هزيمة ساحقة ، وفر ملكهم بلدوين وأسر منهم عـدد كبير (٢٦٣) • وبذلك سـيطر الفاطميـون على يافـا من جديد (٢٤٦) • ولكن وصول بعض الامدادات الى الصليبيين عن طريق ميناء يافا جعلهم يستعيدون قوتهم من جديد وبدأوا يهاجمون القوات الفاطمية الموجودة فى الرملة حتى أجبروهم على الفرار الى عسقلان (٢٦٥) •

كان لضياع انتصـار موقعة الرملة الثانية أثره السىء على الوزير الأفضل ، لذلك أرسل فى العام التالى ٤٩٦ هـ (١١٠٣ م) جيشين الى بلاد الشام ، أحدهما برى بقيادة تاج العجم ، والآخر بحرى بقيادة القاضى ابن قاروس . فوصل الأسطول الى يافا فى حين امتنع

تاج العجم عن التقدم بعد عسقلان حتى تصله أوامر من الوزير نفسه (٢٦٦) • فلما علم الوزير بذلك أرسل من قبض على تاج العجم وعين مكانه رجلا آخر لقبه جمال الملك (٢٦٧) •

وهكذا أدى تفرق كلمة القوى الاسلامية (٢٦٨) ، الى جانب تفوق كلمة قادة الجيش والأسطول الفاطمى ، الى ضياع خير فرصة لاستعادة فلسطين من أيدى الصليبيين (٢٦٩) •

وباستيلاء الصليبيين على ميناء يافا ارتفعت روحهم المعنوية ، وصمموا على الاستيلاء على بقية الموانى الباقية فى أيدى الفاطميين • فبدأوا بالاستيلاء على عكا (٤٩٧ هـ ــ ١١٠٤ م) ــ منتهزين فرصة وجود أسطول ايطالى فى البحر المتوسط (٢٧٠) • وهكذا سقطت عكا رغم استبسال حاكمها زهر الدولة الجيوشى ، وكان سقوطها بسبب تفكك القوى الاسلاميه فى ذلك الوقت ، ولعدم ارسال نجدات لحمايتها من مصر صاحبة النفوذ الفعلى فيها ، ولتشديد الصليبيين الحصار عليها برا وبحرا • وبسقوطها أصبح للصليبيين السيادة على شواطىء فلسطين ، وحرم الأسطول الفاطمى من أهم قواعده بالشام (٢٧١) •

وبعد استيلاء الفرنج على عكا بدأوا يشددون الحصار من جديد على طرابلس ، التى وقفت عقبة كأداء فى طريقهم باستمرار ، فما كان من فخر الملك بن عمار الا أن صالحهم على أن يكون ظاهر البلدة لهم وداخلها له (٢٧٢) •

والواقع أن ذكاء ابن عمار وشجاعته مكنتاه من أن يؤجل بعض الوقت وقوع كارثة استيلاء الصليبيين على طرابلس (٢٧٣) • فقد شددوا الحصار عليها حوالى خمس سنوات متوالية حتى سقطت فى أيديهم ، فلما ضاق أميرها بهذا الحصار اتجه فى سنة ٥٠١ هـ

الى بغداد لطلب النجدة (٢٧٤) . فى حين استنجد أهلها بالوزير الفاطمى الأفضل ، وطلبوا منه أن يرسل لهم حاكما قويا يتولى أمور المدينة ، فأرسل لهم بالفعل حاكما جديدا هو شرف الدولة ، الذى قبض على أتباع فخر الملك وأرسلهم الى مصر (٢٧٥) .

شدد الصليبيون الحصار من جديد على طرابلس ، فطلب حاكمها من السلطات الفاطمية أن ترسل اليه نجدة سريعة ، فأصدر الوزير الفاطمى أوامره للأسطول بالتحرك الى طرابلس ولكن نشوب الخلافات بين الأمراء أخرت تحرك الأسطول سنة كاملة ، وعندما بدأ فى التحرك هبت رياح شديدة عاقت سيره ، وعندما استطاع المسير كان الوقت قد فات والمدينة وقعت فى يد الفرنج ، بعد أن قطع الأهالى الأمل فى وصول أى نجدة ، سنة ٥٠٢ هـ ـ ١١٠٨ م (٢٧٦) وهنا يحمل المؤرخ أبو المحاسن الحكومة الفاطمية مسئولية عن ضياع طرابلس من أيدى المسلمين ، وذلك لتقاعسهم عن المسير مدة طويلة ، ولضعف الجيش الفاطمى ، المرسل مع الأسطول ، ولعدم خروج الأفضل بنفسه على رأس هذا الجيش كما كان والده يفعل من قبل (٢٧٧) .

وفى سنة ٤٩٨ هـ (١١٠٥ م) قام المصريون بآخر محاولة لاسترجاع فلسطين (٢٧٨) ، فقد بعث الأفضل جيشا كبيرا الى فلسطين بقيادة ابنه شرف المعالى ، سناء الملك حسين ، كما أرسل أسطولا لمساعدة الجيش من البحر . وهنا نلاحظ أنه لأول مرة تتحد قوى السلاجقة والفاطميين ضد الصليبيين . فقد أرسل الأفضل الى طغتكين أتابك الذى تولى أمر دمشق بعد وفاة دقاق سنة ٤٩٧ هـ (١١٠٤ م) ، يطلب منه أن يتحد معه ضد الصليبيين فوافق على طلبه (٢٧٩) . واذا كان طغتكين أتابك لم ينهض بنفسه على رأس الجيش الدمشقى ، لانشغاله بمحاربة أحد الخارجين عليه والمنضمين الى الفرنج ، فقد أرسل نائبا عنه هو « اصبهبذ

صباوو » (٢٨٠) فالتقى المسلمون والفرنج فى منتصف ذى الحجة بين يافا وعسقلان (٢٨١) • وبالتحديد أمام مدينة الرملة (٢٨٢) • لذا عرفت المعركة بموقعة الرملة الثالثة •

وعندما دارت الحرب بين الجانبين انهزم المسلمون ، وعاد الجيش الدمشــــقى ، كما عاد الجيش والأســـطول الفاطمى الى مصر (٢٨٣) •

وهكذا نلاحظ أن المقاومة الفاطمية للصليبيين كانت غير مجدية فى غالب الأحيان • وذلك لأن الفاطميين كانوا أحيانا لا يلبون نداء أهالى المدن الشامية التابعة لهم • واذا لبوا بعض هذه النداءات فاما أن تكون النجدات ضعيفة ، واما أنها تصل بعد فوات الوقت المناسب •

وهنا يعلق كل من المؤرخ جب والمؤرخ (أرشيبالد لويس) على عوامل نجاح الصليبيين فى بلاد الشام ، فيذكر جب ان هذا النجاح يرجع الى عاملين : أولا : « الصراع بين القوى الست المتميزة فى بلاد الشام عند قدوم الصليبيين وهى : الامبراطورية الفاطمية ، القبائل العربية المحلية والأمراء ، أمراء السلاجقة التركمان ، الأمراء الأتراك العسكريون ، القبائل التركمانية المستقلة أو غير المستقلة ، عامة الشعب » (٢٨٤) • ثانيا : « أن جزءا ليس باليسير من أسباب نجاح الصليبيين يرجع الى تقدمهم فى وسائل الحصار الكثيرة المحكمة والى قوة تحصيناتهم (٢٨٥) •

أما « أرشيبالد لويس » فيقول ان ذلك النجــاح لا يرجع الى كفاية قوادهم وبسالة جنودهم بقدر رجوعه الى عاملين آخرين مهمين : أولهما وأكثرهما أهمية ، مســاعدة البحرية الايطالية للصليبيين بالآلات اللازمة لاخضاع المدن الاســـلامية الساحلية ، الى جانب

المساعدة بالمؤن • والعامل الثانى هو فشل الأسطول الفاطمى فى الوصول الى المياه السورية للعمل ضد الصليبيين رغم أن الأسطول الفاطمى آنذاك لم يكن قليل الخطر • حقيقة أنه ربما يكون الأسطول قد تدهور بعد وفاة بدر الجمالى ، ولكن الامتناع عن استخدامه كلية ، يرجع الى الضعف والاستكانة اللذين انتابا الفاطميين الأواخر (٢٨٦) •

هكذا يتضح لنا موقف الدول الاسلامية الكبرى من الغزو الصليبى لبلاد الشام ، وكيف أدى سوء الأحوال الداخلية فى بعضها الى جانب استكانة البعض الآخر الى نجاح الصليبيين فى تحقيق مآربهم •

الهــــوامش

(١) حسن حبشى : الحروب الصليبية الأولى ، ص ١٨ ٠

(٢) جوزيف نسيم : العرب والروم واللاتين ، ص ١٠٥ « فهى استعمار عسكرى اتخذ من القوة المسلحة وسيلة لتحقيق أهداف العدوان وهى استعمار سياسى يستهدف سلب حريتها وتفتيت وحدتها واعاقة نموها ، وهي استعمار استيطاني يهدف الى الاستيلاء على الأراضي واستعباد النفس البشرية ٠ وهي استعمار ثقافى يسعى الى فرض الحضارة الغربية اللاتينية على العـالم العربى ٠ ثم هى استعمار دينى يتمثل فى محاولات أوروبا نشر الكاثوليكية فى العـالم العربى عن طريق الحروب الصليبية والبعثات التبشيرية ، كما يبدو من تسميتها وشعـارها ومن مسلكها وتصرفاتها ٠ وأخيرا هى استعمار اقتصادى استغلالى مظهره نهب ثروات البلاد والاستئثار بخيراتها من موارد وخامات أوليـــة وفيرة ٠

(٣) عمر كمال : تاريخ الامبراطورية البيزنطية ، ص ٢٠١ ٠

(٤) عمر كمال : مقدمات العدوان الصليبى ، ص ١٠٨ ـ ١٠٩ ٠ وهنا يرى روسيه :
(Rousset : La Caract&re de la première Croisade. p. 30).
أن هذه الحرب لم تكن سوى حرب دفاعية قام بها أباطرة بيزنطة لحماية أنفسهم من تهديدات جيرانهم واستعادة الأراضى القديمة اليونانية والمسيحية ٠

(٥) طرخان : الاقطاع الاسلامى ، دراسة مقارنة من المجلد السادس سنة ١٩٥٧ من المجلة التاريخية المصرية ، ص ٦٢ ، ٦٣ ، ٦٤ ٠ سعيد عاشور : جـ ١ ، ص ١٧ ٠ فاقـدم أصـول عـرفت للاقطـــاع الغـــربى هى الأحـداث التى وقعت خـلال العصر الميروفنجى فى القـرن الســادس الميـلادى بصـــفة خاصة حين نشب نزاع حاد بين أبناء وأحفاد كلوفس نظرا لما جروا عليه من تقسيم الملك كارث خاص عقب وفاة كل ملك ، ثم بين هؤلاء الملوك من الفرنجة وكبار الأرستقراطيين فى القرن السابع الميلادى ٠ سببت هذه الأحداث الخطيرة اختلالا فى الأمن فى المناطق الواقعة بين نهرى الرين واللوار قلب الامبراطورية الفرنجية ومسقط رأس الاقطاع الغربى ٠ وزاد الأمر سوءا أن عجزت الحكومة ابانئذ عن حماية الأمن مما أتاح الفرصة الى ظهور ونمو فريق من الأثرياء

الاقوياء لجا اليهم جيرانهم من مفتقدى الأمن فوجدوهم أجدى من الحكومة فى تحقيق رغبتهم ، وفى نظير هذه الحماية كان لابد من لقـاء لها أخذ هذا اللقـاء صورة خدمات يقدمها أولئك اللاجئون ·

تطور فريق من الناس اذن الى نوعين من تلقاء أنفسهم تحت الأحـوال السـائدة : ساده واتباع ومن هنا جاءت كلمة تابع Vassus بمعنى خادم أو ولد صغير · ووضح هذا النظام فى العصر الكارولنجى خلفاء الميروفنجيين ، حين احتاج ببين الثانى وشـارل مارتل الى مزيد من القوة الحربية ولا سـيما من الاتباع ومنحوا الضياع ، حتى يستطيع التابع تجهيز نفسه حربيـا ولا سيما وان الفارس فى ذلك الزمن كان العـامل الحاسم فى الحروب · ثم منح أولئك الأتبـاع أراضيهم لغيرهم فتكونت طبقـة من أتبـاع الأتبـاع Subvasals .

وخلال فترات الاضطراب التى اقترنت بالغزو الخـارجى من جانب النورمان أو الصقالبة أو العرب أو المجريين بدت الحاجة ماسة دون صغار الملاك الى التماس الأمن . ولما تعارضت هذه الحاجة مع حرصهم على الابقـاء على منزلتهم الاجتماعية كرجال أحرار ، لم يكن أمامهم سوى حل واحد بسيط هو دخولهم ضمن طبقة المحاربين الممتازين التابعين لكبار السادة ، بمعنى آخر الجأوا أملاكهم الى أولئك السادة ثم استردوها منهم ثانيا كاقطاع وعرفت هذه العملية بالالجاء ·

. Feudalisation

(٦) سعيد عاشور : أوربا العصور الوسطى ، جـ ٢ ، ص ٥١ ·

(٧) نفس المصدر ، ص ٥٢ كان أهمها التزام الفصل بالحضور على نفقتـه الخاصة الى مقر السيد الاقطاعى عندما يطلب اليه ذلك ·

(٨) عاشور · أوربا العصور الوسطى ، جـ ٢ ، ص ٥٥ ·

(٩) وهنايذكر روسيه

Rousset : La Caractère de la Première Croisade, p. 195.

والدكتور محمد مصطفى زيادة عن كتاب الاقطاع والعصور الوسطى فى غرب أوربا لكلوبلاند ولينوجـرادوف ص ٨٢ ـ ٨٣ « أنـه فى مؤتمـر ناربون Narbonne المنعقد فى ٢٥ أغسطس سنة ١٠٥٤ م قرر « أن المسيحى الذى يقاتل مسيحيا آخر يهدر دم المسيح » ثم ظهرت فكرة (هدنة الله (Treve de Dieu التى نادى بها البابا (اربان الثانى - Urbain - II) والتى تقرر فيها أن تكون الايام الواقعة بين ليلة الجمعة وصباح الاثنين من كل أسبوع هدنة ، احتراما لما فيها من ذكريات عذاب المسيح وبعثه وارتقـائه الى السماء » ·

(١٠) Rousset · Op. Cit., p. 195.

(١١) Rousset : Op. Cit., p. 196.

(١٢) سعيد عاشور : أوربا العصور الوسطى ، جـ ٢ ، ص ٦٠ .

(١٣) Riusset : Ibid., p. 195.

(١٤) العريني : الشرق الأوسط والحروب الصليبية ، جـ ١ ، ص ١٢١ ، عن . (Painter : Western Europe on the Eve of Crusades)

(١٥) العريني : الشرق الأوسط والحروب الصليبية ، جـ ١ ، ص ١٠٨ .
Runciman : A History of The Crusades, V. I, p. 92.

(١٦) Rousset : Op. Cit., p. 198.

(١٧) جوزيف نسيم : العرب والروم واللاتين ، ص ٨٦ ، ٨٧ ، ٩٠ .

(١٨) Runciman : Op. Cit., V. 1, p. 219.

(١٩) العروسى : الحروب الصليبية فى المشرق والمغرب ، ص ١٦ .

(٢٠) هنا يذكر روسيه Rousset : Op. Cit., p. 194. « ان الرغبة الشديدة لهؤلاء الصليبيين فى الذهاب الى فلسطين لم تكن لأهميتها الجغرافية أو الاستراتيجية ، بل لأنها المكان الأعلى الذى يناديهم منه الله » .

(٢١) هنا يرى بعض المؤرخين أن الحج العادى المسلح فى القرن الحادى عشر كان أحد العوامل المهمة فى أصول الحرب الصليبية .
Rousset : Op. Cit., p. 15.

(٢٢) حسن حبشى : الحروب الصليبية الأولى ، ص ١٩ ــ ٢٠ فقد كانت الحروب الصليبية حادثا خرج من أعماق العصور الوسطى ليعلن عن بداية عصر الفن Rousset : Op. Cit., p. 16.

(٢٣) أمير على : مختصر تاريخ العرب ، نقله للعربيــة عفيف البعلبكى ، ص ٢٨٢ .

(٢٤) حسن حبشى : الحروب الصليبية الأولى ، ص ٢١ ، عن
Migne : Nouv. Ency. Theol.
« يقال أن أحد الحجاج استلقى على الصليب هاتفا : « أيها السيد المسيح يا من تفضلت بالنزول عن عرش جلالك الى الأرض لخلاص الجنس البشرى ، ويا من ارتفعت الى السماء على شكل آدمى أتوسل اليك بعظمتك القوية أن تقبض روحى فى نفس المكان الذى شهد صعودك » .
عن

(٢٥) حسن حبشى الحروب الصليبية الأولى ، ص ٢١ .
عن
Setton & Baldwin : A Hist. éf The Crusades, V. 1, p. 74.
(G. Schlumberger : L'Epopée Byzantine).

(٢٦) Setton & Baldwin : Op. Cit., V. 1, p. 76.
(Bréhier : L'Eglise et L'Orient).

(٢٧) Setton & Baldwin : Ibid. V. 1, p. 77.
(Letter of Victor - II)
Runciman : A Hist. Of The Crusades, V. p, p. 49.

(٢٨) العرينى : الشرق الأوسط والحروب الصليبية ، جـ ١ ، ص ٩٨ .

(٢٩) هنا يذكر Setton & Baldwin : Op. Cit., p. 160.
« انه من الممكن أن يكون هناك بعض الحجاج الذين قاسوا فى أورشليم نفسها بسبب الفوضى فى عهد اتسز ولكن يجب ألا ننسى السرقات التى تسبب فيها البدو للحجاج قبل وصول التركمان ولم نعرف أى سرقات قام بها الاتراك » .

(٣٠) العرينى : ص ٩٩ عن :
(Runciman : The Pilgrimage to Palestine) ,
Setton è Baldwin, Ibid ... .pp 78.

(٣١) سعيد عاشور : الحركة الصليبية ، جـ ١ ، ص ٣١ . هناك أكثر من مؤرخ أوربى مسيحى منصف ، قد قرروا فى صراحة تامة أن السلاجقة لم يغيروا شيئا من أوضاع المسيحيين فى الشرق . وأن المسيحيين الذين خضعوا لحكم السلاجقة صاروا أسعد حالا من الذين عاشوا فى قلب الامبراطورية البيزنطية ذاتها ، وأن ما اعترى المسيحيين فى الشام وآسيا الصغرى من متاعب فى ذلك العصر كان مرده الصراع بين السلاجقة والبيزنطيين عن :
(Thomoson : Economic è Social History of The Middle Ages.

(٣٢) العروسى . الحروب الصليبية فى المشرق والمغرب ، ص ١٥ .

(٣٣) جوستاف لوبون : حضارة العرب ، تعريب عادل زعيتر ، ص ٣٢٢ .

(٣٤) العروسى : المصدر السابق ، ص ١٥ .

(٣٥) الباز العرينى : الشرق الأوسط والحروب الصليبية ، جـ ١ ، ص ١٤٣ ، جوزيف نسيم : العرب والروم واللاتين ، ص ١٥٠ .

(٣٦) العرينى : الشرق الأوسط والحروب الصليبية ، جـ ١ ، ص ١٤٢ .

(٣٧) العرينى : الشرق الأوسط والحروب الصليبية ، جـ ١ ، ص ١٤٣ عن :
(Cahen : La Syrie du Nord) ,

(٣٨) جوزيف نسيم : العرب والروم واللاتين ، ص ١٥٠ ، عبد النعيم حسنين : سلاجقة ايران والعراق ، ص ١٠٣ .

(٣٩) Rousset : La Caractère de la premi&re Croisade, p. 1٤.

(٤٠) جوزيف نسيم : العرب والروم واللاتين . ص ٥٦ . ولكن البابا أربان

الثانى لم يمتد به الأجل حتى يرى فكرته تتحقق ، فقد مات قبل أن يصل الى سمعه أخبار انتصار الصليبيين على المسلمين ودخولهم بيت المقدس .
Runciman : A Hist. Of The Crusades, V. 1, p. 288.

(٤١) العرينى : الشرق الأوسط والحروب الصليبية ، ج ١ . ص ١٤٥ ، عن :
(Duncalf : The Councils Of Piacenza and Clermont).
(Fliche : La Reforme Grégorienne)

(٤٢) العرينى الشرق الاوسط والحروب الصليبية . ج ١ . ص ١٥٣ - ١٥٤ .
Setton & Baldwin : Op. Cit., V. I, p. 220

(٤٣) Setton & Baldwin : Op. Cit., p. 243.

(٤٤) Riusset : Op. Cit., p. 198. ,

(٤٥) جوزيف نسيم : العدوان الصليبى على مصر ، المقدمة .

(٤٦) وهنا يذكر روسيه Rousset أن الصيحة المشهورة (ارادة الله) يجب أن تفهم على انها اكتشاف القادة لأنفسهم ولفكرة الحروب الصليبية التى كانت بداخلهم والتى صورت فى صوت البابا
(Rousset : Op. Cit., p. 198) ,

(٤٧) جوزيف نسيم العدوان الصليبى على مصر ، المقدمة
وهنا يذكر ستون وبلدوين : (Setton è Balwin : Op. Cit., p. 246).
أن البابا اربان قال انه على كل من قرر الذهاب فى هذه الرحلة المقدسة أن يقدم نفسه على أنه (قربان حى) وذلك بعد أن يؤدى القسم ثم يرتدى (علامة صليب الاله) .

(٤٨) ابن ميسر : أخبار مصر ، ج ٢ . ص ٣٨ .

(٤٩) Runciman : A Hist. Of The Crusades, V. I, p. 215.,
Gibb : The Damascus Chronicle Of The Crusades, p. 42.

(٥٠) ابن العديم - زبدة الحلب ، ج ٢ ، ص ١٣١ ، ابن القلانس : ذيل تاريخ دمشق ، ص ١٣٤ .

بقراس مدينة في لحف جبل اللكام على يمين القاصد الى أنطاكية من حلب فى البلاد المطلة على نواحى طرسوس (ياقوت : ج ٤ ، ص ٤٦٧) .

(٥١) مؤلف مجهول : أعمال الفرنجة وحجاج بيت المقدس ، ترجمة حسن حبشى ، ص ١٠١ وهنا يذكر ابن القلانس فى الذيل ، ص ١٣٤ ، Gibb المصدر

السابق ، ص ٤٣ انهم قتلوا من أهلها حوالى خمسين رجلا • والبارة بليدة وكورة من نواحى حلب وبها حصن (ياقوت ، جـ ٣ ، ص ٣٢٠) •

(٥٢) الحريرى : الاعلام والتبيين ، مخطوط بدار الكتب المصرية رقم ٢٢٨٦ تاريخ تيمور ، ص ٢ ب •

(٥٣) ابن الشحنة الدر المنتخب فى تاريخ حلب ، ص ٢١٤ •

(٥٤) الحريرى . الاعلام والتبيين ، مخطوط ، ص ٣ (٩) ، الذهبى : دول الاسلام ، مخطوط ٧٧ (ب) ، ابن الوردى : تتمة المختصر ، . ، ص ١٠ فى حين ينفرد ابن الشحنة : روض المناظر ، مخطوط ، ص ١١٧ (ظ) بالقول بأن الحصار استمر سبعة أشهر •

(٥٥) لما تأخر وصول النجدة التى طلبها باغى سيان من أمراء المسلمين ، أخذ فى تدبير أمره وخاف من النصارى الذين بانطاكية وأمر بحفر خندق خارجها ورتب للمسلمين يوما وللنصارى يوما ففى أول يوم أخرج المسلمين وحدهم فعملوا فى الخندق ثم عادوا الى منازلهم • وفى اليوم الثانى أخرج النصارى وحدهم فعملوا فى الخندق ولما ارادوا دخول البلد اخر اليوم منعهم وقال لهم : ان انطاكية لكم فهبوها لى حتى أنظر ما يكون منا ومن الفرنج فقالوا : من يحفظ أبناءنا ونساءنا ، فقال : أنا أخلفكم فيهم فسكتوا وأقاموا مع الفرنج وحفظ أولادهم • ثم علم بأن هناك نجدة من قبل السلطان بركيا رق مكونة من حوالى خمسة وعشرين الفا فى طريقها اليه فطلب من الفرنج ايقـاف الحرب مؤقتا • ولم يكن الفرنج يعلمون شيئا عن النجدة كما لم يكونوا يعلمون أن الأقوات قد قلت بداخل انطاكية ، فأجابوه الى ما طلب . فأرسل ياغى سيان الى جهة البحر فحصل على ما يحتاج اليه من الأقوات • ثم طلب من الفرنج استئناف القتال قبل أن يصل اليه المدد (بيشوف الجرمانى : تحف الانباء ، ص ٤٩ ، الطباخ الحلبى ، اعلام النبلاء ، ص ٣٨٠) •

(٥٦) يسميه ابن الاثير : الكامل ، جـ ٨ ، ص ١٨٦ روزبه فى حين يسميه ابن الشحنة : الدر المنتخب ، ص ٢١٤ فيروز •

(٥٧) ابن كثير ، البداية والنهاية ، جـ ١٢ ، ص ١٥٥

Gibb : The Damascus Chronicle, p. 44. ...

ابن الشحنة : الدر المنتخب ، ص ٢١٤ ، الحريرى ، الاعلام والتبيين ، مخطوط ، ص ٣ ٩ •

(٥٨) ابن الاثير : الكامل ، جـ ٨ ، ص ١٨٦ •

(٥٩) المصدر السابق والصفحة ، ابن الشحنة الدر المنتخب . ص ٢١٤ ، الحريرى : الاعلام والتبيين ص ٣ (٦) •

(٦٠) ابن القلانس . ذيل تاريخ دمشق ، ص ١٢٥ ٠

(٦١) يذكر حسن حبشى فى ترجمته للجستا ، ص ٩٥ ــ ٩٦ ، انه « بعد دخول بوهيموند أنطاكية عقد اتفاقية مع أحمد بن مروان القائد القائم بحراسة قلعتها اذن بمقتضاها للكفرة الذين يريدون اعتناق المسيحية بالاقامة معه ، بينما اذن لمن انصرف عنها ٠ منهم بالرجوع سالمين آمنين دون أن يمسهم ضر أو أذى » ٠

(٦٢) نقل الينا نص الكتاب حسن حبشى عن صاحب الجستا . ص ٩٠ ، ٩١ « لقد عجب زعماؤنا وسادتنا كل العجب من أن يدفعكم التهور والحمق الى اقتحام أرض النصارى ٠٠ وان زعماءنا جميعا يسألونكم الارتداد عن أرض الرب والمسيحيين ٠٠ وان زعماءنا ليأذنوا لكم بأخذ كل مالكم من خيول والبغال ٠٠ وجميع ما تملكون كما يأذنون لكم بنقل ذلك كله معكم حيث شئتم » ٠

(٦٣) نقل المصدر السابق أيضا نص رد كربوغا . ص ٩١ « عودوا على جناح السرعة الى سادتكم وقولوا لهم انهم اذا كانوا يريدون أن يشتركوا وينبذوا ربكم الذى تسجدون له ويهجروا شرائعكم التى أنتم عليها الآن فاننا نعطيهم هذه الارض وما هو اكثر منها ٠٠ وستتوثق بيننا وبينكم صداقة مكينة وان لم يفعلوا ذلك فعليهم أن يدركوا أنهم سوف يلاقون الموت أو نقودهم مكبلين بالأصفاد الى خراسان يبقون فى أسرنا الى الأبد ، ونستعبدهم نحن وأبناؤنا على مر العصور » ٠

(٦٤) بيشوف الجرمانى : ص ٥٠ ــ ٥١ ، الطباخ الحلبى . ص ٣٨٤ ٠

(٦٥) ابن الشحنة : الدر المنتخب ، ص ٢١٦ ٠

Runciman : A Hist. Of The Crusades, V. I, p. 260. .... ..

(٦٦) وهنا يذكر G 166 ½ انه رغم وعد الفرنج لأهالى المعرة بالأمان فانهم نهبوا كل ما وصلت اليه ايديهم وفرضوا على الاهالى أموالا طائلة كانوا غير قادرين على دفعها ٠

(Gibb : The Damascus Chronicle, p. 47).

(٦٧) ابن الأثير · الكامل ، جـ ٨ ، ص ١٨٧ ــ ١٨٨ ، أبو الفدا : المختصر ، جـ ٢ ، ص ٢١١ ٠ ابن الوردى : تتمة المختصر ، جـ ٢ ، ص ١٠ ــ ١١ ويذكر رنسيمان جـ ١ ، ص ٢٦٧ ٠ أن أمير شيزر عرض عليهم أن يمدهم بالمرشدين والمؤن الرخيصة على الا يتعرضوا لبلاده ٠

(٦٨) Runciman : Op. Cit., p. 269.

(٦٩) Runciman : Ibid , p. 270.

(٧٠) ابن ميسر : أخبار مصر ، جـ ٢ ، ص ٣٩ ٠

(٧١) Runciman : A Hist. Of The Crucades, V. 1, p. 277.

(٧٢) ابن الاثير : الكامل ، جـ ٨ ، ص ١٨٩ ، أبو الفدا : المختصر ، جـ ٢ ، ص ٢١١ ، ابن الوردى : تتمة المختصر ، جـ ٢ ، ص ١١ .

(٧٣) ابن ميسر : أخبار مصر ، جـ ٢ ، ص ٣٩ ، ابن القلانس : ص ١٣٦ .

(٧٤) ابن ايبك : كنز الدرر ، جـ ٦ ، الدرة المضية ، ص ٤٥١ .

(٧٥) يذكر رنسيمان أنه باقتراب الصليبيين من بيت المقدس اتخذ افتخار الدولة احتياطاته اللازمة للدفاع وأخرج جميع النصارى ـ سواء الأرثوذكس أو الهراطقة من البلد حتى لا يكونوا ساعدا للصليبيين بالداخل .
(Runciman : Op. Cit., p. 280.)

(٧٦) جوزيف نسيم : العرب والروم واللاتين ، س ٢٦١ .
(Runciman : Ibid., p. 281).

(٧٧) (Runciman : Ibid., p. 283.

(٧٨) سيد على الحريرى الأخبار السنية ، ص ٣٧ .
(Runciman : Ibid., p. 282).

(٧٩) أبو المحاسن : النجوم الزاهرة ، جـ ٥ ، ص ١٤٨ ـ ١٤٩ ، الحريرى : الاعلام والتبيين مخطوط ، ص ١٤ « قيل انهم اخذوا من الصخرة أكثر من أربعين قنديلا من الفضة وزن كل قنديل ثلاثة آلاف وستمائة درهم ، وأخذوا تنورا من فضة وزنه أربعون رطلا بالشام وأخذوا من الاموال ما لا يحصى .

وهنا يذكر مذبحة القدس مجموعة من المؤرخين المسلمين والمسيحيين منهم امير علي ومكسيموس وزوند وجوستاف لوبون فيقولون : « كان المسلمون يذبحون فى الشوارع وفي البيوت ، ولم يجدوا فى المدينة مكانا أمينا يعتصمون فيه ، فكان بعضهم يلقى بنفسه من فوق الأسوار وكان الاخرون يزدحمون فى القصور والأبراج . وفى المساجد وخاصة مسجد عمر ، ظنا منهم انهم هناك يحتمون من الموت ولكن ظنهم قد خاب اذ دخل الصليبيون خيالة ومشاة الجامع المذكور وأبادوا بحد السيف كل الموجودين هناك حتى ارتفع الدم الى الركب بل الى حدم لجم الخيل ولم يكن يسمع فى تلك الساعة غير أنين الجرحى وحشرجات الموتى ، وكذلك وطىء الغزاة بخيولهم اكواما من الجثث وهم يطاردون أولئك الذين حاولوا الهرب عبثا . » اما صاحب الجستا فيذكر أن « جثث القتلى تعالت حتى حاذت البيوت ارتفاعا » .

Ameer Ali : A Short Hist , p. 327.

مكسيموس مونروند : تاريخ الحروب المقدسة في المشرق ، عربه كيريو كيريو مكسيموس ، م ١ ، ص ١٧١ ، جوستاف لوبون « حضارة العرب : تعريب عادل زعيتر ، ص ٣٢٧ ، حسن حبشى عن صاحب الجستا فى كتاب : أعمال الفرنجة وحجاج بيت المقدس ، ص ١١٩ .

(٨٠) أبو المحاسن : النجوم الزاهرة ، ج ٥ ، ص ١٤٨ ، الحريرى : الاعلام والتبيين ، ص ٤ (١) ابن ميسر : أخبار مصر ، ج ٢ ، ص ٣٩ فى حين ينفرد ابن المقفع : تاريخ بطاركة الكنيسة المصرية م ٢ ، ج ٣ ، ص ٢٤٩ بالقول بأن ذلك تم فى رمضان سنة ٤٩٢ هـ والراجح أن هذا الرأى غير صحيح استنادا الى رأى غالبية المؤرخين .

(٨١) مكسيموس مونروند : تاريخ الحروب المقدسة في المشرق ، م ١ ، ص ١٧٥ ، جوستاف لوبون . حضارة العرب ، ص ٣٢٧ ، سيد على الحريرى الأخبار السنية ، ص ٣٩ ، ويفسر ابن المقفع تاريخ بطاركة الكنيســة المصرية . م ٢ ، ج ٣ ، ص ٢٤٩ (خوارج النصارى) بقوله انهم النصارى اليعاقبة الذين أصبحوا غير قادرين على أداء فريضة الحج فى القدس ولا حتى الدنو منها بسبب بغض اللاتين لهم وتكفيرهم .

(٨٢) يذكر رنسيمان : « ان افتخار الدولة ورجاله ، عندما رأوا عدم جدوى الدفاع ، فروا خارج البلد وانضموا الى الحامية الموجودة فى عسقلان . فكانوا المسلمين الوحيدين فى أورشليم الذين ظلوا على قيد الحياة »

(٨٣) **Runciman : Op. cit., VI, p. 286.**
Ameer Ali : A Short Hist w, p. 327-328.

(٨٤) جوزيف نسيم : العرب والروم واللاتين ، ص ٢٦٣ .

(٨٥) مكسيموس مونروند : تاريخ الحروب المقدسة فى المشرق ، م ١ ، ص ١٧٥ .

(٨٦) جوستاف لوبون : حضارة العرب ، تعريب عادل زعيتر ، ص ٣٢٨ .

(٨٧) سعيد عاشور : الحركة الصليبية ، ج ١ ، ص ٢٩٢ .
Runciman : Op. Cit., V. 2, p. 7.

(٨٨) ابن العميد : تاريخ المسلمين ، ص ٢٩٤ ، سبط بن الجوزى : مرآة الزمان ، ج ١٢ م ٣ ، مخطوط ص ٢٤٣ (١) ؛
C. Cahen : La Chronique Abrégée D'al Azimi, p. 374.

(٨٩) أبو المحاسن : النجوم الزاهرة ، ج ٥ ، ص ١٦٧ ، اليافعى : مرآة

الجنان ، ج ٣ ، ص ١٥٦ ، سبط بن الجوزى : مراة الزمان ، ج ١٢ ، م ٣ ، ص ٢٤٣ (أ) .

(٩٠) اليافعى : مراة الجنان ج ٣ ، ص ١٥٦ ، الحريرى : الاعلام والتبيين ، مخطوط ، ص ٥ ا .

(٩١) أبو المحاسن : النجوم الزاهرة ، ج ٥ ، ص ١٦٧ .

(٩٢) ابن العميد : تاريخ المسلمين ، ص ٢٩٤ ، اليافعى . مراة الجنان ، ج ٣ ، ص ١٥٦ .

(٩٣) ابن الاثير : الكامل ، ج ٨ ، ص ٢٠٤ ، الذهبى . دول الاسلام ، مخطوط ، ص ٧٩ ا .

(٩٤) الحريرى : الاعلام والتبيين ، ص ٥ (أ) .

(٩٥) ابن الاثير : الكامل ، ج ٨ ، ص ٢١١ .

(٩٦) الحريرى : الأعلام والتبيين ، ص ٥ (ا) ، الذهبى : دول الاسلام . مخطوط ، ص ٧٩ ب .

(٩٧) الحريرى : ص ٦ (أ) .

(٩٨) نفس المصدر والصفحة .

(٩٩) كفرلاثا : فى سفح جبل عاملة ، من نواحي حلب ، وأهلها اسماعيلية (ياقوت : ج ١٦ ، ص ٤٧٠) .

(١٠٠) ابن الشحنة : الدر المنتخب فى تاريخ مملكة حلب ، ص ٢١٧ .

(١٠١) ابن الاثير : الكامل ، ج ٨ ، ص ٢٢١ ، ابن القلانس : ذيل تاريخ دمشق ، ص ١٤٣ ، سبط ابن الجوزى . مرأة الزمان ، ق ١ ، ج ٨ ، ص ٩ .

(١٠٢) ابن القلانس : ص ١٤٣ ، سبط بن الجوزى : مرآة الزمان ، ق ١ ، ج ٨ ، ص ٩ .

(١٠٣) سيد علي الحريرى : الأخبار السنية ، ص ٤٩ .

(١٠٤) ابن الاثير : الكامل ، ج ٨ ، ص ٢٢١ .

(١٠٥) أبو المحاسن : النجوم الزاهرة ، ج ٥ ، ص ١٨٨ ، سبط بن الجوزى مرآة الزمان ، ق ١ ج ٨ ، ص ٩٠ فى حين يذكر سيد علي الحريرى : الاخبار السنية ، ص ٤٩ ، « أن بودوين وافق على تسليم المدينة اليه بعد خروج المسلمين

بأمتعتهم منها وأعطاهم لذلك أمانا ، فرموا له مفاتيح المدينة من فوق السور ، لكن الجنويين لما رأوا غنى أهل المدينة هجموا على أهل البلد يسلبون ويقتلون وأخذ بودوين يتوسل الى الجنويين ليمتنعوا عن الفتك بأهل المدينة فما أمكنه ، ويتفق معه فى هذا الرأى (اعطاء الأمان ونقده) ابن أيبك كنز الدرر ، جـ ٦ ص ٤٦٣ .

(١٠٦) ابن الأثير : الكامل ، جـ ٨ ، ص ٢٢١ ، ابن العميد : تاريخ المسلمين ، ص ٢٩٥ .

(١٠٧) المقريزى : الخطط ، جـ ٢ ، ص ٢٩١ .

(١٠٨) أبو المحاسن : النجوم الزاهرة ، جـ ٥ ، ص ١٨٨ وهنا ينفرد العينى : عقد الجمان ، جـ ١٥ م ٣ ، ص ٥٨٥ بالقول بأن ذلك حدث سنة ٤٩٨ هـ والراجح أن ذلك غير صحيح .

(١٠٩) أبو الفدا : المختصر فى أخبار البشر ، جـ ٢ ، ص ٢١٧ ، ابن الوردى تتمة المختصر ، جـ ٢ ، ص ١٥ .

(١١٠) C. Cahen : La Chronique Abrégée D'al Azimi, p. 377.

(١١١) ابن الأثير . الكامل . جـ ٨ ، ص ٢٢٨ .

(١١٢) نفس المصدر . ص ٢٢٣ . ابن الشحنة الدر المنتخب في تاريخ مملكة حلب ، ص ٢١٧ .

(١١٣) ابن الأثير . الكامل . جـ ٨ ، ص ٢٣٤ ، أبو الفدا : المختصر . جـ ٢ . ص ٢٢٠ ويذكر ابن الأثير أن أحد أولاد ابن ملاعب كان بدمشق عند طغتكين غضبان على أبيه فولاه طغتكين حصنا وضمن على نفسه حفظ الطريق . فلم يفعل وقطع الطريق ، فاستغاث الناس بطغتكين فأرسل اليه من طلبه فهرب الى الفرنج واستدعاهم الى حصن افامية وقال « ليس فيه غير قوت شهر فاقاموا عليه يحاصرونه فجاع أهله وملكه الفرنج » .

(١١٤) ابن الأثير : الكامل ، جـ ٨ ، ص ٢٣٥ ، ابن الوردى : تتمة المختصر ، جـ ٢ ، ص ١٧ . فى حين يذكر سبط بن الجوزى : مرآة الزمان ، ق ١ ، جـ ٨ ، ص ٩ ، الذهبى : دول الاسلام ، مخطوط ، ص ٨٠ ، ان ذلك حدث سنة ٤٩٧ هـ والأرجح هو الرأى الأول .

(١١٥) Gibb : The Damascus Chronicle Of The Crusades, p. 14.

(١١٦) جوزيف نسيم : العرب والروم واللاتين ، ص ٧٥ · وهنا يذكر عمر كمال : مقدمات العدوان الصليبى على الشرق العربى ، ص ١٧٢ ، أن الحملات التى قام بها البيزنطيون على الشرق الأدنى الاسلامى ، ونجاحهم فى اقامة منطقة نفوذ لهم فى الجزء الشمالي من الشـام ، قد أمدهم بذريعـة قوية تذرعوا بها للتدخل فى شئون الصليبيين واماراتهم اللاتينية التى بدأو افى اقامتها منذ أواخر القرن الحادى عشر الميلادى · فلقد تمسك الأباطرة البيزنطيون بما اعتبروه حقا لهم فى حكم الأراضى المسيحية المقدسة وخاصة انطاكية التى كانت خاضعة لهم الى عهد قريب ·

(١١٧) عمر كمال : تاريخ الامبراطورية البيزنطية ، ص ١٤٦ ·

(١١٨) Runciman : A Hist. Of The Crusades, V. 1, pp. 157 & 163.

(١١٩) عمر كمال : تاريخ الامبراطورية البيزنطية ، ص ١٤٦ ·

(١٢٠) ابن الاثير : الكامل ، جـ ٨ ، ص ١٨٦ ، وهو يذكر هنا أنه كان يقصد أن يحثهم على الخروج الى بلاد الاسلام ظنا منه أن الأتراك لا يبقون منهم أحدا ·

(١٢١) جوزيف نسيم · العرب والروم واللاتين ، ص ٢٢٢ ·

(١٢٢) Runciman : Op. Cit., V. 1, pp. 150, 177 & 181.

(١٢٣) حسن حبشى : الحروب الصليبية الأولى . ص ٣٩ ، عمر كمال · تاريخ الامبراطورية البيزنطية ، ص ١٤٦ ·

Gibb : The Damascus Chronicle, p. 43.

(١٢٤) عمر كمال : تاريخ الامبراطورية البيزنطية ، ص ١٣٨ ـ ١٣٩ ، والمسوس بلدة بثغور طرسوس يقال انه بلد أصحاب الكهف (ياقوت : جـ ٢ ، ص ٢٣١) ·

(١٢٥) Runciman : Op. Cit., V. I.; p. 227.

(١٢٦) سعيد عاشور : قبرس والحروب الصليبية ، ص ٢١ · والامارات هى انطاكية والرها وطرابلس وبيت المقدس ·

(١٢٧) عمر كمال · تاريخ الأمبراطورية البيزنطية . ص ١٤٧ ·

Runciman : Op. Cit., V. 1, p. 272.

وهو يذكر ، انه بعد أستيلاء الصليبيين على طرطوسة أرسل اليهم الامبراطور البيزنطى بأن ينتظروه ، وأنه سوف يقودهم الى فلسطين · وقد أراد رايموند

أن يقبل ذلك العرض وفقا لليمين الذى حلفوه للامبراطور · ولكن كان هناك بعض الامراء مثل بوهيموند ، كانوا يكرهون البيزنطيين ثم أنه لم يكن يوجد أحد من الأمراء الآخرين يرغب في وضع نفسه تحت سلطة الامبراطورية البيزنطية · كما أنهم جميعا كانوا متعجلين الذهاب لأورشليم » · أما حسن حبشى فى ترجمة الجستا العربية ص ٩٨ فيذكر : « أن الصليبيين أرسلوا رسولا الى الامبراطور بعد فتح انطاكية كى يحضر لتسلم المدينة وينفذ الاتفاقات التى أبرمها معهم والتى منها حضوره كى يتوجه معهم الى بيت المقدس ، ولكن الرسول لم يعد بأى رد اطلاقا » ·

(١٢٨) عمر كمال : مقدمات العدوان الصليبى . ص ١٧٣ ·

(١٢٩) سعيد عاشور : قبرص والحروب الصليبية . ص ١٩ ·

(١٣٠) سعيد عاشور : قبرص والحروب الصليبية ، ص ٢٢ ·

(١٣١) العرينى : الشرق الأوسط والحروب الصليبية ، جـ ١ ص ٢٢٩ ·
Runciman : Op. Cit., V.I., p. 222.

(١٣٢) مؤلف مجهول . أعمال الفرنجة وحجاج بيت المقدس ، ترجمة حبشى ص ٥٦ ـ ٥٧ ·

(١٣٣) سعيد عاشور : قبرس والحروب الصليبية ، ص ٢٣ ـ ٢٤ ·

(١٣٤) ابن القلانس : ذيل تاريخ دمشق ، ص ١٣٤ ، ابن العديم : زبدة الحلب ، جـ ٢ ، ١٣١ ·

ويذكر ابن العديم أن سبب ذلك هو استبداد باغى سيان حاكم انطاكية فى معاملتهم ·

(١٣٥) Runciman : Op. Cit., V. 1, p. 215.

(١٣٦) ابن الاثير : الكامل ، جـ ٨ ، ص ١٨٦ · وهنا يذكر رنسيمان : « أنه باقتراب المسيحيين من انطاكية حبس باغى سيان البطريرك رئيس أهم منظمة مسيحية فى البلد وطرد عددا كبيرا من رؤساء النصارى من البلد وفر الباقون · وسواء أخرج النصارى من انطاكية بالشدة أو بالإتفاق معهم على أساس العودة بعد ذلك فقد كان وجودهم خارج البلد فرصة للصليبيين كى يستميلوا العديد منهم الى جانبهم » ·
Runciman : Op. Cit., V. I, pp. 214 & 280.

(١٣٧) العرينى : الشرق الأوسط والحروب الصليبية ، جـ ١ ، ص ٢٣٧ ·
Runciman : Ibid., V. 1. p. 218.

(١٣٨) Runciman : Ibid., VI., pp. 221-229.

(١٣٩) حسن حبشي عن الجستا ، ص ٦٢ .

(١٤٠) ابن الشحنة : الدر المنتخب في تاريخ مملكة حلب ، ص ٢١٦ .

(١٤١) Runciman : Op. Cit., V.I., p. 283.

(١٤٢) ابن الاثير : الكامل ، ج ٨ ، ص ١٨٦ .

(١٤٣) ابن المقفع : تاريخ بطاركة الكنيسة المصرية ، م ٢ ج ٢ ، ص ٢٤٩

(١٤٤) جوزيف نسيم : العرب والروم واللاتين ، ص ٢٣٥ .

(١٤٥) كان الارمن يكونون اقلية بين سكان المدن الشمالية في بلاد الشام .

(Gibb : The Damascus Chronicle, p. 29).

(١٤٦) Runciman : Op., Cit., V. 1, pp. 221-229.

(١٤٧) ففي ص ٥٠ يذكر صاحب الجستا ترجمة حسن حبشي « ان الارمن والسريان الذين كانوا داخل انطاكية كانوا يغادرونها متظاهرين بالفرار ، وكانت عادتهم أن يتقصوا حالنا وخبر موقفنا ثم يحملون كل شيء الى أولئك المحاصرين بالمدينة » . وفي ص ٥٤ ــ ٥٥ يذكر « أنه اثناء المجاعة التي لحقت الصليبيين حول انطاكية عمل الأرمن والسريان على التجول في الجبال يشترون الحنطة والأطعمة ويبيعونها للصليبيين بأثمان باهظة ، فمات الكثير من الصليبيين الذين عجزوا عن دفع هذه الأثمان المرتفعة .

ثم ينقل لنا ص ٦٢ « انهم استجابوا ــ طوعا أو كرها ــ لأوامر الترك وأخذوا يرمون الصليبيين بالنبال وذلك يوم ٦ مارس ١٠٩٨ م » .

وفي ص ٦٥ يذكر أنه قد « اقبل الى انطاكية اثناء حصارها يوم ٥ أبريل ١٠٩٨ م فريق كبير من الأرمن والسريان المقيمين في الجبال حاملين الذخيرة للترك والأقوات لتموين المدينة فهب تنكريد لصدهم واسرهم واستولى على جميع ما معهم من المؤنة والقمح والنبيذ والشعير والزيت وغيرها » . وفي ص ٩٥ يذكر أنه « لما استطار نبأ ظهور الصليبيين على الأتراك في انطاكية سمع الأرمن والسريان المقيمون في المنطقة وجروا نحو الجبل ليسدوا عليهم الطريق وفتكوا بكل من استطاعوا القبض عليه منهم » .

(١٤٨) Runciman : Op. Cit., V. I, p. 214.

(١٤٩) أما جب فيذكر أن فيروز تحالف مع الصليبيين لان ياغي سيان قد أساء معاملته وصادره من ممتلكاته

Runciman : Ibid., V. I, p. 231.

(Gibb : The Damascus Chronicle, p. 44).

(١٥٠) ابن القلانسى : ص ١٢٥ ، العرينى : الشرق الأوسط والحروب الصليبية ، ج ١ ، ص ٢٤٥ ـ ٢٤٦ وهنا يذكر لنا حسن حبشى عن الجستا ص ٦٦ « انه توثقت عرى الصداقة بين بوهيموند وفيروز . ووعده بوهيموند بالترحيب به ان هو اعتنق النصرانية وراح يغريه بالشرف العظيم والثروة الوافرة ، فوثق فيروز بتلك الأقوال وهاتيك العهود وقال « اننى اقوم بحراسة ثلاثة أبراج وانني أعده بها عن طيب خاطر ، وسأسلمه اياها يوم يشاء وسأرحب به فيها » .

(١٥١) ولو أن رنسيمان يعود فيذكر انه أخذ هذه الحادثة عن وليم الصورى الذى ملئت كتاباته بالتفاصيل البعيدة عن الحقيقة .

Runciman : Op. Cit., V. I,p. 233.

(١٥٢) ابن الأثير : الكامل ، ج ٨ ، ص ٨٦ .

(١٥٣) (Runciman : Ibid., V. I, p. 235).

(١٥٤) ابن الشحنة : الدر المنتخب في تاريخ مملكة حلب ، ص ٢١٦ .

(١٥٥) Runciman : Op. Cit, V. I, p. 234.

(١٥٦) سعيد عاشور : الحركة الصليبية ، ج ١ ، ص ١٤١ ، ١٤٢ .

وقد قرأنا لروسيه رأيا لا نستطيع أن نحدد فى الواقع مدى صحته وهو أن الحروب الصليبية كانت حربا عجيبة لأنها وضعت تجانسا بين اسرائيل والصليبيين وأن الاثنين شعوب مختارة .

(١٥٧)

(Rousset : La Caract&re de la Promi&re Croisade, p. 93).

Runciman : Op. Cit., V. 1, p. 280.

(١٥٨) Runciman : Ibid., V. 1, p. 287, Gibb : Op. Cit., p. 48.

مكسيموس مونروند : تاريخ الحروب المقدسة فى المشرق ، م ١ ، ص ١٧٥ ، غستاف لوبون : حضارة العرب ، تعريب عادل زعيتر ، ص ٣٢٧ ، ابن العميد : تاريخ المسلمين ، ص ٢٩٣ .

(١٥٩) سعيد عاشور : الحركة الصليبية ، ج ١ ، ص ٢٧٦ .

(١٦٠) عاشور : الحركة الصليبية ، ج ١ ، ص ١٤٢ .

(١٦١) ابن الأثير : الكامل ، ج ٨ ، ص ١٨٧ .

(١٦٢) Runciman : Op. Cit., V. 1, p. 220.

(١٦٣) العرينى : الشرق الأوسط والحروب الصليبية ، ج ١ ، ص ٢٣٣ .

Runciman : Ibid., V. IJ. 215.

(١٦٤) ابن الأثير : الكامل ، ج ٨ ، ص ١٨٧ .

Runciman : Ibid., V. 1., p. 241.

(١٦٥) العريني : الشرق الأوسط والحروب الصليبية ، جـ ١ ، ص ٢٥٢ (عن : Crousset : Hist. des Croisades)

(١٦٦) ابن الاثير : الكامل ، جـ ٨ ، ص ١٨٧ ·

(١٦٧) ابن الاثير : الكامل ، جـ ٨ ، ص ١٨٨ ،
Runciman : Op. Cit., V., p. 267.

وهنا يذكر حسن حبشى نقلا عن الجستا ، ص ١٠٧ » أن أمير شيزر أرسل الى الكونت رايموند — وهو بالمعرة وكفر طاب — رسلا من قبله يعلنون اليه رغبة مولاهم فى موادعته وانه يقبل أن يشاطره الكونت بعض ما يملك ، وانه عامل جهده على راحة الحجاج ويقسم له على ذلك بدينه كما انه يتعهد له بالا ينالهم أى أذى داخل حدود أرضه » ·

(١٦٨) Runciman : Ibid., V. 1, p. 269.

(١٦٩) ابن الاثير : الكامل ، جـ ٨ ، ص ١٨٨ ، حسن حبشى : الحرب الصليبية الأولى ، ص ٥١ : كما يذكر فى ترجمته للجستا ، ص ١٠٩ » ان أمير حمص قد أنفذ الى الكونت رايموند بعض الرسل ومعهم الجياد والمال وعقدت معاهدة اتفق فيها على ألا يمس الأمير النصارى باذى بل تعهد باحترامهم والمحافظة عليهم » ·

(١٧٠) أبو الفدا : المختصر ، جـ ٢ ، ص ٢١٦ · ابن الوردى : تتمة المختصر ، جـ ٢ ، ص ١٤ · Gibb : Op. Cit., p. 57.

(١٧١) ابن الاثير : الكامل ، جـ ٨ ، ص ٢١١ ، أبو الفدا : المختصر ، جـ ٢ ، ص ٢١٦ ، ابن الوردى : تتمة المختصر ، جـ ٢ ، ص ١٤ · كما يذكر رانسيمان أن الأمير أمدهم ببعض المرشدين ، قادوهم خلال الطرق الخطرة الموجودة فى بلاده ·
Runciman : Op. Cit., V. I, p. 275. ،

كذلك يذكر حسن حبشى عن الجستا ، ص ١٠٩ » أن الأمير أرسل من قبله رسالة الى الكونت رايموند يسأله الموادعة والاتفاق والارتباط معه برباط المودة اذا أحب وأنفذ اليه عشرة جياد وأربعة بغال وبعض المال غير أن الكونت صرح بأنه لا يقبل مسالمة أمير طرابلس الا اذ اعتنق النصرانية » ·

(١٧٢) أبو المحاسن : النجوم الزاهرة ، جـ ٥ ، ص ١٧٩ ·

وهنا يعلق حسن حبشى أيضا عن الجستا ، ص ١١٣ » أن أمير طرابلس قدم للصليبيين ثلاثمائة حاج كانوا فى أسرهم وأعطاهم خمس عشرة قطعة ذهبية وخمس عشرة هدية غالية القيمة ، وأمدهم بذخيرة كبيرة من الجياد والحمير

وشتى أنواع المحاصيل واتفق مع زعمائهم على أن يتنصر ويتسلم أرضه منهم اذا هم استطاعوا الظهور على خليفة مصر فى الحرب التى اعدها لهم واذا تمكنوا من امتلاك بيت المقدس » .

(١٧٣) سعيد عاشور : الحركة الصليبية ، جـ ١ ، ص ٣٦٣ ـ ٣٦٤ .

(١٧٤) Runciman : Op. Cit., V. I, p. 276. ,

(١٧٥) سيد على الحريرى : الأخبار السنية فى الحروب الصليبية ، ص ٣٥ .

(١٧٦) Crusset : Hist. des Croisades, V. I, pp. 157-158. Gullaune De Tyre).

(١٧٧) Runciman : Op. Cit., V. 1. pp. 281-282.

(١٧٨) ابن الاثير : الكامل ، جـ ٨ ، ص ١٩٩ .

(١٧٩) Gibb : The Damascus Chrinicle, pp. 52-53.

(١٨٠) ابن الاثير : الكامل ، جـ ٨ ، ص ١٩٩ .

(١٨١) كان من النتائج الخطيرة التى ترتبت على مقتل سليمان بن قتلمش انه لم يخلف سوى طفل صغير هو قلج أرسلان دواود ، لذلك عندما قدمت الحملة الصليبية الأولى الى الأناضول وجدت طريقها سهلا ممهدا لخلو البلاد من حاكم قوى .

(١٨٢) تاريخ أبو الهيجاء ميكروفيلم رقم ٩٤٥ تاريخ ، حوادث سنة ٤٨٩ هـ .

(١٨٣) الحريرى : الاعلام والتبيين ، مخطوط ، ص ٢ (ب) .

(١٨٤) ابن الأثير : الكامل ، جـ ٨ ، ص ١٨٦ .

(١٨٥) ابن العديم : زبدة الحلب ، جـ ٢ ، ص ١٣٦ ، العرينى : الشرق الأوسط والحروب الصليبية جـ ١ ، ص ٢٥٢ .

(١٨٦) Gibb : The Damascus Chronicle, p. 26, Setton & Baldwin : A Hist. Of The Croisades, V. 1. p. 160.

(١٨٧) ابن الأثير : الكامل ، جـ ٨ ، ص ١٩٥ ويسميه ابن كثير : البداية والنهاية ، جـ ١٢ ، ص ١٥٨ ستكين ابن انشمند أمين الدولة وواقى الأمينية بدمشق وبصرى .

(١٨٨) ابن الأثير : الكامل ، جـ ٨ ، ص ٢٠٤ الذهبى : دول الاسلام ، مخطوط ، ص ٧٩ (١) .

(١٨٩) ابن كثير : البداية والنهاية ، جـ ١٢ ، ص ١٦٥ .

(١٩٠) وهو ركن الدولة السلجوقى • ابن كثير . البداية والنهاية ، جـ ١٢ ، ص ١٦٤ •

(١٩١) أبو المحاسن : النجوم الزاهرة ، جـ ٥ ، ص ١٦١ •

(١٩٢) كان ذلك يوم الجمعة سابع عشر ذى الحجة • ابن الاثير : الكامل ، جـ ٨ ، ص ١٩١ •

(١٩٣ ، ١٩٤) وذلك يوم الجمعة منتصف صفر • ابن الاثير : الكامل ، جـ ٨ ، ص ١٩٣ ، ابن كثير : البداية والنهاية ، جـ ١٢ ، ص ١٥٨ ، أبو المحاسن : النجوم الزاهرة ، جـ ٥ ، ص ١٩٥ •

(١٩٥ ، ١٩٦) يوم الجمعة رابع عشر رجب • ابن الأثير : الكامل ، جـ ٨ ، ص ١٩٤ •

(١٩٧ ، ١٩٨) ابن الأثير : الكامل ، جـ ٨ ، ص ١٩٤ ، أبو المحاسن : النجوم الزاهرة ،جـ ٥ ، ص ١٩٧ •

(١٩٩ ، ٢٠٠) ابن كثير : البداية والنهاية ، جـ ١٢ ، ص ١٦٢ ، ابن الأثير : الكامل ، جـ ٨ ، ص ٢٠٥ — ٢٠٧ •

(٢٠١ ، ٢٠٢) ابن كثير ، جـ ١٢ ، ص ١٦٢ ـ ١٦٣ ، ابن الأثير : جـ ٨ ، ص ٢١٦ ـ ٢١٧ ، أبو المحاسن : جـ ٥ ، ص ١٨٦ •

(٢٠٣ ، ٢٠٤) ابن الأثير : الكامل ، جـ ٨ ، ص ٢٢٠ ، ابن كثير : البداية والنهاية ، جـ ١٢ ، ص ١٦٣ ، ابن العبرى : تاريخ مختصر الدول ، ص ١٩٧ •

(٢٠٥) أبو المحاسن : النجوم الزاهرة ، جـ ٥ ، ص ٥٧ •

(٢٠٦) ابن العبرى : تاريخ مختصر الدول ، ص ١٩٤ ـ ١٩٥ •

(٢٠٧) Runciman : Op. Cit., V. I., p. 271.

(٢٠٨) يذكر العينى : عقد الجمان ، جـ ١٥ ، م ٢ ، ص ٥٠٧ ، عن تاريخ بيبرس ، أن هؤلاء الفقهاء هم « ابو محمد الدمغانى وابو بكر الشاش وابو القاسم الزنجانى وابو الوفاء بن عقيل » •

(٢٠٩) ابن كثير : البداية والنهاية ، جـ ١٢ ، ص ١٥٦ ، أبو المحاسن : النجوم الزاهرة ، جـ ٥ ، ص ١٥٠ ــ ١٥٢ وهو يذكر بعض ما قيل من شعر بهذه المناسبة :

أحل الكفر بالاسلام ضيما ... يطول عليه للدين النحيب
وكم من مسلم أمسى سليبا ... ومسلمة لها حرم سليب
وكم من مسجد جعلوه ديرا ... على محرابه نصب الصليب
أتسبى المسلمات بكل ثغر ... وعيش المسلمين اذا يطيب

(٢١٠) جوستاف لوبون . حضارة العرب ، تعريب عادل زعيتر . ص ٣٢٧ .

(٢١١) عبد الحميد العبادى : المجمل في تاريخ الأندلس ، ص ١٧٠

(٢١٢) عبد الحميد : المجمل فى تاريخ الأندلس ، ص ١٧١ .

(٢١٣) عبد الحميد العبادى المجمل فى تاريخ الاندلس ، ص ١٧٦ .

(٢١٤) نفس المصدر : ص ١٧٧ .

(٢١٥) نفس المصدر : ص ١٧٨ ــ ١٧٩ .

(٢١٦) Rousset : La Caract&re De La Promi&re Croisade, p. 31.

وهو يذكر ص ٣٢ انه كانت هناك حروب صليبية في أسبانيا سبقت الحروب الصليبية فى الشرق ثم عاصرتها . كانت أولى تلك الحملات التى أرسلتها فرنسا الي اسبانيا فى سنة ١٠٦٣ م ثم تلتها حملة اخرى سنة ١٠٧٣ وكان للبابوية دور كبير فى تعضيد تلك الحملات .

(٢١٧) جوزيف نسيم : العرب والروم واللاتين ، ص ١٧٤ .

(٢١٨) يوسف اشباخ : تاريخ الأندلس في عهد المرابطين والموحدين ، ترجمة محمد عبد الله عنان ، الكتاب الاول ، ص ١٢٤ ، العروسى : الحروب الصليبية فى المشرق والمغرب ، ص ١٤٠ .

وهنا يذكر ان الكثيرين من الفرسان من مختلف دول أوربا قد هرعوا الى الأندلس ليساهموا فى حروب صليبية ، هى الرب سبيلا وايسر مشقة وعناء .

(٢١٩) Russel : Op. Cit., p. 35.

(٢٢٠) يوسف أشباخ : تاريخ الاندلس فى عهد المرابطين والموحدين ، ترجمة محمد عبد الله عنان ، الكتاب الاول ، ص ١٣٩ ٠

(٢٢١) حسن ابراهيم : تاريخ الدولة الفاطمية ، ص ١٧١ ٠ وهنا يذكر أبو المحاسن : النجوم الزاهرة جـ ٥ ، ص ١٦ ، « انه فى هذه الشدة العظمى باع الخليفة المستنصر جميع موجوده وجميع ما كان في قصره حتى أخرج ثيابا كانت فى القصر من زمن الطائع الخليفة العباسى ، وكانت هذه الثياب التى لخلفاء بنى العباس عند خلفاء مصر يحتفظون بها لبغضهم لبنى العباس ، فكانت هذه الثياب عندهم بمصر بسبب المعيرة لبنى العباس ٠ فلما ضاق الأمر على المستنصر أخرجها وباعها بأبخس ثمن لشدة الحاجة » ٠

(٢٢٢) أبو المحاسن : النجوم الزاهرة ، جـ ٥ ، ص ٧٤ فى حين يذكر حسن ابراهيم أنه كان يموت كل يوم عشرة آلاف نفس ٠

(٢٢٣) حسن ابراهيم : تاريخ الدولة الفاطمية ، ص ١٧١ ٠

(٢٢٤) حسن ابراهيم : ص ١٧٢ ٠ وقد انتقم الأفضل من نزار بأن وضعه بين حائطين وبنى عليه فمات كما قتل افتكين ٠

(٢٢٥) جمال سرور : مصر فى عصر الدولة الفاطمية ، ص ٩٣ ٠

(٢٢٦) حسن حبشى : الحرب الصليبية الأولى ، ص ٥٦ ٠
O'Leary : A Short Hist., p. 216,

(٢٢٧) ابن الاثير ٠ الكامل ، جـ ٨ ، ص ١٨٦ فهو يذكر « أن أصحاب مصر من العلويين لما رأوا قوة الدولة السلجوقية وتمكنها واستيلائها على بلاد الشام الي غزة ولم يبق بينهم وبين مصر ولاية أخرى تمنعهم دخول الاقسيس الى مصر وحصرها فخافوا وأرسلوا الى الفرنج يدعونهم الى الخروج الى بلاد الشام ليملكوها » ٠

كما يذكر أوليرى : « أنه عندما وصلت أخبار وصول الصليبيين الى مصر استعد الافضل للقائهم كمساعدين له ضد الأتراك » ٠
O'Leary : A Short Hist., p. 216,

(٢٢٨) العريني : الشرق الأوسط والحروب الصليبية ، جـ ١ ، ص ٢٤٢
٢٤٣ ، سعيد عاشور : الحركة الصليبية ، جـ ١ ، ص ١٩٨ .

(٢٢٩) حسن حبشي : الحروب الصليبية الأولى ، ص ٥٢ . عن
Grousset : Hist. des Croisades V. 1, pp. 83 - 147.

(٢٣٠) العريني : ص ٢٤٣ ، عاشور . ص ١٩٧ .
(Gullaume De Tyre)

(٢٣١) Setton & Baldwin : Op. Cit., p. 95 & S. Lane Poole : A Hist. Og Egypt, V. 1. p. 164.

(٢٣٢) Grousset : Op. Cit., V. 1, p. 147.

(٢٣٣) Grousset : Ibid, V. I, p. 147.

(٢٣٤) حسن حبشي : الحرب الصليبية الأولى ، ص ٥٤ .

(٢٣٥) Grousset : Op. Cit., V. 1, p. 148 & Runciman : Op. Cit., V. I, p. 267.

(٢٣٦) سعيد عاشور : الحركة الصليبية ، جـ ١ ، ص ١٩٨ ـ ١٩٩ .
Gibb : Op. Cit., p. 45.

(٢٣٧) S. Lane Poole : A Hist if Egypt, V. 1. p. 164.
Runciman : Op. Cit., V. 1, p. 265.

(٢٣٨) حسن حبشي : الحرب الصليبية الأولى ، ص ٥٢ ـ ٥٤ ، عن :
(Guillaume De Tyre)
Grousset : Hist. des Croisades, V. I, p. 149.

(٢٣٩) عن
Grousset : Hist. des Croisades, V.1 , p. 149. (Guillaume)
Gibb ; The Damascus Chornicle, p. 48.

(٢٤٠) العروسي : الحروب الصليبية في المشرق والمغرب . ص ١٨

(٢٤١) مكسيموس مونروند : تاريخ الحروب المقدسة في المشرق ، م ١ ، ص ١٨١ :

(٢٤٢) سعيد عاشور : الحركة الصليبية ، ج ١ ، ص ٢٥٥ .

(٢٤٣) أبو المحاسن : النجوم الزاهرة ، ج ٥ . ص ١٤٩ ، الحريرى الاعلام والتبيين ، مخطوط ، ج ٤ ب .

(٢٤٤) O'Leary : A Short Hist ..., p. 216.

(٢٤٥) ابن القلانسى : الذيل ، ص ١٣٧ ، ابن ميسر : أخبار مصر ، ج ٢ ، ص ٣٩ .

(٢٤٦) نقل لنا حسن حبشى عن الجستا ، ص ١٢٢ ــ ١٢٤ « ان الافضل اخذ يبكى ويقول « يا أرواح الأرباب ان العين لم تبصر مثل ما جرى ولا سمعت الأذن بمثل ما حدث . أيتها الأرواح يا من لا تعادلك قوة ، ولا يماثلك باس ، ولا تضاهيك فروسية قط ، يا من لم تهزمى ابدا امام اية امة ولكنك غلبت على أمرك على يد هذه الفئة المسيحية الصغيرة ، ما أبلغ الحزن وما أشد الأسى . ماذا أقول أترانى أهزم على أيدى شعب منبوذ جبان ، وجماعة من الصعاليك لا يملكون من الدنيا سوى المزود والعصاه . هؤلاء هم الذين تتبعوا الشعب المصرى الذى طالما وزع عليهم الصدقات حين كانوا يجوبون بلادنا ملتمسين الاحسان ؟ لقد جمعت هنا مائتى الف فارس ولكنى رأيتهم يثنون اعنة جيادهم ويوجهونها شطر مصر هربا ؟ وانطلقوا لا يلوون على الوقوف أمام أمة الفرنجة . وانني لأقسم بمحمد وبقوة جميع أربابنا اننى لن أقود اية جماعة من الفرسان بعد الان مادمت قد طردت على يد مثل هذا الشعب الأجنبى . لقد احضرت جميع انواع السلاح والالات لمحاصرة الفرنجة فى بيت المقدس ، لكنهم هم الذين هاجمونى وتعقبونى مدة يومين . واسفاه .. ماذا أقول اكثر من ذلك ؟ لقد ضاعت هيبتى الى الأبد فى مصر » .

(٢٤٧) سبط بن الجوزى : مرآة الزمان ، ج ١٢ م ٣ مخطوط ، ص ٢٣٥ (أ)
Grousset : Op. Cit., V. 1, p. 174.

(٢٤٨) ابن الأثير : الكامل ، ج ٨ ، ص ١٩٠ . ابن ميسر : أخبار مصر ، ج ٢ ، ص ٣٩ : قيل أن بعض افراد الجيش الفاطمى حاول الاحتماء بشجر الجميز الكثير فى تلك المنطقة فما كان من الفرنج الا أن احرقوه .

(٢٤٩) سبط بن الجوزى : مرآة الزمان ، ج ١٢ م ٣ ، مخطوط ، ص ٢٣٥ (ب) .

(٢٥٠) S. Lane Poole : A Hist. Of Egypt. V. 1, p. 164.

(٢٥١) ابن القلانسى . الذيل : ص ١٢٧ سبط بن الجوزى : مرآة الزمان ، ج ١٢ م ٣ ، مخطوط ، ص ٢٣٥ (ب) . Gibb : Op. Cit., pp. 48-49.

وهنا يذكر سعيد عاشور : الحركة الصليبية ، ج ١ ، ص ٢٥٧ ـ ٢٥٨ سبب هذا الانقسام فيقول : « ان الذى وافق على اعطاء الأهالى الأمان هو رايموند الصنجيلى ، فخشى جودفرى أن يلجأ رايموند الى انشاء امارة لنفسه على شاطىء فلسطين تحرم مملكة بيت المقدس من شواطئها الطبيعية وبالتالى يقطع الصلة بينها وبين الغرب . فطلب جودفرى من رايموند أن يتخلى عن عسقلان التى ستتبع بيت المقدس . وهنا استاء رايموند وفضل أن تظل عسقلان فى يد المسلمين من أن يؤول أمرها الى يد جودفرى ، وحرص الأمراء على الانسحاب فانسحبوا معه ، بعد أن أوعز لاهالى عسقلان بالثبات والمقاومة فلما وجد جودفرى نفسه وحيدا مع اشتداد المقاومة فضل الإنسحاب »

(٢٥٢) Grousset : Op. Cit., V. 1, p. 175.

(٢٥٣) مكسيموس مونروند : تاريخ الحروب المقدسة فى المشرق ، م ١ ، ص ١٨٥ ـ ١٨٦ .

(٢٥٤) كانت بعضها تتبع الفاطميين مباشرة مثل عكا وصور وصيدا وبيروت وبعضها وخاصة طرابلس تتبعهم تبعية غير مباشرة ، فقد كان بنو عمار يحكمونها .

(٢٥٥) سعيد عاشور : الحركة الصليبية ، ج ١ ، ص ٢٦٢ ويذكر « جروسيه » أن الحامية كانت مكونة من ١٠٠ عربى ، ٢٠٠ افريقى .

Grousset : Op. Cit., V. 1, p. 182.

(٢٥٦) Grousset : Op. Cit., V. I, p. 183.

(٢٥٧) عاشور : الحركة الصليبية ، ج ١ ، ص ٢٦٣ . عن (Albert d'Aix)

(٢٥٨) عن Grousset : 9p. Cit., V. 1, pp. 222-223 (Albert d'Aix

(٢٥٩) عن Runciman : Op. cit., V. 2, p. 74 (Fulcher if Char.res

وهنا يختلف المؤرخون المسلمون فى سنة ارسال هذه الحملة . فالبعض يذكر انها أرسلت سنة ٤٩٣ ـ ١١٠٠ م ومنهم سبط بن الجوزى : مرآة الزمان ، ج ١٢ م ٣ ، مخطوط ، ص ٢٣٧ (ب) ، ٢٣٨ (أ) أبو المحاسن النجوم الزاهرة ، ج ٥ ، ص ١٥٢ . والبعض الاخر يذكر انها كانت سنة ٤٩٤ هـ ـ ١١٠١ م ومنهم ابن ميسر : اخبار مصر ، ج ٢ ، ص ٤٠ ، ابن القلانس : الذيل ص ١٤٠ .

(٢٦٠) Gibb : The Damascus Chronicle, pp. 53-54.

(٢٦١) سبط بن الجوزى : مرآة الزمان ، جـ ١٢ م ٢ ، مخطوط ،ص ٢٢٨ ب) ، أبو المحاسن : النجوم الزاهرة جـ ٥ ، ص ١٥٢ ، ابن ميسر : أخبار مصر ، جـ ٢ ، ص ٤٠ ، ابن القلانس : الذيل ، ص ١٤٠ .

(٢٦٢)
Runciman : Op. Cit., V. 2, p. 75. عن (Fulcher of Chartres)
S. Lane Poole : A Hist. Of Egypt, V. I, p. 164, Grousset : Op. Cit., V. 1, p. 227. عن (Allbery d'Aix, Foucher De Charactres).

(٢٦٣) Gibb : The Damascus Chronicle, pp. 55-56.

(٢٦٤) ابن القلانس : ص ١٤١ ، عن
Runciman : Op. Cit., V. 2, pp. 76-79.
(Fulcher), Grousset : l'Empire du Levant, p. 206.
أما ابن ميسر : ص ٤٠ ـ ٤١ فيذكر أن ذلك حدث سنة ٤٩٦ هـ .

(٢٦٥) سعيد عاشور : الحركة الصليبية ، جـ ١ ، ص ٢٩٨ . عن
(Foucher de Chartres)

(٢٦٦) Rucciman : Op. Cit., V. 2, p. 80, Grousset : Hist. des Croisades, p. 240.

(٢٦٧) ابن الأثير . الكامل ، جـ ٨ ، ص ٢١٩ .

(٢٦٨) ابن ميسر : اخبار مصر ، جـ ٢ ، ص ٤١ ، عاشور : ص ٢٩٩ ، فقد كان بلدوين قد استعان بحاكم انطاكية ـ فوصلت منه امدادات الى ميناء يافا ، وعبثا حاول الافضل أن يحصل على مساعدة دقاق صاحب دمشق ولكنه لم ينجده .

(٢٦٩) Runciman : Op. Cit., V. 2, p. 80.

(٢٧٠) ابن ميسر : ص ٤١ . الذهبى : تاريخ الاسلام ، مخطوط ، ص ١١٧ ،
Grousset : L'Empire du Levant, p. 208, Gibb : The Damascus Chronicle, p. 81.

(٢٧١) سعيد عاشور : الحركة الصليبية ، جـ ١ ، ص ٣٠٣ .

(٢٧٢) ابو المحاسن : النجوم الزاهرة ، جـ٥ ، ص ١٧٩ .

(٢٧٣) Grousset : Histoire des Croisades, V. 1, p. 132.

(٢٧٤) سيد على الحريرى الأخبار السنية فى الحروب الصليبية ، ص ٩٠ .

(٢٧٥) Runciman : Op .Cit., V. 2, p. 64.

(٢٧٦) Runcimaon : Ibid., V. 2, pp. 68 - 69, Grousset : Histiire des Croisades, : Histoire des Croisades, V. I, 357.

(٢٧٧) ابو المحاسن : النجوم الزاهرة ، جـ ٥ . ص ١٧٩ .

(٢٧٨) Runciman : Op. Cit., V. 2, p. 89., Grousset : Hist. des Croisades, p. 243.

(٢٧٩) سعيد عاشور : الحركة الصليبية ، جـ ١ ، ص ٢٠٤ .
Runciman : Ibid., V. 2, p. 89.

(٢٨٠) ابن الأثير : الكامل ، جـ ٨ ، ص ٢٢٩ .

(٢٨١) ابن ميسر : أخبار مصر ، جـ ٢ ، ص ٤١ ، ابن القلانس . الذيل ، ص ١٤٩ .

(٢٨٢) Grousset : Hist. des Croisades, V. 1, p. 245.

(٢٨٣) ابن ميسر ، ص ٤١ ، بن القلانس ، ص ١٤٩ .
Runciman : Op. Cit., V. 2, p. 90.

(٢٨٤) Gibb : The Damascus Chronicle, p. 14.

(٢٨٥) Gibb : ibid., p. 15.

(٢٨٦) أرشيبالد ــ ر ــ لويس : ترجمة أحمد عيسى ، القوى البحرية والتجارية فى حوض البحر المتوسط ، ص ٢٨٢ ــ ٢٨٣ .

الخاتمـــة

بعد هذه الدراسة التفصيلية للحياة السياسية فى بلاد الشام فى القرن الخامس الهجرى نستطيع أن نذكر ، أن هذه البلاد قد شهدت فى هذا القرن ألوانا وصورا عديدة من الصراع السياسى ، ســواء بين القوى الداخلية ، أو بين هذه القوى والقوى الخارجية المجاورة . واستمر هذا الاضطراب السياسى طوال القرن الخامس الهجرى (الحادى عشر الميلادى) ســواء فى فترة امتداد النفوذ الفاطمى ، أو النفوذ السلجوقى ، ثم استفحل الاضطراب السياسى بعد قدوم طلائع الصليبيين .

ففى فترة النفوذ الفاطمى ، رأينا كيف قاوم أهالى الشام عامة وأهالى دمشق السنيون خاصة ، الفاطميين الشيعة مقاومة عنيفة ، مما استدعى ارسال العديد من الولاة الفاطميين لأخماد تلك الحركات الثورية وخاصة فى دمشق . أما مدينة حلب ، فلم ينجح الفاطميون فى أن يبسطوا سلطانهم عليها منذ البداية ، لتبعيتها لبيزنطة . وببداية القرن الخامس الهجرى ، استطاعت الدولة الفاطمية أن تحكم حلب حكما مباشرا لمدة ثمانى سنوات تقريبا (٤٠٧ هـ : ٤١٥ هـ) ولكن هذا الحكم الموجه انتهى بسيطرة المرداسيين على حلب . وكانت العلاقات المرداســية الفاطمية فى شــد وجذب

مستمرين ، حتى استولى عليها السلاجقة السنيون بواسطة الضغط والارهاب ٠

كذلك قام بنو الجراح بكثير من حركات العصيان ضد الفاطميين في جنوب بلاد الشام ، مما جعل الخلفاء الفاطميين يبعثون اليها بالقائد تلو الآخر لاخماد تلك الحركات وخاصة أن بني الجراح كانوا أقرب القوى المعارضة في بلاد الشام للفاطميين في مصر ٠

كما رأينا كيف قام العنصر التركي في بلاد الشام بدور بارز في اثارة الاضطرابات والقلاقل خلال امتداد النفوذ الفاطمي في بلاد الشام ، ولم تقتصر هذه الحال على القرن الخامس الهجرى فحسب بل بدأت بوادر هذه القلاقل منذ أواخر القرن الرابع الهجرى ، وان كان هذا لا ينفي قيام بعض الشخصيات التركية بخدمات جليلة لبلاد الشام في تلك الفترة وأهمها الدزبرى وبدر الجمالى ٠

كما ساهمت العلاقات البيزنطية الشامية في القرن الخامس الهجرى بدور ملحوظ في اثارة التوتر والاضطراب في بلاد الشام وخاصة في الشمال ، وفي منطقة الثغور والعواصم ٠ وهذا الصراع الشامي البيزنطي لا يعتبر جديدا في هذا القرن ، بل نلمحه باستمرار في الصفحات التي تتناول تاريخ تلك البلاد ٠ وقد رأينا في القرن الخامس أن كلا الجانبين تبادلا النصر والهزيمة ، كما تخلل فترة النفوذ الفاطمي على بلاد الشام حوالى ثلاث فترات هدنة ، كانت الهدنة الأولى مع بداية القرن الخامس الهجرى (الحادى عشر الميلادى) سنة ٣٩٤ هـ ـ ١٠٠١ م ، وكانت الثانية في سنة ٤٢٧ هـ واستمرت كل منهما عشر سنوات ، أما الهدنة الثالثة فكانت سنة ٤٣٧ هـ ٠

كما قام الصراع القبلي والطائفي والمذهبي بدور فعال أيضا في اثارة الاضطرابات في بلاد الشام في فترة امتداد النفوذ الفاطمي ٠

فمن صراع قبلي بين الكلابيين والكلبيين والطائيين من ناحية ، وبين الخلافة الفاطمية من ناحية أخرى . وصراع طائفي ظهر واضحا في عهد الخليفة الحاكم بأمر الله ضد النصارى واليهود مما ترتب عليه هدم كنيسة القيامة ثم أعيد بناؤها بعد ذلك ، فكان لذلك أثره في احتجاج مسيحيي الغرب ضد مسلمي الشرق . فاذا ما أضفنا الى ذلك الصراع بين أهل السنة والشيعة اكتملت صورة الصراع بجوانبه المختلفة ، والتي تضافرت مع العوامل السابق ذكرها والتي جعلت من بلاد الشام ، منطقة شديدة الاضطراب . ومعنى هذا أن الاختلاف المذهبي بين أهالي الشام السنيين والفاطميين الشيعة لم يكن هو السبب في هذا التوتر الشامل في أحوال البلاد السياسية . لذلك عندما دخلت البلاد في حوزة السلاجقة السنيين ، استمرت حالة الاضطراب أيضا لأسباب نجملها فيما يلي :

أولا : قيام النزاع المستمر بين السلاجقة والفاطميين الذين كانت لهم السيادة على بلاد الشام من قبل .

ثانيا : استمرار الصراع على الحدود الشامية الشمالية مع البيزنطيين .

ثالثا : الصدام بين السلاجقة والقوى السياسية في بلاد الشام وأهمهم حكام طرابلس وشيزر وحلب .

رابعا : النزاع المستمر بين أفراد البيت السلجوقي في بلاد الشام وعلى رأسهم رضوان ودقاق ابنا تتش .

خامسا : استنفاد السلاجقة للقدر الباقي من قوتهم في كفاح المذهب الباطني .

وببداية الحروب الصليبية ، التى قامت أصلا لاسترداد بيت المقدس من المسلمين ، وجدت القيادات السلجوقية فى بلاد الشام فى تطاحن مستمر مما أضعف قوتهم وسمح للصليبيين بسرعة السيطرة على البلاد · كما كان للمساعدات البيزنطية والقبرصية والايطالية من الخارج ، الى جانب مساعدة المسيحيين والأرمن من الداخل أثرها فى نجاح تلك الحملات ·

ولم تكترث دول الخلافة الثلاث ، الفاطمية ، العباسية ، والأموية بالأندلس ، بصد هذا الزحف الصليبى ، وان كانت الدولة الفاطمية · قد بعثت بعض الحملات العسكرية الى بلاد الشام ، الا أنها كانت أضعف من أن تواجه القوى الصليبية نتيجة انقسام قوادها على أنفسهم ، ونتيجة قلة عدد هذه القوات ، الى جانب وصولها غالبا بعد فوات الوقت المناسب ·

والحقيقة المهمة التى نود ابرازها هنا هو أن الحملات الصليبية لم تحركها الى الشرق تلك الدوافع الغربية فقط ، والتى أفاضت الكثير من المصادر فى ذكرها ، وانما يسرت أحوال بلاد الشام الداخلية قدوم هذه الحملات ، اذ كانت الشام فى نهاية القرن الخامس الهجرى (الحادى عشر الميلادى) قد وصلت الى قمة الاضطراب والفوضى بالنسبه لأى فترة أخرى من فترات تاريخها الطويل ، مما شجع المسيحيين الغربيين على الاسراع فى تلبية نداء البيزنطيين ضد مسلمى الشرق ، جاعلين استرداد بيت المقدس من المسلمين هدفهم الرئيسى لهذه الحروب · ولو كان أحد سلاطين السلاجقة العظام ، مثل ألب أرسلان أو ملكشاه ، هو المسيطر على بلاد الشام فى نهاية القرن الخامس الهجرى ، لما تجرأ الصليبيون على التقدم الى الشرق الاسلامى ، خوفا من بطش سلطان عظيم يجمع حوله الراية الاسلامية فى كل أرجاء العالم الاسلامى ·

ولكن البلاد الاسلامية سرعان ما استيقظت من سباتها وعدم ادراكها لحقيقة هذا الخطر الجسيم ، وسعت جاهدة لتحقيق النصر ضد العدو الصليبي المشترك فقد بدأت مع بدايات القرن الثاني عشر الميلادي بوادر يقظة عربية اسلامية لمواجهة العدو (١) ٠ وظهرت بعض الشخصيات القوية المخلصة التي استبسلت في كفاحها ضد الصليبيين حتى استطاعت أن تحقق النصر وتسترد الأرض السليبة من العدو الغاصب ، ومن أمثلة هذا الكفاح المجيد ضد الصليبيين ، الدور المشرف الذي قام به نور الدين محمود ابن زنكي (٥١١ ـ ٥٦٩) فقد استطاع بجهوده المستميتة ضد الفرنج في بلاد الشام أن يستعيد منهم الأراضي الاسلامية باستيلائه على المدن والقلاع والحصون الشامية التي كان الصليبيون قد استولوا عليها من مسلمي الشام أيام ضعفهم وتفكك وحدتهم ٠ وقد استخدم نور الدين في كفاحه ضد الفرنج كل ما استطاع من أساليب ، سواء بالقوة أو باللين والخديعة ، ويكفي للتدليل على جهوده أنه استطاع أن يأسر أحد أمراء الفرنج الكبار وذوي النفوذ والبأس في بلاد الشام وخاصة في المناطق الشمالية التي كان يسيطر عليها ، وهو (جوسلين) الذي كان « شديد العداوة للمسلمين يتقدم الفرنج في حروبهم لما يعلمون من شجاعته وجودة رأيه وشدة عداوته للملة الاسلامية وقسوة قلبه على أهلها ، وأصيبت النصرانية كافة بأسره ٠٠ وسهل أمرهم على المسلمين بعده » (٢) وكان نور الدين اذا هزم الصليبيين لا يشتط في طلب ، ولا يتسامح كل التسامح في حقوق أمته (٣) ٠

أما صلاح الدين الأيوبي فحروبه مع الصليبيين معروفة ومشهودة ، وعلى يده كانت الوقائع المهمة الحاسمة ٠

وقد استطاع صلاح الدين بفضل جهوده العظيمة ضد الفرنج أن يستعيد منهم بيت المقدس سنة ٥٨٥ هـ بعد أن ظلت في أيديهم ثلاثا وتسعين سنة ثم انتزع ما بقي في أيديهم من أراضي الشام (٤) ٠

الهـــــوامش

(١) جوزيف نسيم : العدوان الصليبى على مصر ، من المقدمة .

(٢) ابو شامة : الروضتين فى أخبار الدولتين ، جـ ١ ق ١ ، ص ١٨٤ .

(٣) كرد على · الاسلام والحضارة العربية ، جـ ١ ، ص ٢٨٩ .

(٤) أحمد بن زينى دحلان . تاريخ الدولة الاسلامية بالجداول المرضية ، ص ٨٧ .

خريطة زمنيـــة

لولاة دمشق وحلب فى القرن الخامس الهجرى حتى قدوم الصليبيين

اسم الوالى	فترات الحـكم	مميزات الحكم
اولا : فترة النفوذ الفاطمى :		
(أ) دمشق :		
١ ـ محمد بن نزال	فترة محدودة من سنة ٤٠٠ هـ	
٢ ـ غلام القائد منير	من نهاية سنة ٤٠٠ هـ الى ربيع الأول سنة ٤٠١ هـ .	فترة عدم استقرار
٣ ـ القائد مظفر	ستة أشهر وتسعة أيام	
٤ ـ بدر العطـــار	شهران وعشرة أيام	
٥ ـ لؤلؤ بن عبد الله الشيرازى ، منتخب الدولة	ستة أشهر من جمادى الثانية سنة ٤٠١ هـ .	مات مقتولا بأمر الحاكم بأمر الله

اسم الوالى	فترات الحكم	مميزات الحكم
٦ ـ أبو المطاع ذو القرنين ابن حمدان ، وجيه الدولة .	١٠ ذى الحجة ـ ٧ جمادى الأول سنة ٤٠٢ هـ .	كان شاعرا وأديبا .
٧ ـ محمد بن بذال ، مختار الدولة	ثلاث سنوات وثمانية أشهر وعشرين يوما الى ذى الحجة سنة ٤٠٦ هـ .	كان حكمه مستقرا .
٨ ـ ساتكين ، سهم الدولة	سنتان من ٤٠٦ هـ ـ ٤٠٨ هـ	كان تركيا ، ظالما وهو الذى بنى جسر الحديد تحت قلعة دمشق .
٩ ـ سديد الدولة أبو منصور	من ذى القعدة سنة ٤٠٨ هـ الى ربيع الثانى سنة ٤٠٩ هـ .	
١٠ ـ أبو القاسم عبد الرحيم ابن الياس .	تولى امرة دمشق مرتين فى عهد الحاكم بأمر الله ، الأولى فى جمادى الآخرة سنة ٤٠٩ هـ والثانية فى جمادى الأولى ٤١٠ هـ	كان حكمه غير مستقر .

اسم الوالى	فترات الحكم	مميزات الحكم
١١ ـ أبو المطاع ذو القرنين ابن حمدان .	مدة محدودة من سنة ٤١٢ هـ	الولاية الثانية .
١٢ ـ سختكين الملكي ، شهاب الدولة .	سنتان وأربعة أشهر ، مات في ذى القعدة سنة ٤١٤ هـ .	كان من الموالى الأتراك .
١٣ ـ أبو المطاع ذو القرنين	ربيع الأول سنة ٤١٥ هـ ـ سنة ٤١٩ هـ .	الولاية الثالثة .
١٤ ـ أنوشتكين الدزبرى	من ٤١٩ هـ سنة ٤٣٣ هـ	كان تركيا ، اشتهر باليقظة والذكاء ، ولى بعلبك وقيسارية قبل دمشق ، حارب صالح بن مرداس وبنى الجراح وقضى على الفوضى فى بلاد الشام وبسط نفوذه على حلب وكانت له شعبية كبيرة . مات فى جمادى الأولى سنة ٤٣٣ هـ .

اسم الوالى	فترات الحكم	مميزات الحكم
١٥ ـ الأمير ناصر الدولة الحسن ابن حمدان	جمادى الآخرة سنة ٤٣٣ هـ ـ رجب سنة ٤٤٠ هـ .	ولايته الأولى . فى عهده قامت ثورة حسان بن الجراح .
١٦ ـ طارق الصقلبى	استمر فى الحكم سنة	مولى تركى .
١٧ ـ رفق المستنصرى	تولى لمدة أيام فى المحرم سنة ٤٤١ هـ .	مولى تركى
١٨ ـ الأمير حيدرة بن عصب الدولة بن مفلح، أبو الكرم أطويد .	رجب ٤٤١ هـ ـ ٤٥٠ هـ .	فى ولايته الأولى هذه كان حسن السيرة فاستقر حكمه فترة طويلة.
١٩ ـ الأمير ناصر الدولة بن حمدان .	رجب سنة ٤٥٠ هـ ـ ربيع الأول سنة ٤٥٢ هـ .	الولاية الثانية .
٢٠ ـ سبكتكين المستنصرى	ذو الحجة سنة ٤٥٢ هـ ـ ربيع سنة ٤٥٣ هـ .	مولى تركى .
٢١ ـ ابن البجناكى ، حسام الدولة .	جمادى الأولى سنة ٤٥٣ هـ رمضان ٤٥٣ هـ .	كانت له عناية بالحديث .

اسم الوالى	فترات الحكم	مميزات الحكم
٢٢ ـ ناصر الدولة بن حمدان	رمضان ـ ذى القعدة سنة ٤٥٣ هـ .	الولاية الثالثة .
٢٣ ـ حيدرة بن عصب الدولة .	حوالى سنة ونصف حتى مات فى ربيع الثانى سنة ٤٥٥ هـ .	الولاية الثانية .
٢٤ ـ بدر الجمالى ، المستنصرى	من ربيع الثانى سنة ٤٥٥ هـ ـ رجب سنة ٤٥٦ هـ .	الولاية الأولى ، كان أرمينيا ، وهو من الوالى الذين كان لهم أثر كبير فى توجيه سياسة بلاد الشام بل ومصر أيام الشدة العظمى .
٢٥ ـ الأمير حيدرة بن منزو الكتامى .	رمضان ـ ذى القعدة سنة ٤٥٦ هـ .	
٢٦ ـ درى المستنصرى ، شهاب زين الدولة .	لم يحكم سوى مدة محدودة	مولى تركى ، صرف من دمشق وتولى الرملة .
٢٧ بدر الجمالى .	جمادى الأولى سنة ٤٥٨ هـ . رمضان سنة ٤٦٠ هـ .	الولاية الثانية .

اسم الوالى	فترات الحكم	مميزات الحكم
٢٨ ـ الأمير بارز طغان ، قطب الدولة .	شعبان سنة ٤٦٠ هـ ـ ربيع الأول سنة ٤٦١ هـ .	
٢٩ ـ الأمير حصن الدولة حيدرة بن منزو الكتامى .	من شوال سنة ٤٦١ هـ ـ ذى القعدة سنة ٤٦٧ هـ .	دخل دمشق قهرا وبالغ فى الظلم وفى عهده ازداد الغلاء وانتشرت المجاعات .
٣٠ ـ القصار بن يحى المصمودى ، زين الدولة .	المحرم سنة ٤٦٨ هـ ـ ذى القعدة سنة ٤٦٨ هـ .	اختاره الأهالى ليعيد السكينة الى البلاد ولكن لم يلبث الأتراك السلاجقة أن استولوا على البلد .
(ب) حلب :		
١ ـ أبو نصر منصور بن لؤلؤ (مرتضى الدولة) .	٣٩٩ هـ ـ ٤٠٦ هـ .	من موالى الحمدانيين المتغلبين على الحكم أنعم عليه الحاكم بأمر الله بلقب مرتضى الدولة ، وهو أول من

اسم الوالي	فترات الحكم	مميزات الحكم
		اعترف بالسيادة الفاطمية الحقيقية على حلب .
٢ ـ فتح القلعي ، أبو الحسن علي بن أحمد المعروف بالضيف .	٤٠٦ هـ ـ ٤٠٧ هـ .	ظل تحت طاعة الحاكم بأمر الله .
٣ ـ الأمير عزيز الدولة أبو شجاع فاتك .	رمضان سنة ٤٠٧ هـ ـ ربيع الثاني سنة ٤١٣ هـ .	بدأ بطاعة الحاكم بأمر الله ثم استنجد بالروم ضده . ظهر عصيانه بوضوح في عهد ست الملك ، فدبرت مكيدة فقتل في ربيع الآخر سنة ٤١٣ هـ .
٤ ـ وفي الدولة بدر .	اربعة أشهر من ربيع الأول سنة ٤١٣ هـ .	ولته ست الملك .
٥ ـ صفي الدولة ، أبو عبد الله بن محمد ابي الحسن .	رجب سنة ٤١٣ هـ ـ المحرم سنة ٤١٤ هـ .	كان شاعرا أديبا ، تولى أبوه الوزارة للحاكم ، وكان جده القائد

اسم الوالي	فترات الحكم	مميزات الحكم
علي بن جعفر ابن فلاح الكتامي .		جعفر ابن فلاح ، تولى حكم مدينة حلب .
٦ - يمين الدولة سعادة الخادم، القلانسي .	تولى سنة ٤١٣ هـ .	تولى حكم قلعة حلب وكان من المتفقهين في الدين والعلم .
٧ - سند الدولة أبوه محمد الحسن بن محمد بن ثعبان الكتامي .	المحرم سنة ٤١٤ هـ - ربيع الثاني سنة ٤١٥ هـ .	تولى المدينة مكان صفي الدولة حتى توفي .
٨ - سديد الملك أبي الحارث ابن ثعبان .	جمادى الأولى سنة ٤١٥ هـ .	تولى مكان أخيه مدينة حلب .
٩ - أبو الحارث موصوف الخادم الصقلابي الأبيض الحاكمي .	تولى سنة ٤١٥ هـ .	تولى قلعة حلب .

اسم الوالى	فترات الحكم	ميزات الحكم
١٠ ـ أسد الدولة أبو على صالح بن مرداس .	ذو القعدة سنة ٤١٥ هـ ـ جمادى الأولى سنة ٤٢٠ هـ .	مؤسس الأسرة المرداسية بحلب ، قتل فى الاقحوانية فى جمادى الأولى سنة ٤٢٠ هـ عند قتاله لأنوشتكين الدزبرى .
١١ ـ شبل الدولة أبو كامل نصر ابن صالح .	٤٢٠ هـ ـ ٤٢٩ هـ .	فى سنة ٤٢٨ هـ استعان بالروم ضد الفاطميين .
١٢ ـ أنوشتكين الدزبرى .	رمضان سنة ٤٢٩ هـ ـ جمادى الأولى سنة ٤٣٣ هـ .	كان قائدا فاطميا وفى نفس الوقت واليا على دمشق .
١٣ ـ معز الدولة أبو علوان ثمال ابن صالح .	جمادى الأولى سنة ٤٣٣ هـ .	استولى على مدينة حلب بعد وفاة الدزبرى مباشرة وفى صفر من نفس السنة استولى على القلعة .
١٤ ـ مكين الدولة أبو على الحسن بن ملهم .	ذو القعدة سنة ٤٤٦ هـ ـ ٤٥٢ هـ .	تولى من قبل الخلافة الفاطمية ، ثم أساء معاملة أهالى حلب .

اسم الوالى	فترات الحكم	مميزات الحكم
١٥ ـ عز الدولة محمود بن نصر ابن صالح .	تولى فى منتصف سنة ٤٥٢ هـ .	كان عهده شديد الاضطراب .
١٦ ـ ثمال بن صالح	ذو الحجة سنة ٤٥٢ هـ ـ ذو القعدة ٤٥٤ هـ .	الولاية الثانية .
١٧ ـ أبو ذؤابة عطية بن صالح .	ذو القعدة سنة ٤٥٤ هـ ـ سنة ٤٥٧ هـ .	تولى مكان اخيه ثمال .
١٨ ـ محمود بن صالح بن مرداس .	من أواخر سنة ٤٥٧ هـ .	فى عهده قطعت الخطبة للفاطميين فى شوال سنة ٤٦٣ هـ وخطب للخليفة القائم وللسلطان السلجوقى ألب أرسلان .

اسم الوالى	فترات الحكم	مميزات الحكم
ثانيا : فترة النفوذ السلجوقى :		
(ا) دمشـــق :		
١ ـ اتسز بن أوق الخوارزمى .	ذو القعدة سنة ٤٦٨ هـ ـ ربيع الآخر سنة ٤٧٢ هـ .	أول الولاة السلاجقة بدمشق وأول من أسس القلعة بها ، لتكون مقر الحكم . بدأ ينشر المذهب السنى وكان ظالما .
٢ ـ تاج الدولة تتش بن ألب أرســلان .	ربيع الثانى سنة ٤٧٢ هـ الى أن قتل فى صفر سنة ٤٨٨ هـ .	كان فى صراع مستمر مع ابن أخيه السـلطان بركيارق وهو الذى قتله .
٣ ـ أبو نصر شمس الملوك دقاق ابن تتش بن ألب أرسلان .	من ٤٨٨ هـ ـ ٤٩٧ هـ .	حكم دمشق بعد موت أبيه وكان فى صراع مستمر مع أخيه رضوان والى حلب .

اسم الوالى	فترات الحكم	مميزات الحكم
(ب) حلب :		
١ ـ جلال الدولة أبو المظفر نصر ابن محمود .	من ٤٦٦ هـ ـ ٤٦٨ هـ .	
٢ ـ أبو الفضائل سابق ابن محمود .	تولى سنة ٤٦٨ هـ ـ ٤٧٢ هـ .	آخر المرداسين .
٣ ـ شرف الدولة مسلم بن قريش العقيلى	٤٧٢ هـ ـ ٤٧٨ هـ .	أحسن السيرة في الأهالى ورخصت في عهده الأسعار، قتل على يد سليمان ابن قتلمش في صفر سنة ٤٧٨ هـ .
٤ ـ ابراهيم بن قريش العقيلى	٤٧٨ هـ ـ ٤٧٩ هـ .	ولاه الأهالى بعد مقتل أخيه مسلم .
٥ ـ قسيم الدولة آق سنقر .	٤٨٠ هـ ـ ٤٨٧ هـ .	ولاه السلطان ملكشاه وكان قد قدم الى حلب سنة ٤٧٩ هـ فلما استقر الحال بها ولى قسيم الدولة الذى

اسم الوالى	فترات الحكم	مميزات الحكم
٦ ــ رضوان بن تتش .	تولى سنة ٤٨٨ هـ .	نشر العدل بين أهالى حلب وتتبع المفسدين وأبادهم ،ولذا ازدهرت حلب فى عهده . قتله تاج الدولة تتش . ولى حلب بعد وفاة أبيه وساعده أتابكه جناح الدولة الحسن ابن أيتكين . وكان عهده حافلا بالصراع بينه وبين أخيه دقاق حاكم دمشق خطب للفاطميين أربع جمع ثم قطع الخطبة .

مراجع البحث

اولا : المراجع القديمة :

١ ـ **ابن الأثير الجزرى** : (ت ٦٣٠ هـ / ١٢٣٤ م) أبو الحسن على بن أبى الكرم الملقب بعز الدين : **الكامل فى التاريخ** ج ٧ دار الطباعة المنيرية ١٣٥٣ هـ ، ج ٨ مطبعة الاستقامة بالقـــاهرة .

٢ ـ **ابن حجر العسقلانى** (ت ٨٥٢ هـ) أحمد بن على بن محمد ابن محمد بن على بن أحمد : **الدرر الكامنة فى أعيان المائة الثامنة** ، السفر الأول ، الطبعة الأولى ، مطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية . الهند ، حيدر آباد الدكن ١٣٤٨ هـ .

٣ ـ **أحمد بن زينى دحلان** : **تاريخ الدولة الاسلامية بالجداول المرضية** ، (المطبعة البهية بالقاهرة ١٣٠٦ هـ) .

٤ ـ **ابن حوقل** : (ت أواخر القرن الرابع الهجرى) أبو القسم ابن حوقل النصيبى : **صورة الأرض** ، الطبعة الثانية ، القسم الأول ، (ليدن ١٩٣٨) .

٥ ـ **ابن الجوزى :** (ت ٥٩٧ هـ) أبو الفرج عبد الرحمن بن على ابن محمد بن على : المنتظم فى تاريخ الملوك والأمم ، الطبعه الأولى . مطبعة دائرة المعارف العثمانيه حيدر اباد الدكن . (جـ٧ ١٣٥٨ هـ ، جـ٨ ١٣٥٩ هـ) .

٦ ـ **ابن خلدون :** (ت ٨٠٨ هـ) عبد الرحمن بن محمد : العبر وديوان المبتدأ والخبر ، (طبعة سنة ١٢٨٤ هـ) .

٧ ـ **ابن خلكان :** (ت ٦٨١ هـ) أبو العباس شمس الدين أحمد ابن محمد ابن أبى بكر : وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان . (مطبعة السعادة بمصر ١٣٦٧ هـ ـ ١٩٤٨ م ، جـ٣ من الطبعة الأخيرة) .

٨ ـ **ابن عساكر :** (ت ٥٧١ هـ) أبو القاسم على بن الحسن ابن هبة الله بن عبد الله بن الحسين .

١ ـ التاريخ الكبير : هذبه الشيخ عبد القادر بن أحمد ابن مصطفى بن عبد الرحيم بن محمد الدومى المعروف بابن بدران (ت ١٣٤٦ م) مطبعة الترقى بدمشق ١٣٤٩ هـ . مطبعة روضة الشام ١٣٢٩ هـ) .

٢ ـ تاريخ مدينة دمشق : مجلدين ، دمشق ١٣٧١ هـ ـ ١٩٥١ م .

٣ ـ نصوص من ابن عساكر : ولاة دمشق فى العهد السلجوقى ، تحقيق صلاح الدين المنجد ، مطبعة الترقى بدمشق ١٣٦٨ هـ ـ ١٩٤٩ م) .

٩ - **ابن العبرى** : (ت ٦٨٥ هـ / ١٢٨٦ م) غريغوريوس أبى الفرج بن هرون الطبيب الملطى : تاريخ مختصر الدول ، المطبعة الكاثوليكية ، بيروت ١٨٩٠ ، ١٩٥٨ .

١٠ - **ابن العديم** : (ت ٦٦٠ هـ / ١٢٦٢ م) كمال الدين أبو القاسم عمر بن أحمد بن هبة الله : زبدة الحلب من تاريخ حلب . تحقيق سامى الدهان ، جـ١ ، ٢ ، دمشق ١٣٧٠ هـ - ١٩٥١ م .

١١ - **ابن العماد** : (ت ١٠٨٩ هـ / ١٦٧٩ م) أبو الفلاح عبد الحى ابن على بن محمد : شذرات الذهب ، ١٣٥٠ هـ .

١٢ - **ابن العميد** : الشيخ جرجس بن العميد أبى البأس بن أبى المكارم بن أبى الطيب : تاريخ المسلمين ، طبعة ١٦٢٥ م .

١٣ - **ابن شداد** : (ت ٦٨٤ هـ) عز الدين أبو عبد الله محمد ابن على بن ابراهيم بن شداد الأنصارى الحلبى : **الاعلاق الخطيرة فى ذكر أمراء الشام والجزيرة** ، جزءين . جـ١ نشر وتحقيق دومينيك سورويل ، دمشق ١٩٥٣ ، جـ٢ نشر سامى الدهان (عن دمشق) دمشق ١٣٧٥ هـ - ١٩٥٦ م .

١٤ - **ابن الشحنة** : (ت ٨٩٠ هـ) أبو الفضل محمد بن محمد ابن محمد بن محمود بن غازى الثقفى الحلبى الحنفى : **الدر المنتخب فى تاريخ مملكة حلب** ، تحقيق أبو اليمن البترونى (ت ١٠٤٦ هـ) المطبعة الكاثوليكية ، بيروت ١٩٠٩ .

١٥ - **ابن الصيرفى المصرى** : (اختلف فى سنة وفاته فياقوت الحموى يذكر أنه توفى بعد ٥٥٠ هـ / ١١٥٥ م وابن ميسر

يذكر أنه توفى ٥٤٢ هـ / ١١٤٧ م) ، أبو القاسم على ابن منجب بن سليمان : الاشـارة الى من نـال الوزارة ، القاهرة ١٩٢٤ .

١٦ ـ **ابن القلانسى** : (ت ٥٥٥ هـ / ١١٦٠ م) ابويعلى حمزة بن أسـد بن علي بن محمـد التميمى : تاريخ أبو يعلى حمزة بن القلانسى المعروف بذيل تاريخ دمشق ، بيروت ١٩٠٨ .

١٧ ـ **ابن كثير القرشي** : (ت ٧٧٤ / ١٣٧٣ م) عمـاد الدين أبو الفدا اسماعيل ابن عمر : البداية والنهاية ، مطبعة السعادة بمصر ، ١٩٣٢ .

١٨ ـ **أبو الفدا** : (ت ٧٣٢ هـ) الملك المؤيد عماد الدين اسماعيل أبى الفدا صاحب حماه : المختصر فى أخبار البشر ويسمى أيضا ، تاريخ أبو الفدا أو تاريخ المؤيد ، الطبعة الأولى ، (المطبعة الحسينية بمصر) .

١٩ ـ أبو الفضايل أحمد بن علي الحموى : تلخيص الكشف والبيان في حوادث الزمان . ويسمى أيضا التاريخ المنصورى ، نشر بطرس غرياز نيوبيخ . موسكو ١٩٦٠ .

٢٠ ـ **ابن مسكويه** : (ت ٤٢١ هـ) أبو على أحمد بن محمد : تجارب الأمم ، صححه آمدروز ، جـ٥ (١٣٣٢ هـ ـ ١٩١٤ م)، جـ٦ (١٣٣٣ هـ ـ ١٩١٥ م) .

٢١ ـ **ابن ميسر** : (ت ٦٧٧ هـ / ١٢٧٨ م) أبو عبد الله تاج الدين محمد بن على بن يوسف ابن شاهنشاه ، وقيل ابن جلب راغب : أخبار مصر ، جـ٢ ، مصر ١٩١٩ .

٢٢ ـ **ابو المحاسن** : (ت ٨٧٤ هـ / ١٤٦٩ م) جمـــال الدين أبو المحاسن يوسف ابن تغرى بردى : **النجوم الزاهرة فى** ملوك مصر والقاهرة ، جـ٤ (١٣٥٢ هـ ـ ١٩٣٣ م) جـ٥ (١٣٥٣ هـ ـ ١٩٣٥ م) .

٢٣ ـ **ابن الوردى** : (ت ٧٤٩ هـ / ١٣٤٩ م) أبو حفص زين الدين عمـــر بن مظفر بن عمر بن محمـــد بن أبى الفوارس الوردى العربى الشافعى : تتمة المختصر فى أخبار البشر ، يعرف بتــــاريخ ابن الوردى ، (المطبعة الوهبية بمصر ، ١٢٨٥ هـ) .

٢٤ ـ **ابن ايبك الدوادارى** : (ت ٧٣٢ هـ / ١٣٣١ م) أبو بكر ابن عبد الله بن أيبك : كنز الدرر وجامع الغــرر ، جـ٦ ، الدرة المضـــية فى أخبار الدولة الفاطميه ، لجنة التاليف والترجمة والنشر ، ١٣٨٠ هـ ـ ١٩٦٠ م .

٢٥ ـ **الأصفهانى** : عماد الدين محمد بن محمد بن حامد الأصفهانى : اختصار الامام الفتح بن على بن محمد البندارى الأصفهانى من رجال القرن السابع الهجرى : تاريخ دولة آل سلجوق ، مطبعة الموسوعات بمصر ١٣١٨ هـ ـ ١٩٠٠ م .

٢٦ ـ **الحسينى** : أبو الحسن على بن ناصر بن على : أخبار الدولة السلجوقية ، نشر كلية فنجاب ، لاهور ، ١٩٣٣ .

٢٧ ـ **الحصـــنى** : (ت ٨٢٩ هـ) محمد أديب آل تقى الدين الحصنى : منتخبات التواريخ لدمشق ، دمشق ١٣٤٦ هـ ـ ١٩٢٧ م .

٢٨ ـ **الذهبي** : (ت ٧٤٨ هـ) شمس الدين أبي عبد الله محمد ابن أحمد بن عثمان : العبر في خبر من غبر ، الكويت ١٩٦١ .

٢٩ ـ **أسامة بن منقذ** : (ت ٥٨٤ هـ / ١١٨٨ م) مؤيد الدولة أبو مظفر أسامة بن مرشد الكناني الشيزري : الاعتبار جيره فيليب حتى ، مطبعة جامعة برنستون ، الولايات المتحدة ، ١٩٣٠ .

٣٠ ـ **العظيمي** : (ت ٥٥٦ هـ ١١٦١ م) محمد بن علي التنوخي الحلبي : منتخبات من تاريخه ، باريس ١٩٣٨ .

٣١ ـ **الغزي** : (ت ١٣٥١ هـ) كامل بن حسين بن مصطفى بابي الحلبي : نهر الذهب في تاريخ حلب ، المطبعة المارونية بحلب ، جـ٢ ، ٣ (١٣٤٢ هـ) جـ٣ (١٣٤٥ هـ) .

٣٢ ـ **الصالحي** : (ت ٩٥٣ هـ) محمد بن طولون الصالحي : القلائد الجوهرية في تاريخ الصالحية ، قسمين ، حققه محمد أحمد دهمان ، دمشق ١٣٦٨ هـ ـ ١٩٤٩ م .

٣٣ ـ **الصفدي** : (ت ٧٦٤ هـ) صلاح الدين خليل بن ايبك : أمراء دمشق في الاسلام ، دمشق ، ١٣٧٤ هـ ـ ١٩٥٥ م .

٣٤ ـ **القرماني** : (ت ١٠١٩ هـ) أبو العباس أحمد حلبي بن يوسف ابن أحمد الدمشقي : أخبار الدول وآثار الأول ، بغداد ، ١٢٨٢ هـ .

٣٥ ـ **القلقشندي** : (ت ٨٢١ هـ) أحمد بن عبد الله : مآثر الأناقة في معالم الخلافة ، تحقيق عبد الستار أحمد فراج ، جـ١ ، الكويت ١٩٦٤ .

٣٦ ـ **المسعودي** : (ت ٣٤٦ هـ) أبو الحسين علي بن الحسين بن علي : مروج الذهب ومعادن الجوهر ، الطبعة الثالثة مطبعة السعادة بمصر ، ١٣٧٧ هـ ١٩٥٨ م .

٣٧ ـ **المقدسي** : (ت ٣٧٥ هـ) المعروف بالبشاري : أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم ، طبع في ليدن ، ١٩٠٩ م .

٣٨ ـ **المقريزي** : (ت ٨٤٥ هـ) تقي الدين أحمد بن علي بن عبد القادر بن محمد :

١ ـ اتعاظ الحنفا ، تحقيق الدكتور جمال الدين الشيال ، طبعتين بالقاهرة ، الأولى ١٣٦٧ هـ ـ ١٩٤٨ م والثانية ١٣٨٧ هـ ـ ١٩٦٧ م .

٢ ـ الخطط والآثار في مصر والقاهرة وما يتعلق بها من الأخبار ، دار الطباعة المصرية ببولاق ١٢٧٠ هـ .

٣٩ ـ **النعيمي** : (ت ٩٢٧ هـ) محي الدين أبو المفاخر عبد القادر ابن محمد بن عمر بن محمد بن يوسف بن عبد الله بن نعيم : الدارس في تاريخ المدارس جـ١ ، ٢ ، مطبعة الترقي بدمشق ١٣٦٧ هـ ـ ١٩٤٨ م .

٤٠ ـ **اليافعي** : (ت ٧٦٨ هـ) أبو محمد عبد الله بن أسعد بن علي ابن سليمان عفيف الدين اليافعي المكي : مرآة الجنان وعبرة اليقظان في معرفة ما يعتبر من حوادث الزمان ، حيدر آباد الدكن جـ١ (١٣٣٧ هـ) جـ٢ ، ٣ (١٣٣٨ هـ) .

٤١ ـ **ساويرس بن المقفع** : تاريخ بطاركة الكنيسة المصرية ، المعروف بسير البيعة المقدسة ، نشره يسى عبد المسيح .

مطبوعات جمعية الآثار القبطية ، جـ٢ القاهرة (١٩٤٨) ،
جـ٣ القاهرة (١٩٥٩) .

٤٢ ـ **سبط بن الجوزى** : (ت ٦٥٤ هـ) شمس الدين أبي المظفر
يوسف بن قزاوغلى التركى : مرآة الزمان فى تاريخ الأعيان .
القسم الأول من الجزء الثانى (من ٤٩٥ ـ ٥٨٩ هـ) الهند
١٣٧٠ هـ ـ ١٩٥١ م . وهو المطبوع فقط .

٤٣ ـ **ظهير الدين الروزراوى** : (ت ٤٨٨ هـ) الوزير أبو شجاع
محمد بن الحسين بن عبد الله ابراهيم : ذيل تجارب الأمم .
مطبعة شركة التمدن الصناعى بمصر ١٣٣٤ هـ ـ ١٩١٦ م .

٤٤ ـ **محمد عز الدين الصيادى** : (ت ٨٢٩ هـ) الروضه البهية
فى فضائل دمشق المحمية ، مطبعة المقتبس بدمشق
١٣٣٠ هـ .

٤٥ ـ **مؤلف مجهول** : العيون والحدائق فى أخبار الحقائق ، ج ٣،
من خلافة الوليد بن عبد الملك الى خلافة المعتصم ، مكتبة
المثنى ببغداد ، ١٨٧١ م .

٤٦ ـ **يحيى بن سعيد الأنطاكى** : (من رجال القرن الخامس
الهجرى) تاريخ الذيل ، (ذيل لتاريخ سعيد بن بطريق)،
(يبدأ الكتاب من سنة ٣٢٦ هـ وينتهى سنة ٤٢٥ هـ)
باريس ١٩٢٤ .

٤٧ ـ **ياقوت الحموى** : (ت ٦٢٦ هـ ١٢٢٨ م) شهاب الدين أبى
عبد الله ياقوت بن عبد اله الحموى الرومى البغدادى معجم
البلدان ، بيروت ، ١٣٧٤ هـ ـ ١٩٥٥ م .

ثانيـا : المخطوطات والميكروفيلم :

١ ـ ابن العديـم : (ت ٦٦٠ هـ /١٢٦٢ م) كمال الدين أبو القاسم عمر بن أحمد بن هبة الله بغية الطلب في تاريخ حلب ، مخطوط بدار الكتب المصرية ، رقم ١٥٦٦ تاريخ .

٢ ـ ابن الشحنة : (ت ٨١٥ هـ) أبو الوليد محب الدين محمد ابن محمد بن محمد روض المنـاظر في علـم الأوائـل والأواخر ، مخطوط بدار الكتب المصرية رقم ٤٥ م تاريخ .

٣ ـ ابن ظافر : (ت ٦٢٣ هـ) جمال الدين أبو الحسن علي ابن كمال الدين أبو منصور ظافر بن حسين الازدى الأنصارى الخزرجي . أخبـار الدول المنقطعة ، مخطوط بدار الكتب المصرية رقم ٨٩٠ تاريخ .

٤ ـ ابن الفرات : (ت ٨٠٧هـ) ناصر الدين محمد بن عبد الرحيم ابن علي بن الحسن بن محمد بن عبد العزيز بن محمد الحنفي المصري تاريخ الدول والملوك ، مخطوط بدار الكتب المصرية رقم ٣١٩٧ تاريخ .

٥ ـ الحريري : أحمد بن علي : الاعلام والتبين في خروج الفرنج الملاعين على بلاد المسلمين . مخطوط بدار الكتب المصرية رقم ٢٢٨٦ تاريخ تيمور .

٦ ـ الذهبي : (ت ٧٤٨ هـ) شمس الدين أبي عبد الله محمد ابن أحمد بن عثمان : (١) دول الاسـلام ، مخطوط بـدار الكتب المصرية رقم ٢٢٩٩ تاريخ . (٢) تاريخ الاسـلام الكبير . مخطوط بدار الكتب المصرية رقم ٤٢ تاريخ .

٧ - **السيوطى** : (ت ٩١١ هـ) جلال الدين عبد الرحمن بن أبى بكر السيوطى : تاريخ الخلفاء والسلاطين ، مخطوط بدار الكتب المصرية ، رقم ٨٤٢ تاريخ تيمور .

٨ - **العينى** : (ت ٨٥٥ هـ / ١٤٥١م) بدر الدين محمد محمود ابن أحمد بن موسى : عقد الجمان فى تاريخ أهل الزمان ، ٢٣ جزءا فى ٦٩ مجلدا ، مخطوط بدار الكتب المصرية ، تصوير شمسى ، رقم ١٥٨٤ تاريخ .

٩ - **القضاعى** : (ت ٤٥٤ هـ) أبو عبد الله محمد بن سلامة بن جعفر : تاريخ القضاعى مخطوط بدار الكتب المصرية ، رقم ٢٥٢٥ تاريخ تيمور .

١٠ - **الكتبى** : (ت ٧٦٤ هـ / ١٣٦٣ م) محمد بن شاكر بن أحمد بن عبد الرحمن : عيون التواريخ ، مخطوط بدار الكتب المصرية رقم ١٤٩٧ تاريخ ، جـ ١٣ رقم ٩٤٩ تاريخ .

١١ - **المقريزى** : (ت ٨٤٥ هـ) تقى الدين أحمد بن على بن عبد القادر بن محمد : اتعاظ الحنفا ، ميكرو فيلم (عن مخطوطة استانبول) معهد المخطوطات بالجامعة العربية رقم ٦ تاريخ . استعنت به من سنة ٣٨٦ هـ أى بعد الجزء المطبوع للدكتور جمال الشيال .

١٢ - **النويرى** : (ت ٧٣٢هـ) شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب النويرى المصرى الكندى : نهاية الأرب وفنون الأدب . مخطوط بدار الكتب المصرية رقم ٥٤٩ تاريخ .

١٣ - **بيبرس الدوادارى** : (ت ٧٢٥ هـ / ١٣٢٥ م) ركن الدين بيبرس المنصورى الخطائى الدوادار : زبدة الفكرة فى

تاريخ الهجرة ، جـ ٦ ، مخطوط بمكتبة جامعة القاهرة رقم ٢٤٠٢٦ .

١٤ ـ **سبط بن الجوزى :** (ت ٦٥٤ هـ) شمس الدين أبى المظفر يوسف قزاوغلى التركى : مرآة الزمان ، مخطوط بدار الكتب المصرية رقم ٥٥١ تاريخ .

١٥ ـ **سبط بن العجمى الحلبى :** (ت ٨٨٤ هـ) موفق الدين أبى زر أحمد بن ابراهيم : كنوز الذهب فى تاريخ حلب ، جزءين، مخطوط بدار الكتب المصرية رقم ٨٣٧ تاريخ تيمور .

١٦ ـ **مؤلف مجهول :** قطعة من تاريخ لمؤلف مجهول ، مخطوط بدار الكتب المصرية رقم ٢٥٢٦ تاريخ تيمور .

١٧ ـ **ابو الهيجاء :** (كان معاصرا لصلاح الدين الأيوبى المتوفى سنة ٥٨٩ هـ) : تاريخه ، القسم الأول منه من بداية عهد الرسول الى عهد السلطان صلاح الدين ٥٨٩ هـ، ميكروفيلم بمعهد المخطوطات بالجامعة العربية ، رقم ٩٤٥ تاريخ .

ثالثا : المراجع الحديثة :

١ ـ **احمد بن ابراهيم الصابونى :** تاريخ حماه ، الطبعة الأولى ، مطبعة حماه ، ١٣٣٢ هـ .

٢ ـ **احمد عارف الزين :** تاريخ صيدا ، مطبعة العرفان ، صيدا ، ١٣٣١ هـ .

٣ ـ **الدبس :** يوسف الياس : تاريخ سورية ، المطبعة العمومية، بيروت ١٩٠٠ .

٤ ـ **أسد رستم** : (الدكتور)
الروم فى سياستهم وحضارتهم ودينهم وثقافتهم وصلاتهم بالغرب جـ ٢ بيروت ١٩٠٦م ٠

٥ ـ **السيد الباز العرينى** : (الدكتور)

١ـ الدولة البيزنطية ، القاهرة ، ١٩٦٥ ٠

٢ ـ الشرق الأوسط والحروب الصليبية ، جـ ١ ، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر ، ١٩٦٣ ٠

٦ ـ **الطباخ الحلبى** : محمد راغب بن محمود بن هاشم : أعلام النبلاء بتاريخ حلب الشهباء ، طبعة أولى ، جـ ١ ، ٢ (١٣٤٢ ـ ١٩٢٣) ، جـ ٣ (١٣٤٣ ـ ١٩٢٥) ٠

٧ ـ **بيشوف الجرمانى** : (الدكتور) تحف الأنباء فى تاريخ حلب الشهباء ، بيروت ١٨٨٠ م ٠

٨ ـ **بندلى جوزى** : تاريخ الحركات الفكرية في الاسلام ، القدس، ١٩٢٨ ٠

٩ ـ **توفيق الطويل** : (الدكتور)
قصة الاضطهاد الدينى فى المسيحية والاسلام ، الاسكندرية ١٣٦٦ ـ ١٩٤٧ ٠

١٠ ـ **جوزيف نسيم يوسف** : (الدكتور)
١ ـ العرب والروم واللاتين فى الحرب الصليبية الأولى ، دار المعارف ، ١٩٦٧ ٠

٢ ـ العدوان الصليبى على مصر ، هزيمة لويس التاسع فى المنصورة وفارسكور ، الطبع والنشر ، دار الكتب الجامعية ، يناير ١٩٦٩ .

١١ ـ حسن حبشى : (الدكتور)
الحرب الصليبية الأولى ، الطبعة الأولى ، القاهرة ١٩٤٧ .

١٢ ـ حسن ابراهيم حسن : (الدكتور)
١ ـ تاريخ الاسلام السياسى ، ج ٣ ، مكتبة النهضة المصرية ١٩٥٥ .

٢ تاريخ الدولة الفاطمية فى المغرب ومصر وسورية وبلاد العرب ، الطبعة الثانية ، ١٩٥٨ .

١٣ ـ حسن ابراهيم : طه شرف : المعز لدين الله امام الشيعة ، القاهرة ، ١٣٦٧ ـ ١٩٤٨ .

١٤ ـ حسين أمين : (الدكتور)
تاريخ العراق فى العصر السلجوقى ، رسالة دكتوراه ، منشورات المكتبة الأهلية ببغداد ، ١٣٨٥ ـ ١٩٦٥ .

١٥ ـ خير الدين الزركلى : الاعلام ، مطبعة كوستاتوماس ، ١٣٧٤ هـ ـ ١٩٥٤ م .

١٦ ـ زامبور : معجم الأنساب والاسرات الحاكمة فى الاسلام ، جـ ٢ ، اخراج د. زكى محمد حسن ، د. حسن أحمد محمود ، مطبعة فؤاد الأول ، ١٩٥٢ .

١٧ ــ سعيد عبد الفتاح عاشور : (الدكتور)
١ ــ الحركة الصليبية ، جـ ١ ، مطبعة لجنة البيان العربى ١٩٦٣ .

٢ ــ قبرس والحروب الصليبية ، مطبعة لجنة البيان العربى ١٩٥٧ .

٣ ــ أوربا العصور الوسطى ، جـ ٢ ، النظم والحضارة ، مكتبة النهضة المصرية ، القاهرة ، ١٩٥٩ .

١٨ ــ سيدة اسماعيل كاشف : (الدكتور)
مصر فى عصر الاخشيديين ، مطبعة فؤاد الأول ، القاهرة ، ١٩٥٠ .

١٩ ــ سيد على الحريرى : الأخبار السنية فى الحروب الصليبية ، الطبعة الثانية ، مطبعة النيل بمصر ١٣٢٩ هـ .

٢٠ ــ على حسنى الخربوطلى : (الدكتور)
العزيز بالله الفاطمى ، من سلسلة اعلام العرب ، يناير ، ١٩٦٨ .

٢١ــ عبد المنعم ماجد : (الدكتور) السجلات المستنصرية ، دار الفكر العربى ، ١٩٥٤ .

٢٢ ــ عبد النعيم حسنين : (الدكتور)
سلاجقة ايران والعراق ، سلسلة المكتبة التاريخية رقم ٧، الطبعة الأولى ، القاهرة ، ١٩٥٩ .

٢٣ ـ **عبد الحميد العبادى** : المجمل فى تاريخ الأندلس ، العدد الأول من المكتبة التاريخية الطبعة الأولى ، ١٩٥٨ .

٢٤ ـ **عمر الصالح البرغوثى وخليل طوطح** : تاريخ فلسطين ، نشره بولس ووديع سعيد ، القدس ١٩٢٣ .

٢٥ ـ **عمر كمال توفيق** : (الدكتور)

(١) مقدمات العدوان الصليبى على الشرق العربى ، الطبعة الثانية دار المعارف ، ١٩٦٧ .

(٢) تاريخ الامبراطورية البيزنطية ، دار المعارف ، ١٩٦٧ .

٢٦ ـ **محمد عبد الله عنان** : الحاكم بأمر الله . القاهرة .

٢٧ ـ **محمد جمال الدين سرور** : (الدكتور)

(١) النفوذ الفاطمي فى بلاد الشام والعراق فى القرنين الرابع والخامس الهجرى ، الطبعة الثانية ، ١٩٥٩ .

(٢) مصر فى عصر الدولة الفاطمية ، من سلسلة الألف كتاب رقم ٢٧٤ ، القاهرة ١٣٧٩ ـ ١٩٦٠ .

(٣) تاريخ الحضارة الاسلامية فى الشرق ، دار الفكر العربى ، القاهرة ١٩٦٥ .

٢٨ ـ **مصطفى غالب** : تاريخ الدعوة الاسماعيلية منذ أقدم العصور حتى عصرنا الحاضر ، دمشق ١٩٥٣ .

٢٩ ـ **ميخائيل موسى ألوف البعلبكى** : تاريخ بعلبك ، بيروت ١٨٨٩ م .

٣٠ ـ **محمد ياسين الحموى** : دمشق فى العصر الأيوبى ، المطبعة الهاشمية بدمشق ١٣٦٦ هـ ـ ١٩٤٦ م ٠

٣١ ـ **محمد كرد على** : (١) خطط الشام ، ٦ أجزاء ، المطبعة الحديثة بدمشق ١٣٤٣ ـ ١٩٢٥ م ٠

(٢) الاسلام والحضارة العربيــــة ، جـ١ ، مطبعة دار الكتب المصرية بالقاهرة ٠

٣٢ ـ **محمد العروسى المطوى** : الحروب الصـــــليبية فى المشرق والمغرب ، تونس ، الطبعة الأولى ، ١٣٧٤ ـ ١٩٥٤ ٠

٣٣ ـ **نعمان قساطلى** : الروضة الغناء فى دمشق الفيحاء ، بيروت ١٨٧٩ م ٠

٣٤ ـ **المجـــدوع** : الشيخ اسماعيل بن عبد الرسول الأجمنى ، من علماء الاسماعيلية فى القرن الثانى عشر للهجرة : فهرسة الكتب والرســائل ولمن هى من العلمــاء والأئمة والحــدود الأفاضـــــل ، منشــورات مكتبة الأسدى بطهران رقم ٩ ، ١٣٤٤ هـ ـ ١٩٦٦ م ٠

٣٥ ـ المجلة التاريخية المصرية ، المجلد السادس ١٩٥٧ البحث الخاص بالاقطاع الاسلامى بقلم الدكتور ابراهيم طرخان ٠

رابعا : المراجــع المعربة :

١ ـ **ا ـ س ـ ترتون** : أهل الذمة فى الاسلام ، ترجمة الدكتور حسن حبشى ، القاهرة ١٩٤٩ ٠

٢ ـ **امير علي : سيد** : مختصر تاريخ العرب ، نقله للعربية عفيف البعلبكي ، الطبعة الأولى ، بيروت ١٩٦١ .

٣ ـ **ارشيبالد ـ ر ـ لويس** : القوى البحرية والتجارية في حوض البحر المتوسط (٥٠٠ ـ ١١٠٠ م) ترجمة أحمد عيسى ، مكتبة النهضة المصرية .

٤ ـ **برنارد لويس** : أصول الاسماعيلية ، ترجمة خليل أحمد جلو وجاسم محمد الرحب ، طبع بدار الكتاب العربي بمصر ، منشورات مكتبة المثنى ببغداد ١٩٤٧ .

٥ ـ **جوستاف لوبون** : حضـــارة العـــرب ، عربه عادل زعيتر ، الطبعة الثالثة ، القاهرة ١٩٥٦ .

٦ ـ خدابخش : الحضارة الاسلامية ، ترجمة الدكتور علي حسني الخربوطلي ، القاهرة ١٩٦٠ .

٧ ـ **فيليب حتي** : تاريخ سورية ولبنان وفلسطين ، ترجمة كمال اليازجي ، بيروت ١٩٥٨ .

٨ ـ **مكسيموس مونروند** : تاريخ الحروب المقدسة في الشرق ، عـربه كيريو كيريو مكسيموس مظلوم المجلد الأول ، طبـــع بأورشليم في دير الرهبان الفرنسيسكانيين ١٨٦٥ .

٩ ـ **يوسف أشباخ** : تاريخ الأندلس في عهد المرابطين والموحدين ، ترجمة محمد عبد الله عنان ، الكتاب الأول ، تاريخ الأندلس منذ الدولة الأموية الى مقدم المرابطين ، الطبعة الثانية ، مطبعـة لجنـة التأليف والترجمـة والنشر ، ١٣٧٧ هـ ـ ١٩٥٨ م .

١٠ ـ ج . و . كويلاند ، ب فينوجرادوف : ترجمة الدكتور محمد مصطفى زيادة ، الاقطاع والعصور الوسطى فى غرب أوربا ، طبعة ثالثة ١٩٥٨ ، نشر وطبع مكتبة النهضة المصرية .

١١ ـ مؤلف مجهول : أعمال الفرنجة وحجاج بيت المقدس ، ترجمة الدكتور حسن حبشى ، الطبع والنشر دار الفكر العربى ، ١٩٥٨ .

خامسا : المراجع الأجنبية :

1. Ameer Ali, Sayed : A Short History Of The Saracens, London, 1949.

2. Brockelmann, C. : History Of The Islamic Peoples, London, 1956.

3. Cahen, C. : La Chronique Abrégée D'al Azimi, Paris, 1938.

4. De Geoje : Mémoire Sur Les Carmathes du Bahrain et Les Fatimides. Seconde Edition, 1886.

5. Grousset, R. 1. L'Empire Du Levand, Nouvelle édition, Paris, 1949.
   2. Histoire Des Croisades et Du Royaume Franc De Jérusalem, V. 1, Paris, 1934.

1. Gibb, H.A.R. : The Damascus Chronicle Of The Crusades, London, 1932.

7. Hitti, P. K. : 1. History Of Tĉhe Arabs, 4th Edition, London, 1949.

2. History Of Syria, Second Edition, London, 1957.

3. Syria, A Short History, London, 1959.

8. Ivanow, W. : 1. The Alleged Founder Of Ismailism. Bombay, India, 1946.

2. Rise Of The Fatimids, Oxford University Press, London, New York, Bombay, Calcutta, Madras, 1942.

9. Keenth, M. Setton : A History Of The Crusades, University Of Pensylvania Press, V. I. The First Hundred Years, by : Marshall, W. Baldwin.

10. Lammens, H. : La Syrie, Beyrouth, 1921.

11. Lane-Poole, St. : 1. The Mohammadan Dynaties, 1925.

2. A History Of Egypt, V. I, The Ages, Fifth Edition, London, 1936.

13. O'Leary : A Short History Of The Fatimid Khalifate, 1923.
1945.

15. Runciman, St. : A History Of The Crusades, Volume, 1, 2, Cambridge, The University Press, 1951.

16. Vasilier, A .A. History Of The Byzantine Empire, The University Of Wisconsin Press, Madison, 1952.

الفهـــــــــرس

الموضوع	الصفحة

الباب الثانى

الباب الثالث

صـــدر فى هــذه السلسلة :

١ ـ مصطفى كامل فى محكمة التاريخ .
د. عبد العظيم رمضان ، ط ١ ، ١٩٨٧ ، ط ٢ ، ١٩٩٤

٢ ـ على ماهـــر .
رشوان محمود جاب الله ، ١٩٨٧

٣ ـ ثورة يوليو والطبقة العاملة :
عبد السلام عبد الحليم عامر ، ١٩٨٧

٤ ـ التيارات الفكرية فى مصر المعاصرة .
د. محمد نعمان جلال ، ١٩٨٧

٥ ـ غارات أوروبا على الشواطىء المصرية فى العصور الوسطى .
علية عبد السميع الجنزورى ، ١٩٨٧

٦ ـ هؤلاء الرجال من مصر ، ج ١ .
لمعى المطيعى ، ١٩٨٧

٧ ـ صـــلاح الدين الأيوبى .
د. عبد المنعم ماجد ، ١٩٨٧

٨ ـ رؤية الجبرتى لأزمة الحياة الفكرية .
د. على بركات ، ١٩٨٧

٩ ـ صفحات مطوية من تاريخ الزعيم مصطفى كامل .
د. محمد أنيس ، ١٩٨٧

١٠ ـ توفيق دياب ملحمة الصحافة الحزبية .
محمود فوزى ، ١٩٨٧

١١ ـ **مائة شخصية مصرية وشخصية •**
شكرى القاضى ، ١٩٨٧

١٢ ـ **هدى شعراوى وعصر التنوير •**
د• نبيل راغب ، ١٩٨٨

١٣ ـ **أكذوبة الاستعمار المصرى للسودان : رؤية تاريخية •**
د• عبد العظيم رمضان ، ط ١ ، ١٩٨٨ ، ط ٢ ، ١٩٩٤

١٤ ـ **مصر فى عصر الولاة ، من الفتح العربى الى قيـام الدولة الطولونيـة •**
د• سيدة اسماعيل كاشف ، ١٩٨٨

١٥ ـ **المستشرقون والتاريخ الاسلامى •**
د• على حسنى الخربوطلى • ١٩٨٨

١٦ ـ **فصول من تاريخ حركة الاصلاح الاجتماعى فى مصر : دراسة عن دور الجمعية الخيرية (١٨٩٢ ـ ١٩٥٢) •**
د• حلمى أحمد شلبى ، ١٩٨٨

١٧ ـ **القضاء الشرعى فى مصر فى العصر العثمانى •**
د• محمد نور فرحات ، ١٩٨٨

١٨ ـ **الجوارى فى مجتمع القاهرة المملوكية •**
د• على السيد محمود ، ١٩٨٨

١٩ ـ **مصر القديمة وقصة توحيد القطرين •**
د• أحمد محمود صابون ، ١٩٨٨

٢٠ ـ **دراسـات فى وثائق ثورة ١٩١٩ : المراسـلات السرية بين سعد زغلول وعبد الرحمن فهمى •**
د• محمد أنيس ، ط ٢ ، ١٩٨٨

٢١ ـ **التصوف فى مصر ابان العصر العثمانى ، ج ١ •**
د• توفيق الطويل ، ١٩٨٨

٢٢ ـ **نظرات فى تاريخ مصر .**
جمال بدوى ، ١٩٨٨

٢٣ ـ **التصوف فى مصر ابان العصر العثمانى ج ٢ ، امام التصوف فى مصر : الشعرانى .**
د. توفيق الطويل ، ١٩٨٨

٢٤ ـ **الصحافة الوفدية والقضايا الوطنية (١٩١٩ ـ ١٩٣٦) .**
د. نجوى كامل . ١٩٨٩

٢٥ ـ **المجتمع الاســـلامى والغرب ،**
تاليف : هاملتون جب وهارولد بووين ، ترجمة : د. أحمد عبد الرحيم مصطفى ، ١٩٨٩

٢٦ ـ **تاريخ الفكر التربوى فى مصر الحديثة ،**
د. سعيد اسماعيل على ، ١٩٨٩

٢٧ ـ **فتح العرب لمصر ، ج ١ ،**
تأليف : ألفريد ج . بتلر ، ترجمة : محمد فريد أبو حديد ١٩٨٩

٢٨ ـ **فتح العرب لمصر ، ج ٢ .**
تأليف : ألفريد ج . بتلر ، ترجمة : محمد فريد أبو حديد ١٩٨٩

٢٩ ـ **مصر فى عصر الاخشيديين ،**
د. سيدة اسماعيل كاشف ، ١٩٨٩

٣٠ ـ **الموظفون فى مصر فى عصر محمد على ،**
د. حلمى أحمد شلبى ، ١٩٨٩

٣١ ـ **خمسون شخصية مصرية وشخصية ،**
شـــكرى القاضى ، ١٩٨٩

٣٢ ـ هؤلاء الرجال من مصر ، ج ٢ ،
لمعى المطيعى ، ١٩٨٩
٣٣ ـ مصر وقضايا الجنوب الأفريقى : نظرة على الأوضاع الراهنة ورؤية مستقبلية ،
د. خالد محمود الكومى ، ١٩٨٩ .
٣٤ ـ تاريخ العلاقات المصرية المغربية ، منذ مطلع العصور الحديثة حتى عام ١٩١٢ ،
د. يونان لبيب رزق ، محمد مزين ، ١٩٩٠
٣٥ ـ أعلام الموسيقى المصرية عبر ١٥٠ سنة ،
عبد الحميد توفيق زكى ، ١٩٩٠
٣٦ ـ المجتمع الاسلامى والغرب ، ج ٢ ،
تأليف : هاملتون بووبن : ترجمة : د. أحمد عبد الرحيم مصطفى ، ١٩٩٠
٣٧ ـ الشيخ على يوسف وجريدة المؤيد : تاريخ الحركة الوطنية فى ربع قرن ،
د. سليمان صالح ، ١٩٩٠
٣٨ ـ فصول من تاريخ مصر الاقتصادى والاجتماعى فى العصر العثمانى ،
د. عبد الرحيم عبد الرحمن عبد الرحيم ، ١٩٩٠ .
٣٩ ـ قصة احتلال محمد على لليونان (١٨٢٤ ـ ١٨٢٧) ،
د. جميل عبيد ، ١٩٩٠
٤٠ ـ الأسلحة الفاسدة ودورها فى حرب فلسطين ١٩٤٨ ،
د. عبد المنعم الدسوقى الجميعى ، ١٩٩٠
٤١ ـ محمد فريد : الموقف والمأساة ، رؤية عصرية ،
د. رفعت السعيد ، ١٩٩١

٥٢ ـ **مصر فى كتابات الرحالة والقناصل الفرنسيين ، فى القرن الثامن عشر ،**
د. الهام محمد على ذهنى ، ١٩٩٢

٥٣ ـ **أربعة مؤرخين وأربعة مؤلفات من دولة المماليك الجراكسة ،**
د. محمد كمال الدين عز الدين على ، ١٩٩٢

٥٤ ـ **الأقباط فى مصر فى العصر العثمانى ،**
د. محمد عفيفى ، ١٩٩٢

٥٥ ـ **الحروب الصليبية ج ٢ ،**
تأليف : وليم الصــورى ، ترجمة وتعليـق : د. حسن حبشى ، ١٩٩٢

٥٦ ـ **المجتمع الريفي في عصر محمد على : دراســة عن اقليم المنوفيـة ،**
د. حلمى أحمد شلبى : ١٩٩٢

٥٧ ـ **مصر الاسلامية وأهل الذمة ،**
د. سيدة اسماعيل كاشف ، ١٩٩٢

٥٨ ـ **أحمد حلمى سجين الحرية والصحافة ،**
د. ابراهيم عبد الله المسلمى ، ١٩٩٣

٥٩ ـ **الرأســمالية الصناعية في مصر ، من التمصير الى التاميم (١٩٥٧ ـ ١٩٦١) ،**
د. عبد السلام عبد الحليم عامر ، ١٩٩٣

٦٠ ـ **المعاصرون من رواد الموسيقى العربية ،**
عبد الحميد توفيق زكى ، ١٩٩٣

٦١ ـ **تاريخ الاسكندرية فى العصر الحديث ،**
د. عبد العظيم رمضان ، ١٩٩٣

٦٢ ـ **هؤلاء الرجال من مصر ج ٣ ،**
لمعى المطيعى ، ١٩٩٣

٦٣ ـ **موسوعة تاريخ مصر عبر العصور : تاريخ مصر الاسلامية ،**
تأليف : د· سيدة اسماعيل كاشف ، جمال الدين سرور · وسعيد عبد الفتاح عاشور ، أعدها للنشر : د· عبد العظيم رمضان ، ١٩٩٣ ·

٦٤ ـ **مصر وحقوق الانســـان ، بين الحقيقة والافتراء دراسة وثائقية ،**
د· محمد نعمان جلال ، ١٩٩٣

٦٥ ـ **موقف الصحافة المصرية من الصهيونية (١٨٩٧ ـ ١٩١٧)**
سهام نصـــار ، ١٩٩٣

٦٦ ـ **المرأة فى مصر فى العصر الفاطمى**
د· نريمان عبد الكريم أحمد ، ١٩٩٣

٦٧ ـ **مساعى السلام العربية الاسرائيلية : الأصول التاريخية ،**
(أبحاث الندوة التى أقامتها لجنة التاريخ والآثار بالمجلس الأعلى للثقافة ، بالاشتراك مع قسم التاريخ بكلية البنات جامعة عين شمس ، فى ابريل ١٩٩٣) أعدهـا للنشر : د· عبد العظيم رمضان ، ١٩٩٣

٦٨ ـ **الحروب الصليبية ، ج ٣ ،**
تأليـف : وليم الصـــورى ، ترجمة وتعليـق : د· حسن حبشى ، ١٩٩٣

٦٩ ـ **نبوية موسى ودورها فى الحياة المصرية (١٨٨٦ ـ ١٩٥١)،**
د· محمد أبو الاسعاد ، ١٩٩٤

٧٠ ـ **اهل الذمة فى الاســـلام ،**
تأليف : أ· س· ترتون ، ترجمة وتعليق : د· حسن حبشى، ط ٢ ، ١٩٩٤

٧١ ـ مذكرات اللورد كليرن (١٩٣٤ ـ ١٩٤٦) ،
أعداد : تريفور أيفانز ، ترجمة : د. عبد الرؤوف أحمد عمرو ، ١٩٩٤

٧٢ ـ رؤية الرحالة المسلمين للأحوال المالية والاقتصـــادية لمصر فى العصر الفاطمى (٣٥٨ ـ ٥٦٧ هـ) ،
أمينة أحمد امام ، ١٩٩٤

٧٣ ـ تاريخ جامعة القاهرة ،
د. رؤوف عباس حامد ، ١٩٩٤

٧٤ ـ تاريخ الطب والصيدلة المصرية ، ج ١ ، فى العصر الفرعونى
د. سمير يحيى الجمال ، ١٩٩٤

٧٥ ـ أهل الذمة فى مصر ، فى العصر الفاطمى الأول ،
د. سلام شافعى محمود ، ١٩٩٥

٧٦ ـ دور التعليم المصرى فى النضال الوطنى (زمن الاحتـلال البريطانى) ،
د. سعيد اسماعيل على ، ١٩٩٥

٧٧ ـ الحروب الصليبية ، ج ٤ ،
تأليف : وليم الصـــورى ، ترجمة وتعليق : د. حسن حبشى ، ١٩٩٤

٧٨ ـ تاريخ الصحافة السكندرية (١٨٧٣ ـ ١٨٩٩) ،
نعمات أحمد عثمان ، ١٩٩٥

٧٩ ـ تاريخ الطرق الصوفية فى مصر ، فى القرن التاسع عشر ،
تأليف : فريد دى يونـج ، ترجمة : عبد الحميـد فهمى الجمال ، ١٩٩٥

٨٠ ـ قنـــاة الســـويس والتنافس الاســـتعمار الأوربى (١٨٨٢ ـ ١٩٠٤) ،
د. السيد حسين جلال ، ١٩٩٥

٨١ ـ تاريخ السياسة والصحافة المصرية ، من هزيمة يونيو الى نصر أكتوبر ،
د٠ رمزى ميخائيل ، ١٩٩٥

٨٢ ـ مصر فى فجر الاسلام ، من الفتح العربى الى قيام الدولة الطولونيـة ،
د٠ سيدة اسماعيل كاشف ، ط ٢ ، ١٩٩٤

٨٣ ـ مذكراتى فى نصف قرن ، ج ١ ،
أحمد شفيق باشا ، ط ٢ ، ١٩٩٤

٨٤ ـ مذكراتى فى نصف قرن ، ج ٢ ، القسم الأول ،
أحمد شفيق باشا ، ط ٢ ، ١٩٩٥

٨٥ ـ تاريخ الاذاعة المصرية : دراسة تاريخية (١٩٣٤ ـ ١٩٥٢) ،
د٠ حلمى أحمد شلبى ، ١٩٩٥

٨٦ ـ تاريخ التجـارة المصرية فى عصر الحرية الاقتصـــــادية (١٨٤٠ ـ ١٩١٤) ،
د٠ أحمد الشربينى ، ١٩٩٥

٨٧ ـ مذكـرات اللورد كلين ، ج ٢ ، (١٩٣٤ ـ ١٩٤٦) ،
اعداد : تريفور ايفانز ، ترجمة وتحقيق : د٠ عبد الرؤوف أحمد عمرو ، ١٩٩٥

٨٨ ـ التذوق الموسيقى وتاريخ الموسيقى المصرية ،
عبد الحميد توفيق زكى ، ١٩٩٥

٨٩ ـ تاريخ الموانىء المصرية فى العصر العثمانى ،
د٠ عبد الحميد حامد سليمان ، ١٩٩٥

٩٠ ـ معاملة غير المسلمين فى الدولة الاسلامية ،
د٠ نريمان عبد الكريم أحمد ، ١٩٩٦

٩١ - **تاريخ مصر الحديثة والشرق الأوسط ،**
تأليف : بيتر مانسفيلد ، ترجمة : عبد الحميد فهمي الجمال ، ١٩٩٦

٩٢ - **الصحافة الوفدية والقضايا الوطنية (١٩١٩ - ١٩٣٦) ج ٢ ،**
نجوى كامل ، ١٩٩٦

٩٣ - **قضايا عربية في البرلمان المصرى (١٩٢٤ - ١٩٥٨) ،**
د. نبيه بيومى عبد الله ، ١٩٩٦

٩٤ - **الصحافة المصرية والقضايا الوطنية (١٩٤٦ - ١٩٥٤) ، ج ٢ ،**
د. سهير اسكندر ، ١٩٩٦

٩٥ - **مصر وأفريقيا .. الجذور التاريخية الأفريقية المعاصرة ،**
(أبحاث الندوة التى أقامتها لجنة التاريخ والآثار بالمجلس الأعلى للثقافة بالاشتراك مع معهد البحوث والدراسات الأفريقية بجامعة القاهرة)
أعدها للنشر د. عبد العظيم رمضان

٩٦ - **عبد الناصر والحرب العربية الباردة (١٩٥٨ - ١٩٧٠) ،**
تأليف : مالكولوم كير ، ترجمة : د. عبد الرؤوف أحمد عمرو

٩٧ - **العربان ودورهم فى المجتمع المصرى فى النصف الاول من القرن التاسع عشر ،**
د. ايمان محمد عبد المنعم عامر

٩٨ - **هيكل والسياسة الاسبوعية ،**
د. محمد سيد محمد

٩٩ - **تاريخ الطب والصيدلة المصرية (العصر اليونانى - الرومانى) ج ٢ ،**
د. سمير يحيى الجمال

١٠٠ ـ موسوعة تاريخ مصر عبر العصور : تاريخ مصر القديمة ،
أ. د. عبد العزيز صـــالح ، أ. د. جمال مختـــار ،
أ. د. محمد ابراهيم بكر ، أ. د. ابراهيـم نصـحى ،
أ. د. فاروق القاضي ، أعدها للنشر : أ. د. عبد العظيم
رمضـــان

١٠١ ـ ثورة يوليو والحقيقة الغائبة ،
اللواء / مصطفى عبد المجيد نصـير ، اللواء / عبد الحميد
كفافى ، اللواء/ سعد عبد الحفيظ ، السفير/ جمال منصور

١٠٢ ـ المقطم جريدة الاحتلال البريطاني فى مصر ١٨٨٩ ـ ١٩٥٢ ،
د. تيسير أبو عرجة

١٠٣ ـ رؤية الجبرتى لبعض قضايا عصره ،
د. على بركات

١٠٤ ـ تاريخ العمال الزراعيين فى مصر (١٩١٤ ـ ١٩٥٢) ،
د. فاطمة علم الدين عبد الواحد

١٠٥ ـ السلطة السياسية فى مصر وقضية الديمقراطية (١٨٠٥ ـ ١٩٨٧) .
د. أحمد فارس عبد المنعم

١٠٦ ـ الشيخ على يوسف وجريدة المؤيد : تاريخ الحركة الوطنية فى ربع قرن ، ج ٢ ،
د. سليمان صـــالح

١٠٧ ـ الاصولية الاسلامية فى العصر الحديث ،
تاليف : دليب هيرو ، ترجمـــة : عبد الحميد فهمى الجمال

١٠٨ ـ مصر للمصريين ، ج ٤ ،
سليم خليل النقاش

١٠٩ ـ مصر للمصريين ، ج ٥ ،
سليم خليل النقاش

١١٠ ـ **مصادرة الأملاك في الدولة الاسـلامية (عصر سلاطين المماليك) ، ج ١ ،**
د· البيومى اسماعيل الشربينى

١١١ ـ **مصادرة الأملاك فى الدولة الاسـلامية (عصر سلاطين المماليك ، ج ٢ ،**
د· البيومى اسماعيل الشربينى

١١٢ ـ **اسماعيل باشا صدقى ،**
د· محمد محمد الجوادى

١١٣ ـ **الزبير باشا ودوره في السودان (فى عصر الحكم المصرى) ،**
د· اسماعيل عز الدين

١١٤ ـ **دراسات اجتماعية فى تاريخ مصر ·**
أحمد رشـدى صالح

١١٥ ـ **مذكراتى فى نصف قرن ، ج ٣ ،**
أحمد شفيق باشا

١١٦ ـ **أديب اسحق (عاشق الحرية) ،**
عـلاء الدين وحيـد

١١٧ ـ **تاريخ القضـاء فى مصر العثمانية (١٥١٧ ـ ١٧٩٨) ،**
عبد الرازق ابراهيم عيسى

١١٨ ـ **النظم المالية فى مصر والشـام زمن سلاطين المماليك ،**
د· البيومى اسماعيل

١١٩ ـ **النقابات فى مصر الرومانية ،**
حسين محمد أحمد يوسف

١٢٠ ـ **يوميات من التاريخ المصرى الجديث**
لويس جرجس

١٢١ ـ **معركة الجلاء ووحدة وادى النيل (١٩٤٥ ـ ١٩٥٤)**
د· محمد عبد الحميد الحناوى

١٢٢ ـ **مصر للمصريين ج ٦**
سليم خليل النقاش

١٢٣ ـ **السيد احمد البـدوى**
د. سعيد عبد الفتاح عاشور

١٢٤ ـ **العلاقات المصرية الباكستانية فى نصف قرن**
د. محمد نعمان جلال

١٢٥ ـ **مصر للمصريين ج ٧**
سليم خليل النقاش

١٢٦ ـ **مصر للمصريين ج ٨**
سليم خليل النقاش

١٢٧ ـ **مقدمات الوحدة المصرية السورية (١٩٤٣ ـ ١٩٥٨)**
ابراهيم محمد محمد ابراهيم

١٢٨ ـ **معـــارك صـــحفية**
جمـال بـدوى

١٢٩ ـ **الدين العـــام (وأثـــره فى تطـــور الديـن المصرى) (١٨٧٦ ـ ١٩٤٣)**
د. يحيى محمد محمود

١٣٠ ـ **تاريخ نقابات الفنانين فى مصر (١٩٨٧ ـ ١٩٩٧)**
سمير فريد

١٣١ ـ **الولايات المتحدة وثورة يوليو ١٩٥٢ (١٩٥٢ ـ ١٩٥٨)**
تاليف جايل ماير ، ترجمة عبد الرءوف أحمد عمر

١٣٢ ـ **دار المندوب السامى فى مصر ج ١ ،**
د. ماجدة محمد حمود

١٣٣ ـ **دار المندوب السامى فى مصر ج ٢ (١٩١٤ ـ ١٩٢٤)**
د. ماجدة محمد حمود

١٣٤ ـ الحملة الفرنسية على مصر فى ضوء مخطوط عثماني
مخطوطة « ضيا نامة » للدار ندلى
بقلم/ عزت حسن آفندى الدار ندلى
ترجمة/ جمال سعيد عبد الغنى
١٣٥ ـ اليهود فى مصر المملوكية فى ضوء وثائق الجنيزة
(٦٤٨ ـ ٩٢٣ هـ / ١٢٥٠ ـ ١٥١٧ م)
د. محاسن محمد الوقاد
١٣٦ ـ أوراق يوسف صديق
تقديم أ . د . عبد العظيم رمضان
١٣٧ ـ تجار التوابل فى مصر فى العصر المملوكى
د . محمد عبد الغنى الأشقر
١٣٨ ـ الاخوان المسلمون
وجذور التطرف الدينى والارهاب فى مصر ـ السيد يوسف
١٣٩ ـ موسوعة الغناء المصرى فى القرن العشرين
محمد قابيل
١٤٠ ـ سياسة مصر فى البحر الأحمر .
فى النصف الأول من القرن التاسع عشر ـ طارق
عبد العاطى غنيم .
١٤١ ـ وسائل الترفيه فى عصر سلاطين المماليك
لطفى أحمد نصار .
١٤٢ ـ مذكراتى فى نصف قرن جـ ٤
أحمد شفيق باشا .
١٤٣ ـ دبلوماسية البطالمة فى القرنين الثانى والأول ق.م.
د . منيرة محمد الهمشرى .
١٤٤ ـ كشوف مصر الأفريقية
فى عهد الخديوى اسماعيل (١٨٦٣ ـ ١٨٧٩) ـ
د. عبد العليم .

١٤٥ ـ النظام الادارى والاقتصادى فى مصر
فى عهد دقلديانوس (٢٨٤ ـ ٣٠٥ م) ـ
د . منيرة محمد الهمشرى .

١٤٦ ـ المرأة فى العصر المملوكى
د. أحمد عبد الرازق

١٤٧ ـ حسن البنا (متى .. كيف .. ولماذا ؟)
د. رفعت السعيد

١٤٨ ـ القديس مرقس وتأسيس كنيسة الاسكندرية
تأليف / د. سمير فوزى
ترجمة / نسيم مجلى

١٤٩ ـ العلاقات المصرية الحجازية فى القرن الثامن عشر
حسام محمد عبد المعطى

١٥٠ ـ تاريخ الموسيقى المصرية أصولها وتطورها
د . سمير يحيى الجمال

١٥١ ـ جمال الدين الأفغانى والثورة الشاملة
السيد يوسف

١٥٢ ـ الطبقات الشعبية فى القاهرة المملوكية
(٦٤٨ ـ ٩٢٣ هـ / ١٢٥٠ ـ ١٥١٧ م)
د . محاسن محمد الوقاد

١٥٣ ـ الحروب الصليبية (المقدمات السياسية)
د . علية عبد السميع الجنزورى

مطابع الهيئة المصرية العامة للكتاب

رقم الايداع بدار الكتب ١١٥١٥/١٩٩٩

ISBN — 977 — 01 — 6400 — 3